



عدد خاص | البحث في أزمنة حالكة: مقاربات سوسيولوجية وأنثروبولوجية في الحرب والإبادة
ISSN 2305-2473

لميا مغنية

العنف الإسرائيلي في لبنان: المشهد النفسي للحرب وخطابات
التروما والصمود

زينب علي خازم

تهجير الموتى بعد الدفن: قراءة أنثروبولوجية في العنف
الإسرائيلي على المقابر في لبنان

محمد بامية

الأمل في العصر الحالك

سامي هرمز ومجد أبو عامر

البحث في أزمنة حالكة: مقاربات سوسيولوجية
وأنثروبولوجية في الحرب والإبادة

عبد الوهاب الأفندي

إنكار الإبادة: من نبذ المنكرين إلى معاقبة الشهود

مصطفى أفندي

ذاتيات هشة: عسكرة الحياة اليومية في حرب
نيسان/ أبريل 2023 في السودان

Academic Advisory Committee

الهيئة الاستشارية

Ibrahim Elissawy	إبراهيم العيسوي
Abubakr Baqader	أبو بكر باقادر
Ahmed Khouaja	أحمد خواجه
Adib Nehme	أديب نعمة
Mhammed Malki	امحمد مالكي
Burhan Ghalioun	برهان غليون
Tayssir Raddawi	تيسير رداوي
Tana Fouad Abdallah	ثناء فؤاد العبد الله
George Giacaman	جورج جقمان
Hazim Rahahleh	حازم رحاحلة
Hassan Aly	حسن علي
Kheder Zakaria	خضر زكريا
Taher Kanaan	طاهر كنعان
Adel Al-Shargabi	عادل الشرجبي
Abderrahmane Rachik	عبد الرحمان رشيق
Abdullah Aldolaimi	عبد الله الدليمي
Abdallah Saaf	عبد الله ساعف
Abdenasser Djabi	عبد الناصر جابي
Ali Khalifa Al-Kuwari	علي خليفة الكواري
Fadia Kiwan	فاديا كيوان
Fatima Al-Shamsi	فاطمة الشامسي
Karima Korayem	كريمة كريم
Mohamed Tozy	محمد الطوزي
Mustafa Attir	مصطفى التير
Mustafa Kamel Al-Said	مصطفى كامل السيد
Nadim Rouhana	نديم روحانا
Hosham Dawod	هشام داوود
Yagoub Al-Kandari	يعقوب الكندري

Editor-in-Chief

رئيس التحرير

Mounir Saidani

منير السعيداني

Editorial Manager

مدير التحرير

Laila Omar

ليلي عمر

Editorial Secretary

سكرتير التحرير

Majd Abuamer

مجد أبو عامر

Editorial Board

هيئة التحرير

Baqer Alnajjar

باقر النجار

Hassane Hijj

حسن احجيج

Rima Majed

ريما ماجد

Saker El Nour

صقر النور

Tahar Saoud

الطاهر سعود

Kaltham Al-Ghanim

كلثم الغانم

Mada Shuraiki

مدى شريقي

Morad Diani

مراد ديانني

Hisham Abu-Rayya

هشام أبو ريا

Copy-Editing

التدقيق

Mouldi Abbassi

المولدي العباسي

Abdelwaheb Souissi

عبد الوهاب سويسسي

Nabil Mahmoud Hussein

نبيل محمود حسين

Design and Layout

تصميم وإخراج

Ahmad Helmy

أحمد حلمي

Hisham Moussawi

هشام الموسوي

The Designated Licensee

The General Director of the Arab Center
for Research and Policy Studies

صاحب الامتياز

المدير العام للمركز العربي
للأبحاث ودراسة السياسات

لوحة الغلاف "سما زرقاء" (2023) واللوحات في داخل العدد لنزار صابور

فنان تشكيلي سوري وُلد في اللاذقية عام 1958، حاصل على الدكتوراه في علوم الفن من أكاديمية ستروغانوف في موسكو. عمل أستاذاً في كلية الفنون الجميلة بجامعة دمشق (1991-2023). أقام ستين معرضاً فردياً عربياً ودولياً، وشارك في العديد من المعارض. نال عدداً من الجوائز الفنية، وتقتني أعماله متاحف ومجموعات فنية عربية وأجنبية.

Cover Painting "Blue Sky" (2023) and Featured Artwork by Nizar Sabour

A Syrian visual artist born in Latakia in 1958, he holds a PhD in Art from the Stroganov Academy in Moscow. He was a professor at the Faculty of Fine Arts, University of Damascus (1991-2023). He has held sixty solo exhibitions in the Arab world and internationally, and has participated in numerous exhibitions. He has received several art awards, and his works are held in Arab and international museum and art collections.

ترسل المخطوطات وجميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العناوين التالية:
Manuscripts and all correspondence should be sent to the Editor-in-Chief through:

شارع الطرفة - منطقة 70 - وادي البنات - ص. ب. 10277 - الدوحة - قطر
Al Tarfa Street - Zone 70 - Wadi Al Banat - P.O.Box: 10277 - Doha - Qatar
هاتف: +974 4035 4117 - +974 4035 6888
E-mail: omran@dohainstitute.edu.qa



دورية فصلية مَحْكُمة
A Quarterly Peer-reviewed Journal

العدد 58 - المجلد 15 - خريف 2026
Issue 58 - Volume 15 - Autumn 2026

الإنسان مدنيّ بالطبع، أي لا بُدَّ له من الاجتماع
الذي هو المدنيّة في اصطلاحهم وهو معنى العُمران.

ابن خلدون

لا تعبر آراء الكتاب بالضرورة عن اتجاهات يَتَّبَعُها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"

DOHA INSTITUTE
FOR GRADUATE STUDIES



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



جميع الحقوق محفوظة لمعهد الدوحة للدراسات العليا
والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

حَقِيقَةُ التَّارِيخِ أَنَّهُ خَبَرٌ عَنِ الْجَمْعِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي هُوَ عُمَرَانُ الْعَالَمِ، وَمَا يَعْزُضُ لَطَبِيعَةَ ذَلِكَ الْعُمَرَانِ مِنَ الْأَحْوَالِ مِثْلَ التَّوَحُّشِ وَالتَّائِسِ وَالْعَصَبِيَّاتِ وَأَصْنَافِ التَّغْلِبَاتِ لِلْبَشَرِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الْمُلْكِ وَالْأُذُلِ وَمَرَاتِبِهَا، وَمَا يَنْتَحِلُهُ الْبَشَرُ بِأَعْمَالِهِمْ وَمَسَاعِيهِمْ مِنَ الْكَسْبِ وَالْمَعَاشِ وَالْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ، وَسَائِرِ مَا يَحْدُثُ فِي ذَلِكَ الْعُمَرَانِ بِطَبِيعَتِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ....

وَكَانَ هَذَا عِلْمٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ. فَإِنَّهُ ذُو مَوْضُوعٍ وَهُوَ الْعُمَرَانُ الْبَشَرِيُّ وَالْاجْتِمَاعُ الْإِنْسَانِيُّ؛ وَذُو مَسَائِلٍ، وَهِيَ بَيَانُ مَا يُلْحَقُهُ مِنَ الْعَوَارِضِ وَالْأَحْوَالِ لِدَاتِهِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى. وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ وَضَعِيًّا كَانَ أَوْ عَقْلِيًّا....

الاجْتِمَاعُ الْإِنْسَانِيُّ ضَرْوِيٌّ. وَيُعَبَّرُ الْحُكَمَاءُ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِمْ: "الْإِنْسَانُ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ"، أَيْ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْاجْتِمَاعِ الَّذِي هُوَ الْمَدَنِيَّةُ فِي اصْطِلَاحِهِمْ وَهُوَ مَعْنَى الْعُمَرَانِ....

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْاجْتِمَاعَ إِذَا حَصَلَ لِلْبَشَرِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَتَمَّ عُمَرَانُ الْعَالَمِ بِهِمْ، فَلَا بُدَّ مِنْ وَاِزَاعٍ يَدْفَعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ؛ لِمَا فِي طَبَاعِهِمُ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ... فَيَكُونُ ذَلِكَ الْوَاِزَاعُ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَكُونُ لَهُ عَلَيْهِمُ الْغَلَبَةُ وَالسُّلْطَانُ وَالْيَدُ الْقَاهِرَةُ؛ حَتَّى لَا يَصِلَ أَحَدٌ إِلَى غَيْرِهِ بِعُدْوَانٍ؛ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْمُلْكِ....

وَتَزِيدُ الْفَلَسَفَةُ عَلَى هَذَا الْبُرْهَانِ... أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْبَشَرِ مِنَ الْحُكْمِ الْوَاِزِعِ... بِشَرَعٍ مَفْرُوضٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَأْتِي بِهِ وَاحِدٌ مِنَ الْبَشَرِ؛ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَمَيِّزًا عَنْهُمْ مِمَّا يُودَعُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ خَوَاصِّ هِدَايَتِهِ لِيَقَعَ التَّسْلِيمُ لَهُ وَالْقَبُولُ مِنْهُ، حَتَّى يَتِمَّ الْحُكْمُ فِيهِمْ وَعَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ وَلَا تَزْيِيفٍ. وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ لِلْحُكَمَاءِ غَيْرُ بُرْهَانِيَّةٍ كَمَا تَرَاهُ؛ إِذِ الْوُجُودُ وَحَيَاةُ الْبَشَرِ قَدْ تَتِمُّ مِنْ دُونِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْرُضُهُ الْحَاكِمُ لِنَفْسِهِ، أَوْ بِالْعَصَبِيَّةِ الَّتِي يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى قَهْرِهِمْ وَحَمْلِهِمْ عَلَى جَادَتِهِ.

ابن خلدون، المقدمة

Contents

المحتويات

Special Issue

Research in a Time of Great Darkness:
Sociological and Anthropological
Approaches to War and Genocide
Editors: Sami Hermez & Majd Abuamer

5

عدد خاص

البحث في أزمنة حالكة:
مقاربات سوسيولوجية وأنثروبولوجية
في الحرب والإبادة
المحرران: سامي هرمز ومجد أبو عامر

Sami Hermez & Majd Abuamer

**Research in a Time of Great Darkness:
Sociological and Anthropological Approaches
to War and Genocide**

7

سامي هرمز ومجد أبو عامر

البحث في أزمنة حالكة:

مقاربات سوسيولوجية وأنثروبولوجية
في الحرب والإبادة

Abdelwahab El-Affendi

**Genocide Denial: From Ostracizing Deniers to
Punishing Witnesses**

41

عبد الوهاب الأفندي

إنكار الإبادة: من نبذ المنكرين إلى معاقبة
الشهود

Mustafa Afandy

**Fragile Subjectivities: The Militarization of
Everyday Life in Sudan's April 2023 War**

57

مصطفى أفندي

ذاتيات هشة: عسكرة الحياة اليومية
في حرب نيسان/ أبريل 2023 في السودان

Lamia Moghnieh

**Israeli Violence in Lebanon: The Psychological
Landscape of War and Discourses of Trauma
and *Sumud***

89

لميا مغنية

العنف الإسرائيلي في لبنان:
المشهد النفسي للحرب وخطابات التروما
والصمود

Zeinab Ali Khazem

**Post-Burial Displacement of the Dead: An
Anthropological Reading of Israeli Violence
against Cemeteries in Lebanon**

109

زينب علي خازم

تهجير الموتى بعد الدفن:
قراءة أنثروبولوجية في العنف الإسرائيلي
على المقابر في لبنان

Mohammed Bamyeh

Hope in a Dark Age

143

محمد بامية

الأمل في العصر الحالك

Translated Paper	169	ترجمة
Peter Pels Modern Times: Seven Steps Toward an Anthropology of the Future Translated by: Mohamed Haj Salem	171	بيتر بيلس أزمة حديثة: سبع خطوات نحو أنثروبولوجيا المستقبل ترجمة: محمد الحاج سالم
Book Reviews	217	مراجعات الكتب
Khalil Alselmi Review of <i>A Decade of Decline: An Analytical Study of the Impact of War on Yemen's Economy (2011–2021)</i> by Dibwan Abdul Qawi Alsoufi	219	خليل السلمي مراجعة كتاب العشرية السوداء للاقتصاد اليمني: دراسة تحليلية لأثار الحرب على الاقتصاد خلال الفترة 2011–2021 لدبوان عبد القوي الصوفي
Mohamed Arhal Review of <i>Emotions in a Digital World: Social Research 4.0</i> by Adrian Scribano	227	محمد أرحال مراجعة كتاب الانفعالات في عالم رقمي: البحث الاجتماعي 4.0 لأدريان سكريبانو
Featured Books	235	عروض الكتب

عدد خاص
البحث في أزمنة حالكة:
مقاربات سوسيولوجية وأنثروبولوجية
في الحرب والإبادة
المحرران: سامي هرمز ومجد أبو عامر

Special Issue

**Research in a Time of Great Darkness:
Sociological and Anthropological Approaches
to War and Genocide**

Editors: Sami Hermez & Majd Abuamer



بقعة دم، 100x100 سم، تقنيات مختلفة على قماش (2012).
Bloodstain (War), 100x100 cm, Mixed media on canvas (2012).

سامي هرمز | Sami Hermez* ومجد أبو عامر | Majd Abuamer**

البحث في أزمنة حالكة: مقاربات سوسيولوجية وأنثروبولوجية في الحرب والإبادة

Research in a Time of Great Darkness: Sociological and Anthropological Approaches to War and Genocide

ملخص: يتناول هذا العدد الخاص الحرب والإبادة والعنف السياسي في العالم العربي لفهم الكيفية التي تعيد بها هذه الظواهر تشكيل الحياة الاجتماعية وشروط إنتاج المعرفة. وينطلق من مفهوم الأزمنة الحالكة لوصف أوضاع تتداخل فيها آثار الماضي مع عنف الحاضر واحتمالات المستقبل، بحيث تتلاشى الحدود بين الحرب وما بعدها. وتموقع هذه الدراسة التقليدية العدد الخاص ضمن تحولات أوسع في السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، انتقلت من تفسير أسباب العنف وتنظيمه إلى دراسة آثاره في الجسد والذاكرة والمكان والزمن. وتفحص مساهماته في الصراع على تسمية الإبادة، وعسكرة الحياة اليومية، ولغة المعاناة والتروما، والعنف الموجه إلى الفضاء الجنائزي، وإمكان التفكير في الأمل والمستقبل. إجمالاً، تقترح المواد فهماً للعنف، بوصفه سيروية تعيد ترتيب شروط العيش والعلاقات والمعرفة وإمكانات الفعل.

كلمات مفتاحية: العنف السياسي، الحرب، الإبادة، العالم العربي، الأزمنة الحالكة.

Abstract: This special issue examines how war, genocide, and political violence in the Arab world reshape social life and the conditions of knowledge production. Drawing on the notion of dark times, it describes contexts in which the legacies of the past intersect with present violence and future possibilities, blurring boundaries between war and its aftermath. This introductory article situates the issue within broader shifts in sociology and anthropology, from explaining the causes and organization of violence to examining its effects on bodies, memory, place, and time. The contributions address struggles over labelling genocide, the militarization of everyday life, languages of suffering and trauma, violence against funerary spaces, medical violence, and prospects for thinking about hope and the future. Taken together, this material understands violence as a process that reconfigures life, relations, knowledge, and potential action.

Keywords: Political Violence, War, Genocide, Arab World, Dark Times.

* أستاذ مشارك في الأنثروبولوجيا، جامعة نورثويسترن في قطر.

Professor of anthropology at Northwestern University in Qatar. Email: sami.hermez@northwestern.edu

** باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (المؤلف المسؤول).

Researcher at the Arab Center for Research and Policy Studies (Corresponding Author).

Email: majd.abuamer@dohainstitute.edu.qa

مقدمة

في الأزمنة الحالكة⁽¹⁾، لا يستقر الماضي في مكانه، ولا ينتظر المستقبل دوره؛ كلاهما يتسلل إلى الحاضر ويعيد تشكيله، وهي أزمة، يصعب أن نعرف على وجه الدقة أين نقف منها: أفي قلب الكارثة، أم في ما حسبه يوماً أعقابها، أم في انتظار ما لا نزال نخشاه منها بعد؟ اختلطت هذه الأزمنة الحالكة في أجزاء واسعة من العالم العربي، حتى غدا الفصل بينها ترفاً لا تمنحه الحياة اليومية. ما شهدناه لم يمض تماماً. هو يعود في هيئة خوفٍ مألوف، أو غائب لم يُعرف مصيره، أو بيت لم يعد الوصول إليه ممكناً، أو حرب قديمة تستيقظ في حديثٍ عابر عن الحرب المقبلة. وما يجري أمام أعيننا لا يتيح دائماً المسافة التي توحى بها كلمة "حدث"؛ ففي فلسطين، كما في لبنان والسودان واليمن وأمكنة عديدة أخرى، تتراكم الخسارة في حين تستمر ضرورات العيش، ويجد الناس أنفسهم مضطرين إلى صنع اليومي داخل شروط تعمل على تقويضه. وفي أماكن أخرى هدأت فيها المدافع أو تبدلت وجوه الحرب، بقيت آثارها وجميع أشكال العنف الناتج منها موزعة في الأجساد والأمكنة والعلاقات، وحاضرة أحياناً بقدرتها على العودة أكثر من حضورها بالفعل. ربما تكمن حلقة هذا الزمن هنا تحديداً في أن الحياة لا تتوقف كي تفسح مكاناً للكارثة، والكارثة لا تنتهي كي تبدأ الحياة من جديد. يمضي الاثنان معاً، ويتعلم الناس أن يعيشوا في هذه السينما: يخططون ويحبون ويعملون ويهاجرون وينتظرون ويصلون، في حين يظل الماضي قريباً بما يكفي ليؤول الحاضر، والمستقبل مثقلاً بما يكفي ليرك أثره فيه قبل أن يأتي.

ومن العبث هنا محاولة تحديد بداية هذه السيرة الحديثة للعنف، لكن لا يمكن إنكار أن مكنونها السياسي جذوره ضاربة في الحقبة الاستعمارية الأوروبية؛ وهي حقبة لم تمت، بل تحولت وأعادت مدّ أذرعها وتجذرها بأشكال مختلفة، ليس أقلها اندماجها، في المنطقة العربية، مع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني. ومن ثم، لا يمكن سرد حكاية الأزمنة الحالكة من دون موضوعة فلسطين في صلبها. لا لأن فلسطين هي المركز، بل بسبب الظروف السياسية التي فرضتها الصهيونية على المنطقة، بمساعدة مباشرة من الولايات المتحدة الأميركية وقوى أوروبية، التي كان لها حضور في كل حرب كبرى وكل موجة عنف شهدتها المنطقة العربية. واليوم، يمكن تلمس أذرع هذا التدخل بصورة مباشرة في إبادة غزة، والتطهير العرقي الحادث في جبل عامل، والحرب الإبادة الجارية في السودان، فضلاً عن دورهما في تشكيل السياسة في سورية واليمن وليبيا والعراق، وكذلك في بلدان أخرى أكثر استقراراً في المنطقة، من المغرب إلى إيران.

(1) نستخدم تعبير الأزمنة الحالكة هنا للإشارة إلى حالة تاريخية واجتماعية تتكاثف فيها أشكال متباينة من العنف السياسي وتتراكم أزمته، من الاستعمار الاستيطاني والإبادة والحرب، إلى القمع السلطوي والعنف الطائفي والإثني. وهي أزمة، تغدو فيها الأزمة امتداداً للحياة، يختلط فيها ما وقع بما يستمر أثره وبما يخشى وقوعه، فتتغير معها شروط العيش وإمكانات الفعل، وكذلك شروط إنتاج المعرفة عن عالم لم تستقر أحداثه. وهذا هو المعنى الذي وجّه الورقة المرجعية للمؤتمر الذي انبثق منه هذا العدد الخاص، التي ربطت الأزمنة الحالكة بتعدد بيئات الأزمة في المنطقة، وبالحاجة إلى إعادة التفكير في أدوات المعرفة وطرائق دراسة العنف في ظل الإبادة والحرب والقمع. ينظر: "الندوة السنوية لدورية 'عمران'"، ورقة مرجعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، شوهذ في 2026/9/6، في: <https://acr.ps/hBxVK3M>

ولا يعني وضع هذا الامتداد الاستعماري في صلب الحكاية اختزال العنف فيه، أو إعفاء الأنظمة والقوى المحلية من مسؤوليتها عنه. ففي التاريخ العربي المعاصر، ثمة أمكنة خرجت أسماؤها من حدود الجغرافيا، وصارت تحمل من آثار العنف أكثر مما تحمله من دلالات المكان: تل الزعتر (1976) وصبرا وشاتيلا (1982) في لبنان، وحماة في سورية (1982)، وحليجة في العراق (1988)، وسجن أبو سليم في ليبيا (1996)، ثم الرايس وبن طلحة في الجزائر (1997). وبعدها بسنوات، أضيفت إلى هذه الذاكرة الغوطة وحي التضامن في سورية (2013)، ورابعة في مصر (2013)، وسنجار في العراق (2014)، والفاشر في السودان (2025). وبين اسم وآخر، ومجزرة وأخرى، امتدت حروب أهلية وقمع سلطوي واحتلالات وتهجير قسري وعنف طائفي ومناطقى، وتكاثرت سير المفقودين والمعتقلين والمعدّبين، حتى غدت آثار العنف موزعة في خرائط المدن، وفي ما يروى وما يُسكت عنه. وفي فلسطين، ظلّت، بالتوازي مع ذلك كلّ، بنية استعمارية صهيونية قائمة، متشابكة ومندمجة في تاريخ الحرب والدمار في المنطقة؛ من الاقتلاع الذي صاحب نكبة عام 1948، وما أعقبها من استعمار استيطاني واحتلال وحصار وحروب متعاقبة، وصولاً إلى الحرب الإبادة على غزة منذ خريف 2023، حيث عاد سؤال الإبادة والمحو إلى قلب الحاضر العربي.

ومع إمكان تبين الفروق بين هذه الوقائع، في فاعليها وضحاياها، وفي الأيديولوجيات التي سوّغت العنف، وفي صلة كل منها بالدولة والحرب الأهلية والاستعمار والاحتلال، فإنها لا تنتظم في تواريخ أو منطق سياسي واضح الحدود. فتاريخ العنف في المنطقة أكثر تشابكاً مما اختزله الوصف السابق؛ تتقاطع فيه مسارات تشكّل الدولة وإرث الاستعمار والصراعات الداخلية، كما تتداخل فيه أوجه الشبه والاتصال بقدر ما تظهر فيه الفروق والانقطاعات. بل إن التواريخ والسياسات التي يُستند إليها في تفسير هذه الوقائع هي نفسها موضع نزاع. وكثيراً ما رافق العنف، أو أعقبه، نزاع آخر على الاسم الذي سيحمله: أهو حفظ للنظام أم قمع جماعي؟ حرب أم إبادة؟ نزوح أم اقتلاع؟ ضرورة تمليلها "وحدة الوطن" أم عنف يُرتكب باسمها؟ ومن خلال اللغة يُحدّد ما يكتسب شرعية المعرفة وما يُدفع إلى هامشها. ولعل ذلك أحد أسباب استمرار الخلاف حول كثير من وقائع العنف بعد توقف إطلاق النار بزمانٍ مديد.

لا تُختزل آثار الحرب في لحظاتها الأشد ظهوراً، حينما يُقتل الناس أو تُقصف المدن أو تُفتح السجون. فهي تمتد إلى ما يلي تلك اللحظات وما يحيط بها، فتسرّب إلى تفاصيل العيش؛ إلى البيت والعمل والمدرسة، وإلى علاقة الناس بأجسادهم وأمكنة عيشهم، وإلى أشكال التضامن والرعاية والحداد، وإلى الكيفية التي يستعيد بها الأحياء موتاهم، ويزورون قبورهم، أو يعجزون عن العثور عليهم أصلاً. وفي مثل هذه السياقات، لا يعود ما جرى حدثاً يمكن فصله عن الحياة اليومية، بل يدخل في شروط إمكانها نفسها، فيعيد تشكيل معاني الأمان والحركة والانتظار، والعلاقة بالدولة والجماعة والمستقبل. ومن هنا، لا نعدّ الحرب موضوعاً قائماً بذاته أو واقعة منفصلة عن السياسة، بل بوصفها متشكّلة داخل علاقات القوة والدولة والاستعمار والصراع على الجماعة، ومشاركة، في الوقت نفسه، في إعادة تشكيل هذه العلاقات. وحتى حين يسعى الناس إلى المضي في حياتهم من دون استحضار هذه البنى

أو بمحاولة تناسيها، فإنها لا تزول. قد تنسحب إلى خلفية اليومي وتغدو أقل مرئية نعم، ولكن من دون أن تكفّ عن تنظيم إمكاناته وحدوده.

لهذا، اكتسبت الأسئلة السوسولوجية والأنثروبولوجية عن الحرب والعنف أهمية تتجاوز تفسير دوافع الصراع أو تحديد المسؤولين عنه، إلى تتبع ما يفعله العنف في الاجتماع نفسه: ما الذي يهدمه فيه؟ وما الذي يعيد ترتيبه منه؟ وما أشكال الحياة التي تنشأ داخل عالم صارت الحروب واحداً من شروطه؟ تضعنا هذه الأسئلة أمام مسألة المعرفة أيضاً. فكثيرٌ مما نبخّثه اليوم لم يتحول بعد إلى ماضٍ "ثابت" يمكن النظر إليه من مسافة "آمنة". تُكتب البحوث بينما تستمرّ الحرب، ويتخلّق الأرشف في الوقت نفسه الذي يُدمّر فيه، ويكتبُ باحثون عن مجتمعاتٍ ينتمون إليها أو يرزحون تحت آثار عنفها. عند هذه النقطة، تغدو موقعية الباحث جزءاً من شروط المعرفة التي ينتجها: ما الذي يراه من موقعيته (سواء اختارها أم فُرضت عليه)؟ وما الذي تصعب عليه رؤيته؟ وكيف تؤثر لغة الحقل الأكاديمي، ومؤسساته وتصنيفاته، في الأشياء التي تُصبح قابلةً للتسمية والبحث، وتلك التي تبقى خارجه؟

كانت هذه الأسئلة حاضرةً في نقاشات مؤتمر "البحث في أزمنةٍ حالكة: الإبادة وجرائم الحرب والعنف السياسي وتداعياتها"، الذي نظمته دورية عمران بالتعاون مع كرسي اليونسكو لدراسات منع الإبادة الجماعية في العالم الإسلامي في جامعة بغداد، في الفترة 4-6 شباط/فبراير 2025⁽²⁾. ومن أعمال هذا المؤتمر انبثقت فكرة هذا العدد الخاص، الذي يضمُّ مجموعة من الأوراق التي قُدّمت فيه. وقد وضعت نقاشات المؤتمر في صلب أسئلتها موقعية الباحث ودوره في الأزمنة الحالكة، إلى جانب الحياة اليومية في ظل العنف، وأشكال المحو، والبنى المادية التي تجعل العنف ممكناً، والمقاومة وسبل التفكير فيها.

في هذا السياق، يأتي هذا العدد الخاص محاولةً للانخراط في نقاشٍ أوسع حول العنف السياسي والحرب والإبادة في العالم العربي، استناداً إلى تراكم معرفي واسع ومتعدّد المسارات. ولا تدعي الصفحات التالية رسم خريطة مكتملة لهذا التراكم أو الإحاطة بجميع بحوثه، بقدر ما تسعى إلى إبراز ملامحه العامة ومساراته الأبرز. لذلك، تبدأ بمراجعة الكيفية التي تناولت بها السوسولوجيا والأنثروبولوجيا الحرب والإبادة، وما طرأ على موضوعاتهما ومفاهيمهما ومقارباتهما من تحولات. ثم تنتقل إلى تتبع الأدبيات التي تناولت الحرب والعنف والإبادة في العالم العربي، وكيف شكّلت اهتماماتها في صلة بالتحولات التاريخية التي شهدتها المنطقة، وما تكشفه من تراكمات وفجوات بحثية. وفي ضوء هذين المسارين، يُعرّف القسم الأخير بدراسات هذا العدد الخاص، والمفاهيم التي تقترحها لقراءة الحروب والإبادات الراهنة، وما تفتحه من إمكانات أمام أبحاث لاحقة.

(2) للاطلاع على كتيب المؤتمر، ينظر: "عُمران" تعقد مؤتمر 'البحث في أزمنةٍ حالكة' بالتعاون مع كرسي اليونسكو في جامعة بغداد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025/1/29، شوهد في 2026/9/6، في: <https://acr.ps/hBxVK7v>

أولاً: الحرب والإبادة في السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا

تُعَدّ الحرب واحدة من أكثر القوى أثراً في المجتمعات الحديثة؛ فهي تسهم في بناء الدول، وإعادة صياغة الثقافة والعلاقات الاجتماعية، وفي تشكيل تصورات الناس عن العالم ومواقعهم فيه. مع ذلك، ظلت سيورة اجتماعية عصية على الإحاطة، على الرغم من تراكم أدبيات واسعة ومهمة تناولتها في النظرية والتحليل السوسيولوجي والأنثروبولوجي. فكثيراً ما أُحيلت دراستها إلى حقول فرعية متخصصة أو إلى تخصصات أخرى، أو تناولها علماء الاجتماع انطلاقاً من موضوعات أخرى، أكثر من تناولها مسألة سوسيولوجية في ذاتها⁽³⁾. ومن هنا تكتسب محاولة سينيشا مالشيفيتش إعادة الحرب والعنف المنظم إلى قلب التحليل السوسيولوجي أهميتها. ففي مشروعه الممتد، يتعامل مع الحرب والعنف بوصفهما ظاهرتين اجتماعيتين تشكلان داخل العلاقات والتنظيمات، وتعيدان تشكيل الحياة الاجتماعية⁽⁴⁾. ويربط اتساع نطاق العنف المنظم تاريخياً بتنامي القدرة التنظيمية، والتغلغل الأيديولوجي، وشبكات التضامن الصغرى، بما يقوده إلى مراجعة السرديات التي تفترض انحسار العنف مع الحداثة⁽⁵⁾. ويرفض ردّ القتال إلى نزعة بشرية ثابتة، ويرى الاستعداد لخوضه، والعمل على تجنبه أيضاً، ظاهرة سياقية تتشكل تاريخياً واجتماعياً، من خلال تفاعل المصالح والحوافز، وضغوط الإكراه، والمنطقين التنظيمي والأيديولوجي الحاكم لهما، وروابط التضامن المباشرة بين الأفراد⁽⁶⁾. وبهذه الطريقة، يلفت الانتباه إلى المضامين السياسية الكامنة في الحرب، وهي مسألة سبق أن نبّه إليها ميشيل فوكو حينما تحدّث عن دور الدولة بوصفها مؤسسة تصنع الحرب، بدلاً من حصر الحرب في حالة الطبيعة الهوبزية. فبالنسبة إلى فوكو، "السلطة هي الحرب، هي الحرب المستمرة بوسائل أخرى"⁽⁷⁾.

يلتقي مشروع مالشيفيتش، وإن من مستوى تحليلي مختلف، مع اتجاهات ميكروسوسيولوجية جعلت الموقف العنيف نفسه موضعاً للتحليل. فقد بيّن راندال كولنز أن المواجهة العنيفة تولّد توتراً وخوفاً يشكّلان حاجزاً أمام الانتقال إلى العنف المباشر، وأن وقوع هذا العنف يتطلب مسارات وشروطاً تفاعلية - موقفية تسمح بتجاوز هذا الحاجز⁽⁸⁾. وبموازاة ذلك، أعادت مقاربات سوسيولوجية

(3) Hans Joas & Wolfgang Knöbl, *War in Social Thought: Hobbes to the Present*, Alex Skinner (trans.) (Princeton/Oxford: Princeton University Press, 2013); Andreas Wimmer, "War," *Annual Review of Sociology*, vol. 40 (2014), pp. 173-197.

(4) سينيشا مالشيفيتش، سوسيولوجيا الحرب والعنف، ترجمة طارق عثمان (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2022).

(5) سينيشا مالشيفيتش، صعود الوحشية المنظمة: سوسيولوجيا تاريخية للعنف، ترجمة عومرية سلطاني (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2023).

(6) سينيشا مالشيفيتش، لم يتقاتل البشر؟ الديناميات الاجتماعية للعنف الجسدي المباشر، ترجمة عومرية سلطاني (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2024).

(7) مقتبساً القول المأثور لكارل فون كلاوزفيتز Carl von Clausewitz: "السياسة هي استمرار للحرب بوسائل أخرى". ميشيل فوكو، "يجب الدفاع عن المجتمع": دروس أُلقيت في "الكوليج دي فرانس" لسنة 1976، ترجمة الزواوي بغوره (بيروت: دار الطليعة، 2003)، ص 43.

(8) Randall Collins, *Violence: A Micro-sociological Theory* (Princeton: Princeton University Press, 2008); Randall Collins, "Micro and Macro Causes of Violence," *International Journal of Conflict and Violence*, vol. 3, no. 1 (2009), pp. 9-22.

وأنثروبولوجية للحرب الانتباه إلى الجسد بوصفه أحد المواقع التي تُصنع الحرب من خلالها وبها وتُعاش وتُخلف آثارها؛ من إعداد الأجساد للقتال عبر التدريب والانضباط، إلى استنزافها وإصابتها وتشويهها، وصولاً إلى الكيفيات التي تستمر بها آثار الحرب فيها هي، كما في الحياة اليومية، بعد انقضاء القتال⁽⁹⁾.

وفي السياق ذاته، لكن على مستوى آخر، تدفع الإبادة السؤال عن الشروط الاجتماعية التي تجعل العنف ممكنًا إلى تخوم أشد حلكة، حيث يمكن أن يتحوّل التنظيم الاجتماعي نفسه إلى أداة لتفكيك العالم الذي يعمل على تنظيمه. فقد بيّنت سوسيولوجيا الإبادة أن القتل الجماعي يمكن أن يُنظّم من خلال أجهزة تعمل وفق منطق عقلاني وبيروقراطي؛ إذ يسمح تقسيم العمل وتجزئة المسؤولية بإطالة المسافة بين القرار والفعل، وبين من يؤدي مهمةً جزئية والجسد الذي تنتهي إليه آثارها⁽¹⁰⁾. غير أن الطريق إلى الإبادة تمرُّ أيضًا عبر إعادة ترتيب العلاقات والمعاني، حيث تضيق حدود من يُعدّ جزءًا من الجماعة، ويُعاد وصف الاختلاف في لغة الخطر والتلوث والخيانة⁽¹¹⁾. ومع الوقت، يمكن أن يصبح وجود جماعة كاملة مُشكّلةً تتخيل السياسة حلّها بالإقصاء أو الاقتلاع أو التدمير⁽¹²⁾. وقد تتبع الدراسات السوسيولوجية هذا التداخل بين مشاريع التجانس الإثني - القومي، والصراع على السيادة والدولة والإقليم، وعمليات التآطير التي تعيد رسم الحدود بين "نحن" و"هم" وتنزع الإنسانية عن الجماعات المستهدفة، وبين المؤسسات والتنظيمات والفاعلين الذين يحولون هذه التصورات إلى تعبئةٍ وعنفٍ مُنظّم⁽¹³⁾.

ومثلما هو الحال في السوسيولوجيا، حضرت الحرب في جانب مهم من الأنثروبولوجيا الكلاسيكية لا بوصفها موضوعًا قائمًا في ذاته، بقدر ما ظهرت من خلال دراسة القرابة والتنظيم السياسي والثأر

(9) Kevin McSorley, "Towards an Embodied Sociology of War," *The Sociological Review*, vol. 62 (2014), pp. 107–128; Kevin McSorley (ed.), *War and the Body: Militarisation, Practice and Experience* (London/ New York: Routledge, 2013); Zoë H. Wool, *After War: The Weight of Life at Walter Reed* (Durham: Duke University Press, 2015).

(10) زيغمونت باومان، *الحدأة والهولوكوست*، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم عزمي بشارة (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)؛

Leo Kuper, *Genocide: Its Political Use in the Twentieth Century* (New Haven: Yale University Press, 1981); Helen Fein, *Genocide: A Sociological Perspective* (London: Sage, 1993).

(11) وهي، في الوقت نفسه، تضعنا أمام سؤال أوسع عن حدود الخطاب الإنساني ذاته، وعن سياسات الاعتراف بمن يُعدّ إنسانًا كامل الإنسانية ومن يُدفع إلى هوامشها. وقد صاغت، هذه الحدود، إلى حد بعيد، المواجهة الاستعمارية وما رسّخته من تراتيبات جعلت بعض الحيات أكثر استحقاقًا للحماية والحداد والاعتراف من غيرها. ينظر:

Sylvia Wynter, "Unsettling the Coloniality of Being/Power/Truth/Freedom: Towards the Human, After Man, Its Overrepresentation – An Argument," *The New Centennial Review*, vol. 3, no. 3 (2003), pp. 257–337; Didier Fassin, *Humanitarian Reason: A Moral History of the Present*, Rachel Gomme (trans.) (Berkeley: University of California Press, 2012); Miriam Ticktin, "Where Ethics and Politics Meet: The Violence of Humanitarianism in France," *American Ethnologist*, vol. 33, no. 1 (2006), pp. 33–49.

(12) Daniel Chirot & Clark McCauley, *Why Not Kill Them All? The Logic and Prevention of Mass Political Murder* (Princeton: Princeton University Press, 2010).

(13) Michael Mann, *The Dark Side of Democracy: Explaining Ethnic Cleansing* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005); John Hagan & Wenona Rymond-Richmond, "The Collective Dynamics of Racial Dehumanization and Genocidal Victimization in Darfur," *American Sociological Review*, vol. 73, no. 6 (2008), pp. 875–902.

والعلاقات بين الجماعات. غير أن هذه المقاربات حملت معها أيضاً حدود اللحظة الاستعمارية التي تشكّل فيها الحقل؛ إذ كثيراً ما عولجت المجتمعات المدروسة كما لو كان ممكناً فهم أنماط الصراع فيها من داخل بنيتها الاجتماعية أساساً، بينما تبقى علاقات القوة الاستعمارية والتاريخ السياسي الأوسع خارج مركز التحليل. يظهر هذا التوتر بوضوح في دراسة إدوارد إيفانز-بريتشارد للنوير، حيث جعل الثأر والغزو والصراع عناصر أساسية في فهم التنظيم الانقسامى والعلاقات السياسية بين الجماعات، في حين كان عمله الميداني قد أنجز بطلب من حكومة السودان الإنكليزي - المصري وبتمويلها في معظمه، وفي أعقاب حملات عسكرية استهدفت إخضاع النوير. وكان إيفانز-بريتشارد نفسه واعياً بهذه الظروف ودون أثرها في علاقته بالميدان، إلا أن الاستعمار والعنف اللذين رافقا فرض الحكم، لم يصبحا جزءاً مركزياً من النموذج الذي صاغ من خلاله المجتمع النويري والصراع داخله⁽¹⁴⁾.

وقد انصبّ جانب مهم من النقد الأثنوبولوجي اللاحق على هذا الفصل بين البنية الاجتماعية والتاريخ السياسي الذي أنتج شروطها وشروط معرفتها، وعلى ما قد يترتب عليه من إظهار العنف بوصفه خاصية داخلية في المجتمعات المدروسة، في حين تتراجع علاقته بالتوسّع الاستعماري والدولة والاقتصاد السياسي الأوسع إلى خلفية التحليل⁽¹⁵⁾. وأعاد دراسات أنثروبولوجية لاحقة للحرب تأكيد هذا النقد، مبيّنة أن أشكالاً عديدة من الحرب التي وُصفت سابقاً بأنها محلية أو قبلية لم تكن منفصلة عن تمدد الدول واللقاء الاستعماري، بل أعاد هذا اللقاء تشكيل شروطها وفاعليها ومداها⁽¹⁶⁾.

لكن هذه الحدود لم تجعل المقاربات الأنثروبولوجية للحرب تسير في مسار واحد. فقد رفض برونيستلاف مالمينوفسكي، مبكراً، ردّ الحرب إلى نزعة عدوانية بشرية فطرية، وشدد على أنها ظاهرة تتشكّل ثقافياً ومؤسسياً⁽¹⁷⁾. وسعت أعمال مقارنة لاحقة إلى تصنيف أنماط القتال ودوافعه وأشكال تنظيمه في مجتمعات مختلفة؛ وهو مسار ظل حاضراً في المراجعات اللاحقة لتاريخ أنثروبولوجيا الحرب⁽¹⁸⁾. وفي سبعينيات القرن العشرين، دفع بيار كلاستر النقاش إلى مستوى سياسي أكثر وضوحاً؛ فقد ربط الحرب بمسألة السلطة والدولة. ففي دراساته للمجتمعات الأصلانية في أميركا الجنوبية،

(14) E. E. Evans-Pritchard, *The Nuer: A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People* (Oxford: Clarendon Press, 1940); Douglas H. Johnson, "Evans-Pritchard, the Nuer, and the Sudan Political Service," *African Affairs*, vol. 81, no. 323 (1982), pp. 231-246.

(15) Talal Asad, "Introduction," in: Talal Asad (ed.), *Anthropology & the Colonial Encounter* (London: Ithaca Press, 1973), pp. 9-19; Renato Rosaldo, "From the Door of His Tent: The Fieldworker and the Inquisitor," in: James Clifford & George E. Marcus (eds.), *Writing Culture: The Poetics and Politics of Ethnography* (Berkeley: University of California Press, 1986), pp. 77-97.

(16) R. Brian Ferguson & Neil L. Whitehead (eds.), *War in the Tribal Zone: Expanding States and Indigenous Warfare* (Santa Fe: School of American Research Press, 1992).

(17) Bronislaw Malinowski, "An Anthropological Analysis of War," *American Journal of Sociology*, vol. 46, no. 4 (1941), pp. 521-550.

(18) Harry Holbert Turney-High, *Primitive War: Its Practice and Concepts* (Columbia: University of South Carolina Press, 1949); Anna Simons, "War: Back to the Future," *Annual Review of Anthropology*, vol. 28 (1999), pp. 73-108.

لم يتعامل مع الحرب بوصفها نتيجة للعدوان أو الندرة أو خلل في النظام الاجتماعي، بل بوصفها ممارسة سياسية تُسهم، في نظره، في صون استقلال الجماعات وتعددها، وفي الحيلولة دون تمرکز السلطة في جهاز منفصل عن المجتمع هو الدولة⁽¹⁹⁾.

أمّا الإبادة، فلم تبلور في هذه المرحلة، بوصفها موضوعاً أنثروبولوجياً مستقلاً؛ ذلك أنه لم تتشكّل أنثروبولوجيا صريحة للإبادة إلا في زمن متأخر نسبياً⁽²⁰⁾. وقد اتسع هذا التحول ليشمل دراسة العنف الاستعماري وتدمير الشعوب الأصلية والهولوكوست وأشكال الإبادة والقتل الجماعي الحديثة من منظور أنثروبولوجي⁽²¹⁾. واقتربت به أيضاً مراجعة نقدية لتاريخ الحقل نفسه، بما في ذلك دور بعض الممارسات الأنثروبولوجية في إنتاج تصنيفات هرمية وعرقية جوهرت الاختلاف، ومن ثم أسهمت في إضفاء مشروعية علمية على تصورات ومشروعات عنصرية وإقصائية⁽²²⁾.

ثمّ غير جانب مهم من الأنثروبولوجيا المعاصرة مقياس النظر إلى العنف وموقعه. فمع الاقتراب الإثنوغرافي من الحروب وأعقابها، لم يعد من الممكن حصر العنف في زمن الحدث وحده؛ باعتبار ما يتبدى من آثاره في الذوات والعلاقات، وفي الحياة اليومية التي تستمر بعد أن تتغير أشكال العنف أو تنحسر حدتها⁽²³⁾. من هذا المنظور، جاء مفهوم المعاناة الاجتماعية ليربط الخبرة الجسدية والنفسية بالقوى السياسية والاقتصادية والمؤسسية التي تُنتج المعاناة وتشكّل الاستجابات لها، وليضع خبرات الحرب والتعذيب والمرض والحرمان وغيرها من أشكال الشدة داخل العالم الاجتماعي الذي يمنح المعاناة أشكالها ومعانيها⁽²⁴⁾. واتصل بذلك سؤال ما الذي يعنيه أن يُعاد صنع عالم أصاب العنف نسيجه بالفعل، وإمكان استعادة الحياة اليومية في ظل خسارات لا يحسوها انحسار العنف⁽²⁵⁾.

(19) Pierre Clastres, *Society Against the State*, Robert Hurley & Abe Stein (trans.) (New York: Urizen Books, 1977).

(20) Alexander Laban Hinton, "The Dark Side of Modernity: Toward an Anthropology of Genocide," in: Alexander Laban Hinton (ed.), *Annihilating Difference: The Anthropology of Genocide* (Berkeley: University of California Press, 2002), pp. 1-40;

آدم جونز، "سوسيولوجيا وأنثروبولوجيا الإبادة الجماعية"، ترجمة لاهاي عبد الحسين، عمران، مج 6، العدد 21 (صيف 2017)، ص 171-194.

(21) David Maybury-Lewis, "Genocide against Indigenous Peoples," in: Hinton (ed.), pp. 43-53; Samuel Totten, William S. Parsons & Robert K. Hitchcock, "Confronting Genocide and Ethnocide of Indigenous Peoples: An Interdisciplinary Approach to Definition, Intervention, Prevention, and Advocacy," in: Hinton (ed.), pp. 54-92.

(22) Bettina Arnold, "Justifying Genocide: Archaeology and the Construction of Difference," in: Hinton (ed.), pp. 95-116; Gretchen E. Schafft, "Scientific Racism in Service of the Reich: German Anthropologists in the Nazi Era," in: Hinton (ed.), pp. 117-134.

(23) Carolyn Nordstrom & Antonius C. G. M. Robben (eds.), *Fieldwork under Fire: Contemporary Studies of Violence and Culture* (Berkeley: University of California Press, 1996); Veena Das et al. (eds.), *Violence and Subjectivity* (Berkeley: University of California Press, 2000); Nancy Scheper-Hughes & Philippe Bourgois (eds.), *Violence in War and Peace: An Anthology* (Malden: Blackwell, 2004); Veena Das et al. (eds.), *Remaking a World: Violence, Social Suffering, and Recovery* (Berkeley: University of California Press, 2001).

(24) Arthur Kleinman, Veena Das & Margaret Lock, "Introduction," in: Arthur Kleinman, Veena Das & Margaret Lock (eds.), *Social Suffering* (Berkeley: University of California Press, 1997), pp. ix-xxvii.

(25) Veena Das & Arthur Kleinman, "Introduction," in: Das et al. (eds.), *Remaking a World*, pp. 1-3.

في هذا السياق اكتسب دخول العنف في ثنايا العادي أهميةً أنتروبولوجية؛ ذلك لأن الواقعة القصوى لا تبقى حبيسة لحظتها، بل تتسرّب إلى العلاقات والجسد، وإلى العمل اليومي الذي يستمر الناس من خلاله في صنع حياة داخل عالم تغيّر بفعلها⁽²⁶⁾. وقد دفعت إثنوغرافيات الحروب الممتدة هذه الفكرة إلى مدى أبعد، حينما تعاملت مع الحرب بوصفها حالةً اجتماعية قد تطول إلى الحد الذي تصبح معه سياقاً للعمل والعلاقات الأسرية والهجرة والتبادل الاقتصادي وتدير الحياة اليومية، وتعيد خلاله العلاقات الاجتماعية تشكيل نفسها تحت شروط العنف والنزوح. عندئذ، تضطرب الحدود الفاصلة بين الحرب والسلم، زمانياً ومكانياً، وتظهر أوضاع يعيش فيها الناس بينهما، في حين تستمر شبكات الحرب واقتصاداتها داخل أزمنة توصف رسمياً بأنها أزمنة سلم⁽²⁷⁾. وتشكّل هذه المنطقة الملتبسة بين الحرب والسلم أحد وجوه ما نصفه بالأزمنة الحالكة.

لم يقتصر هذا التحول الأنتروبولوجي على الاقتراب من الذين يعيشون الحرب أو يحملون آثارها؛ فقد تحركت الإثنوغرافيا أيضاً نحو المواقع التي تُصنع فيها القدرة على الحرب قبل أن تظهر في صورة القتال. فقد كشفت دراسة العسكرية امتداد المنطق العسكري إلى الدولة والاقتصاد والمدن والحياة المدنية، في حين أتاحت المختبرات والقواعد العسكرية والمجتمعات التي تنشأ داخلها وحولها، تتبّع الكيفيات التي تُخلخل بها العسكرية نسيج الحياة المدنية⁽²⁸⁾. وفي الوقت نفسه، دفعت الأنتروبولوجيا نحو إبقاء السياسة في صلب التفكير في الحرب، عبر تتبّع علاقات القوى والمصالح والشروط الاجتماعية والسياسية التي تجعلها ممكنة وتمنحها أشكالها المحددة. فحين تُركّز الحرب إلى النزعات العدوانية البشرية أو الكراهية، أو تُقرأ من خلال لغة نزاع الإنسانية وفقدانها، قد تراجع عن مجال الرؤية الشروط الاجتماعية والسياسية التي تجعلها ممكنة، والمصالح وعلاقات القوة التي تتكوّن في أحشائها⁽²⁹⁾. ومن زاوية أخرى، أبرزت أنتروبولوجيا العنف السياسي أن الجسد والمكان والاعتقال والسجن والخطاب ليست مسارح يقع فيها العنف فحسب، بل هي أيضاً وسائط يُنتج عبرها العنف سلطته ومعناه، ويعيد من خلالها تشكيل الفاعلين والعلاقات السياسية⁽³⁰⁾.

(26) Veena Das, *Life and Words: Violence and the Descent into the Ordinary* (Berkeley: University of California Press, 2007).

(27) Stephen C. Lubkemann, *Culture in Chaos: An Anthropology of the Social Condition in War* (Chicago: University of Chicago Press, 2008); Carolyn Nordstrom, *Shadows of War: Violence, Power, and International Profiteering in the Twenty-First Century* (Berkeley: University of California Press, 2004); Nikolai Ssorin-Chaikov, "Hybrid Peace: Ethnographies of War," *Annual Review of Anthropology*, vol. 47 (2018), pp. 251–262.

(28) Catherine Lutz, "Making War at Home in the United States: Militarization and the Current Crisis," *American Anthropologist*, vol. 104, no. 3 (2002), pp. 723–735; Hugh Gusterson, *Nuclear Rites: A Weapons Laboratory at the End of the Cold War* (Berkeley: University of California Press, 1996); Kenneth T. MacLeish, *Making War at Fort Hood: Life and Uncertainty in a Military Community* (Princeton: Princeton University Press, 2013); Erin Fitz-Henry, *US Military Bases and Anti-Military Organizing: An Ethnography of an Air Force Base in Ecuador* (New York: Palgrave Macmillan, 2015).

(29) Sami Hermez, "Dehumanization in War and Peace: Encounters with Lebanon's Ex-Militia Fighters," *American Anthropologist*, vol. 121, no. 3 (2019), pp. 583–594.

(30) Allen Feldman, *Formations of Violence: The Narrative of the Body and Political Terror in Northern Ireland* (Chicago: University of Chicago Press, 1991); Jeffrey A. Sluka (ed.), *Death Squad: The Anthropology of State Terror* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2000).

ومع تبلور أنثروبولوجيا صريحة للإبادة، اتجه جانب من البحث من التركيز على الشروط النبوية والمؤسسية للقتل الجماعي إلى تتبع الكيفيات التي تكتسب بها التصنيفات حياةً اجتماعية، ويُصنع الاختلاف في العوالم المحلية. فقد بيّنت هذه الدراسات أن الإبادة لا تُفهم بالوقوف على وجود أيديولوجيا إقصائية فقط، إنما تقتضي أيضًا النظر في كيفية دخول تلك الأيديولوجيا في علاقات ومعارف ومشاعر قائمة، وتشابكها مع السلطة والزبونية والثأر والشك، بحيث يُعاد صوغ الاختلاف في صور تجعل الجماعة المستهدفة قابلةً للعزل والإيذاء والتدمير⁽³¹⁾. وهي بهذا، لم تجعل الثقافة سببًا مستقلًا للإبادة، بل درست كيفية التقاء المعاني المحلية بالأيديولوجيا والسلطة والتنظيم في إنتاج فاعلين قادرين على القتل، وعوالم يصبح فيها القتل قابلاً للتصور والممارسة. وامتد النظر الأنثروبولوجي إلى ما تخلفه الإبادة بعد توقف القتل⁽³²⁾.

تكشف مراجعة هذه المسارات أن الحرب والإبادة باتتا تُفهمان، بوصفهما سيرورتين تتخللان البنى والعلاقات والتصنيفات والأجساد والعوالم اليومية. ففي السوسيولوجيا، أُعيد وصل العنف بالتنظيم والدولة والأيديولوجيا والبيروقراطية والتعبئة، والشروط التي تجعل ممارسته المباشرة ممكنة، في حين دفعت الأنثروبولوجيا التحليل نحو الكيفيات التي يُعاش بها العنف ويُجسّد ويُترجم إلى علاقات ومعانٍ وممارسات، وإلى ما يفعله بالذاكرة والهوية والعمل اليومي، وإلى ما يبقى منه بعد انحسار القتال. ومن هذا المنظور، لا تبدأ الحرب عند لحظة إطلاق النار ولا تنتهي عند إعلان السلم، كما لا تختزل الإبادة في قرار التدمير؛ إذ تُصنع إمكاناتهما تدريجيًا داخل المؤسسات والخطابات والتصنيفات وشبكات الانتماء، وتستمر آثارهما في إعادة تشكيل العالم الاجتماعي بعد توقف العنف المباشر.

تفتح هذه الخريطة العامة الطريق إلى سؤالين أكثر تحديدًا: كيف تشكلت دراسة الحرب والإبادة في العالم العربي؟ وما الموضوعات والمفاهيم والمقاييس التي اعتمدتها السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا في مقارنة الاستعمار والاحتلال والحرب الأهلية والعنف الدولي؟

ثانيًا: الحرب عالمًا اجتماعيًا: مسارات البحث السوسيولوجي والأنثروبولوجي عن/ في العالم العربي

لا تتنظم الأدبيات السوسيولوجية والأنثروبولوجية عن الحرب والعنف السياسي في العالم العربي في حقل ذي تاريخ واحد أو مجموعة مستقرة من الأسئلة. فقد شكّلت على إيقاع تحولات متباعدة: الاستعمار والاقتلاع، وتشكّل الدول، والانقلابات، والحروب (الأهلية)، والعقوبات، ثم الغزو الأميركي للعراق (2003) وانتفاضات الربيع العربي والثورات المضادة والحروب التي أعقبتها،

(31) Hinton (ed.); Alexander Laban Hinton, *Why Did They Kill? Cambodia in the Shadow of Genocide* (Berkeley: University of California Press, 2005); Christopher C. Taylor, *Sacrifice as Terror: The Rwandan Genocide of 1994* (Abingdon: Routledge, 2020 [1999]).

(32) Liisa H. Malkki, *Purity and Exile: Violence, Memory, and National Cosmology among Hutu Refugees in Tanzania* (Chicago/ London: University of Chicago Press, 1995); Jennie E. Burnet, *Genocide Lives in Us: Women, Memory, and Silence in Rwanda* (Madison: University of Wisconsin Press, 2012).

وصولاً إلى الإبادة في غزة واتساع الحرب في المنطقة بعد 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023. ولم تتزامن الكتابة دائماً مع الحدث الذي تناولته؛ فقد عادت أعمال متأخرة إلى أشكال من العنف سبقت ظهورها، في حين ظهرت مبكراً دراسات للاقتلاع والمخيم والعمل والأسرة سبقت كثيراً من المفردات التي صارت لاحقاً مركزية في أنثروبولوجيا الحرب.

وقد تغيّر معجم الحرب بالتوازي مع تغيّر الأسئلة التي يطرحها الباحثون عليها. فمفردة العنف تجمع اليوم، في لغة البحث، طيفاً واسعاً من الأفعال والخبرات تحت مفهوم واحد، في حين تميل لغة الحياة اليومية إلى تسمية الفعل في صورته العينية (قتل، أو اعتداء، أو قصف، أو اقتحام، أو اعتقال، أو تعذيب). وتكشف المسافة بين هذين المعجمين شيئاً من تاريخ الحقل نفسه؛ إذ لا تكتفي المفاهيم الأكاديمية بوصف ما يعيشه الناس، وإنما تعيد جمع خبرات متفرقة تحت أسماء جديدة، وتفتح بذلك إمكانات للمقارنة والتحليل، في حين تخاطر أحياناً بإخفاء الفروق التي تحتفظ بها اللغة المعيشة بين شكل من الأذى وآخر.

ويوازي هذا التحول في المعجم اتساعاً في المواقع التي صار البحث ينظر من خلالها إلى الحرب، من دون أن يعني ذلك مساراً خطياً من الدولة إلى الحياة اليومية، أو من البنية إلى الإثنوغرافيا. فقد كان اليومي حاضراً في بعض الأعمال المبكرة، كما ظلت الدولة والمؤسسة حاضرتين في الأعمال اللاحقة. وما تغيّر بصورة أوضح هو اتساع مجالات النظر: من الأرض والعمل والقرية إلى السجن والجسد والذاكرة، ومن الجماعة والطائفة إلى البنية التحتية والرعاية والبيئة والمخيم، ثم إلى شروط إنتاج المعرفة نفسها. ورافق ذلك تغيّر في السؤال؛ إذ لم يعد الاهتمام منصباً على أسباب الحرب وفاعليها وحدهم، إنما امتد إلى ما تفعله الحرب بالعلاقات التي يقوم عليها الاجتماعي، وإلى الكيفية التي تستمر بها آثارها قبل القتال وبعده، وهو ما يبيّنه استعراض الأدبيات في ما يلي.

كان العنف الاستعماري والاقتلاع من أقدم المجالات التي تبلورت فيها هذه الحساسية. ففي الجزائر، أظهرت دراسة نقل السكان إلى مراكز التجميع، في أثناء حرب التحرير، كيف أعاد الاقتلاع تنظيم العلاقة بالأرض والعمل والقرابة، وأدخل الحرب في صلب تحول المجتمع الريفي⁽³³⁾. وفي ليبيا، أعاد علم الاجتماع التاريخي بناء تاريخ الإبادة التي ارتكبتها الاستعمار الإيطالي، لا سيما الترحيل الجماعي والمعتقلات في برقة بين عامي 1929 و1934، مستنداً إلى التاريخ الشفوي وشهادات الناجين لاستعادة عنف ظل حاضراً في الذاكرة الليبية، لكنه بقي طويلاً على هامش الأرشيف والدراسات المقارنة عن الإبادة⁽³⁴⁾. أمّا في فلسطين، فقد امتد البحث من النكبة إلى السيرة الاستيطانية التي سبقتها، من خلال تتبع استحواذ مستعمرات صهيونية على الأرض وعلاقاتها بالسكان الفلسطينيين خلال الانتداب

(33) Pierre Bourdieu & Abdelmalek Sayad, *Uprooting: The Crisis of Traditional Agriculture in Algeria*, Paul A. Silverstein (ed.), Susan Emanuel (trans.) (Cambridge: Polity Press, 2020 [1964]).

(34) علي عبد اللطيف حميده، الإبادة الجماعية في ليبيا: الشر، تاريخ استعماري مخفي، ترجمة محمد زاهي بشير المغربي (طرابلس: مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة؛ مؤسسة كلام للبحوث والإعلام، 2023).

البريطاني⁽³⁵⁾. إلى جانب ذلك، تتبعت الأدبيات تحولات المجتمع الفلسطيني من القرية والزراعة إلى الاقتلاع واللجوء والتنظيم السياسي، وما نشأ داخل المخيم من علاقات جديدة بالمكان والهوية⁽³⁶⁾. وأصبحت السيرة والذاكرة وإعادة بناء القرية المفقودة مداخل أخرى لفهم التحول الاجتماعي الذي أحدثته النكبة واللجوء⁽³⁷⁾. واتسع هذا الاهتمام إلى تاريخ التهجير وإعادة التوطين القسري في المنطقة مع أواخر العهد العثماني وانهيار الإمبراطورية وإعادة رسم الحدود وتشكل دول الشرق الأوسط الحديثة⁽³⁸⁾.

ومع ترسخ دول ما بعد الاستعمار وصعود الأنظمة العسكرية والأمنية، برز مسار يدرس القسر والسلطوية، من خلال العلاقات التي تُنتج الطاعة والهيمنة، ومن خلال السجن والتعذيب والاختفاء والمراقبة. ففي المغرب، تناولت الأنثروبولوجيا أنماط السلطة والخضوع التي تسند الحكم السلطوي⁽³⁹⁾، كما درست "سنوات الرصاص" من خلال الذاكرة والشهادة وتجارب السجن والاختفاء⁽⁴⁰⁾. وفي سورية، درس العنف بوصفه أداة حكم تسهم في تشكيل الذات والخوف والعلاقات اليومية بالدولة⁽⁴¹⁾. أما في مصر، فركزت السوسيولوجيا على تطور العلاقة بين الجيش والأجهزة الأمنية والجهاز السياسي، واتساع دور الدولة الأمنية في ضبط المجال العام⁽⁴²⁾.

ومنذ الحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990)، ثم الحروب الداخلية في الجزائر والسودان وغيرها، أصبح العنف الجماعي مجالاً لمساءلة الفئات التي تظهر في خطاب الحرب بوصفها وحدات اجتماعية جاهزة. فقد ربطت السوسيولوجيا الحرب في لبنان بالتحولات الطبقية والديموغرافية وتدويل الصراع⁽⁴³⁾، في حين تتبعت الأنثروبولوجيا شبكات العمل والعلاقات المحلية والخدمات

(35) Areej Sabbagh-Khoury, *Colonizing Palestine: The Zionist Left and the Making of the Palestinian Nakba* (Stanford: Stanford University Press, 2023).

(36) روزماري صايغ، الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة، تقديم إبراهيم أبو لغد، ترجمة خالد عايد (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1980).

Julie Peteet, *Landscape of Hope and Despair: Palestinian Refugee Camps* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2005).

(37) Susan Slyomovics, *The Object of Memory: Arab and Jew Narrate the Palestinian Village* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1998); Salman Abu Sitta, *Mapping My Return: A Palestinian Memoir* (Cairo: American University in Cairo Press, 2016).

(38) Dawn Chatty, *Displacement and Dispossession in the Modern Middle East* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010).

(39) عبد الله حمودي، الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، ترجمة عبد المجيد جحفة (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2000).

(40) Susan Slyomovics, *The Performance of Human Rights in Morocco* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2005).

(41) Salwa Ismail, *The Rule of Violence: Subjectivity, Memory and Government in Syria* (Cambridge: Cambridge University Press, 2018).

(42) Hazem Kandil, *Soldiers, Spies, and Statesmen: Egypt's Road to Revolt* (London: Verso, 2012).

(43) سليم نصر، سوسيولوجيا الحرب في لبنان: أطراف الصراع الاجتماعي والاقتصادي (1970-1990) (بيروت: دار النهار للنشر، 2013).

Samir Khalaf, *Civil and Uncivil Violence in Lebanon: A History of the Internationalization of Communal Conflict* (New York: Columbia University Press, 2002).

التي تشكل عبرها الانتماءات الطائفية وتُعاد صياغتها⁽⁴⁴⁾. وفي الجزائر، دفعت الحرب الأهلية إلى قراءة العنف في صلتها بأزمة الدولة وشرعيتها، وتحولات النخب والأحزاب والحركات الاجتماعية، وبالمسارات السياسية والاجتماعية التي انتهت إلى المواجهة المسلحة⁽⁴⁵⁾.

أمّا في دارفور، فجمعت الدراسات السوسيولوجية بين تحليل أنماط القتل والاغتصاب والتهجير والخطاب العنصري، واهتم بعضها على نحوٍ خاص بأوضاع النساء النازحات، وما يتعرضن له من عنف واضطهاد وفقر متعدد الأبعاد، في حين عادت الأنثروبولوجيا إلى التاريخ الذي تشكّلت خلاله ثنائية "العرب" و"الأفارقة" وإلى دور الاستعمار والإعلام والخطابات الدولية في تثبيتها⁽⁴⁶⁾.

وقد جعل الاحتلال الإسرائيلي والانتفاضات الفلسطينية الجسد، والاعتقال والقانون والمراقبة والسيادة والحركة اليومية، مواقع مركزية للتفكير في العنف الاستعماري ومقاومته⁽⁴⁷⁾. واتسعت هذه الأدبيات لاحقاً لتتناول السجن والأسر، بوصفهما نظاماً استعمارياً، تشكّل داخله الذات والجماعة وممارسات الصمود⁽⁴⁸⁾. إضافة إلى ذلك، تناولت الموت والجسد الميت، بوصفهما موقعين تستمر عبرهما سلطة الاستعمار، وتتجاوز بهما حدود الحياة نفسها⁽⁴⁹⁾. وبرز الزمن، هو أيضاً، مجالاً للصراع، تتقاطع فيه سياسات الاستعمار الاستيطاني مع الانتظار والعودة والاستمرارية الفلسطينية⁽⁵⁰⁾. وامتد النظر إلى البنى التحتية والنفايات والبيئة المادية التي يتسرّب عبرها الحكم الاستعماري إلى تفاصيل العيش

(44) Suad Joseph, "Working-Class Women's Networks in a Sectarian State: A Political Paradox," *American Ethnologist*, vol. 10, no. 1 (1983), pp. 1–22; Joanne Randa Nucho, *Everyday Sectarianism in Urban Lebanon: Infrastructures, Public Services, and Power* (Princeton: Princeton University Press, 2016).

(45) ناصر جابي، الجزائر: الدولة والنخب (دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية) (الجزائر: منشورات الشهاب، 2008).

(46) John Hagan & Wenona Rymond-Richmond, *Darfur and the Crime of Genocide* (Cambridge: Cambridge University Press, 2008); Rogaia Mustafa Abusharaf, *Darfur Allegory* (Chicago: University of Chicago Press, 2021);

فردوس عبد ربه العيسى وفيصل أحمد محمد الزين، "أوضاع النساء النازحات في إقليم دارفور من منظور الممارسات المناهضة للاضطهاد في العمل الاجتماعي"، عمران، مج 13، العدد 51 (2025)، ص 89–114؛ محمود ممداني، دارفور: متقدّون وناجون (السياسة والحرب على الإرهاب)، ترجمة عمر سعيد الأيوبي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010).

(47) Julie Peteet, "Male Gender and Rituals of Resistance in the Palestinian Intifada: A Cultural Politics of Violence," *American Ethnologist*, vol. 21, no. 1 (1994), pp. 31–49; Tobias Kelly, *Law, Violence and Sovereignty Among West Bank Palestinians* (Cambridge: Cambridge University Press, 2006); Nadera Shalhoub-Kevorkian, *Security Theology, Surveillance and the Politics of Fear* (Cambridge: Cambridge University Press, 2015).

(48) Esmail Nashif, *Palestinian Political Prisoners: Identity and Community* (London/ New York: Routledge, 2008); Lena Meari, "Sumud: A Palestinian Philosophy of Confrontation in Colonial Prisons," *South Atlantic Quarterly*, vol. 113, no. 3 (2014), pp. 547–578; Basil Farraj, "Palestinian Prisoners: Smuggling Freedom, Writing from Captivity," *CLCWeb: Comparative Literature and Culture*, vol. 25, no. 1 (2023).

(49) Suhad Daher-Nashif, "Suspended Death: On Freezing Corpses and Muting Death of Palestinian Women Martyrs," *Third World Thematics*, vol. 3, no. 2 (2018), pp. 179–195; Nadera Shalhoub-Kevorkian, "Necropenology: Conquering New Bodies, Psychics, and Territories of Death in East Jerusalem," *Identities*, vol. 27, no. 3 (2020), pp. 285–301.

(50) Nasser Abourahme, *The Time beneath the Concrete: Palestine between Camp and Colony* (Durham: Duke University Press, 2025).

اليومي⁽⁵¹⁾. وقد أتاحت هذه الأعمال، انطلاقاً من فلسطين، مفاهيم تتجاوز الحالة التي نشأت منها وتفتح إمكانات أوسع للتفكير في الحرب والاستعمار والعنف في المنطقة.

وفي العراق، عادت أعمال لاحقة على الحرب العراقية - الإيرانية (1980-1988) وحرب الخليج (1990-1991) والعقوبات، إلى ما أعقب الغزو الأميركي عام 2003، لتتبع تراكم آثار الحرب في بناء الدولة والصحة والجندر والأسرة، وفي البنى المادية للحياة اليومية⁽⁵²⁾. وهنا تبرز أهمية الفارق بين زمن الحرب وزمن البحث فيها؛ إذ تكشف دراسة الطب، مثلاً، كيف تتراكم آثار التجنيد والحرب والعقوبات وهجرة الأطباء قبل لحظة الغزو، ويُصبح الخراب المادي وتهتك النظام الحضري موضعين تُختبر من خلالهما علاقة الناس بالدولة وغيابها. وتُظهر دراسات الجندر، في مسار آخر، إعادة توزيع العمل والرعاية والأدوار المنزلية والسياسية عبر هذه العقود.

وقد مثل الغزو الأميركي للعراق عام 2003 و"الحرب على الإرهاب" نقطة كثفت هذا التحول. فقد دخل الاحتلال والعنف الطائفي وتفكك المؤسسات والنزوح ضمن تاريخ اجتماعي أطول للحرب؛ فاتجه البحث إلى كيفية إبقاء الحياة ممكنة، في ظل الخطف والقتل والتهجير، وانهيار أنظمة الرعاية. وتكشف إثنوغرافيا الخطف في البصرة، مثلاً، أن هشاشة الفرد لا تنفصل عن حالة شبكات الأقارب والأصدقاء والمعارف التي يمكن أن تتحرك لحمايته⁽⁵³⁾، في حين تتبعت دراسات أخرى كيفية إعادة تعريف الضرر من خلال تصنيف بعض أدوات الحرب والإكراه بوصفها "أقل من مُمِيتة"⁽⁵⁴⁾. وعلاوة على ذلك، امتدت الحرب إلى المنفى وإعادة التوطين، وإلى الأرض التي يعود إليها السكان بعد النزوح ليجدوها مغطاة بالسموم والأنقاض وآثار التدخل العسكري. ومن هنا اتسع مفهوم الحرب، ليشمل ما يبقى في المؤسسة والبيئة والديون والعلاقات، بعد انتهاء العمليات العسكرية المباشرة⁽⁵⁵⁾.

وفي سياق ما بعد الحرب الأهلية في لبنان، وتواتر المواجهات وصولاً إلى حرب تموز/ يوليو 2006، تراكمت أعمال تناولت الزمن الممتد للحرب وحضور العنف الماضي والمحمّل في الحياة اليومية والمكان والبيئة. فتتبع الإثنوغرافيا حضور الحرب السابقة واللاحقة في القرارات اليومية والتصورات

(51) Sophia Stamatopoulou-Robbins, *Waste Siege: The Life of Infrastructure in Palestine* (Stanford: Stanford University Press, 2019).

(52) Omar Dewachi, *Ungovernable Life: Mandatory Medicine and Statecraft in Iraq* (Stanford: Stanford University Press, 2017); Hayder Al-Mohammad, "Ordure and disorder: The Case of Basra and the anthropology of excrement," *Anthropology of the Middle East*, vol. 2, no. 2 (2007);

زهراء علي، النساء والجندر في العراق: بين بناء الأمة والتفتت، ترجمة وسن قاسم (بغداد/ تورنتو: المركز الأكاديمي للأبحاث، 2023).

(53) Hayder Al-Mohammad, "A Kidnapping in Basra: The Struggles and Precariousness of Life in Postinvasion Iraq," *Cultural Anthropology*, vol. 27, no. 4 (2012), pp. 597-614.

(54) Kali Rubaii, "Decentering Death: The War on Terror and the Less-than-Lethal Paradigm," *American Anthropologist*, vol. 126, no. 3 (2024), pp. 497-508.

(55) Nadia El-Shaarawi, *Collateral Damages: Tracing the Debts and Displacements of the Iraq War* (Berkeley: University of California Press, 2025); Kali Rubaii, *Resurgency: Outlasting the War on Terror in Iraq* (Durham: Duke University Press, 2026).

عن المستقبل، ودخول احتمال القتال في تخطيط بيروت وتثبيت حدودها الاجتماعية والطائفية، وكذلك في الأرض والزراعة في الجنوب⁽⁵⁶⁾. وتكشف هذه الأعمال عن انتقال مهم في دراسة الحرب؛ إذ تناولت كيف تصبح الحرب المقبلة جزءاً من الحاضر قبل وقوعها، وتظل الحرب السابقة ذات حضور مادي في المكان بعد توقف القتال. وبذلك يصعب تحديد زمن الحرب من خلال تاريخي بدايتها ونهايتها الرسميين وحدهما.

ثم أعادت انتفاضات الربيع العربي ترتيب الأسئلة مرةً أخرى؛ إذ أصبح التحول السريع في حدود الممكن السياسي نفسه موضوعاً للدراسة. واستُعيدت لفهمها أعمال سوسيولوجية عن الممارسات اليومية والاستحواذ على المكان والمطالبة بالحقوق خارج التنظيم السياسي التقليدي، في حين قرأتها أعمال أخرى من خلال تقاليد التنظيم الذاتي وأشكال الفعل غير المتمركزة حول قيادة أو تنظيم موحد⁽⁵⁷⁾. ثم اتجه الاهتمام إلى كيفية اتخاذ الفاعلين قراراتهم في ظروف الخطر وعدم اليقين، وإلى التوتر بين أساليب الفعل التي ميزت الانتفاضات ومآلاتها السياسية اللاحقة⁽⁵⁸⁾. وفي مصر، أتاح مفهوم "الطارئ المعيش" قراءة ميدان التحرير من داخل الاحتمالات التي بدت ممكنة للفاعلين قبل أن تستقر نتائج الثورة⁽⁵⁹⁾، في حين أعادت دراسات أخرى تركيب العلاقات التاريخية بين الجيش والأمن والجهاز السياسي التي سبقت الثورة وأسهمت في تشكيل مسارها⁽⁶⁰⁾. وامتد السؤال إلى ما يبقى من هذه اللحظة بعد انحسارها؛ إذ أظهرت إثنوغرافيا النشاط السياسي في لبنان كيف تستمر الذات الناشطة وإمكانات الفعل بين موجات الاحتجاج، وكيف تدخل الهزيمة وخيبة الأمل في إعادة تشكيل العلاقة بالمستقبل السياسي⁽⁶¹⁾.

مع الثورات المضادة والحروب التي أعقبت الربيع العربي، التقت أسئلة السلطوية القديمة بموضوعات جديدة حول التعبئة والنزوح والتجنيد وتعدد السلطات. ففي سورية، ربطت الدراسات بين تاريخ القمع

(56) Sami Hermez, *War Is Coming: Between Past and Future Violence in Lebanon* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2017); Munira Khayyat, *A Landscape of War: Ecologies of Resistance and Survival in South Lebanon* (Berkeley: University of California Press, 2022);

هبة بو عكر، لحربٍ منتظرة: تخطيط حدود بيروت، ترجمة عبد الرحمن أياس وهاشم هاشم، (بيروت: الفرات، 2023).
(57) آصف بيات، الحياة سياسة: كيف يغيّر بسطاء الناس الشرق الأوسط، ترجمة أحمد زايد (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014)؛

Mohammed A. Bamyeh, "Anarchist Philosophy, Civic Traditions and the Culture of Arab Revolutions," *Middle East Journal of Culture and Communication*, vol. 5, no. 1 (2012), pp. 32–41.

(58) Mohammed A. Bamyeh, "Anarchist Method, Liberal Intention, Authoritarian Lesson: The Arab Spring between Three Enlightenments," *Constellations*, vol. 20, no. 2 (2013), pp. 188–202;

آصف بيات، ثورة بلا ثوار: كي نفهم الربيع العربي، ترجمة فكتور سحاب (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2022).

(59) Atef Shahat Said, *Revolution Squared: Tahrir, Political Possibilities, and Counterrevolution in Egypt* (Durham: Duke University Press, 2023).

(60) Kandil.

(61) Fuad Musallam, *A Break in the Future: Feeling Like an Activist After the Arab Uprisings* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2025).

السابق لعام 2011 وأثره في تكوين الذات والذاكرة والخوف والعلاقة بالدولة⁽⁶²⁾. ومع تحوّل الانتفاضة إلى حرب، اتجه البحث إلى آثار الحرب والنزوح في السكان والأسرة ومسارات الهجرة⁽⁶³⁾. وأعادت الإثنوغرافيا من المنفى قراءة الثورة من خلال الزمن والذات، متتبعاً أثر الهزيمة والانتظار في الحياة اليومية وتصور الثورة والمستقبل لدى السوريين المهجّرين⁽⁶⁴⁾. وفي اليمن، بيّنت الأنثروبولوجيا أن فهم الصراع يتطلب فهم تاريخ أطول لتحولات القبيلة والسلطة والموارد والعلاقات المذهبية في صعدة وشمال البلاد؛ بما يحدّد من اختزال الحرب في الانقسام السني - الشيعي أو التنافس الإقليمي⁽⁶⁵⁾. وتكشف هذه الأعمال أيضاً تحوّلًا في موقع الميدان؛ إذ أنجز جانب من البحث الإثنوغرافي مع السوريين في دول الجوار والمنفى، في حين جمعت أبحاث اليمن بين العمل الميداني المباشر والمقاربات الأنثروبولوجية الرقمية.

وأنتج تداخل إرث غزو العراق عام 2003، مع الحروب الأهلية الجديدة بعد عام 2011، مساراً من البحث في صعود تنظيم الدولة الإسلامية وعلاقته بالدولة والمجتمع المحلي. فقد أعادت دراسات سوسيولوجية ظهور هذا التنظيم إلى مسار أطول من تشكّل الدولة العراقية وتفككها، والعقوبات والاحتلال وتسييس الهويات الطائفية والإثنية، ودُرست علاقته بالمجتمعات التي حكمها ومؤسسات إدارة الحياة اليومية⁽⁶⁶⁾. وتناولت أعمال أخرى أثر سقوط الموصل، وسيطرة التنظيم، في الهويات الوطنية والجماعية داخل العراق⁽⁶⁷⁾. واهتمت السوسيولوجيا كذلك بالرؤى التي صاغها التنظيم حول الدين والعنف والخلافة والجماعة، وبالشروط الاجتماعية والسياسية التي أتاحت له التعبئة محلياً وعبر الحدود⁽⁶⁸⁾.

(62) Ismail.

(63) مدى شريقي، "الحياة والموت في زمن الحرب: دراسة تحليلية مقارنة للمولودية والوفيات في محافظة اللاذقية السورية"، عمران، مج 10، العدد 40 (ربيع 2022)، ص 61-96؛ سامر بكور، التفرقة السورية: الحرب الأهلية وتداعياتها المجالية والسكانية 2011-2020، جزآن (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024)؛

Kristin V. Monroe, "Masculinity, Migration, and Forced Conscription in the Syrian War," *Cultural Anthropology*, vol. 35, no. 2 (2020), pp. 264-289; Birgitte Stampe Holst, "Family Matters in Conflict: Displacement and the Formulation of Politics among Syrians in Lebanon and Turkey," *Conflict and Society*, vol. 9, no. 1 (2023), pp. 132-146.

(64) Charlotte Al-Khalili, *Waiting for the Revolution to End: Syrian Displacement, Time and Subjectivity* (London: UCL Press, 2023).

(65) ماريكا برانندت، القبائل والسياسة في اليمن: تاريخ الصراع الحوثي، ترجمة حسام الدين خضور (مسقط: دار الفلق للنشر، 2025).

(66) فالح عبد الجبار، دولة الخلافة: التقدم إلى الماضي ("داعش" والمجتمع المحلي في العراق) (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)؛

Kamran Matin, "Lineages of the Islamic State: An International Historical Sociology of State (De-) Formation in Iraq," *Journal of Historical Sociology*, vol. 31, no. 1 (2018), pp. 6-24.

(67) Christopher Barrie, "Sect, Nation, and Identity after the Fall of Mosul: Evidence from a Natural Experiment," *American Journal of Sociology*, vol. 127, no. 3 (2021), pp. 695-738.

(68) Mark Juergensmeyer, "Thinking Sociologically about Religion and Violence: The Case of ISIS," *Sociology of Religion*, vol. 79, no. 1 (2018), pp. 20-34; Farhad Khosrokhavar, "The New Islamic State: The Rise and Fall of a New Wave of Jihadism," in: Armando Salvatore, Sari Hanafi & Kieko Obuse (eds.), *The Oxford Handbook of the Sociology of the Middle East* (Oxford: Oxford University Press, 2022), pp. 485-501.

وفي السودان، أعادت موجات العصيان والاحتجاج التي سبقت ثورة 2018-2019 ثم الثورة نفسها طرح أسئلة الفعل السياسي اليومي، وشبكات النساء، والوسائط الرقمية، وأشكال التنظيم خارج مؤسسات الدولة والأحزاب التقليدية⁽⁶⁹⁾. وقرأت أعمال لاحقة الثورة، بوصفها مساراً يتجاوز إسقاط النظام، ويتصل بتاريخ من التهميش والعنف السلطوي والصراع على الأرض والموارد وعلاقة الدولة برأس المال⁽⁷⁰⁾. ومع حرب نيسان/ أبريل 2023، اتجهت دراسات أنثروبولوجية إلى موضعها في امتداد هذه التواريخ، وربطها بالثورة المضادة والاقتصاد السياسي للاستخراج والتدخلات العابرة للحدود، مع استمرار شبكات العون المتبادل والعمل الجماعي التي حملت بعض إمكانات الثورة⁽⁷¹⁾. وتناولت دراسات الفضاء الرقمي وخطاب الحرب، مبيّنة كيف تُستخدم التمايزات الثقافية واللغوية والإثنية في التعبئة ووصم الخصوم، بحيث يصبح الخطاب جزءاً من إعادة إنتاج الاستقطاب والعنف⁽⁷²⁾.

وأدى طول الحروب وتكرار الاقتلاع إلى تحويل اللجوء والعمل الإنساني من نتائج لاحقة للحرب إلى موضوعات مركزية في دراسة العنف. ففي الأدبيات الفلسطينية، اتجه البحث إلى السياسة والاقتصاد وأشكال العيش التي تشكل داخل المخيم وفي ظل نظام إنساني امتد أحياناً⁽⁷³⁾. ثم اتسع الاهتمام إلى أشكال صناعة البيت والانتماء في المنفى. فعلى سبيل المثال، تكشف إثنوغرافيا أسرة فلسطينية كانت في زيارة مؤقتة إلى لندن، وتعدّرت عليها العودة إلى غزة خلال حرب عام 2008، كيف تحوّل البقاء غير المتوقع إلى مسار لإعادة بناء الإحساس بالبيت وترتيب الحياة العائلية في ظل عدم اليقين⁽⁷⁴⁾.

ثم ظهرت أسئلة مشابهة في دراسة المخيمات الفلسطينية في سورية، حيث تناولت الإثنوغرافيا تقاطع الإغاثة والتنمية والسياسة في تشكيل المخيم وعلاقته بسكانه⁽⁷⁵⁾. ومع الحرب السورية، اكتسبت ذاكرة النكبة معنى جديداً لدى جماعات فلسطينية تعرضت لاقتلاع آخر بعد عقود من اللجوء⁽⁷⁶⁾. وفي

(69) Nada Mustafa Ali, "Sudanese Women's Groups on Facebook and #Civil_Disobedience: Nairat or Thairat? (Radiant or Revolutionary?)," *African Studies Review*, vol. 62, no. 2 (2019), pp. 103–126.

(70) Nisrin Elamin, "Beyond Regime Change: Reflections on Sudan's Ongoing Revolution," in: *Africa and the Middle East: Beyond the Divides*, POMEPS Studies, no. 40 (June 2020), pp. 19–24; Nisrin Elamin, "Landscape Testimonies: Gulf Capital, 'Deficient Deserts,' and Property-Making in Central Sudan," *PoLAR: Political and Legal Anthropology Review*, vol. 48, no. 1 (2025), pp. 1–9.

(71) Nisrin Elamin, "Sudan's Counterrevolutionary War," *Critical Times*, vol. 8, no. 3 (2025), pp. 495–516.

(72) حواء الزين والشفاء الأمين، "سجل الكلمات والرصاص في السودان: تحليل إثنوغرافي رقمي لخطاب حرب الخامس عشر من نيسان/ أبريل 2023"، عمران، مج 14، العدد 53 (صيف 2025)، ص 93–119.

(73) Ilana Feldman, *Life Lived in Relief: Humanitarian Predicaments and Palestinian Refugee Politics* (Berkeley: University of California Press, 2018); Diana Allan, *Refugees of the Revolution: Experiences of Palestinian Exile* (Stanford: Stanford University Press, 2013).

(74) Michelle Obeid, *Migration as Anchorage: Ethnography of a Palestinian Family in London* (New York/ Oxford: Berghahn, 2025).

(75) Nell Gabiam, *The Politics of Suffering: Syria's Palestinian Refugee Camps* (Bloomington: Indiana University Press, 2016).

(76) أناهيد الحردان، الفلسطينيون في سورية: ذكريات نكبة مجتمعات ممزقة، ترجمة محمد الأسعد (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2020).

الأديبات التي تناولت النزوح السوري، انتقل التحليل إلى دراسة الأسرة والقرابة وصناعة البيت؛ إذ أظهرت الإثنوغرافيا كيف أعاد تفرق الأسر بين لبنان والأردن وتركيا ومصر وأوروبا ترتيب الأدوار الجندرية وشبكات القرابة وممارسات الانتماء⁽⁷⁷⁾. ومع النزوحين السوري والعراقي، دخلت مفاهيم "الأزمة" والمساعدة وإعادة التوطين نفسها في التحليل؛ فدرست الكيفية التي تعيد بها أنظمة المساعدة تعريف العضوية وأوجه عدم المساواة في لبنان، كما تتبعت الإثنوغرافيا تجارب العراقيين بين المنفى الحضري في القاهرة ومسارات إعادة التوطين في بلد ثالث⁽⁷⁸⁾.

بالتوازي، أخذ مفهوم "ما بعد الحرب" يفقد وضوحه. ففي لبنان، درست إعادة الإعمار بوصفها صراعاً على المكان والذاكرة، كما درس استمرار الحرب في الثقافة والسياسة وصراعات تذكّر الماضي⁽⁷⁹⁾. وفي المغرب وتونس، فتحت الشهادة والعدالة الانتقالية أسئلة حول رواية العنف وسياسات الذاكرة، وكيف تعيد مؤسسات ما بعد العنف تصنيف الماضي والضحايا والأزمة⁽⁸⁰⁾. وفي فلسطين، أظهرت ممارسات تخليد الانتفاضة كيف تتحول الذاكرة إلى خطاب عن الحاضر والمستقبل بقدر ما تستعيد الماضي⁽⁸¹⁾. وفي كردستان العراق، يستمر إرث الأنفال من خلال الشهادة والذاكرة والمقابر الرمزية والسعي إلى العدالة⁽⁸²⁾.

غيّرت هذه التحولات الميدان البحثي نفسه. فمنذ تسعينيات القرن العشرين، أصبح الخوف وموقعية الباحث والانخراط الشخصي وعدم اليقين موضوعات صريحة في أنثروبولوجيا العنف⁽⁸³⁾. وفي المنطقة، برزت مشكلات أخرى؛ فثمة مجتمعات أُجري عليها البحث مراراً حتى أصبحت تعرف لغته

(77) Leila Hudson, *Lines of Flight, Assemblages of Home: Syrian Women Displaced* (Syracuse: Syracuse University Press, 2025).

(78) Estella Carpi, *The Politics of Crisis-Making: Forced Displacement and Cultures of Assistance in Lebanon* (Bloomington: Indiana University Press, 2023); Nadia El-Shaarawi, *Collateral Damages: Tracing the Debts and Displacements of the Iraq War* (Berkeley: University of California Press, 2025).

(79) Aseel Sawalha, *Reconstructing Beirut: Memory and Space in a Postwar Arab City* (Austin: University of Texas Press, 2010); Sune Haugbolle, *War and Memory in Lebanon* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010).

(80) Slyomovics, *The Performance of Human Rights in Morocco*;

منير السعيداني، "تقظت الذكارات وإعادة كتابة التواريخ في سياق العدالة الانتقالية التونسية"، في: *العدالة الانتقالية والانتقال الديمقراطي في البلدان العربية*. مج 2: التجربة التونسية، مهدي مبروك (محرر) (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 265-332؛ صوفية حنازلة، "خطاب العدالة الانتقالية في تونس وصناعة التصنيفات: مصفوفة زمان/ مكان/ جسد/ ذاكرة"، تبين، مج 9، العدد 33 (صيف 2020)، ص 101-126؛ عقيل البكوش، "سياسات الذاكرة في سياق العدالة الانتقالية: حالة هيئة الحقيقة والكرامة في تونس"، إضافات، العدد 46 (ربيع 2019)، ص 163-186.

(81) علاء العزة، "الذاكرة بوصفها خطاباً ورؤية مستقبلية: ممارسات تخليد انتفاضة عام 1987"، إضافات، العددان 43-44 (صيف-خريف 2018)، ص 63-80.

(82) Fazil Moradi, *Being Human: Political Modernity and Hospitality in Kurdistan-Iraq* (New Brunswick: Rutgers University Press, 2024).

(83) Carolyn Nordstrom & Antonius C. G. M. Robben (eds.), *Fieldwork Under Fire: Contemporary Studies of Violence and Culture* (Berkeley: University of California Press, 1996); Lamia Moghnieh, "The Violence We Live In: Reading and Experiencing Violence in the Field," *Contemporary Levant*, vol. 2, no. 1 (2017), pp. 24-36.

ووعوده وأجنداته، كما في شاتيلا⁽⁸⁴⁾. في حين دفع تعدّد الوصول إلى بعض آثار العنف إلى الاهتمام بالغياب والفجوات والفراغات في إنتاج المعرفة، وبما سُمّي "المنهجية السلبية" التي تبدأ مما يتعدّر العثور عليه أو استعادته⁽⁸⁵⁾. ثمّ أضافت الوسائط الرقمية موقعاً جديداً إلى هذا التحول المنهجي. فقد أظهرت الدراسات الفلسطينية أن الكاميرا لا تنتج حقيقة مستقرة بتسجيل العنف فحسب، ذلك أن الصورة نفسها تدخل في علاقات السلطة والتداول والتشكيك، وفي الصراع على معناها وصدقيتها واستخدامها السياسي⁽⁸⁶⁾. وأصبحت منصّات مثل تيليغرام جزءاً من المعرفة اليومية بالخطر في شمال الضفة الغربية، حيث تنتقل أخبار الاقتحامات وتحركات الآليات العسكرية بين المكان والتطبيق، وتؤثر في الحركة والمناورة والاختفاء في أثناء الاقتحام⁽⁸⁷⁾.

ومع الإبادة في غزة، منذ تشرين الأول/أكتوبر 2023، تجمّعت في زمن واحد أسئلة ظل ظهورها متفرّقا خلال المراحل السابقة: الاستعمار الاستيطاني، والقتل والتهجير، وتدمير المكان والبنى الاجتماعية والمادية، وتفكّك شبكات الرعاية، وصعوبة إنتاج المعرفة في ظل القمع والحروب والاحتلال والأزمات المتعددة، أو ما يسمّيه سامر عبود "بيئات الأزمة"⁽⁸⁸⁾. وفي قراءة مبكرة للحرب، طُرحت الإبادة في غزة، بوصفها فعلاً سياسياً لا ينفصل عن تاريخ أطول من الحصار وحالة الاستثناء والإبادة البطيئة، بحيث لا تحلّ الحرب محل هذه البنى السابقة، بل تكثّف وسائل الإماتة الكامنة فيها⁽⁸⁹⁾. وقد اقترحت قراءة المواجهة في فلسطين انطلاقاً من أن العدوان والمقاومة يتجاوزان الفعل المباشر، ليشكّلا بنيتين اجتماعيتين تؤطران الممارسات وتنتجان الهويات الفردية والجماعية في سياق الاستعمار الاستيطاني⁽⁹⁰⁾. وانتقد اختزال خبرة الإبادة في الصدمة الفردية، واقترح مفهوم الألم الاجتماعي لفهم فقد الأشخاص والأمكنة والأشياء والعلاقات التي تمنح الحياة معناها واستمراريتها⁽⁹¹⁾. ومن زاوية أخرى، وُجّه نقد إلى مفهوم "الأزمة" حين يجعل العنف في فلسطين يبدو

(84) Mayssoun Sukarieh & Stuart Tannock, "On the Problem of Over-Researched Communities: The Case of the Shatila Palestinian Refugee Camp in Lebanon," *Sociology*, vol. 47, no. 3 (2013), pp. 494–508.

(85) Yael Navaro, "The Aftermath of Mass Violence: A Negative Methodology," *Annual Review of Anthropology*, vol. 49 (2020), pp. 161–173.

(86) Rebecca L. Stein, *Screen Shots: State Violence on Camera in Israel and Palestine* (Stanford: Stanford University Press, 2021).

(87) ياسمين قعدان، "الأجساد الإخبارية على التيليغرام: دراسة حول الإنذار الحسي اليومي في زمن الإبادة"، إضافات، العدد 65 (صيف 2024)، ص 195–212.

(88) Samer Abboud, "Syria, Crisis Ecologies, and Enduring Insecurities in the MENA," in: *MENA's Frozen Conflicts*, POMEPS Studies 42 (Washington, DC: Project on Middle East Political Science, George Washington University, 2020), pp. 6–9.

(89) مجد أبو عامر، "الإبادة فعل سياسي... عن غزة وحروبها"، فسحة ثقافية-فلسطينية، 2023/10/24، شوهد في 2026/9/27، في: <https://acr.ps/1L9Ba9f>

(90) منير السعيداني، "مجتمع العدوان ومجتمع المقاومة"، إضافات، العدد 65 (صيف 2024)، ص 17–31.

(91) عروبة عثمان، "أبعد من زمن الإبادة: الألم الاجتماعي موقعاً للفعل الاجتماعي والأمل في قطاع غزة"، إضافات، العدد 65 (صيف 2024)، ص 171–194.

طارئاً، ويحجب استمراره داخل بنية استعمارية أسبق⁽⁹²⁾. ودخل تدمير التراث والذاكرة المادية في التحليل الأنثروبولوجي، من خلال مفهوم "المحو المُزمن"، الذي يربط تدمير المواقع المادية بمحو التاريخ والذاكرة الثقافية⁽⁹³⁾.

وتذهب الكتابات الأحدث خطوة أبعد، حين تجعل شروط استمرار الحياة الجماعية نفسها موضوعاً لدراسة الإبادة. ويشير مفهوم "البنى التحتية للوجود" إلى المنظومات المادية والاجتماعية والرمزية والسياسية التي تعيد الجماعات من خلالها إنتاج نفسها عبر الأجيال، وينقل النظر إلى التدمير المتزامن لهذه الشروط إلى جانب القتل المباشر⁽⁹⁴⁾. إضافة إلى ذلك، دفعت الإبادة إلى مساءلة أسس النظرية الاجتماعية نفسها، وما تكشفه هامشية فلسطين داخلها عن حدود مقولاتها حول المعرفة والحدثة الاستعمارية والعنف، وإلى النظر في الخبرة الفلسطينية، بوصفها موقعاً لإنتاج معرفة ونظرية تتجه نحو نزع الاستعمار⁽⁹⁵⁾. أما الإنتاجان السوسيولوجي والأنثروبولوجي حول اتساع الحرب إقليمياً بعد 7 تشرين الأول/أكتوبر، فما يزالان في طور التراكم. وقد بدأت تظهر كتابات إثنوغرافية وتأملات ميدانية حول الحرب في لبنان، في حين لا يزال التراكم البحثي الممتد حول التحولات الإقليمية الأحدث محدوداً⁽⁹⁶⁾.

يكشف هذا المسار التاريخي أن تطوّر الأدبيات التي تناولت العالم العربي لم يجرِ عبر انتقال متتابع من موضوع إلى آخر؛ إذ ظلت الدولة والحرب والجماعة حاضرة، في حين اتسعت الأسئلة المرتبطة بها. وجعل العنف الاستعماري الاقتلاع والأرض والعمل جزءاً من تحليل الحرب، ودفعت دول ما بعد الاستعمار إلى دراسة السجن والخوف والذات وعلاقات الدولة بالمجتمع، وأعادت الحروب الأهلية طرح سؤال الجماعات والطوائف والإثنيات التي يُمارس العنف باسمها، وأبرزت الحروب والاحتلالات الأثر التراكمي للعنف في المؤسسات والرعاية والجسد. ومع حروب الألفية الجديدة، اتسع البحث إلى البنية التحتية والبيئة والمنفى والزمن الممتد للحرب. وفي ثنايا هذه التحولات كلها، ظلت الدولة حاضرة على نحو متقلب؛ تتمدد في مواضع وتراجع في أخرى، ويسعى فاعلون إلى تفكيكها، في حين يعمل آخرون على إعادة بنائها أو ترسيخها، فتظهر في الأدبيات بوصفها موضعاً للصراع ومجالاً تُطلب من خلاله الحماية والنظام والحقوق في آن. ثم أدخلت انتفاضات الربيع

(92) مجد أبو عامر، "إزالة الركام وكسر الحصار: فهم غزة خارج إطار الأزمة"، ورقة مقدمة في المؤتمر السابع للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية "الدمار والخيال والمعرفة: منعطفات إقليمية وأصداء عالمية"، بيروت، 15-18/6/2025.

(93) Mazen Iwaisi et al., "Chronic Erasure: Eradicating Heritage in Gaza and Ayodhya," *American Anthropologist*, vol. 127, no. 3 (2025), pp. 496-508.

(94) Tariq Dana & Muhanad Ayyash, "Beyond Genocide: Colonial Modernity and the Destruction of the 'Infrastructures of Existence' in Gaza," *Race & Class* (2026).

(95) Muhanad Ayyash, "The Genocide of the Palestinians and the Future of Social Theory," *European Journal of Social Theory* (2026).

(96) Munira Khayyat, "Introduction: Another Season of War in South Lebanon," *Hot Spots, Fieldsights*, 11/4/2025, accessed on 13/9/2026, at: <https://acr.ps/hBxVJWk>; Sarah Hamdar, "Can I Dance over the Bodies of the Dead? On the Impossibility of Participant Observation," *Anthropology and Humanism*, vol. 51, no. 1 (2026), pp. 1-11.

العربي إلى التحليل سرعة تغير الممكن السياسي، قبل أن يمتد السؤال إلى ما يبقى من الذات الثورية بعد الهزيمة والنزوح والثورة المضادة، وإلى حيواتها اللاحقة حين تستمر قيمها وعلاقاتها وذاكرتها في الحياة اليومية بعد انحسار لحظتها السياسية⁽⁹⁷⁾. واتجه الاهتمام كذلك إلى نشوء تنظيمات مسلحة، أقامت أنماطاً من الحكم والسيطرة الاجتماعية في فضاءات الحرب وتفكك الدولة. ومع الإبادة في غزة، انتقلت شروط استمرار الحياة الجماعية وإمكان إنتاج المعرفة عنها إلى قلب البحث نفسه.

مع ذلك، تظل بعض الموضوعات أقل حضوراً. فالعوامل الاجتماعية لمن يمارسون العنف، من الجندي والمقاتل إلى السجان والمحقق والموظف والخبير التقني، أقل دراسةً من عوالم المدني واللاجئ والأسير والناجي. ولم تحظ الملكية والطبقة واقتصادات الحرب والعمل المنزلي، والعطب والإعاقة والحياة الطويلة بعد الإصابة⁽⁹⁸⁾، بالتراكم نفسه الذي حظيت به الهوية والذاكرة. ويظل العنف الإداري والاقتصادي والبطيء في حاجة إلى مزيد من التتبع في مؤسساته وممارساته اليومية.

وتظل الدولة الوطنية، وبصورة أدق القومية المنهجية Methodological Nationalism، إطاراً ناظماً لجزء كبير من هذه المعرفة؛ إذ كثيراً ما تُقرأ الحروب من داخل حدود الدولة التي وقعت فيها، على الرغم من صعوبة احتواء الأزمنة الحالكة في المنطقة داخل وحدات وطنية منفصلة؛ فأسباب الحروب وآثارها ومساراتها تتقاطع عبر الحدود، وتتداخل ساحاتها وفعالوها وشبكاتهما الاجتماعية والسياسية. وقد تجاوز جانب من الأدبيات التي تطرقنا إليها هذه الحدود بالفعل؛ حيث أنتجت الحرب العراقية مسارات امتدت إلى بلدان اللجوء وإعادة التوطين، ووزعت الحرب السورية الأسر والعلاقات الاجتماعية بين الداخل ودول الجوار والمنفى، في حين يعبر اللجوء الفلسطيني الدول والأجيال. إضافة إلى ذلك، تربط الحروب الأحداث ساحات متباعدة داخل المجال الإقليمي؛ بما يجعل تتبع المسارات والعلاقات التي تصنعها الحرب نفسها مدخلاً للمقارنة، إلى جانب المقاربات التي تبدأ من الحالة الوطنية.

وفي المحصلة، يصعب الحديث عن حقل عربي متكامل لدراسة الحرب والإبادة والعنف. فعلى الرغم من أنه توجد تراكمات متفاوتة داخل السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا والعلوم السياسية ودراسات الذاكرة واللجوء والعدالة الانتقالية، فإن الصلات بين الإنتاج بالعربية والإنتاج بالإنكليزية تظل محدودة نسبياً. وتبدو الإثنوغرافيات، الممتدة حول المخيم والعمل الإنساني والبنية التحتية والمنفى، أكثر كثافة في الإنتاج بالإنكليزية، في حين يحضر جانب مهم من الإنتاج العربي في الدراسات السوسيولوجية وفي أسئلة الدولة والذاكرة والعدالة الانتقالية والكتابة القريبة من لحظة

(97) ينظر أيضاً:

Alice Wilson, *Afterlives of Revolution: Everyday Counterhistories in Southern Oman* (Stanford: Stanford University Press, 2023).

(98) مع استثناءات قليلة، ينظر مثلاً:

Ghassan Hage, "Decay as Decline in Social Viability among Ex-Militia Men in Lebanon," in: Ghassan Hage (ed.), *Decay* (Durham: Duke University Press, 2021), pp. 110–127.

العنف نفسها. ويكشف هذا التفاوت، إلى جانب الفجوات الموضوعية والمنهجية السابق عرضها، عن حاجة إلى توسيع مجال الحوار بين هذه المسارات، وإعادة جمعها حول أسئلة الحرب والإبادة في العالم العربي. وفي هذا السياق، يأتي هذا العدد الخاص، الذي تسعى دراساته إلى الاقتراب من بعض هذه الأسئلة من مواقع وتجارب مختلفة، وإلى بيان ما تفتحه الحروب والإبادات الراهنة من موضوعات ومفاهيم وإشكاليات بحثية جديدة.

ثالثاً: هذا العدد الخاص

تعود مواد هذا العدد الخاص إلى بعض الموضوعات والمشكلات البحثية التي برزت في هذا المسار المستعرض أعلاه، لكن من داخل حروب لم تستقر بعد في الماضي، ومن أمكنة ما زال العنف يعيد ترتيب شروط الحياة فيها. ويترك هذا القرب من الحدث أثره في موضوعات الدراسات وفي طرائق رؤيتها معاً. فالإبادة تظهر في غرة، بوصفها فعلاً يقع على الأجساد، وبوصفها أيضاً صراعاً على إمكان تسميتها ومعرفتها. والحرب في السودان تُقرأ في عسكرة اليومي وتشكيل الذات، وتدخل في لبنان إلى اللغة التي نصفُ بها الألم، ثم تبلغ المقبرة والعلاقة بين الأحياء وموتاهم. وحتى حين ينصرف النظر إلى الأمل أو المستقبل، يظل السؤال متصلاً بالعنف: كيف يعيش الناس حاضراً تضغط عليه احتمالات ما سيأتي؟ وكيف يستطيعون تصوّر فعل ممكن حين تضيق السياسة حولهم؟ بهذا المعنى، تتحرك مواد العدد بين زوايا قد تبدو متباعدة، لكنها تلتقي في موضع واحد؛ العالم الاجتماعي بعد أن يدخل العنف في مادته، وفي شروط المعرفة التي نحاول من خلالها الإمساك بما أصابه.

يفتح عبد الوهاب الأفندي العدد بدراسته "إنكار الإبادة: من نبذ المُنكرين إلى معاينة الشهود"، منطلقاً من انقلاب في بنية الإنكار ذاتها. فبعد عقود ارتبط فيها إنكار الإبادة، ولا سيما المحرقة النازية، بالنبذ الاجتماعي والقانوني في عدد من البلدان الغربية، تكشف إبادة غزة عن صورة مغايرة؛ إذ يجري العنف أمام جمهور عالمي، وتتراكم الشهادات والصور والتقارير، في حين لم يعد الإنكار يقتصر على التشكيك في وقوع الجريمة، بل يتخذ شكل إعادة تفسيرها وانتزاعها من سياقها والتهوين من شأنها، وصوغ سرديات تجعل الضحية مصدراً للتهديد، والعنف الواقع عليها ضرورةً أو دفاعاً مشروعاً. وفي هذا التحول، ينتقل الإنكار من محاولة حجب الجريمة إلى إعادة تنظيم معناها السياسي والأخلاقي، بحيث يغدو التنديد بها نفسه موضع شبهة أو عقاب. وتقرأ الدراسة هذا الانقلاب، في ضوء تاريخ أطول من الإبادات والعنف الجماعي وسرديات التبوير التي رافقتها، لتسأل: كيف يمكن أن تدخل ذاكرة نشأت، للتحذير من تكرار الفظائع، في شروط سياسية بعينها، في جهاز تبرير عنف يجري علناً وفي الحاضر؟

ومن الصراع على تسمية العنف ومعناه، وعلى ما يُعترف به منه وما يُدفع إلى الإنكار، تنتقل مواد العدد إلى الكيفية التي تتخلل بها الحرب شروط الحياة اليومية وتعيد تشكيلها. ففي دراسة مصطفى أفندي "ذاتيات هشة: عسكرة الحياة اليومية في حرب الخامس عشر من نيسان/ أبريل 2023 في

السودان"، لا تبدأ الحرب في 15 نيسان/ أبريل وحده، فالحلقة الراهنة تظهر كأنها تكثف لمسار أطول من العسكرية، يعود إلى المرحلة الاستعمارية وما تلاها. ومن خلال الإثنوغرافيا التركيبية، تتبّع الدراسة الكيفية التي تدخل بها الاعتبارات الحديثة للعمل العسكري إلى أنساق الوجود والممارسة اليومية، فتفتح الهشاشة وتدخلها في تكوين الذات، بينما تنشأ في المجال نفسه أشكال مقاومتها.

ومن خلال بحث إثنوغرافي وأرشيبي في الطب النفسي الإنساني وفي الحروب الإسرائيلية على لبنان، تراجع لميا مغنية في دراستها "العنف الإسرائيلي في لبنان: المشهد النفسي للحرب وخطابات التروما والصمود"، ثنائية التروما - الصمود التي نظمت جانباً مهماً من الخطاب الإنساني حول اللبنانيين والفلسطينيين. وهي تصل التجريبتين بتاريخ واحد من العنف الاستعماري الاستيطاني الإسرائيلي، مع إبقاء اختلافهما قائماً، ثم تسأل عما تحجبه مركزية المعاناة النفسية حين تصبح الطريق المفضلة إلى الاعتراف بإنسانية من تعرّض للعنف. فإذا كانت الأدبيات التي استعرضناها سابقاً قد جعلت المعاناة الاجتماعية وسيلةً لوصول الألم بالبنى التي تنتجه، فإن مغنية تدفعنا إلى النظر أيضاً فيما يحدث حين تستقر لغة بعينها للمعاناة إلى حدّ تصبح معه قادرة على تضيق ما يمكن أن يُرى من أشكال النجاة والتشافي.

أمّا زينب علي خازم، فتدفع السؤال، في دراستها "تهجير الموتى بعد الدفن: قراءة أثروبولوجية في العنف الإسرائيلي على المقابر في لبنان"، إلى ما يتجاوز حياة الأحياء نفسها، متتبعةً الكيفية التي يمتد بها أثر الحرب إلى العلاقة التي تستمر بعد الموت بين الجسد والمكان والعلامة والقرابة. فالمقبرة في دراستها فضاءً لإقامة الموتى، تُثبت فيه الأجساد بأسمائها وشواهدا ومواقعها، وتستمر عبره إمكانات التعرف والزيرة والعناية وصلات الأحياء بموتاهم. ومن خلال حالتَي روضة شهداء عيناثا ومقبرة الرادوف، تقترح الدراسة مفهوم "تهجير الموتى بعد الدفن"، لوصف ما يحدث حين يززع العنف الإسرائيلي هذه الإقامة الجنائزية؛ إذ قد يبقى الجسد في موضعه، في حين تتفكك العلامات والعلاقات والشروط المادية التي تجعل القبر معروفاً وقابلاً للعودة إليه.

وللزمن حضوره الخاص في هذا العدد. ففي دراسته "الأمل في العصر الحالك"، يُعالج محمد بامية العصر الحالك، من خلال التوتر بين انغلاق السياسة وحركة المجتمع. وهو يقارن بين العالم العربي (1974-2011) وأوروبا (1815-1848)، ثم ينتقل إلى سؤالين أكثر قرباً من الخبرة: من أين يأتي الأمل في زمن لا تبدو شروطه مواتية؟ وكيف يتصل هذا الشعور بحركة المجتمع وبإمكان التغيير؟ لهذا، لا يبدو الأمل هنا تعزيةً توضع في نهاية الحديث عن الكارثة؛ إنه يتشكل بوصفه علاقةً بالمستقبل تنبثق من داخل حاضرٍ يبدو مغلقاً.

ويجد هذا السؤال امتداداً نظرياً في ترجمة محمد الحاج سالم لدراسة بيتر بيلس "أزمنة حديثة: سبع خطوات نحو أثروبولوجيا المستقبل"؛ ذلك أن بيلس ينتقد التصنيفات الزمنية التي تجعل الحداثة سلسلةً من حقب منفصلة، ويدعو إلى أثروبولوجيا تنتبه إلى تعدد المستقبلات، وإلى تعايش المستقبل

المفتوح مع المستقبل الفارغ، وإلى الطرائق التي تستطيع بها أحداث لم تقع بعد أن تُخفض من قيمة الحاضر أو تعيد تشكيله. وبين الدراستين، يعود ما نصفه بالأزمة الحالية؛ أي أن يعيش الناس داخل حاضر يتزاحم فيه ما وقع مع ما يُرجى وما يُخشى، وأن يصبح المستقبل أثرًا في الحياة قبل أن يصل.

وتظل لهذا العدد الخاص حدوده، كما لأي عدد يتشكل في زمن تتسارع فيه الوقائع أسرع من قدرة البحث على ملاحقتها. فالمواد المنشورة هنا لا تستوعب كل خرائط الحرب والإبادة في المنطقة، ولا تحيط بكل الأسئلة التي فتحتها الأدبيات التي استعرضناها في القسم السابق. وتبقى أمام السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا مساحات واسعة، لم تتراكم حولها معرفة كافية بعد: العوالم الاجتماعية للمفقودين وعائلاتهم، والجثامين والمقابر الجماعية وممارسات الحداد، والعطب والإعاقة والحياة التي تُعاد صياغتها مع أجساد غيرتها الحرب، واقتصاد الحرب حين يدخل في الرعاية والعمل والبيت وإعادة إنتاج الحياة، والعوالم الاجتماعية للمقاتلين، سواء في الحركات المسلحة أو في الجيوش النظامية. وتبقى أيضًا الحاجة قائمة إلى تتبع معجم المحو على نحو أعمق (الإبادة الحضارية والبيئية والتعليمية)، وما بينها من أشكال تستهدف الأرض والمؤسسات والذاكرة وإمكان استمرار الحياة في المكان، وإلى فهم البنى المادية التي تجعل العنف ممكنًا وتسمح له بأن يتكرر ويطول. غير أن اتساع ما ينبغي معرفته لا يعفينا من سؤال أكثر إلحاحًا عن معنى إنتاج المعرفة نفسه: لمن نكتب؟ ولأي غرض؟ وما الذي يمكن أن تفعله المعرفة في زمن تُمحى فيه الحيات والأمكنة والمؤسسات التي تتخذها موضوعًا لها؟ لأن أخذ هذه الأسئلة على محمل الجد جزءٌ من أخلاقيات البحث في الأزمة الحالية، كونها تعيد مساءلة المسافة بين المعرفة والعالم الذي تُنتج منه، وبين توثيق الخراب والاكتفاء بتحويله إلى مادة قابلة للتحليل.

وربما تكمن قيمة هذا العدد، في حدوده نفسها، أنه يُبقي هذه الأسئلة مفتوحةً أمام أعمال لاحقة. كيف تتغير معاني السيادة حين تتعدد أشكال العنف بين الاستعمار الاستيطاني والحرب الأهلية والقمع السلطوي؟ وما الذي تكشفه المقارنة بينها؟ وأين تفشل المقارنة في رؤية خصوصية كل تاريخ؟ وكيف تدخل الحرب في العواطف التي تنظم الحياة اليومية؟ وكيف تتشكل، داخل هذه الشروط نفسها، الحركات الشعبية وأشكال التضامن العابرة للحدود؟ وما الذي يمكن أن تعلمنا إياه عن القدرة على الفعل في زمن يضيق فيه أفق السياسة؟ وثمة أسئلة تتجاوز ميدان الحرب المباشر: كيف تصل المنافسات الدولية و"الإمبراطوريات" المعاصرة إلى تفاصيل الحياة اليومية؟ وكيف يعيش الناس آثار قرارات تُتخذ بعيدًا عنهم لكنها تعيد ترتيب أمنهم وحركتهم ومصادر عيشهم؟

هذه أسئلة لم يُغلَقها العدد، ونأمل أن يكون قد جعل بعضها أكثر إلحاحًا، ومهد لتراكم أوسع في البحث السوسيولوجي والأنثروبولوجي في الحرب والإبادة والعنف السياسي. وفي الأزمة الحالية، تبدو أهمية هذا البحث في قدرته على البقاء قريبًا من عالم يعيد العنف تشكيله من الداخل، من دون أن يفقد من نظره ما يستمر فيه أيضًا من حياة وعلاقات وإمكانات للفعل. وكما يذكرنا محمد بامية، يحمل الزمن الحالك، إلى جانب شروط انسداد، إمكان نهايته أيضًا. فحين تنغلق السياسة، لا تتوقف حركة المجتمع، وتظل الحياة قادرة على إنتاج صلات ومعانٍ وأشكالٍ من الفعل، تفتح، من داخل

العتمة نفسها، أفقًا لما يمكن أن يأتي. ولعل هذا ما ينبغي للبحث أن يبقى متبهاً له؛ أن يلاحق العنف في قدرته على تضيق العالم، من دون أن يغفل ما تفعله الحياة، في المقابل، كي تبقى قابلاً للفتح على مصراعيه من جديد.

References

المراجع

العربية

- أبو عامر، مجد. "إزالة الركام وكسر الحصار: فهم غزة خارج إطار الأزمة". ورقة مقدمة في المؤتمر السابع للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية "الدمار والخيال والمعرفة: منعطفات إقليمية وأصداء عالمية". بيروت، 15-18/6/2025.
- باومان، زيغمونت. الحداثة والهولوكوست. ترجمة حجاج أبو جبر. تقديم عزمي بشارة. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.
- براندت، ماريكا. القبائل والسياسة في اليمن: تاريخ الصراع الحوثي. ترجمة حسام الدين خضور. مسقط: دار الفلق للنشر، 2025.
- بكور، سامر. التغرية السورية: الحرب الأهلية وتداعياتها المجالية والسكانية 2011-2020. جزآن. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024.
- البكوش، عقيل. "سياسات الذاكرة في سياق العدالة الانتقالية: حالة هيئة الحقيقة والكرامة في تونس". إضافات. العدد 46 (ربيع 2019).
- بو عكر، هبة. لحربٍ منتظرة: تخطيط حدود بيروت. ترجمة عبد الرحمن أياس وهاشم هاشم. بيروت: الفرات، 2023.
- بيات، آصف. الحياة سياسة: كيف يغيّر بسطاء الناس الشرق الأوسط. ترجمة أحمد زايد. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014.
- _____. ثورة بلا ثوار: كي نفهم الربيع العربي. ترجمة فكتور سحاب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2022.
- جابي، ناصر. الجزائر: الدولة والنخب (دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية). الجزائر: منشورات الشهاب، 2008.
- جونز، آدم. "سوسولوجيا وأنتروبولوجيا الإبادة الجماعية". ترجمة لاهاي عبد الحسين. عمران. مج 6، العدد 21 (صيف 2017).
- الحدان، أناهيد. الفلسطينيون في سورية: ذكريات نكبة مجتمعات ممزقة. ترجمة محمد الأسعد. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2020.

- حمودي، عبد الله. الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة. ترجمة عبد المجيد جحفة. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2000.
- حميده، علي عبد اللطيف. الإبادة الجماعية في ليبيا: الشرّ، تاريخ استعماري مخفي. ترجمة محمد زاهي بشير المغيربي. طرابلس: مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة؛ مؤسسة كلام للبحوث والإعلام، 2023.
- حنازلة، صوفية. "خطاب العدالة الانتقالية في تونس وصناعة التصنيفات: مصفوفة زمان/مكان/جسد/ذاكرة". تبين. مج 9، العدد 33 (صيف 2020).
- الزين، حواء والشفاء الأمين. "سجال الكلمات والرصاص في السودان: تحليل إثنوغرافي رقمي لخطاب حرب الخامس عشر من نيسان/أبريل 2023". عمران. مج 14، العدد 53 (صيف 2025).
- السعيداني، منير. "مجتمع العدوان ومجتمع المقاومة". إضافات. العدد 65 (صيف 2024).
- شريقي، مدى. "الحياة والموت في زمن الحرب: دراسة تحليلية مقارنة للمولودية والوفيات في محافظة اللاذقية السورية". عمران. مج 10، العدد 40 (ربيع 2022).
- صايغ، روزماري. الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة. تقديم إبراهيم أبو لغد. ترجمة خالد عايد. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1980.
- عبد الجبار، فالح. دولة الخلافة: التقدم إلى الماضي ("داعش" والمجتمع المحلي في العراق). الدوحة/بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.
- عثمان، عروبة. "أبعد من زمن الإبادة: الألم الاجتماعي موقعاً للفعل الاجتماعي والأمل في قطاع غزة". إضافات. العدد 65 (صيف 2024).
- العدالة الانتقالية والانتقال الديمقراطي في البلدان العربية. مج 2: التجربة التونسية. مهدي مبروك (محرر). الدوحة/بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022.
- العزة، علاء. "الذاكرة بوصفها خطاباً ورؤية مستقبلية: ممارسات تخليد انتفاضة عام 1987". إضافات. العددان 43-44 (صيف-خريف 2018).
- علي، زهراء. النساء والجندر في العراق: بين بناء الأمة والتفتت. ترجمة وسن قاسم. بغداد/تورنتو: المركز الأكاديمي للأبحاث، 2023.
- العيسى، فردوس عبد ربه وفيصل أحمد محمد الزين. "أوضاع النساء النازحات في إقليم دارفور من منظور الممارسات المناهضة للاضطهاد في العمل الاجتماعي". عمران. مج 13، العدد 51 (2025).
- فوكو، ميشيل. "يجب الدفاع عن المجتمع": دروس أُلقيت في "الكوليج دي فرانس" لسنة 1976. ترجمة الزواوي بغوره. بيروت: دار الطليعة، 2003.

قعدان، ياسمين. "الأجساد الإخبارية على التيليجرام: دراسة حول الإنذار الحسّي اليومي في زمن الإبادة". إضافات. العدد 65 (صيف 2024).

مالشيفيتش، سينيشا. سوسيولوجيا الحرب والعنف. ترجمة طارق عثمان. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2022.

_____. صعود الوحشية المنظمة: سوسيولوجيا تاريخية للعنف. ترجمة عومرية سلطاني. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2023.

_____. لم يتقاتل البشر؟ الديناميات الاجتماعية للعنف الجسدي المباشر. ترجمة عومرية سلطاني. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2024.

ممداني، محمود. دارفور: منقذون وناجون (السياسة والحرب على الإرهاب). ترجمة عمر سعيد الأيوبي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010.

"الندوة السنوية لدورية 'عمران'". ورقة مرجعية. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. في: <https://acr.ps/hBxVK3M>

نصر، سليم. سوسيولوجيا الحرب في لبنان: أطراف الصراع الاجتماعي والاقتصادي (1970-1990). بيروت: دار النهار للنشر، 2013.

الأجنبية

Abourahme, Nasser. *The Time beneath the Concrete: Palestine between Camp and Colony*. Durham: Duke University Press, 2025.

Abu Sitta, Salman. *Mapping My Return: A Palestinian Memoir*. Cairo: American University in Cairo Press, 2016.

Abusharaf, Rogaia Mustafa. *Darfur Allegory*. Chicago: University of Chicago Press, 2021.

Africa and the Middle East: Beyond the Divides. POMEPS Studies. no. 40 (June 2020).

Al-Khalili, Charlotte. *Waiting for the Revolution to End: Syrian Displacement, Time and Subjectivity*. London: UCL Press, 2023.

Allan, Diana. *Refugees of the Revolution: Experiences of Palestinian Exile*. Stanford: Stanford University Press, 2013.

Al-Mohammad, Hayder. "Ordure and disorder: The Case of Basra and the anthropology of excrement." *Anthropology of the Middle East*. vol. 2, no. 2 (2007).

_____. "A Kidnapping in Basra: The Struggles and Precariousness of Life in Postinvasion Iraq." *Cultural Anthropology*. vol. 27, no. 4 (2012).

Ayyash, Muhannad. "The Genocide of the Palestinians and the Future of Social Theory." *European Journal of Social Theory* (2026).

Bamyeh, Mohammed A. "Anarchist Philosophy, Civic Traditions and the Culture of Arab Revolutions." *Middle East Journal of Culture and Communication*. vol. 5, no. 1 (2012).

_____. "Anarchist Method, Liberal Intention, Authoritarian Lesson: The Arab Spring between Three Enlightenments." *Constellations*. vol. 20, no. 2 (2013).

Barrie, Christopher. "Sect, Nation, and Identity after the Fall of Mosul: Evidence from a Natural Experiment." *American Journal of Sociology*. vol. 127, no. 3 (2021).

Bourdieu, Pierre & Abdelmalek Sayad. *Uprooting: The Crisis of Traditional Agriculture in Algeria*. Paul A. Silverstein (ed.). Susan Emanuel (trans.). Cambridge: Polity Press, 2020 [1964].

Burnet, Jennie E. *Genocide Lives in Us: Women, Memory, and Silence in Rwanda*. Madison: University of Wisconsin Press, 2012.

Carpi, Estella. *The Politics of Crisis-Making: Forced Displacement and Cultures of Assistance in Lebanon*. Bloomington: Indiana University Press, 2023.

Chatty, Dawn. *Displacement and Dispossession in the Modern Middle East*. Cambridge: Cambridge University Press, 2010.

Chiot, Daniel & Clark McCauley. *Why Not Kill Them All? The Logic and Prevention of Mass Political Murder*. Princeton: Princeton University Press, 2010.

Clastres, Pierre. *Society Against the State*. Robert Hurley & Abe Stein (trans.). New York: Urizen Books, 1977.

Clifford, James & George E. Marcus (eds.). *Writing Culture: The Poetics and Politics of Ethnography*. Berkeley: University of California Press, 1986.

Collins, Randall. "Micro and Macro Causes of Violence." *International Journal of Conflict and Violence*. vol. 3, no. 1 (2009).

_____. *Violence: A Micro-sociological Theory*. Princeton: Princeton University Press, 2008.

Daher-Nashif, Suhad. "Suspended Death: On Freezing Corpses and Muting Death of Palestinian Women Martyrs." *Third World Thematics*. vol. 3, no. 2 (2018).

Dana, Tariq & Muhannad Ayyash. "Beyond Genocide: Colonial Modernity and the Destruction of the 'Infrastructures of Existence' in Gaza." *Race & Class* (2026).

Das, Veena. *Life and Words: Violence and the Descent into the Ordinary*. Berkeley: University of California Press, 2007.

Das, Veena et al. (eds.). *Violence and Subjectivity*. Berkeley: University of California Press, 2000.

_____. *Remaking a World: Violence, Social Suffering, and Recovery*. Berkeley: University of California Press, 2001.

Dewachi, Omar. *Ungovernable Life: Mandatory Medicine and Statecraft in Iraq*. Stanford: Stanford University Press, 2017.

Elamin, Nisrin. "Landscape Testimonies: Gulf Capital, 'Deficient Deserts,' and Property-Making in Central Sudan." *PoLAR: Political and Legal Anthropology Review*. vol. 48, no. 1 (2025).

_____. "Sudan's Counterrevolutionary War." *Critical Times*. vol. 8, no. 3 (2025).

El-Shaarawi, Nadia. *Collateral Damages: Tracing the Debts and Displacements of the Iraq War*. Berkeley: University of California Press, 2025.

Evans-Pritchard, E. E. *The Nuer: A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People*. Oxford: Clarendon Press, 1940.

Farraj, Basil. "Palestinian Prisoners: Smuggling Freedom, Writing from Captivity." *CLCWeb: Comparative Literature and Culture*. vol. 25, no. 1 (2023).

Fassin, Didier. *Humanitarian Reason: A Moral History of the Present*. Rachel Gomme (trans.). Berkeley: University of California Press, 2012.

Fein, Helen. *Genocide: A Sociological Perspective*. London: Sage, 1993.

Feldman, Allen. *Formations of Violence: The Narrative of the Body and Political Terror in Northern Ireland*. Chicago: University of Chicago Press, 1991.

Feldman, Ilana. *Life Lived in Relief: Humanitarian Predicaments and Palestinian Refugee Politics*. Berkeley: University of California Press, 2018.

Ferguson, R. Brian & Neil L. Whitehead (eds.). *War in the Tribal Zone: Expanding States and Indigenous Warfare*. Santa Fe: School of American Research Press, 1992.

Fitz-Henry, Erin. *US Military Bases and Anti-Military Organizing: An Ethnography of an Air Force Base in Ecuador*. New York: Palgrave Macmillan, 2015.

Gabiam, Nell. *The Politics of Suffering: Syria's Palestinian Refugee Camps*. Bloomington: Indiana University Press, 2016.

Gusterson, Hugh. *Nuclear Rites: A Weapons Laboratory at the End of the Cold War*. Berkeley: University of California Press, 1996.

Hagan, John & Wenona Rymond-Richmond. "The Collective Dynamics of Racial Dehumanization and Genocidal Victimization in Darfur." *American Sociological Review*. vol. 73, no. 6 (2008).

Hagan, John & Wenona Rymond-Richmond. *Darfur and the Crime of Genocide*. Cambridge: Cambridge University Press, 2008.

Hage, Ghassan (ed.). *Decay*. Durham: Duke University Press, 2021.

Hamdar, Sarah. "Can I Dance over the Bodies of the Dead? On the Impossibility of Participant Observation." *Anthropology and Humanism*. vol. 51, no. 1 (2026).

Hans, Joas & Wolfgang Knöbl. *War in Social Thought: Hobbes to the Present*. Alex Skinner (trans.). Princeton/ Oxford: Princeton University Press, 2013.

Haugbolle, Sune. *War and Memory in Lebanon*. Cambridge: Cambridge University Press, 2010.

- Hermez, Sami. "Dehumanization in War and Peace: Encounters with Lebanon's Ex-Militia Fighters." *American Anthropologist*. vol. 121, no. 3 (2019).
- _____. *War Is Coming: Between Past and Future Violence in Lebanon*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2017.
- Hinton, Alexander Laban. *Why Did They Kill? Cambodia in the Shadow of Genocide*. Berkeley: University of California Press, 2005.
- Hinton, Alexander Laban (ed.). *Annihilating Difference: The Anthropology of Genocide*. Berkeley: University of California Press, 2002.
- Holst, Birgitte Stampe. "Family Matters in Conflict: Displacement and the Formulation of Politics among Syrians in Lebanon and Turkey." *Conflict and Society*. vol. 9, no. 1 (2023).
- Hudson, Leila. *Lines of Flight, Assemblages of Home: Syrian Women Displaced*. Syracuse: Syracuse University Press, 2025.
- Ismail, Salwa. *The Rule of Violence: Subjectivity, Memory and Government in Syria*. Cambridge: Cambridge University Press, 2018.
- Iwaisi, Mazen et al. "Chronic Erasure: Eradicating Heritage in Gaza and Ayodhya." *American Anthropologist*. vol. 127, no. 3 (2025).
- Johnson, Douglas H. "Evans-Pritchard, the Nuer, and the Sudan Political Service." *African Affairs*. vol. 81, no. 323 (1982).
- Joseph, Suad. "Working-Class Women's Networks in a Sectarian State: A Political Paradox." *American Ethnologist*. vol. 10, no. 1 (1983).
- Juergensmeyer, Mark. "Thinking Sociologically about Religion and Violence: The Case of ISIS." *Sociology of Religion*. vol. 79, no. 1 (2018).
- Kandil, Hazem. *Soldiers, Spies, and Statesmen: Egypt's Road to Revolt*. London: Verso, 2012.
- Kelly, Tobias. *Law, Violence and Sovereignty Among West Bank Palestinians*. Cambridge: Cambridge University Press, 2006.
- Khalaf, Samir. *Civil and Uncivil Violence in Lebanon: A History of the Internationalization of Communal Conflict*. New York: Columbia University Press, 2002.
- Khayyat, Munira. *A Landscape of War: Ecologies of Resistance and Survival in South Lebanon*. Berkeley: University of California Press, 2022.
- Kleinman, Arthur, Veena Das & Margaret Lock (eds.). *Social Suffering*. Berkeley: University of California Press, 1997.
- Kuper, Leo. *Genocide: Its Political Use in the Twentieth Century*. New Haven: Yale University Press, 1981.
- Lubkemann, Stephen C. *Culture in Chaos: An Anthropology of the Social Condition in War*. Chicago: University of Chicago Press, 2008.

- Lutz, Catherine. "Making War at Home in the United States: Militarization and the Current Crisis." *American Anthropologist*. vol. 104, no. 3 (2002).
- MacLeish, Kenneth T. *Making War at Fort Hood: Life and Uncertainty in a Military Community*. Princeton: Princeton University Press, 2013.
- Malinowski, Bronislaw. "An Anthropological Analysis of War." *American Journal of Sociology*. vol. 46, no. 4 (1941).
- Malkki, Liisa H. *Purity and Exile: Violence, Memory, and National Cosmology among Hutu Refugees in Tanzania*. Chicago/ London: University of Chicago Press, 1995.
- Mann, Michael. *The Dark Side of Democracy: Explaining Ethnic Cleansing*. Cambridge: Cambridge University Press, 2005.
- Matin, Kamran. "Lineages of the Islamic State: An International Historical Sociology of State (De-)Formation in Iraq." *Journal of Historical Sociology*. vol. 31, no. 1 (2018).
- McSorley, Kevin (ed.). *War and the Body: Militarisation, Practice and Experience*. London/ New York: Routledge, 2013.
- McSorley, Kevin. "Towards an Embodied Sociology of War." *The Sociological Review*. vol. 62 (2014).
- Meari, Lena. "Sumud: A Palestinian Philosophy of Confrontation in Colonial Prisons." *South Atlantic Quarterly*. vol. 113, no. 3 (2014).
- MENA's Frozen Conflicts*. POMEPS Studies 42. Washington, DC: Project on Middle East Political Science, George Washington University, 2020.
- Moghnieh, Lamia. "'The Violence We Live In': Reading and Experiencing Violence in the Field." *Contemporary Levant*. vol. 2, no. 1 (2017).
- Monroe, Kristin V. "Masculinity, Migration, and Forced Conscription in the Syrian War." *Cultural Anthropology*. vol. 35, no. 2 (2020).
- Moradi, Fazil. *Being Human: Political Modernity and Hospitality in Kurdistan–Iraq*. New Brunswick: Rutgers University Press, 2024.
- Musallam, Fuad. *A Break in the Future: Feeling Like an Activist after the Arab Uprisings*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2025.
- Mustafa Ali, Nada. "Sudanese Women's Groups on Facebook and #Civil_Disobedience: Nairat or Thairat? (Radiant or Revolutionary?)." *African Studies Review*. vol. 62, no. 2 (2019).
- Nashif, Esmail. *Palestinian Political Prisoners: Identity and Community*. London/ New York: Routledge, 2008.
- Navaro, Yael. "The Aftermath of Mass Violence: A Negative Methodology." *Annual Review of Anthropology*. vol. 49 (2020).
- Nordstrom, Carolyn. *Shadows of War: Violence, Power, and International Profiteering in the Twenty-First Century*. Berkeley: University of California Press, 2004.

Nordstrom, Carolyn & Antonius C. G. M. Robben (eds.). *Fieldwork under Fire: Contemporary Studies of Violence and Culture*. Berkeley: University of California Press, 1996.

Nucho, Joanne Randa. *Everyday Sectarianism in Urban Lebanon: Infrastructures, Public Services, and Power*. Princeton: Princeton University Press, 2016.

Obeid, Michelle. *Migration as Anchorage: Ethnography of a Palestinian Family in London*. New York/ Oxford: Berghahn, 2025.

Peteet, Julie. "Male Gender and Rituals of Resistance in the Palestinian Intifada: A Cultural Politics of Violence." *American Ethnologist*. vol. 21, no. 1 (1994).

_____. *Landscape of Hope and Despair: Palestinian Refugee Camps*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2005.

Rubaii, Kali. "Decentering Death: The War on Terror and the Less-than-Lethal Paradigm." *American Anthropologist*. vol. 126, no. 3 (2024).

Rubaii, Kali. *Resurgency: Outlasting the War on Terror in Iraq*. Durham: Duke University Press, 2026.

Sabbagh-Khoury, Areej. *Colonizing Palestine: The Zionist Left and the Making of the Palestinian Nakba*. Stanford: Stanford University Press, 2023.

Said, Atef Shahat. *Revolution Squared: Tahrir, Political Possibilities, and Counterrevolution in Egypt*. Durham: Duke University Press, 2023.

Salvatore, Armando, Sari Hanafi & Kieko Obuse (eds.). *The Oxford Handbook of the Sociology of the Middle East*. Oxford: Oxford University Press, 2022.

Sawalha, Aseel. *Reconstructing Beirut: Memory and Space in a Postwar Arab City*. Austin: University of Texas Press, 2010.

Scheper-Hughes, Nancy & Philippe Bourgois (eds.). *Violence in War and Peace: An Anthology*. Malden: Blackwell, 2004.

Shalhoub-Kevorkian, Nadera. *Security Theology, Surveillance and the Politics of Fear*. Cambridge: Cambridge University Press, 2015.

_____. "Necropenology: Conquering New Bodies, Psychics, and Territories of Death in East Jerusalem." *Identities*. vol. 27, no. 3 (2020).

Simons, Anna. "War: Back to the Future." *Annual Review of Anthropology*. vol. 28 (1999).

Sluka, Jeffrey A. (ed.). *Death Squad: The Anthropology of State Terror*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2000.

Slyomovics, Susan. *The Object of Memory: Arab and Jew Narrate the Palestinian Village*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1998.

_____. *The Performance of Human Rights in Morocco*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2005.

- Ssorin–Chaikov, Nikolai. "Hybrid Peace: Ethnographies of War." *Annual Review of Anthropology*. vol. 47 (2018).
- Stamatopoulou–Robbins, Sophia. *Waste Siege: The Life of Infrastructure in Palestine*. Stanford: Stanford University Press, 2019.
- Stein, Rebecca L. *Screen Shots: State Violence on Camera in Israel and Palestine*. Stanford: Stanford University Press, 2021.
- Sukarieh, Mayssoun & Stuart Tannock. "On the Problem of Over–Researched Communities: The Case of the Shatila Palestinian Refugee Camp in Lebanon." *Sociology*. vol. 47, no. 3 (2013).
- Taylor, Christopher C. *Sacrifice as Terror: The Rwandan Genocide of 1994*. Abingdon: Routledge, 2020 [1999].
- Ticktin, Miriam. "Where Ethics and Politics Meet: The Violence of Humanitarianism in France." *American Ethnologist*. vol. 33, no. 1 (2006).
- Turney–High, Harry Holbert. *Primitive War: Its Practice and Concepts*. Columbia: University of South Carolina Press, 1949.
- Wilson, Alice. *Afterlives of Revolution: Everyday Counterhistories in Southern Oman*. Stanford: Stanford University Press, 2023.
- Wimmer, Andreas. "War." *Annual Review of Sociology*. vol. 40 (2014).
- Wool, Zoë H. *After War: The Weight of Life at Walter Reed*. Durham: Duke University Press, 2015.
- Wynter, Sylvia. "Unsettling the Coloniality of Being/Power/Truth/Freedom: Towards the Human, After Man, Its Overrepresentation – An Argument." *The New Centennial Review*. vol. 3, no. 3 (2003).



عزمي بشارة

مسألة الهوية

يسعى هذا الكتاب إلى تطوير مفهوم الهوية في العلوم الاجتماعية وتمييزه من الاستخدام اليومي الشائع والمتضخم، الذي يبقى مشروطاً، لكنه قد يسبب التباساً عند البحث العلمي في مسألة الهوية في المجتمعات الحديثة. ويقدم مقارنة تحليلية تربط الهوية بالأخلاق، وتمييزها من الأيديولوجيا الهويةية وسياسات الهوية، مع بيان اختلاف أدوارها تبعاً للسياقات المختلفة.

ويرى الكتاب أن إشكالية الهوية مرتبطة بظهور الفرد الواعي بذاته وفرديته وانتماءاته المتعددة، وما قد ينشأ عن ذلك من أزمات نفسية واجتماعية وصراعات بين الانتماءات المختلفة، أو صعوبة ترتيب أولوياتها، فضلاً عن الصراع من أجل الكرامة والاعتراف بالهوية الفردية والجماعية.

ويؤكد أن الهويات مصنوعة اجتماعياً، لكن كونها كذلك لا يعني أن الهوية تتبدد بتبيين منشأها التاريخي أو بتفكيكها نظرياً، ولا أنها وهمٌ ينبغي التخلص منه، بل هي ظاهرة حديثة أساسها الحاجة إلى الانتماء والقدرة على التفكير فيه، ولا يمكن فهم الأخلاق والسياسة والثقافة من دونها.

عبد الوهاب الأفندي | Abdelwahab El-Affendi*

إنكار الإبادة: من نبذ المنكرين إلى معاقبة الشهود

Genocide Denial: From Ostracizing Deniers to Punishing Witnesses

ملخص: ظل منكرو الإبادة، لا سيما المحرقة النازية، خلال فترة طويلة، خاصة في البلدان الغربية، يعاملون بصفته منبوذين، ويُحرَمون من الوصول إلى المنابر العامة. ثم تطوّر الأمر إلى إصدار قوانين تعاقبهم، في تحدٍّ لبعض القوانين التي تتيح حرية الرأي وتحميها. وبعيداً عن الإبادة في غزة، بتنا إزاء حقبة مغايرة أصبح فيها أكبر زعماء "الديمقراطيات الكبرى" ينكرون مقتلة هي أول عملية إبادة متلفزة على مدار الساعة. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل امتد إلى نصرته الإبادة ومنكريها بالسلاح والمال والدعاية، وشملت هذه الدعاية الكذب الفاضح، في الوقت نفسه الذي أصبح فيه التنديد بها من "الكبائر"، حتى بالنسبة إلى ضحاياها المباشرين وذويهم. يمثل هذا الانقلاب المفجع، في الأولويات والبوصلة الأخلاقية، حالة غير مسبوقة وغير محتملة، تاركةً الكون معلّقاً على حافة هوة سحيقة.

كلمات مفتاحية: الإبادة، إنكار الإبادة، المحرقة النازية، سرديات التوجس، غزة.

Abstract: For a long time – especially in the West – deniers of genocide, particularly the Nazi Holocaust, were treated as pariahs and barred from public platforms. This later developed into the enactment of statutes to punish them harshly, in spite of laws that permit and protect freedom of expression. Yet since the onset of the genocide in Gaza, we have witnessed an era in which the top leaders of “major democracies” deny the first genocide to be televised live around the clock. What is more, key international actors have gone so far as to support the genocide and its deniers with weapons, money, and propaganda rooted in parroting blatant falsehoods. In contrast, condemning this genocide – even by its direct victims and their families – has become a grave offense. This devastating reversal of priorities and moral compass has created an unprecedented and intolerable condition, perching the world on the edge of a deep abyss.

Keywords: Genocide, Genocide Denial, Nazi Holocaust, Narratives of Insecurity, Gaza.

* أستاذ العلوم السياسية، معهد الدوحة للدراسات العليا.

Professor of Political Science, Doha Institute for Graduate Studies. Email: abdelwahab.elaffendi@dohainstitute.edu.qa

مقدمة

في حزيران/ يونيو 2023، أصدرت محكمة في هامبورغ حكماً بالسجن مدة 16 شهراً على مسنة ألمانية تبلغ من العمر 96 عاماً، بسبب تكرار ادعائها أن معسكر أوشفيتز-بيركيناو Auschwitz-Birkenau لم يكن معسكر اعتقال، بل معسكر عمل. ويندرج هذا الحكم ضمن سلسلة إدانات تلقتها هذه السيدة النازية المتشددة وغير النادمة في السنوات الأخيرة⁽¹⁾. ينص القانون الألماني على تجريم إنكار المحرقة النازية (الهولوكوست)، وتسري قوانين مماثلة أيضاً في عدد من الدول الأوروبية وحول العالم. وفي النمسا، أصدرت محكمة في فيينا عام 2006 حكماً بالسجن مدة ثلاث سنوات على الناشط والمؤرخ البريطاني اليميني البارز ديفيد إيرفينغ David Irving البالغ من العمر 68 عاماً، بسبب تصريحات كان قد أدلى بها في فيينا قبل 17 عاماً (عام 1989)، في خطاب وصف فيه المحرقة النازية بأنها "خرافة"⁽²⁾. وفي نيسان/ أبريل 2019، حكمت محكمة فرنسية على الكاتب آلان سوران بالسجن مدة عام، بسبب إنكاره للمحرقة، بعد نشره صوراً وتعليقات ساخرة على موقع إلكتروني يديره⁽³⁾.

وفي حين تفرض غالبية الدول الأوروبية عقوبات على إنكار المحرقة بدرجات متفاوتة، ثمة جدل حول اعتبار هذه القوانين تقييداً غير مبرر لحرية التعبير⁽⁴⁾. وفي الواقع، ألغت المحكمة الدستورية الإسبانية عام 2007 بعض مواد قانون العقوبات التي تجرم إنكار المحرقة وتبريرها⁽⁵⁾، بحجة أن التعبير عن مثل هذه الآراء لا يخرس بالضرورة على الإبادة. ولا شك في أنّ التشكيك في جرائم الإبادة الكبرى، مع ثبوت وقائع معاناة جماعية هائلة، يرتبط عادةً بدوافع مشكوك فيها. فهو على الأقل يوحي بأن المتحدث لا يقدّر حياة الضحايا بما يكفي، ويساهم في تقويض حقوق ورثتهم والمدافعين عنهم في الإنصاف ومطالبهم. بل إنه يتهم أولياء الضحايا بالكذب والتلفيق. يوجد هنا أيضاً عنصر إضافي من النزعة الآثمة؛ إذ يشي هذا الموقف بعدم الاكتراث بمعاناة الضحايا وآلامهم أو بفجاعة ذوبهم. ولا يبدو أن المنكر يهتم كثيراً بمسألة إن كانوا قد تعرضوا لمعاملة على درجة كبيرة من الوحشية، أو إن كانوا قد عاشوا أو ماتوا. وغالباً ما يكون ذلك مرتبطاً بالشعور بأنهم "استحقوا ذلك"، أو حتى الادعاء أن من يدافع عنهم قد يستحق هو ذاته المصير نفسه أيضاً.

(1) "95-Year-Old 'Nazi Grandma' Convicted Again for Denying Holocaust," *NDTV World*, 26/6/2024, accessed on 19/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BP2w>

(2) "David Irving Jailed for Holocaust Denial," *The Guardian*, 20/2/2006, accessed on 19/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BPIH>

(3) "France's Alain Soral Gets Jail Sentence for Holocaust Denial," *RFI*, 16/4/2019, accessed on 19/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BP6e>

(4) Laurent Pech, "The Law of Holocaust Denial in Europe: Toward a (Qualified) EU-wide Criminal Prohibition," in: Ludovic Hennebel & Thomas Hochmann (eds.), *Genocide Denials and the Law* (Oxford: Oxford University Press, 2011), pp. 185-234.

(5) "The Case of the Holocaust Denial," *Global Freedom of Expression*, Columbia University, 7/11/2007, accessed on 20/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BOTm>

قد يجادل البعض بأن الأحداث المتعلقة بالمحرقة (الهولوكوست)، أو بحوادث مشابهة من القسوة الجماعية، قد اكتنفها قدر من الغموض المتعمد. فقد حرص الجناة على إخفاء جناياتهم خلف حواجز مصممة بعناية، أو دأبوا على حصرها في مناطق نائية، بل كثيرًا ما اجتهدوا في جعل الأدلة تتلاشى في الدخان⁽⁶⁾. وشمل ذلك عمليات التطهير والتصفيات الستالينية (1936-1938) التي شهدت اعتقالات واسعة ومحاكمات صورية لقيادات وأعضاء في الحزب الشيوعي السوفياتي، وبعض الأقليات مثل البولنديين، حيث أرسل المدانون إلى معسكرات اعتقال "القولاق" سيئة الصيت، أو أُعدموا أو تعرضوا للنفي، هذا لمن لم يمت في التعذيب. وقُدّر ضحايا هذه المجازر بقرابة مليون شخص. وهناك المجاعة الأوكرانية (1932-1933)، التي قُدّر ضحاياها بأكثر من أربعة ملايين شخص، وهي المجاعة التي وقعت بسبب محاولة جوزيف ستالين Joseph Stalin فرض نظام المزارع الجماعية في أوكرانيا، "سلة غذاء روسيا"، في مطلع الثلاثينيات. وقد شمل هذا قمع الاحتجاجات على هذه الإجراءات بالقوة، وإجبار المزارعين على تسليم محاصيلهم؛ ما فرض الجوع على الملايين الذين حوصروا في قراهم⁽⁷⁾.

وقد نتجت "المجاعة الصينية الكبرى" (1959-1961) من أسباب مماثلة، حيث ارتبطت بـ "القفزة الكبرى إلى الأمام" التي أعلنها الزعيم ماو تسي تونغ Mao Zedong عام 1958، وشملت تعميم المزارع الجماعية، ومحاربة العصافير، وفرض الاشتغال بإنتاج الحديد على قطاعات واسعة من السكان. وتسبب احتكار الدولة لتوزيع المحاصيل في موت الكثيرين أمام مخازن الغلال الممتلئة بالمحاصيل. وقد قُدّر عدد الضحايا بثلاثين مليونًا على الأقل⁽⁸⁾، وتبع ذلك مجازر الخمر الحمر البشعة في كمبوديا (1975-1979)⁽⁹⁾، حيث جمعت بين تدمير الحياة المدنية، والزراعة الجماعية، ثم الحرب الشرسة على "أعداء الثورة"، فلم تبق ولم تذر.

أما مجازر البوسنة التي وقعت في قلب أوروبا (1992-1995)، فكانت نتاج تنافس عرقي شرس بين الصرب والكروات على إقليم البوسنة والهرسك المتعدد الأعراق، الذي أصبح ثلاثيًا؛ بين الصرب والكروات، وبين كل من الاثنين وسكان البلاد المسلمين ذوي الوزن الديموغرافي الأكبر في الإقليم. وكان هذا هو الصراع الذي روج لمفهوم "التطهير العرقي"، أي إخراج إثنية معينة من وطنها لمصلحة منافسيها. وقد شملت الأساليب القصف المكثف للمناطق السكنية، والقتل، والانتهاكات الجنسية، وتدمير المنازل والممتلكات ودور العبادة، وعمومًا جعل الحياة مستحيلة للأقلية المستهدفة⁽¹⁰⁾.

(6) وهذا يمثل في حد ذاته اعترافًا ضمنيًا بالإثم، اتفاقًا مع الحديث النبوي في تعريف الإثم: "الإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس".

(7) Natalya Naumenko, "The Political Economy of Famine: The Ukrainian Famine of 1933," *The Journal of Economic History*, vol. 81, no. 1 (2021), pp. 156-197.

(8) Vaclav Smil, "China's Great Famine: 40 Years Later," *British Medical Journal*, vol. 319 (1999), pp. 1619-1621.

(9) Maureen S. Hiebert, "Genocide, Revolution, and Starvation under the Khmer Rouge," *Genocide Studies International*, vol. 11, no. 1 (Spring 2017), pp. 68-86.

(10) Eric Markusen & Martin Mennecke, "Genocide in Bosnia and Herzegovina," *Human Rights Review*, vol. 5, no. 4 (2004), pp. 72-85.

وقد سارت مذابح رواندا، التي استمرت نحو مئة يوم (نيسان/ أبريل - تموز/ يوليو 1994)، على المنوال نفسه، إلا أنها مثلت نموذجًا أكثر فداحة لحملة إبادة استهدفت القضاء على التوتسي بوصفهم جماعة. فقد أطلق متشددون من النخبة السياسية والعسكرية الهوتوية حملة منظمة ضد أقلية التوتسي، مستعينين بالقوات الحكومية والميليشيات والإدارة المحلية، وامتد القتل ليشمل الرجال والنساء والأطفال، فضلًا عن هوتو معتدلين عارضوا الإبادة. ولم تكن الزيجات المختلطة بين الهوتو والتوتسي ضمانًا للنجاة، وإن تفاوت أثرها في فرص البقاء بحسب ظروف الضحايا والسياسات المحلية. ونُفذت عمليات القتل على نطاق واسع، باستخدام السواطير والأسلحة النارية وغيرها من الأدوات والأسلحة، واستمرت حتى تمكنت الجبهة الوطنية الرواندية من هزيمة القوات الحكومية والسيطرة على البلاد في تموز/ يوليو 1994⁽¹¹⁾.

ولم يكن مرتكبو هذه الفظائع في العادة يتفاخرون بها يوميًا عبر المنصات الإعلامية المتعددة، بل نجدهم بالعكس، قد تمارسوا خلف حاجز سميكة من الإنكار المستمر، والتشدد بأهداف نبيلة. ولهذا السبب، يستغرق الأمر عادةً وقتًا طويلًا قبل أن تظهر الأدلة، ووقتًا أطول كثيرًا قبل أن تصبح قابلة للتصديق. على سبيل المثال، رفض مكتب الحرب الأمريكي السماح بنشر تقارير بعض الناجين من معسكر أوشفيتز، بحجة أن الجمهور الأمريكي لن يصدق قصصهم⁽¹²⁾.

وكان الاستثناء، بالطبع، المهاجرين الأوروبيين الذين توافدوا منذ أوائل القرن السادس عشر على أراضي السكان الأصليين للقارات التي أطلق عليها المهاجرون غير الشرعيين فيما بعد اسم "أميركا" يجاهرون بسبب أفعالهم، بل ما زالوا يزيّنون لأنفسهم وللناس على أنها بطولات. فقد كان هؤلاء المسلحون، القادمون من إنكلترا وإسبانيا وهولندا وفرنسا وأماكن أخرى في أوروبا، على درجة كبيرة من الوقاحة في الافتخار بفظائعهم ضد السكان الأصليين، حتى إنهم مجّدوا إبادة السكان المحليين، ونهب ممتلكاتهم، ونزع أراضيهم عنوةً، واعتبروا هذه الجرائم انتصارات عظيمة. إضافة إلى ذلك، ظل جانب من هذه الوقائع والشخصيات المرتبطة بها حاضرًا في بعض المناسبات والرموز والسرديات التذكارية اللاحقة، بما في ذلك أشكال من الاحتفاء استمرت قرونًا بعد وقوعها. إلا أن هؤلاء مثّلوا فئة خاصة من الجناة. وحتى هم، استخدموا وسائل خاصة للتعمية، من أبرزها الكتابات والأفلام وغيرها من السرديات التي تصور المقتحمين بأنهم أمم "متحضرة"، كانت ضحية وحشية السكان المحليين، وأنهم هم من أدخل الحضارة في البلاد ومدنها وعمّرها.

بالطبع، كل الجرائم الفظيعة، بما فيها ما سردناه، لها سرديات تبريرية مقنعة لأصحابها في وقتها لمن يقبل بها. فعند الشيوعيين في موسكو وبيجين، وحتى في كمبوديا، هناك عالم جديد وعظيم

(11) ينظر:

Scott Straus, *The Order of Genocide: Race, Power, and War in Rwanda* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2006); Lee Ann Fujii, *Killing Neighbors: Webs of Violence in Rwanda* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2009); Philip Verwimp, "Machetes and Firearms: The Organization of Massacres in Rwanda," *Journal of Peace Research*, vol. 43, no. 1 (January 2006), pp. 5-22.

(12) Samantha Power, *A Problem from Hell: America and the Age of Genocide* (New York: Basic Books, 2013), p. 35.

يُخلق، وعالم شرير ظالم يُقبر، وما هذه المعاناة لطائفة من الناس يعوقون التقدم إلا ثمنًا بسيطًا يجب دفعه لدخول اللجنة الجديدة الموعودة. وفي الخطابين القوميّين الصربي والكرواتي، جرى استدعاء تصورات عن حرمان تاريخي طويل من تقرير المصير، وعن تعرّض الجماعة لقمع متكررٍ على أيدي أعدائها. ومع تفكك يوغوسلافيا، قُدِّمت اللحظة بوصفها فرصة لتحقيق تقرير المصير وتوحيد الوطن وتسوية حسابات تاريخية متراكمة. وفي بعض السرديات القومية الصربية، صُوِّر الوجود الإسلامي، المرتبط تاريخيًا بالحكم العثماني، بوصفه "عقبة تاريخية" ينبغي تجاوزها. واستُدعيت أيضًا سرديات مماثلة عن المظلوميات التاريخية في الخطاب القومي الكرواتي. وقد أسهم توظيف هذه المظلوميات، في الحالتين، في شرعنة سياسات العنف تجاه جماعات جرى تصويرها بوصفها امتدادًا لأعداء تاريخيين⁽¹³⁾.

وتقترب سرديات الهوتو في رواندا من سرديات الصرب حول مخاوف من هيمنة تاريخية من أقلية التوتسي، وسرديات مضخمة حول خطرهم. ولعلها مفارقة أن معظم من يروج لسرديات التوجس هذه، ينتهي به الأمر إلى أن يواجه تحقُّق مخاوفه بسبب أفعاله. هذا ما حدث للألمان بعد النازية، وللهوتو بعد مذابح رواندا، وللصرب بعد مذابح البوسنة، وللخمير الحمر في كمبوديا، كما انهارت الأنظمة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي والمنظومة المحيطة به، كما في الصين. وقد كان تحقق النبوءة في رواندا هو الأسرع، لأنها كانت المجزرة الوحيدة التي أُنتِيت خلال أشهر، ولم تدم سنوات كما في الحالات الأخرى.

لكن في معظم الحالات، فشلت محاولات التستر على هذه الجرائم الفظيعة، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بُذلت في هذا السبيل، ومحاولات القمع الإضافية والإرهاب، والتبريرات الكاذبة والواهية. حتى في عصور ما قبل بدايات الانفجار الإعلامي في القرن العشرين، فضحت سجلات المعلومات وشهادات المتضررين تلك الممارسات في وقتها أو بعد وقوعها بوقت قصير.

تنشغل هذه الدراسة بالسؤال التالي: ما الذي يحدث عندما يصبح إنكار الإبادة جزءًا من المشهد السياسي والأخلاقي السائد، في الوقت الذي تُرتكب فيه الجريمة علنًا وتُنقل وقائعها بالصوت والصورة، وتتكاثر الشهادات والتقارير حولها؟ في مثل هذه الحالة، يتخذ الإنكار صورة أوسع من التشكيك في الوقائع الذي لا يجدي أمام هذه الشواهد؛ ويصبح الخيار هو تفسيرها، ونزعها من سياقها، والتهوين من شأنها، وينسج الجناة سرديات تبرر أفعالهم، ثم يقلب موضع الاتهام بحيث يصبح الاعتراض على الجريمة نفسه موضع شبهة وتجريم. ومن هذه المفارقة، ينطلق النقاش في حالة غزة، بما تكشفه من انقلاب عميق في العلاقة بين الجريمة والشهادة والذاكرة والضمير الأخلاقي.

(13) سلوبودان ج. ماركويتش، "ذكريات الضحية في صربيا وكرواتيا منذ ثمانينيات القرن العشرين حتى تفكك يوغوسلافيا"، في: كوابيس الإبادة: سرديات التوجس ومنطق الفظائع الجماعية، عبد الوهاب الأفندي (محرر)، ترجمة بدر الدين حامد الهاشمي وعبد الوهاب الأفندي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025)، ص 235-274.

لفهم هذا الانقلاب، تنطلق الدراسة من استحضار نماذج سابقة من الإبادة والعنف الجماعي، وما أحاط بها من ستر وتبرير وإنكار، ثم تنتقل إلى خصوصية الحالة الراهنة التي تجري وقائعها أمام جمهور عالمي وعلى مدار الساعة. بعد ذلك، تناقش أشكال الإنكار التي تصدر عن مؤسسات سياسية وثقافية يفترض فيها تاريخياً أن تكون في صف التحذير من الإبادة، ويتوقف عند الأدوات السردية التي تحوّل الضحية إلى تهديد، وتمنح العنف الواقع عليها مظهر الضرورة أو الدفاع المشروع. ومن خلال هذا المسار، تحاول الدراسة بيان كيف يمكن أن تتحول الذاكرة، التي نشأت للتحذير من تكرار الفظائع، في ظروف بعينها، إلى جزء من جهاز تبريرها.

أولاً: إبادة متلفزة

ماذا يحدث، مع ذلك، لو كانت مثل هذه المجازر علنية، تُبث مباشرة على مدار الساعة، بكل تفاصيلها المؤلمة؟ ماذا يمكن أن يسمى الإنكار في هذه الحالة، إذا كان شخص ما يصف كل هذا بأنه "خرافة"، على الرغم من مشاهدته كل هذه الأحداث بأم عينه عبر البث الإعلامي اليومي، وقراءته تقارير متعددة صادرة عن وكالات الأمم المتحدة، ومنظمات حقوق الإنسان، والسلطات الصحية الدولية، وعمال الإغاثة، والناجين، عبر كل وسائل الإعلام؟ وكيف مع كل ذلك دأبت قطاعات واسعة من البشر والمؤسسات، بما فيها عدد كبير من حكومات الدول "الديمقراطية"، في الإنكار، أو على الأقل التجاهل والاستخفاف بهذا العذاب المتلفز، مستندين إلى الأكاذيب وخداع الذات؟ وبما أنه من الصعب التشكيك في سلامة المعنيين العقلية تفسيراً لهذه المواقف، كيف يمكن الثقة بنصبيهم من الحكمة والجدارة الأخلاقية؟

أتحدث بالطبع عن قطاع غزة، ذلك الشريط الضيق من الأرض الساحلية الممتد من الحدود الشمالية لمصر إلى الحدود الجنوبية الشرقية لبقية فلسطين المحتلة. لقد أصبحت غزة واحدة من أشهر ساحات المجازر الوحشية التي لا تتوقف في العالم منذ أن تحوّل حادث محدود في الصراع المستمر بين إسرائيل والمجموعات الفلسطينية المسلحة إلى هجوم شامل بلا قيود على غزة، منذ 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023. وتبعت هذا العدوان ترسانة من أشكال الإنكار والمراوغة، بدءاً بتسمية هذا الهجوم المدمر، الأحادي الجانب، بأنه "حرب".

منذ اليوم الأول، وصف مسؤولون إسرائيليون كبار سكان غزة بأنهم "حيوانات بشرية"⁽¹⁴⁾، بينما أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي علناً أن غزة لن تحصل على طعام أو ماء أو أدوية أو كهرباء، على الإطلاق. في الوقت نفسه، تدفقت إمدادات غير محدودة من الأسلحة والمعدات والأموال من الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وحلفاء آخرين، لدعم واحد من أقوى جيوش العالم لمواجهة مدنيين عزل. لم يشهد التاريخ شيئاً كهذا من قبل: الدول القوية في العالم تقدم الدعم لقتل مدنيين محتجزين تماماً بلا دفاع.

(14) جيري مي بوين، "حتى الحروب تخضع لقواعد"، إسرائيل تواجه اتهامات بارتكاب أفظع جرائم الحرب"، بي بي سي عربي، 2025/6/9، شوهد في 2025/10/20، في: <https://acr.ps/1L9BPLJ>

حاول الجميع "إعادة تفسير" التصريحات الإبادة لقادة إسرائيل بأقصى درجات التسامح، على الرغم من وضوحها ووقاحتها، وصرخوا بصوت واحد أن إسرائيل "تدافع عن نفسها" ولها كل الحق في ذلك⁽¹⁵⁾، هذا في حين يُجرّم من يرتدي الكوفية الفلسطينية، أو يهتف "فلسطين حرة، من النهر إلى البحر"، بدعوى أنه ينادي بالإبادة. إلا أن ما تخبرنا به شاشاتنا لم يكن دفاعاً ضد مهاجمين، بل هو محض هجوم أحادي الجانب على مدنيين عزّل، وتدمير جماعي للمنازل والمستشفيات والمدارس والجامعات وكل بنية تحتية في غزة.

ما لم نره على شاشاتنا هو أن هؤلاء المدنيين العزّل كانوا لاجئين أصلاً، طُردوا من منازلهم على يد الدولة نفسها التي توجه الآن مدافعها الهائلة نحو "مخيمات لجوئهم". لقد ظلوا هناك منذ عام 1948، وتحت حصار خانق منذ عام 2005. والأمر الأكثر إثارة للاهتمام هو أن هجوم 7 تشرين الأول/أكتوبر في غزة، الذي أسفر عن مقتل حوالي 1200 شخص وخطف أكثر من 200 آخرين من الإسرائيليين، وُصف بأنه استئناف للمحرقة النازية وحملة لإبادة اليهود. وكما أوضحنا بتفصيل في دراسة أخرى، وبغض النظر عن كيفية وصفنا للهجوم، فإنه لا يمكن تصنيفه إبادة⁽¹⁶⁾.

بدايةً، تتفق أغلب نظريات أبحاث الإبادة على أن الدول ترتكبها على نحو شبه حصري⁽¹⁷⁾. والأهم من ذلك، أن الجهات غير الحكومية لا تمتلك غالباً القدرة على تنفيذ إبادة ضد جماعة تفوقها عدداً، فضلاً عن دولة تزعم أنها تملك أحد أقوى جيوش العالم، حيث يُعدّ كل البالغين الإسرائيليين جنوداً في الجيش، وخاصةً إذا كانت الفئة المتهمة تفتقد القدرة على تحديد مواقع السكان المستهدفين، وفصلهم، واحتجازهم، لتنفيذ عمليات قتل منهجية.

وإذا كانت هناك أدبيات حول ما وُصف بأنه "الإبادة من جانب المضطهدين" Subaltern Genocides، فإن هذا يشير عادةً إلى ثورات أغلبية مضطهدة أو مستعبدة، كما في ثورة العبيد في هايتي (1781-1803)، وعندها تعلّق الأمر بثورة عارمة من المستعبدين السود ضد الاستعمار الفرنسي، في فترة تطابقت مع الثورة الفرنسية التي أضعفت الدولة مؤقتاً. وقد انتهت هذه الثورة بإنهاء الاستعمار الفرنسي لهايتي وتحقيق استقلالها، بما يعني أنهم أصبحوا هم الدولة. وبالطبع فإن القتال العنيف أدى إلى مجازر فظيعة. وقد وقع مثل هذا في بعض دول أميركا اللاتينية في القرن الثامن عشر، حيث كان سكان البلاد ما يزالون الأغلبية، وكانوا يواجهون معاملة وحشية من المستعمرين⁽¹⁸⁾. في أي حال، لم يكن في إمكان حركة المقاومة الإسلامية "حماس" تنفيذ عمليات قتل منهجية مع العدد القليل

(15) Ramzy Baroud, "Israel's Biblical Wars of 'Self-defence': The Myth of the 'Seven War Fronts'," *Middle East Monitor*, 22/10/2024, accessed on 20/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BPhL>

(16) Abdelwahab El-Affendi, "The Futility of Genocide Studies After Gaza," *Journal of Genocide Research*, vol. 28, no. 1 (March 2026), pp. 18–24.

(17) Marko Milanović, "State Responsibility for Genocide: A Follow-up," *European Journal of International Law*, vol. 18, no. 4 (September 2007), pp. 669–694.

(18) Nicholas A. Robins & Adam Jones, "Introduction," in: Nicholas A. Robins & Adam Jones (eds.), *Genocides by the Oppressed: Subaltern Genocide in Theory and Practice* (Bloomington: Indiana University Press, 2009), pp. 1–10.

من الأفراد الذي أرسلته إلى داخل إسرائيل، والمدة الزمنية القصيرة التي قضوها هناك، لا سيما ضد دولة-حامية مسلحة تسليحًا كثيفًا، مدعومة على نحوٍ غير مشروط من أقوى دول العالم.

في الواقع، كانت إسرائيل مسؤولة عن العدد الكبير من القتلى مسؤولية مزدوجة. أولاً، لأن جيشها الذي يُطلق عليه "الجيش الخارق" فشل في الاستيقاظ من سباته بسرعة كافية، على الرغم من تلقيه معلومات عن الهجوم. ولم يتوقع معظم مهاجمي حماس البقاء على قيد الحياة فترة طويلة بعد بدء هجومهم، فضلاً عن تنفيذ عدة رحلات إلى داخل إسرائيل والعودة مع رهائن. كان لدى الجيش الإسرائيلي القدرة على إحباط الهجوم ومنع مقاتلي حماس من العودة إلى غزة مع رهائن، لكنه لم يستخدم هذه القدرة⁽¹⁹⁾.

ثانياً، اتضح في غضون أيام أن الجزء الأكبر من القتلى الإسرائيليين، بما في ذلك الوفيات في مهرجان موسيقي قريب، كان نتيجة لهجوم مضاد إسرائيلي. فقد استخدمت إسرائيل في هجومها على مقاتلي حماس مروحيات هجومية وأسلحة أخرى أحرقت كل من كان موجوداً في المكان، حتى إنه تعذر التعرف عليهم. وظهرت أدلة إضافية حينما خفّض الجيش الإسرائيلي حصيلة القتلى الإسرائيليين من 1400 إلى 1200، مُعترِفاً بأن 200 منهم كانوا في الواقع مهاجمين فلسطينيين. كان ذلك كشفًا إضافيًا عن استخدام إسرائيل نيرانًا كثيفة؛ وهو أمر لم تكن حماس تمتلك القدرة على فعله⁽²⁰⁾.

على أي حال، فإن مقاطعة محاصرة وفقرية مثل غزة لا يمكنها أن تهدد إسرائيل بالدمار، حتى لو كانت مزودة بالدبابات والقوة الجوية؛ ذلك أن إسرائيل قد هزمت في السابق جيوشاً عربية متعددة، عادةً في غضون أيام، حتى من دون توافر ترسانتها الحالية من الأسلحة الحديثة. إضافة إلى ذلك، وكما أوردنا في المقالة المشار إليها آنفاً، فإن هدف مهاجمي حماس الأول من هجمة 7 تشرين الأول/أكتوبر كان الحصول على رهائن لمقايضتهم بالأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال. ولهذا السبب، نجد أنهم كانوا أحرص على أرواح الأسرى من السلطات الإسرائيلية، التي لم تكن تتورع عن قصف عشوائي، كان من المؤكد أن يوقع قتلى بينهم. لذا، فإن الفكرة التي يروج لها على نطاق واسع بأن إسرائيل في حاجة إلى الدفاع عن نفسها "ضد محرقة جديدة" من خلال ارتكاب إبادة في غزة، لا يمكن أن تصمد طويلاً لأي تدبر وفحص، بل إنها تثير السخرية.

ثانياً: إنكار من ذكرى المحرقة

ما يثير الدهشة والقلق الشديدين هنا هو أن مراكز إحياء ذكرى المحرقة، مثل المركز الإسرائيلي ياد فاشيم Yad Vashem، كانت في طليعة حملة الإنكار. على سبيل المثال، ردّ داني داين Dani Dayan، رئيس ياد فاشيم، سلبياً على رسالة بعث بها 56 من كبار العلماء المتخصصين في

(19) Donald Bloxham, "The 7 October Atrocities and the Annihilation of Gaza: Causes and Responsibilities," *Journal of Genocide Research*, vol. 28, no. 2 (June 2026), pp. 1–26.

(20) Asa Winstanley, "Army was Ordered to Kill Israelis on 7 October, Defense Minister Confirms," *Electronic Intifada*, 7/2/2025, accessed on 17/2/2026, at: <https://acr.ps/1L9F2Yb>

المحرقة والإبادة، يطلبون فيها من المركز إدانة الخطاب الإبادي الذي يعتمد عليه المجتمع الإسرائيلي وقادته. ووفقاً لأحد الموقعين، فقد سجل "إصدار أكثر من 500 تصريح علني مُهدّد للفلسطينيين بالإبادة من جانب قادة إسرائيليين، وضباط عسكريين كبار، ومشرعين، وصحافيين، وغيرهم من صناع الرأي العام"⁽²¹⁾. إضافة إلى ذلك، أشار إلى صحفي إسرائيلي ذكر أن الخطاب المؤيد للإبادة لا يمكن تجنبه في إسرائيل، سواء في التلفزيون، أو وسائل التواصل الاجتماعي، أو المقاهي أو المحادثات الخاصة⁽²²⁾.

مع ذلك، كان رد فاشيم هو الادعاء أن مثل هذا الخطاب "هامشي"، مشيراً إلى "عدد لا يُحصى من الأفعال والتصريحات" من إسرائيل التي تدل على رغبتها في التزام "المعايير الأخلاقية الصحيحة"، "ضمن القيود التي تفرضها حماس علينا"⁽²³⁾. بعبارة أخرى، كانت إسرائيل تتوسل إلى حماس لمنحها إذنًا لتكون أخلاقية والتراجع عن حملتها الإبادية. "انظروا ما الذي يجعلوننا نفعله!"، بحسب مقولة نُسبت إلى أحد كبار قادة النظام النازي⁽²⁴⁾.

نحن هنا في منطقة غير مستكشفة، حيث يشير علماء بارزون مثل يورغن هابرماس Jürgen Habermas إلى موقف هيغلي، مفاده أن التزام ألمانيا الأخلاقي يتمثل في الوقوف إلى جانب إسرائيل، بغض النظر عن أي شيء. وبعبارة أخرى، إذا رأت إسرائيل أن الإبادة أمرٌ جيد، فليكن ذلك. وبينما واصلت إسرائيل قتل الأطفال على شاشات التلفاز مباشرة، فإن هذا ما فعلته ألمانيا بالفعل؛ إذ زودتها بالأسلحة والذخائر وكل ما يلزم لخوض حملتها، بما في ذلك اعتقال المتظاهرين. وكان عدد من الأكاديميين والمثقفين والقادة الدينيين ورؤساء الدول والبرلمانات والمؤسسات الإعلامية، إضافة إلى قطاعات كبيرة من الرأي العام، يرون الأمر ذاته. لقد كانت الجرعة اليومية من الإبادة المتلفزة موضع ترحيب، حتى لو استمرت أشهرًا وسنوات⁽²⁵⁾.

يبدو أن الغالبية العظمى من الدول العربية والإسلامية وجيران فلسطين العرب قد أصبحوا جزءًا من هذا الحشد، إمّا مستسلمين لهذه الوحشية التي لا تُحتمل، أو متواطئين معها. والنتيجة هي إبادة وحشية يشارك فيها معظم العالم. في هذه الإبادة تم إسكات المعارضين الشجعان الذين تجرّؤوا على الإشارة إلى "عُري الإمبراطور"؛ فقد تعرضوا للتشهير والملاحقة، وطُردوا من وظائفهم أو مدارسهم

(21) Amos Goldberg, "Yad Vashem Is Shirking Its Duty in the Face of Israeli Genocidal Rhetoric," *Haaretz*, 22/1/2024, accessed on 20/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BP6p>

(22) Zoé Samudzi, "'We Are Fighting Nazis': Genocidal Fashionings of Gaza(Ns) after 7 October," *Journal of Genocide Research* (March 2024), pp. 1–9; "The Silence on Gaza Dramatically Exposes a Blind Spot in our Cultures of Remembrance," *Le Monde*, 7/6/2025, accessed on 20/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BP6p>

(23) Raz Segal & Luigi Daniele, "Gaza as Twilight of Israel Exceptionalism: Holocaust and Genocide Studies from Unprecedented Crisis to Unprecedented Change," *Journal of Genocide Research*, vol. 28, no. 1 (March 2026), pp. 1–10.

(24) Garrath Williams, "Dangerous Victims: On some Political Dangers of Vicarious Claims to Victimhood," *Distinktion: Scandinavian Journal of Social Theory*, vol. 9, no. 2 (2008), pp. 77–95.

(25) Martin Shaw, "Gaza and the Structure of Genocide in Palestine," *The Journal of Imperial and Commonwealth History*, vol. 53, no. 2 (2025), pp. 416–422.

(إذا كانوا من بين العديد من الطلاب المحتجين أصحاب الضمائر الحية). بل إن ارتداء الكوفية الفلسطينية، التي أصبحت رمزاً للمقاومة، بات يُنظر إليه على أنه دليل على معاداة السامية. ووفقاً لأحد الأكاديميين الفرنسيين البارزين، بلغت نسبة الرقابة الذاتية بين الأكاديميين الشباب في الولايات المتحدة 98 في المئة، ولم تكن النسبة أقل كثيراً بين الأكاديميين الأكبر سناً⁽²⁶⁾.

أصبح الإنكار العلني للإبادة طقساً متبعاً. فحينما قال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، أمام قاعة مكتظة في الكونغرس الأمريكي، يوم 24 تموز/ يوليو 2024، إن مؤرخاً معيّنًا يُعرّف نفسه بأنه خبير في صراعات المدن أخبره بأن سلوك إسرائيل في غزة كان الأكثر ضبطاً للنفس في تاريخ الحروب الحضرية⁽²⁷⁾. قبل قوله هذا بتصفيق حار ووقوف الحضور احتراماً. وقد أخبر أيضاً جمهوره، المصدق لكل ما يقوله، بأن الطلاب الشجعان وأصحاب الضمائر الحية، الذين يحتجون على الإبادة في غزة، تمولهم إيران!

في هذا العالم المقلوب، يُدان أولئك الذين يحتجون على الإبادة ويشوّهون، بينما يصبح أولئك الذين يتهجون بها أبطال اليوم. وكما تشير الملاحظة الثاقبة للكاتب اليهودي الفرنسي، ديديه فاسان، فإن هذا العالم المقلوب يستند إلى ترسانة خطابية يمكن تسميتها "خطاب الإنكار". وتشمل عناصره مفهوم "الحاضرية" Presentism؛ أي التجريد الجذري للأحداث الأخيرة من سياقها التاريخي. وفي هذا السياق، يُفترض أن الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي بدأ في 7 تشرين الأول/ أكتوبر، في تجاهل تام للجرائم الفادحة التي ترتكها إسرائيل ضد الفلسطينيين منذ قرابة ثمانية عقود. بل نشهد التغافل التام عن مخيمات اللاجئين، حيث يُكّس معظم سكان غزة، في دلالة واضحة على أنهم اقتلَعوا من ديارهم لإفساح المجال لـ "إسرائيل"⁽²⁸⁾. وهكذا، يصبح لإسرائيل، وفقاً لهذا المنطق، كل الحق في "الدفاع عن نفسها" ضد هجوم غير مبرر جاء من العدم!

الأداة الثانية في هذه الترسانة الخطابية هي "المبالغة"، سواء من خلال التضخيم، كما في تصوير هجوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر على أنه "هولوكوست جديد" شنه جميع الفلسطينيين الذين يوصفون بـ "النازيين"، أو من خلال التوسع في الاستنتاجات، كما في الادعاء بأن إدانة المستوطنات بوصفها "غير قانونية" تكشف عن نية لتدمير دولة إسرائيل. وفي السياق نفسه يندرج اعتبار هتافات الطلاب المحتجين بكلمة "انتفاضة" على أنها في الواقع دعوة لإبادة اليهود. ولكن الأداة الأكثر فاعلية على الإطلاق، هي تصنيف أي انتقاد لإسرائيل على أنه "معاداة للسامية"⁽²⁹⁾.

(26) "Academics in the US Self-censor when Talking about Israel-Palestine: Poll," *The New Arab*, 6/12/2023, accessed on 20/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BP6c>

(27) Anne Flaherty, Luis Martinez & Leah Sarnoff, "Fact-checking Israeli Prime Minister Benjamin Netanyahu's Address to Congress," *ABC News*, 25/7/2024, accessed on 20/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BP6w>

(28) Didier Fassin, "The Rhetoric of Denial: Contribution to an Archive of the Debate about Mass Violence in Gaza," *Journal of Genocide Research*, vol. 28, no. 1 (March 2026), pp. 53-59.

(29) Ibid.

الأداة الثالثة التي تُستعمل في خطاب الإنكار هي "التشويه"، وهو أداة خطابية أخرى تُستخدم للتغطية على الجرائم الواضحة المتمثلة في القتل العشوائي، سواء من خلال المشاهد المباشرة التي توثقها الكاميرات، أو عبر تصريحات المتحدثين باسم الجيش، أو حتى من خلال اعترافات ضباط عسكريين أو استخباراتيين سابقين. وبدلاً من مواجهة هذه الحقائق، يروج المتحدثون الرسميون للدعاية التي تصف "الجيش الأكثر أخلاقية في العالم" بأنه يبذل كل ما في وسعه لتجنب المدنيين الأذى، من خلال إصدار تحذيرات مسبقة، لا تتجاوز الدقائق في أغلب الحالات، وتوجيههم إلى "مناطق آمنة" (والتي تقصف فوراً عند وصولهم إليها)⁽³⁰⁾.

يشمل التشويه أيضاً الإنكار الصريح لوقوع الإبادة في غزة، وذلك عبر التلاعب بالألفاظ، وإلقاء اللوم على الفلسطينيين واتهامهم بأنهم المشكلة الحقيقية والمعتدون، أو عبر اتهام أي شخص يصرخ بكلمة "إبادة!" بأنه في الواقع يعاني "رغبة لا واعية في رؤية إبادة تُرتكب ضد اليهود". هكذا، في الوقت الذي يتم فيه إنكار الإبادة المتلفزة بوقاحة باستخدام خطاب ملتوي، تدان فيه الشعارات مثل "من النهر إلى البحر" باعتبارها تعبيرات عن نيات إبادة⁽³¹⁾.

هذه القراءة المتبصرة لتشريح الأدوات الخطابية للإنكار تُعدّ ضرورية، لفضح مساعي إنكار الإبادة وإخفائها داخل شبكة من الأكاذيب. هناك أوجه تشابه مقلقة بين هذه الاستراتيجيات وتلك المستخدمة في إنكار الهولوكوست. في كلتا الحالتين، يعتقد المنكر، بإخلاص أو تواطؤ، أن الجرائم لم تُرتكب أساساً. وهو في الواقع، ببساطة لا يكتثر للضححايا، بل ينحاز كلياً إلى الجناة، ويولي حماية صورتهم وتبرير أفعالهم اهتماماً أكبر. والأسوأ من ذلك، أنه في أعماقه يستمتع سرّاً بالوحشية التي تُمارَس ضد الضحايا، بل يؤمن بأنهم يستحقونها.

ثالثاً: التمريرات السردية للإبادة

لمسألة الإنكار هذه بُعد آخر، وهو ما أشار إليه الفيلسوف الألماني هابرماس، وثلاثة من زملائه في رسالة مفتوحة مشتركة. وكما هو الحال مع غيرهم من المنكرين، كان اهتمامهم الأساسي منصباً على الجناة، لا الضحايا. كان قلقهم الأول يتعلق بارتفاع معدلات معاداة السامية في ألمانيا، التي قد تتفاقم إذا تم الربط بين إسرائيل والإبادة. أمّا القلق الثاني، المرتبط بالأول، فقد كان قائماً على تفكير رغائبي بأن إسرائيل لن تنحدر إلى هذا المستوى من الانحطاط الإجرامي. عند نشر هذه الرسالة، في 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2023، ربما كان هذا الافتراض جائزاً من الناحية النظرية، ولكن فقط لمن أراد تصديقه بحسن نية. كان لهذا الطرح بُعدٌ شبه ديني، يجمع بين التفاؤل والحذر الاستباقي، ويتجلى ذلك في العبارة الأساسية الواردة في الرسالة: "على الرغم من كل القلق بشأن مصير السكان الفلسطينيين، فإن معايير الحكم تنهار تماماً عندما تُنسب نيات الإبادة إلى أفعال إسرائيل"⁽³²⁾.

(30) Ibid.

(31) Ibid.

(32) "Habermas on Israel: A Principle of Solidarity," *Reset Dialogues*, 15/11/2023, accessed on 20/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BPRj>

تعكس هذه الصياغة عنصرًا من تقديس الدولة الإسرائيلية، باعتبارها كيانًا منزَّهاً عن الشر المطلق، وكأنها المسيح، غير قادرة على ارتكاب الخطيئة. لكن هذا الطرح يتجاوز التمني الساذج، خاصة عند الحديث عن دولة بُنيت على اغتصاب الأراضي، والتطهير العرقي، والاضطهاد المستمر للضحايا. وعلى عكس الدول الإبادة الأخرى (مثل ألمانيا ما بعد الحرب العالمية الثانية التي اعترفت بجرائمها وسعت للتكفير عنها)، فإن إسرائيل لم تُبد أي ندم، ولم تتوقف عن ارتكاب الجرائم نفسها من سرقة الأراضي والممتلكات، واضطهاد الضحايا، والانحدار إلى شكلها الخاص من الفاشية.

للبعد الخطابي للإنكار جانب آخر مهم؛ إضافة إلى تبرير الإبادة (ومحاولة التستر عليها أو التقليل من شأنها)، فإن الخطابة تُعتبر جانبًا أساسيًا في عملية الإبادة نفسها. وفي هذا السياق، تؤدي السرديات دورًا محوريًا في التحريض على ارتكاب الإبادة منذ البداية. وما أسمىناه أنا وزملائي "سرديات التوجس"⁽³³⁾، وما يصنفه أ. ديرك موزس تحت اسم "الأمن الدائم"⁽³⁴⁾، يُعتبر محوريًا لسد الفجوة بين الصراع السياسي العادي والانحدار نحو العنف الوحشي الأحادي الجانب ضد المدنيين.

ينطلق موزس من ملاحظة حول سعي القيادة النازية الألمانية لإبادة اليهود، حتى آخر طفل، باعتبارهم تهديدًا سياسيًا. كان هذا ضروريًا، في نظرها، لتحقيق "الأمن الدائم" لألمانيا، من خلال القضاء على التهديدات الحالية والمستقبلية، وضمان عدم ظهور مثل هذه التهديدات مرة أخرى. وقد ظهرت هذه الموضوعات أيضًا في تعامل المستوطنين الأوروبيين مع الهنود في أميركا، وفي حالات أخرى⁽³⁵⁾. في مقابل نقطة موزس المهمة، يركز منظورنا على مفهوم أوسع وهو "سرديات التوجس"، أي القصص التي تُصوّر فيها مجموعات أو كيانات معينة على أنها تهديدات وجودية. يمكن أن تبدأ هذه التهديدات من "الإرهاب" لتمر إلى التهديدات الثقافية أو المخاطر على الهوية. وفي كل الحالات، يُعتبر مجرد وجود الآخر تهديدًا جسيمًا تجب مواجهته. وتختزع مثل هذه السرديات، التي تخفي الإبادة وتبررها، "تهديدات" (مثل اليهودي، والأسود، والمسلم، والشيوعي، والمهاجر، والفلسطيني ... إلخ)، حيث تصوّر كل فئة من هؤلاء على أنها تهديد وجودي مدمر.

أمّا الفلسطيني، فيُصوّر في الواقع بوصفه عضوًا في مجتمع مُستَلَب ومضطهد، ويُنظر إلى وجوده ومعاناته في حد ذاتهما باعتبارهما تهديدًا. وهذا يؤدي إلى مزيد من الاضطهاد والاستلاب؛ ما يعزز مفارقة شعور التهديد. وعلاوة على ذلك، يُصوّر خطابيًا على أنه دخيل من الخارج، و"متطفل غير متحضر" في وطنه، و"إرهابي دائم"، و"همجي متخلف"، يهدد "الجماعة المتحضرة" للإسرائيلي "المتقدم".

(33) كوابيس الإبادة: سرديات التوجس ومنطق الفظائع الجماعية.

(34) A. Dirk Moses, "Genocide as a Category Mistake: Permanent Security and Mass Violence Against Civilians," in: Frank Jacob & Kim Sebastian Todzi (eds.), *Genocidal Violence: Concepts, Forms, Impact* (Berlin/ Boston: De Gruyter Oldenbourg, 2023), pp. 15–38.

(35) A. Dirk Moses, "Replacing 'Genocide' with 'Permanent Security' via Genealogy," *Global Intellectual History*, vol. 10, no. 4 (2023), pp. 358–365.

تُعدّ غزة مثالاً نموذجياً لكيفية بناء "الآخر" المعادي، اعتماداً على آليات سرديّة تعتمد المبالغة والتشويه والتضليل والافتراءات الوقحة. في هذا السياق، يجري تصوير سكان مدنيين، يعانون الفقر المتعمد والحصار، على أنهم تهديدٌ وجودي لأحد أكثر الكيانات تسليحاً وعسكرةً في العالم. ومن خلال هذا التصوير، يصبح من المبرّر أن تتلقى هذه الجهة "المهدّدة" كميات هائلة من الذخائر والأسلحة المتطورة والدعم الاستخباراتي والمالي لشنّ قصف مكثف على هذا الجيب المحاصر. يوماً بعد يوم، وليلةً بعد ليلة، يُمزّق الأطفال إلى أشلاء، وتُدفن العائلات تحت الأنقاض، وتتحول المستشفيات والمدارس إلى ساحات قتل. ومع ذلك، يجري تأطير هذه الوحشية الواضحة في الخطاب السائد، بوصفها شكلاً من أشكال "الدفاع المتحضر" ضد من يوصفون بـ "البرابرة".

خاتمة: أفلام الرعب وسينما الأكشن

أثارت هذه المشاهد الوحشية، التي تنقلها وسائل الإعلام ووسائط التواصل الاجتماعي إلى كل منزل حول العالم، الغضب في نفوس كثيرين، صغاراً وكباراً، ممن لم ينخدعوا بخطاب الإنكار، ولم تشتر ذمّهم القوى الحاكمة، ولم تُرهّبهم التهديدات والضغط. وهي تذكير بأن الأخلاق والنزاهة يمكنهما الصمود، حتى في مواجهة أهوال الإبادة النووية أو ما يعادلها. لقد أخفقت السرديات المضلّة في حجب الهمجية العارية عن أنظار الجميع.

إلا أنّ وفرة الأدلة والصور لا تقضي، في حد ذاتها، على الإنكار. فقد ميّز ستانلي كوهين بين الإنكار الحرفي، حيث تُنفى الوقائع نفسها، والإنكار التفسيري، حيث يُسلّم بجانب منها ثم يعاد تعريفها ومنحها معنى آخر، وإنكار التبعات، حيث تكون الوقائع معلومة، لكن تُهمّش دلالاتها الأخلاقية والسياسية وما تستوجبه من مسؤولية⁽³⁶⁾. ومن الصعب العثور على مثال أوضح من الحالة التي ناقشناها على تضافر هذه المستويات معاً: إنكار لما يقع، ثم إعادة تسمية ما يتعذر إنكاره، وصولاً إلى التسليم بما حدث مع الإصرار على أنه كان ضرورياً، أو مشروعاً، أو مفروضاً على الفاعل فرضاً.

وهذا يفسر أيضاً عدم الاكتفاء بالصورة وحدها؛ فمشاهدة المعاناة لا تجعل المشاهد، بحكم الضرورة، متضامناً مع من يعاني؛ ذلك لأن المسافة الأخلاقية بين المشاهد والضحية تتشكّل من خلال اللغة والصورة والسياق الذي تُعرض فيه الأحداث⁽³⁷⁾. وقد تستدعي الصورة نفسها التعاطف عند مشاهد، في حين تصبح عند آخر دليلاً على خطر الضحية أو ضرورة القضاء عليها، إذا سبقتها سرديّة نجحت في تحويل تلك الضحية إلى "تهديد". وهنا تظهر أهمية ما أسميناه سرديات التوجس، فهي لا تحجب الصورة دائماً، وإنما قد تعيد تعليم الناس كيف يرونها.

لهذا، فإن الإبادة المتلفزة تحمّل مفارقة أعمق مما يبدو أول وهلة. فالجناة في الأزمنة السابقة احتاجوا إلى إخفاء المقابر والمعسكرات والوثائق وإسكات الناجين. أمّا في الحالة التي تناولتها هذه الدراسة،

(36) Stanley Cohen, *States of Denial: Knowing about Atrocities and Suffering* (Cambridge: Polity Press, 2001), pp. 7–9.

(37) Lilie Chouliaraki, *The Spectatorship of Suffering* (London: SAGE Publications, 2006).

فقد أصبح في الإمكان مشاهدة جانب كبير من المأساة يوميًا، ثم إخضاع ما يُشاهد لعملية تأويل متواصلة تفرغه من معناه. وربما كان هذا أخطر وجوه الإنكار المعاصر: أن يعرف المرء، ويرى، ويسمع، ثم يجد داخل السردية السائدة ما يعفيه من الاستجابة لما عرفه ورآه وسمعه.

وليست هذه المعضلة خاصة بحالة واحدة. فبعد مجزرة سربرنيتسا في البوسنة والهرسك عام 1995، التي قُتل فيها أكثر من ثمانية آلاف من الرجال والفتيان المسلمين البوشناق على أيدي قوات صرب البوسنة، لم تؤدِّ الأحكام القضائية، ولا المقابر الجماعية، ولا شهادات الناجين، إلى إنهاء خطاب الإنكار. بل بلغ هذا الإنكار في بعض الأوساط حدَّ تمجيد بعض مرتكبي الجريمة، وامتد هذا التمجيد إلى الفضاء العام والثقافة الشعبية⁽³⁸⁾. وهذه حالة جديرة بالتأمل، لأنها تذكرنا بأن الإنكار لا يموت بالضرورة حين تصبح الحقيقة أوضح؛ فقد ينتقل إلى طور آخر يصبح فيه الاعتراف الضمني بالفعل متعايشًا مع تبريره، أو حتى الاحتفاء به.

بالطبع، هناك حدود لما يمكن أن تحرفه السرديات أو تخفيه أو تسيء تمثيله. وتبدو هذه الحدود أشد ظهورًا، عندما تنفذ الجريمة أمام الناظرين بصورة فاجعة ومؤلمة على مدار الساعة، وأمام أنظار العالم بأسره؛ ما يجعل خطاب الإنكار هشًا وضعيفًا جدًّا، بحيث لا يمكنه دعم السردية البديلة لبراءة غير مرئية وإنسانية غير موجودة. من اللافت هنا كيف أن الشر يولّد نقيضه: الفضيلة، والنزاهة، والشجاعة، عند الشباب الذين يتفجرون غضبًا في شوارع مدن البلدان الغربية.

ومن هنا تعود استعارة السينما؛ فالأفلام وأشكال السرد الأخرى هي نماذج مثيرة للاهتمام لسرديات متماسكة وإيحائية. وفي معظم الحالات، تُبنى على تباينات متعارضة بين الخير والشر، بدرجات متفاوتة. في كل حبكة، هناك عادةً أبطال وأشرار. ومع تطوّر الأحداث، يُظهر الأشرار طبيعتهم البغيضة، متبارين في انتهاك المحارم، والتفنن في ارتكاب كل كبيرة، والانغماس في كل مفسدة وانحطاط والتلذذ بالفظائع. وكلما تهادوا في تبرئتهم من كل خلق، وزاد عذاب الأبرياء ومعاناتهم، ازداد غضب الجمهور وتعطّشه إلى انقلاب الموازين، بحيث يُنقذ الأبرياء، ويُتقم لما تعرضوا له، ويظهر البطل منتصرًا، ليقهر الشر ويعيد العدالة. وكلما كان الشرير أكثر وحشية وقسوة وانفلاتًا، وجب أن يكون المشهد الختامي أكثر إثارة ودرامية.

وإذ نقرب من نهاية فيلم "الأكشن" هذا، يرى الجميع أن الأشرار قد اقترفوا من الإجرام والخسة والردالة والهمجية ما يصعب على كُتاب السيناريو مجاراته وتخيل شرٍ أكبر منه. لقد عانى الأبرياء كثيرًا إلى درجة أنهم لا يكادون يستطيعون التحمّل، وقد لا ينجو منهم إلا قليلون حتى يصلوا إلى النهاية المناسبة في مثل هذا الموقف. غير أن الواقع، خلافًا لأفلام الأكشن، لا يضمن ظهور البطل في اللحظة المناسبة، ولا يحدّ المتفرجين بنهاية تعيد إلى الكون توازنه. وإذ نصل إلى نهاية هذا العرض من دون أفق لمثل هذا البطل، ينتقل السؤال من قدرة الجمهور على رؤية ما يحدث إلى استعداده لتحمل مسؤولية ما رآه؛ فقد تكون الكارثة الأخلاقية الكبرى أن يشاهد العالم الجريمة كاملةً، ثم يواصل حياته

(38) Olivera Simic, "'Celebrating' Srebrenica Genocide: Impunity and Indoctrination as Contributing Factors to the Glorification of Mass Atrocities," *Journal of Genocide Research*, vol. 27, no. 3 (September 2025), pp. 495–513.

كأن المشهد لا يعنيه، أو أن يعاقب من يصرخ محذراً منها، في الوقت الذي يمنح فيه من يبررها المنابر والسلطة والاحترام. وعندئذ قد ينفجر المتفرجون من الإحباط، ويدمرون صالة العرض بمن فيها، غير تاركين حجراً على حجر.

كان هدف هذه الدراسة مسألة هذا الانقلاب: كيف انتقل إنكار الإبادة، في الحالة التي ناقشناها، من موقف يُدان أصحابه ويُطردون من المجال العام إلى خطاب يحظى بحماية مؤسسات ودول، بينما يتعرض شهود الجريمة ومعارضوها للتشهير والعقاب؟ وتبقى وراء هذا السؤال أسئلة أخرى تحتاج إلى بحوث مستقبلية أوسع: ما الذي يميز إنكار جريمة ماضية من إنكار جريمة تقع أمام المشاهدين؟ وما دور مؤسسات الذاكرة والإعلام والجامعات والقانون في منح بعض الشهادات سلطة أخلاقية ونزعها عن أخرى؟ ومتى تتحول كثافة الصور من أداة لكشف الفظائع إلى وسيلة للاعتياد عليها؟ ثم، وربما كان هذا هو السؤال الأهم: ما الشروط التي تجعل الشهادة فعلاً أخلاقياً وسياسياً قادراً على وقف الجريمة، عوض أن تصبح سجلاً مرئياً لها فقط بعد فوات الأوان؟

تنويه وتقدير

جزيل الشكر للزميلة جيهان المباركي على توليها ترجمة بعض أجزاء النص من الإنكليزية إلى العربية، وللزميلة نصرة الطوقي على التنسيق النهائي للمراجع. كذلك جزيل الشكر لهيئة تحرير دورية عمران لما بذلوه من جهد في معالجة النص وتقديم مقترحات مهمة لتعديله حتى بلغ صورته الحالية.

References

المراجع

العربية

كواييس الإبادة: سرديات التوجس ومنطق الفظائع الجماعية. عبد الوهاب الأفندي (محرر). ترجمة بدر الدين حامد الهاشمي وعبد الوهاب الأفندي. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025.

الأجنبية

Bloxham, Donald. "The 7 October Atrocities and the Annihilation of Gaza: Causes and Responsibilities." *Journal of Genocide Research*. vol. 28, no. 2 (June 2026).

Chouliaraki, Lilie. *The Spectatorship of Suffering*. London: SAGE Publications, 2006.

Cohen, Stanley. *States of Denial: Knowing about Atrocities and Suffering*. Cambridge: Polity Press, 2001.

El-Affendi, Abdelwahab. "The Futility of Genocide Studies After Gaza." *Journal of Genocide Research*. vol. 28, no. 1 (March 2026).

Fassin, Didier. "The Rhetoric of Denial: Contribution to an Archive of the Debate about Mass Violence in Gaza." *Journal of Genocide Research*. vol. 28, no. 1 (March 2026).

Fujii, Lee Ann. *Killing Neighbors: Webs of Violence in Rwanda*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2009.

- Hennebel, Ludovic & Thomas Hochmann (eds.). *Genocide Denials and the Law*. Oxford: Oxford University Press, 2011.
- Hiebert, Maureen S. "Genocide, Revolution, and Starvation under the Khmer Rouge." *Genocide Studies International*. vol. 11, no. 1 (Spring 2017).
- Jacob, Frank & Kim Sebastian Todzi (eds.). *Genocidal Violence: Concepts, Forms, Impact*. Berlin/ Boston: De Gruyter Oldenbourg, 2023.
- Markusen, Eric & Martin Mennecke. "Genocide in Bosnia and Herzegovina." *Human Rights Review*. vol. 5, no. 4 (2004).
- Milanović, Marko. "State Responsibility for Genocide: A Follow-up." *European Journal of International Law*. vol. 18, no. 4 (September 2007).
- Moses, A. Dirk. "Replacing 'Genocide' with 'Permanent Security' via Genealogy." *Global Intellectual History*. vol. 10, no. 4 (2023).
- Naumenko, Natalya. "The Political Economy of Famine: The Ukrainian Famine of 1933." *The Journal of Economic History*. vol. 81, no. 1 (2021).
- Power, Samantha. *A Problem from Hell: America and the Age of Genocide*. New York: Basic Books, 2013.
- Robins, Nicholas A. & Adam Jones (eds.). *Genocides by the Oppressed: Subaltern Genocide in Theory and Practice*. Bloomington: Indiana University Press, 2009.
- Samudzi, Zoé. "'We Are Fighting Nazis': Genocidal Fashionings of Gaza(Ns) after 7 October." *Journal of Genocide Research*. vol. 28, no. 1 (March 2026).
- Segal, Raz & Luigi Daniele. "Gaza as Twilight of Israel Exceptionalism: Holocaust and Genocide Studies from Unprecedented Crisis to Unprecedented Change." *Journal of Genocide Research*. vol. 28, no. 1 (March 2026).
- Shaw, Martin. "Gaza and the Structure of Genocide in Palestine." *The Journal of Imperial and Commonwealth History*. vol. 53, no. 2 (2025).
- Simic, Olivera. "'Celebrating' Srebrenica Genocide: Impunity and Indoctrination as Contributing Factors to the Glorification of Mass Atrocities." *Journal of Genocide Research*. vol. 27, no. 3 (September 2025).
- Smil, Vaclav. "China's Great Famine: 40 Years later." *British Medical Journal*. vol. 319 (1999).
- Straus, Scott. *The Order of Genocide: Race, Power, and War in Rwanda*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2006.
- Verwimp, Philip. "Machetes and Firearms: The Organization of Massacres in Rwanda." *Journal of Peace Research*. vol. 43, no. 1 (January 2006).
- Williams, Garrath. "Dangerous Victims: On some Political Dangers of Vicarious Claims to Victimhood." *Distinktion: Scandinavian Journal of Social Theory*. vol. 9, no. 2 (2008).

مصطفى أفندي | Mustafa Afandy*

ذاتيات هشة: عسكرة الحياة اليومية في حرب نيسان/ أبريل 2023 في السودان

Fragile Subjectivities: The Militarization of Everyday Life in Sudan's April 2023 War

ملخص: تسعى الدراسة إلى استكشاف بعض الديناميكيات الصغرى الكامنة في السياق السوداني على إثر الحرب التي اندلعت في 15 نيسان/ أبريل 2023. وتخصّ بالبحث ما تفترض أنه الحيز الأساسي لتجلي تلك الديناميكيات في المجتمع، وهو الحياة اليومية. وتحتاج، اعتماداً على ملاحظات مستقاة عبر الإثنوغرافيا التركيبية، بأن الحرب الجارية مثّلت لحظة تكثّف وتوزيع لمسار تاريخي من العسكرة مرّ به السودان منذ المرحلة الاستعمارية وما تلاها. وتخلص إلى أنّ هذه الصيرورة من العسكرة تعيد تشكيل أنساق الوجود والممارسات اليومية، في نطاق حرب 15 نيسان/ أبريل، وفق الاعتبارات الحدية للعمل العسكري بوصفه ممارسة سيادية، وترسم حدود الوجود والفعل اليوميّين على متّصلٍ من إنتاج الهشاشة، وتدويتها، ومقاومتها.

كلمات مفتاحية: العسكرة، الحياة اليومية، الهشاشة، حرب نيسان/ أبريل 2023، قوات الدعم السريع.

Abstract: Grounded in the assumption that the “everyday” is the central site where the micro-dynamics of every society manifest, this article examines the micro-dynamics of the April 2023 war by using the everyday life of Sudanese civilians in Khartoum as its observational site. Drawing on data collected through patchwork ethnography, it offers militarization as a conceptual framework for situating these micro-dynamics within Sudan’s (post)colonial history. It argues that the current war in Sudan represents not a moment of rupture but rather a manifestation and amplification of a long process of militarization of the Sudanese state and society. Perceived as such, the ongoing war intensifies the effects of militarization in Sudan, thereby restructuring the subjectivity of Sudanese civilians along a continuum of producing, internalizing, and resisting fragility.

Keywords: Militarization, Everyday Life, Fragility, April 2023 War, Rapid Support Forces.

* باحث دكتوراه في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في جامعة تورونتو، كندا.

PhD Researcher in Socio-Cultural Anthropology at the University of Toronto, Canada.

Email: mustafa.shouia@mail.utoronto.ca

مقدمة

في 15 نيسان/أبريل 2023، كان للعاصمة السودانية الخرطوم موعدٌ مع اشتباك مسلح بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع. وسرعان ما تحولت هذه الاشتباكات إلى حرب وسّعت عدداً من ولايات السودان، متوّجةً سنوات التآرجح السياسي التي أعقبت انتفاضة كانون الأول/ديسمبر 2018 بقفزة نحو فراغ مجهول العواقب. منذ اندلاع الحرب، كُتب كثير في استقراء الأبعاد العسكرية والجيوسياسية للصراع الدائر⁽¹⁾، أو في الاستجابة لما يفرزه من مآسٍ إنسانية⁽²⁾، وتداعياته على مستقبل البلاد. والجامع بين معظم التحليلات المقدّمة، هو انطلاق مقارباتها مما يمكن تسميته "الحدث الكبير"، ممثلاً في الحرب، ومن سرديات وأفعالٍ لفاعلين مركزيين فيه، مثل الجيش السوداني وقوات الدعم السريع. وتستجيب الدراسة لهذا الحدث، محاولةً في الوقت ذاته الفكّك من انشدها إزاء هوله ومراكز إنتاج عنفه وسردياته، من خلال إعادة تموضعه ضمن صيرورة تاريخية تتجاوز لحظة انفجاره. ومن ناحية أخرى، تعمل على بلوغ هدفها، عبر الإسهام في ردم الهوة بين التفكير المنهجي في الحرب الدائرة والديناميكيات الصغرى الكامنة في سياقها، مفترضةً أنّ الحياة اليومية هي الحيز الأساس لتجلي هذه الديناميكيات. من منطلق الفهم والاستكشاف، تطرح الدراسة سؤالها المركزي على النحو التالي: كيف نفهم الديناميكيات الصغرى الكامنة في حرب 15 نيسان/أبريل السودانية، وآثارها في مستوى الحياة اليومية للمدنيين في السودان؟

منهجياً، تجسد الدراسة بعض ما تعنيه ممارسة الإثنوغرافيا في سياقٍ "معسكر"؛ إذ أعول على الإثنوغرافيا التركيبية Patchwork Ethnography مقارنةً منهجيةً تخلخل الفصل التقليدي بين البيت والحقل، والشخصي والمهني في الممارسة الأنثروبولوجية. وأتلمّس فيما تلقية الإثنوغرافيا التركيبية من ضوء على مركزية التجربة الشخصية للباحث/ة في العمل الإثنوغرافي، خاصة في سياقات تحدّد إمكانيات الوصول إلى حقل الدراسة في هيئته الكلاسيكية، الاستفادة من تجربتي الذاتية مع هذه الحرب لاستكشاف أنواع مختلفة من البيانات التي تشكّل عماد هذه الدراسة⁽³⁾، حيث أستجمع طيفاً من البيانات التي جُمعت في الفترة نيسان/أبريل 2023-شباط/فبراير 2025، منها: أربع مقابلات مطولة مع امرأة وثلاثة رجال تراوح أعمارهم بين 25 و38 عاماً ممّن عايشوا الحرب في مدينة الخرطوم (خاصة في مناطق اليوم الشرقية في وسط الخرطوم، وشمبات الحلة شمالها، وأم درمان القديمة

(1) ينظر: خالد محمد علي، "المسار المحتمل.. ماذا يجري في السودان؟"، مركز رز للدراسات الاستراتيجية، 2023/7/16، شوهده في 2024/12/12، في: <https://acr.ps/1L9BPxJ>

(2) ينظر على سبيل المثال:

"UN Deputy Chief Appeals for Global Solidarity as Crises Roil East Africa," *UN News*, 30/8/2024, accessed on 8/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BPJq>

(3) للمزيد حول الإثنوغرافيا التركيبية، ينظر:

Gökçe Günel & Chika Watanabe, "Patchwork Ethnography," *American Ethnologist*, vol. 51 (2024), pp. 131-139.

غربي العاصمة) مدة تراوح بين شهر وعامين، ومجموعة نقاشية واحدة ضمت 5 أشخاص⁽⁴⁾، إلى جانب يوميات إثنوغرافية دوّنتها خلال وجودي في السودان في الفترة 15-30 نيسان/ أبريل 2023، وبيانات استقيتها من وسائط التواصل الاجتماعي والتقارير الصحفية، إضافة إلى سيل من المحادثات اليومية مع أصدقاء وأقارب وزملاء، وجدت طريقها إلى هذه الدراسة عبر أداة جمع بياناتها الرئيسة، وهي ذاتي بوصفها جسداً وتجربةً حسيةً تعيش ما يجري فيها وحولها خلال هذه الحرب، وتحاول فهمه.

توظّف الدراسة مفهوم العسكرة Militarization بتحوير سوسيو-أثروبولوجي، لفهم بعض مآلات الحياة اليومية في السودان والذوات المنخرطة فيها خلال الحرب الجارية. فمن خلال مفهومة عن هذا المآل على أنه عسكرة للحياة اليومية Militarization of Everyday Life، أحاج بأنّ تجربة العيش في نطاقات الحرب الحالية تعيد تشكيل ذاتية المدنيين فيها، بوصفها ذاتية معسكرة تستقي سماتها المميّزة، وهي الهشاشة، من علاقتها الوطيدة بالاعتبارات العسكرية التي تحكم الصراع الدائر. وما يميز مفهوم العسكرة، هو توفيره إطاراً لفهم بعض أشكال الهيمنة المفروضة بقوة السلاح على المستوى اليومي في سياق "طارئ"؛ هو حرب نيسان/ أبريل 2023. ويمكن في الوقت نفسه، بفضل تعبيره عن حالات نسقية تتضمن وتتجاوز الممارسات الفردية للذوات الفاعلة في هذا السياق، من ربط هذه الحرب بصيرورات أعمق كامنة منذ بدايات تشكّل الدولة السودانية الحديثة. إن ما تطرحه الدراسة، بهذا المعنى، ليس تحليلاً لحديث، أو تأويلاً لتمظهر بنية متعالية Transcendental Structure، بل هو استكشاف لسمة نسقية في صيرورة من التشكّل وإعادة التشكّل، على امتداد تاريخ الدولة الحديثة في السودان، تقدّم نفسها في تمظهر كثيف هو حرب نيسان/ أبريل⁽⁵⁾.

(4) أجريت جميع المقابلات في الدوحة خلال الفترة أيار/ مايو 2024-كانون الأول/ ديسمبر 2024 هاتفياً عبر واتساب، باستثناء مقابلة واحدة مع إحدى المشاركات في البحث، أجريت وجهاً لوجه خلال تشرين الثاني/ نوفمبر 2024، والمجموعة النقاشية التي أجريت في آب/ أغسطس 2024. كان المعيار الأساسي لاختيار هذه العينة هو امتلاك المشاركين تجربة العيش في مدينة الخرطوم، ولو فترة وجيزة، بعد اندلاع الحرب في 15 نيسان/ أبريل 2023، من أخذ العمر، والنوع الاجتماعي، والخلفيات السياسية معايير مصنفة لنوعية المشاركين. وقد طُرحت على المشاركين والمشاركات في البحث أسئلة تتعلق بتجربتهم اليومية، ابتداءً من استجابتهم لحظة اندلاع الحرب (مثل مسكنهم، وموقعهم الجغرافي عند اندلاعها، والقرارات التي اتخذوها - كالبقاء أو المغادرة، والعوامل المؤثرة في ذلك)، مروراً بكيفية عيشهم لروتينهم اليومي وما استجد في هذا الروتين منذ اندلاع الحرب، وانتهاءً بالمواقف التي تعرضوا لها عند أيّ تماس مع قوة عسكرية، سواء من الجيش أو الدعم السريع. وبالنسبة إلى آلية الوصول إلى العينة، فقد وُظفَت شبكة المعارف التي أسستها سابقاً باعتباري جزءاً من سياق البحث، وتواصلت مع بعض المشاركين بناءً على اقتراح بعض الزملاء الذين أطلعهم على مشروع البحث وكانوا على معرفة بتجارب بدت، لي ولهم، ذات صلة بسؤال البحث. أمّا بيانات وسائط التواصل الاجتماعي فهي مستقاة من فيسبوك، وتيك توك، وإنستغرام، والتي ركزت فيها على المنشورات النصية والفيديوهات التي وثق فيها المدنيون تفاعلهم مع مجريات الحرب الجارية عبر نشر مقاطع لعمليات عسكرية، أو التعليق عليها، والتي وُظفَتها على نحو أساس في اختبار بعض الفرضيات المبنية على تجربتي الشخصية خلال الفترة الأولى للحرب، والتي شاهدت فيها المدنيين ينخرطون يومياً في عمليات تتبع مجريات المعارك، وتحليلها، ونقدها.

(5) تتموقع الدراسة عبر إحدائيات ثلاثية تنتقل فيها بين الذوات مروراً بالممارسات الاجتماعية، وصولاً إلى النسق الاجتماعي - السياسي الكامنة فيه. وتعكس هذه الإحدائيات مستويات متباينة من الفاعلية الاجتماعية (الفردية، والجماعية، والنسقية)، وعمل العسكرة في حركتها الدؤوبة بين هذه المستويات. وستوضح التحليلات التالية أن العسكرة، حين نطرحها مفهوماً عابراً للحدود بين مستويات تحليل الواقع الاجتماعي المختلفة، تتجاوز المقابلة بين البنية والفعل، لتكشف عن القيمة النقدية لفحص فضاءات تواشج مستويات الفعل الفردي والجماعي والنسقي.

تحقيقاً لذلك، تُقدّم الدراسة في قسمين، يحاول الأول منهما تجذير العسكرية ضمن بعض الافتراضات النظرية المضمّنة في التفكير حول تأسيس الدولة الحديثة، مقترحاً إعادة مفهومة إجرائية للعسكرة استجابةً لخصوصية ما يجري اليوم في السودان. أمّا القسم الثاني، فيستعرض بعض مؤشّرات العسكرية وتمظهراتها على مستوى الحياة اليومية في أعقاب حرب نيسان/ أبريل 2023.

أولاً: نحو إطار نظري لمقاربة العسكرية في السياق السوداني

1. لم نكن يوماً سياسيين فحسب: بنية العسكرية ووظيفية الجيوش في الدول الحديثة

ما بعد كارل شميت وخلخلته لبعض المفاهيم المؤطّرة لنقاشات الحداثة حول السياسة، لم يعد متاحاً لنا أن نتحدّث، بصوتٍ متيقّن، عن الحرب والسياسة بوصفهما مجالين منفصلين. لنا في تعريفه للسيادة بوصفه من يقرر في حالة الاستثناء، وتأطيره السياسي وفق معيار تحديد العدو - الصديق، عجّلان تدحرجان ما صُنّف، ضمن نسق فلسفي ليبرالي، جذرياً ومطلقاً ولاعقلانياً، صوب مركز ما افترض أنه نسبي وحواري وعقلاني؛ إذ أعاد تأطير الحرب، بوصفها تمظهرًا لحالة العداء، في قلب النقاش حول السياسي⁽⁶⁾. ويمكن قراءة وضعية المؤسسات العسكرية ضمن الهندسة الوظيفية للدولة الحديثة، بوصفها المؤسسة المضطلعة بتلك المهمات "الجذرية"، ذات الطابع الوجودي بالنسبة إلى الدولة. فقد فهمت الوظيفة الأساسية للجيوش الحديثة على أنها حماية الدولة - الأمة من العدوان الخارجي المرتبط من حيث المبدأ بـ "آخر" خارجها. غير أنّ حُلّة الحماية، بلبوسها الفضفاض ودلالاتها المرنة، الملازمة لتوسّع نطاق السلطة السياسية في الدولة الحديثة، أتاحت إعادة تعريف "العدو" على أنه كل من/ ما يصنّفه السيادي (أو وكيله المعني بالحماية) على أنه "تهديد"، سواء استقرّ خارج حدود الدولة القومية أم كان داخلها⁽⁷⁾.

يبدو في مستهلّ هذا النقاش أن ثمة عاملين يجعلان انزلاق الجيش نحو ممارسة السياسة إمكاناً قائماً في كل دولة، بغضّ النظر عن طبيعة نظامها السياسي. يُشتقّ أولهما من فرضية التوصيف الفيبري (نسبةً إلى ماكس فيبر) للدولة بكونها مالك حق احتكار الاستخدام الشرعي للقوة القهرية ضمن جغرافيا سياسية محددة؛ وهو ما يجعل الجيش القومي، بحكم حيازته القسط الأكبر من الأدوات والمعرفة والتدريب العسكري⁽⁸⁾، أقدر على توظيف العنف مقارنةً بمؤسسات أخرى تقاسمه حقوق الاستعمال

(6) كارل شميت، مفهوم السياسي، ترجمة سومر المير محمود (الجيزة: مدارات للأبحاث والنشر، 2017)، ص 75-87.

(7) من لبوس الأمن القومي المستطيلة عباءته يوماً بعد يوم، يطلّ رهان أساسي للديمقراطية يتعلق بمدى قدرة الدول الحديثة على تأمين توازن بين اضطلاع جيوشها بمهام السياسة، في معناها الواسع، من دون أن تتحول فاعلاً منخرطاً في الصراع على السلطة. للمزيد حول هذا الرهان وصلته الوثيقة بطبيعة الدول الحديثة، ينظر: عزمي بشارة، الجيش والسياسة: إشكاليات نظرية ونماذج عربية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017).

(8) يقرأ أبيغيل هال وكريستوفر كوين، في دراسة حول عسكرة المنظومة الشرطية والأمنية في الولايات المتحدة، ظاهرة العسكرية ضوئاً فرضية أنّ "امتلاك الحكومة للقوة العسكرية والأسلحة والتنظيم والتدريب العسكري تعدّ أحد العوامل التي تعزز من قدرتها على التغلّو على حقوق المدنيين وحياتهم". إلا أنّ عملهما يقف عند حدود فهم انعكاسات هذا التوظيف الحكومي لأدوات المؤسسة العسكرية، من دون تتبعه إلى تناقضات تأسيسية بالنسبة إلى الدولة بوصفها تشكيلاً تاريخياً.

Abigail R. Hall & Christopher J. Coyne, "The Militarization of U.S. Domestic Policing," *The Independent Review*, vol. 17, no. 4 (2013), p. 485.

الشرعي للقوة القهرية داخل الدولة⁽⁹⁾. في حين يكمن العامل الثاني في الحزمة الأيديولوجية التي تُبنى عليها المؤسسة العسكرية ضماناً لنجاحها في أداء مهمة الحماية؛ إذ تنطوي هذه الحزمة على مفاهيم تمثل جزءاً عضوياً من صناعة/ تنشئة الجندي داخل المؤسسة العسكرية، وتُغرس بصفة رسمية (مثل مبدأ التضحية بالنفس المأسوس بالقسم الذي يؤديه الجندي) وغير رسمية (مثل توطيد "الرفاقية" بوصفها مبدأ حاكماً للعلاقة بين الجنود). وهكذا، لا يغدو الجنود زملاء مهنة فحسب، بل رفاقاً أيضاً؛ تستند رفاقيتهم إلى تعاملهم (أو استعدادهم الدائم للتعامل) مع "الجندي"، ذلك الاستعداد الدائم للقتل/ الموت في سبيل غاية أسمى⁽¹⁰⁾. هذا التعامل مع الجندي، وتقييده عنصراً مُعرِّفاً للعقيدة والثقافة التنظيمية للجيش الحديثة، هو ما يدفع هذه الدراسة إلى التعامل مع العمل العسكري بوصفه عملاً حديثاً⁽¹¹⁾.

تسهم هذه المبادئ، في تعاضدها مع الشروط المادية للدولة، أي حالة امتلاك الجيش لأدوات عنف أكثر من غيره من المؤسسات، وبمفاهيم الذكورة المتنحية في منظوماتنا الأبوية، في خلق توتر بين الشخصيتين "المدنية" و"العسكرية". وتتفاقم (أو تقعم) حدة التناقضات بين المؤسسة العسكرية والممارسة السياسية المدنية تبعاً لخصوصية الشرط التاريخي لكل دولة من حيث طبيعة نظامها السياسي، ومؤسساتها، ومدى توافر تقاليد عمل سياسي مدني راسخة، إلى غير ذلك. وكما ستبين الدراسة لاحقاً، فإن العلاقة بين الجيش والسياسة والأمة في السياق السوداني لطالما اتخذت شكلاً وصائياً، يتمثل فيه الجيش دور الأب الحامي لأفراد عائلته⁽¹²⁾.

خلاصة هذه الملاحظات التمهيدية هي أن لإشكاليّة التنظيم الوظيفي للدولة الحديثة، والأسس المادية والخطابية التي بُنيت عليها الجيوش الحديثة، صلة مباشرة بالنقاش النظري حول العسكرة. وتزعم الدراسة في هذا السياق، أن إشكالية العلاقة بين المؤسسة العسكرية والمجال السياسي ربما عملت بمنزلة بنية ذهنية، وجهت قسماً معتبراً من التفكير الأكاديمي في العسكرة، رافعةً سقف تحديات تأطيره. ولعل ما يعزز هذه التحديات هو أن توسّع استعمال مفهوم العسكرة، في مختلف المجالات الإعلامية والسياسية والحقوقية، قد كثّف ضبابية الحدود الفاصلة بين ضبطه أكاديمياً واستعماله العمومي، هذا فضلاً عن أن عودته إلى مراكز النقاش السياسي والأكاديمي خلال العقود

(9) H. H. Gareth & C. Wright Mills (trans. & eds.), *From Max Weber: Essays in Sociology* (New York: Oxford University Press, 1946), p. 78.

(10) حول مفهوم الرفاقية/ أخوية الجنود، ينظر: بشارة، ص 81-83.

(11) يمكن التعمق في توظيف "الحدّ" مدخلاً لقراءة البنى الأيديولوجية وطرائق عملها بالاطلاع على: إسماعيل ناشف، "عمل الحدّ: قراءة مختلفة للصهيونية"، تبين، مج 9، العدد 34 (2020)، ص 45-79.

(12) تتزايد حاجتنا اليوم إلى مقاربات نسوية تعيد قراءة تاريخ السياسة السودانية، والأيديولوجيات المتنازعة فيها، لا للكشف عن تواريخ تهميش النساء فحسب، بل كذلك لاستكشاف إمكانية إعادة تركيب هذا التاريخ بغرض استشراف آفاق نقدية، تتجاوز مقولات التمثيل والتمكين والمشاركة السياسية للنساء التي هيمنت على النقاش النسوي السوداني طوال عقود. جديرٌ بالإشارة هنا المشروع الواعد لمجلة فريدة، التي دشنت عددها الأول في أيلول/ سبتمبر 2024 بمقاربات نسوية عن الدولة والعسكرة.

الثلاثة الماضية، عبر بوابتي التوسع الرأسمالي والانتقال الديمقراطي، استجلبت معها افتراضات نظرية تتجاوز ما تحيل إليه العسكرية ومؤشراتها.

2. العسكرية: تاريخ الظاهرة أم تاريخ المفهوم؟

يمكن تتبع تاريخ مفهوم العسكرية إلى فترة الحربين الأوروبيتين الأولى والثانية، حينما تلازم استعماله مع مفهوم الأيديولوجيا العسكرية Militarism تعبيراً عن جملة من الظواهر التي تضمنت "هيمنة العسكريين على المدنيين، وسيادة الاعتبارات والقيم والروح العسكرية على حياة الدول"⁽¹³⁾. في محاولة للتمييز بين المفهومين، عرّفت سينثيا إنلوي الأيديولوجيا العسكرية بأنها حزمة من المبادئ القائمة على إقحام القيم الحاكمة للعلاقات العسكرية في إدارة مختلف الشؤون المدنية. وتعتمد هذه الحزمة إلى تطبيع مجموعة من المعتقدات المستقاة من قيم المؤسسة العسكرية؛ أهمها تكريس صورة الرجل حامياً والمرأة موضوعاً للحماية، وتقعيد العداء Enmity والتراثية بوصفهما حالات طبيعية، فضلاً عن إعطاء أولوية للقوة القهرية أداة لحل الخلافات، على حساب أشكال أخرى من التفاعل⁽¹⁴⁾. أمّا العسكرية، فقاربتها على أنها عملية سياسية واجتماعية ونفسية شاملة، يتشرب من خلالها الأفراد أو الجماعات أو المجتمع القيم والممارسات المضمنة في النزوع العسكري⁽¹⁵⁾. ويُمائل هذا التمييز بين المفهومين والعلاقة المقامة بينهما تلك الرابطة التي تصل المبادئ الأيديولوجية بتجسيدها، بوصفها ممارسات سلطوية ممأسسة. فإذا ما سلّمنا بأن حزمة الأيديولوجيا العسكرية تتضمن تصوراً أبوياً للأدوار الجندرية، يحتل فيه الرجل موقع الحامي والمرأة موقع موضوع حمايته، فإن تجسيد هذا المبدأ بوصفه عسكرية يُنجز، بالنسبة إلى إنلوي، عبر "تبني مؤسسات التنشئة الاجتماعية نظاماً تعليمياً يلقّن فيه الأطفال الذكور والإناث كيفية الاضطلاع بمهامهم/هن حماة أو ربّات بيوت"⁽¹⁶⁾.

تقترب التعريفات الأخرى المطروحة للعسكرة من التعريفين السابقين أو تبتعد عنهما بمقادير متباينة، لكن معظمها يعود ليلتقي في ثلاثة مشتركات محورية: أولها، استبطان الدلالة المعجمية لفعل يُعسكر Militarize، والتي تختزن مبدأ تحويل أو إدماج ما لم يكن شأنًا عسكرياً في الأصل، ضمن دائرة النفوذ والمنطق العسكريين⁽¹⁷⁾. ثانيها، افتراض هذه التعريفات شكلاً من التنظيم السياسي مركزه الدولة القومية، وتصوراً حداثياً لهذا الشكل من الاجتماع السياسي المنقسم إلى مجالات ذات طابع تخصصي كالاقتصاد، والسياسة، والحرب وغيرها. أمّا ثالث ما يجمع شتات

(13) يرد هذا التعريف في إحدى الكتابات التأسيسية في تاريخ العسكرية، ينظر:

Alfred Vagts, *A History of Militarism: Civilian and Military* (New York: The Free Press, 1959), p. 14.

(14) Cynthia Enloe, *Globalization and Militarism: Feminists Make the Link*, 2nd ed. (Lanham: Rowman & Littlefield, 2016), pp. 11–12.

(15) Ibid., p. 12.

(16) Ibid.

(17) لمثال على هذه التعريفات، ينظر:

Philip A. Kuhn, *Rebellion and Its Enemies in Late Imperial China: Militarization and Social Structure (1796–1864)* (London: Harvard University Press, 1970), pp. 13–15.

هذه التعريفات، فهو اتفاقها النسبي على عدة مؤشرات تستند إليها بوصفها معايير قياس ظاهرة العسكرية، سيأتي تفصيلها لاحقاً.

يمكن ردّ المشتركين الأول والثاني إلى واقع تبلور تعريفات العسكرية ضمن مخيلة ليبرالية، تستبطن التمييز بين الحرب والسياسة، والتي مررنا على لبنات أشكالتها مع شमित. تظهت تبعات هذه المسلّمة في قلّة عناية معظم الأدبيات الراهنة بإجراء تمييز بين العسكرية، بوصفها إمكاناً أصيلاً مشتقاً من فكرة الاجتماع السياسي و/أو الدولة نفسها، والوعي بها، بوصفها ظاهرة مُعرّفة حديثاً، لها تاريخ ومؤشرات يمكن قياسها بالرجوع إلى وقائع عينية. ولعل ما شهدناه من توسّع أدبيات العسكرية، منذ سبعينيات القرن العشرين، يؤرّخ لإحدى لحظات الوعي بالعسكرة موضوعاً للتفكير المنهجي، تزامناً مع تكتّف مظاهرها، أكثر من عنايته بفهم شروط إمكانها الماثلة في أشكال التنظيم السياسي التي يشهدها عصرنا. تبعاً لذلك، يُقبل علينا مفهوم العسكرية اليوم مستمسكاً بتلايب مفاهيم أخرى على غرار الأيديولوجيا العسكرية والأمننة Securitization، والمجمّع الصناعي العسكري Military-Industrial Complex⁽¹⁸⁾. وقد ظلّت الحدود الفاصلة بين مفهومَي العسكرية والأيديولوجيا العسكرية، على وجه التحديد، ضبابية إلى حدّ جعل استعمالهما على أنهما مرادفان سمة بارزة في معظم الأدبيات ذات الصلة⁽¹⁹⁾. فعلى سبيل المثال، يدمج مايكل مان المفهومين ضمن جهاز تحليلي، يتتبع من خلاله بروز العسكرية/الأيديولوجيا العسكرية، بوصفها ظاهرة اجتماعية - سياسية. وخلافاً للمقاربات التي تربط ميلاد الأيديولوجيا العسكرية/العسكرة بنشأة النظام الرأسمالي، تتبع مان العسكرية إلى تواريخ أسبق، جعلت ارتباطها بالرأسمالية ارتباطاً طارئاً، تُمثّل فيه الرأسمالية لحظة تكتّف وتसारح في الوتيرة، لا شرط ميلاد عضوي للعسكرة⁽²⁰⁾.

في إسهام مغاير، حاولت لورين داولر القفز فوق شراك تداخل مفهومَي العسكرية والأيديولوجيا العسكرية، بالارتكاز إلى زانة نسوية، تُخلخل عبرها مركزية الدولة القومية في التعامل مع المفهومين. ففهمت العسكرية على أنها أحد أنماط الحشد من أجل الصراع، وتعاملت مع الأيديولوجيا العسكرية، بوصفها تعبيراً عن سلوكيات المجتمع إزاء الفاعلية العسكرية. وقد أرجعت داولر بروز العسكرية إلى تاريخ حديث نسبياً، هو ثمانينيات القرن العشرين، وتناولتها باعتبارها مرآة تعكس تأثير القيم العسكرية في الثقافة اليومية⁽²¹⁾. وسيشكّل التوليف بين مداخلتي مان وداولر عتبة نظرية أولى أفق فيها على

(18) يعبر مفهوم "المجمّع الصناعي العسكري" عن منظومة ترابط المؤسسات العقابية والسجنية مع شركات صناعية وتجارية، بصفتها أساس إعادة إنتاج أنظمة ترابعية، تُشكّل عماد ما عُرف بـ "الرأسمالية - العرقية" Racial Capitalism. للاطلاع على كتاب مركزي ضمن هذا التيار، ينظر:

Michelle Alexander, *The New Jim Crow: Mass Incarceration in the Age of Colorblindness* (New York: The New Press, 2010).

(19) ينظر على سبيل المثال:

Michael Mann, *War and Capitalism: Studies in Political Sociology* (Oxford: Basil Blackwell, 1988).

(20) Ibid., pp. 127-128.

(21) Lorraine Dowler, "Gender, Militarization, and Sovereignty," in: Lise Nelson & Joni Seager (eds.), *A Companion to Feminist Geography* (Malden: Blackwell Publishing, 2005), p. 491.

محاولتهما فك الارتباط الجوهري بين العسكرية والرأسمالية (لدى مان) من جهة، وبين العسكرية والدولة - القومية (عند داولر)، من جهة أخرى. ففي الوقت الذي يعضد فيه رأي مان ما اقترحه من ضرورة التمييز بين العسكرية بوصفها إمكانًا ماثلاً في الافتراضات المؤسسة للدولة وبين تمظهراتها التاريخية، يشكّل نقد داولر لبنة موقفي الداعي إلى مقاربة العسكرية بالاستناد إلى وحدات تحليلية أصغر من الدولة⁽²²⁾، وهو مران خُصص له القسم الثاني من هذه الدراسة.

أمّا المؤشرات المجمع عليها في قياس ظاهرة العسكرية، فهي تتضمن تزايد الوجود العسكري في القطاعات المدنية داخل الدولة، وتدخل الجيش في شؤون الحكم والقرار السياسي، وتوسّع الإنفاق العسكري والصناعات العسكرية، وتكثيف الحضور العسكري على الحدود الدولية، إلى جانب إدماج قطاعات مدنية (كالإعلام والاقتصاد) ضمن إطار الشؤون العسكرية، وتبني خطابات عدائية تجاه الخصوم الداخليين⁽²³⁾. يجسّد هذا الاتفاق النسبي على مؤشرات قياس ظاهرة العسكرية، في مقابل تنوع تعريفاتها، أزمة التعريف بما هو محاولة لبناء تجريد معياري لمجموعة وقائع ومشاهدات متباعدة وتاريخية الطابع. ولو استعرت لسان طلال أسد، لاجترتُ قائلاً إنّ التعريف ليس سوى فعل تاريخي، يُمارَس داخل أنساق من علاقات السلطة والشروط الإستيمولوجية لإنتاج المعرفة⁽²⁴⁾. ما أفرحه تالياً هو إطلاق العنان لبطش "التاريخي" إزاء تجريداته النظرية، مستمراً إياه في إعادة تأطير إجرائي لمدلولات "العسكرية" في سياق هذه الدراسة.

3. السودان: تاريخ موجز للعسكرية

لنا أن ننطلق من السؤال التالي: ما الذي يعنيه توظيف العسكرية أداةً لتحليل الواقع السوداني؟ يحيل سؤال المعنى هنا إلى عملية إعادة تشكيل متبادلة، أفكك فيها مفهوم العسكرية شرط توظيفه لقراءة ما يعتمل اليوم في السودان من ناحية، وأعيد من ناحية أخرى تركيب التاريخ السوداني بصفته أثر فعل قراءتي له من حيث هو تاريخ من العسكرية. تشترط هذه القراءة عدم الانطلاق من لحظة تاريخية مرجعية، يُنسب إليها بداية كرة ثلج العسكرية في السودان، بل الوقوف بعين التأمل على بعض لحظات تكثف تمظهراتها وفحص ملامح الاستجابات المعرفية المطروحة إزاءها، وتلك خطوة ضرورية لأشكلة مفهوم العسكرية قبل مفهمته إجرائياً.

في سياقاتٍ توسّم بأنّ جذور الدولة الحديثة لم تضرب فيها عمقاً كافياً، كحال السودان، لا غرو أن يظل المجال السياسي "المدني" دائم العُرْضة لتغول المنطق العسكري. فعلى امتداد تاريخ السودان الحديث، ارتدى هذا الغول حلل انقلابات عسكرية، ومعارضات مسلّحة، وقمع عسكري لأشكال

(22) للاطلاع على محاولة من هذا القبيل، ينظر:

Brad West & Thomas Crosbie, *Militarization and the Global Rise of Paramilitary Culture: Post-Heroic Reimaginings of the Warrior* (Singapore: Springer, 2021).

(23) ينظر على سبيل المثال: 11-12، pp. Enloe.

(24) طلال أسد، جينالوجيا الدين: الضبط وأسباب القوة في المسيحية والإسلام، ترجمة محمد عصفور (بنغازي: دار المدار الإسلامي، 2017)، ص 53-69.

الفعل السياسي المناهض للأنظمة السياسية⁽²⁵⁾. فما شهدته السودان، منذ استقلال علمه عن الاستعمار البريطاني (1956)، من حروب ونزاعات مسلّحة بين الدولة المركزية وحركات معارضة لها في الأطراف، بلغ حدًا يكاد يجعل تاريخ الدولة الوطنية في البلاد تاريخ "حالة الاستثناء"⁽²⁶⁾. ضمن هذا التاريخ، تبرز فترة نظام الإنقاذ (1989-2019) لحظة مركزية، تكثفت معها مظاهر العسكرة وتسارعت وتيرتها وتوسّع نطاقها ليشمل قطاعات أوسع من الحياة الاجتماعية، لا سيما الاقتصاد والإعلام والنظام التعليمي. وخلال هذه الحقبة، بدأنا نتلمّس بوادر تناول الأكاديميا السودانية العسكرة، بوصفها ظاهرة وموضوعًا للتفكير/ الكتابة.

إشكالية هي تواريخ الكتابة عن العسكرة في السودان، على قلّتها؛ وذلك لارتباطها بمشاريع سياسية مناهضة أو مدافعة عن أنظمة عسكرية بعينها⁽²⁷⁾؛ إذ يجد المتأمل في تاريخ الكتابة السودانية عن العسكرة أنها دُوّنت في معظم الأحيان، كما لو كانت استعارة عن علاقة معطوبة بين مؤسسة الجيش والنخب السياسية المدنية⁽²⁸⁾. ففي مقابل استتقال تتبّع العسكرة إلى الافتراضات المؤسسة للدولة الحديثة في السودان، انحصر التعامل معها في إطار تحليل دوافع انخراط النخب العسكرية في شؤون الحكم⁽²⁹⁾. وكأنما تُخيّل أن ثمة "لحظة صفر" كانت فيها المؤسسة العسكرية السودانية إناءً مفرغًا، محايدًا ومهنيًا، ما فتئت النخب السياسية المدنية تملؤه بأيديولوجيتها للاستعانة به انقلابيًا متى استطلّ عليها الطريق الانتخابي إلى السلطة. فترتّب على هذا الفهم أن احتلت دعاوى تحرير المؤسسة العسكرية أو "تنقيتها" من الأيديولوجيا الحزبية مكانة مركزية في المشاريع المقدمة لحل أزمة الدولة السودانية⁽³⁰⁾. ما يعيب هذه المقاربات، على الرغم من سداد دعوتهن إلى رفع يد الجيش عن الحكم، هو وقوفها عند مستوى تحليل العلاقات المدنية - العسكرية، من دون خوض كافٍ في الشروط المادية لهذه العلاقة وتبعاتها على مجالات أخرى، مثل الاقتصاد والتعليم والحياة اليومية.

(25) لا يُعدّ السودان استثناء في هذا السياق. فمحيطه العربي والأفريقي ذاخر بهذه التظاهرات التي جعلت التعامل مع العسكرة رهين بوابات الانقلاب العسكري. ولعل أبلغ مثال على ذلك، هو انفجار الاهتمام العربي بظاهرة العسكرة عقب توسع دراسات الانتقال الديمقراطي عربيًا، وتركيزها كثيرًا على العلاقة بين المؤسسة العسكرية والنخب المدنية والاحتجاجات الشعبية. ينظر على سبيل المثال: زهير حمدي، "انقلاب مصر: مقارنات تاريخية بتجارب أخرى"، سياسات عربية، العدد 4 (2013)، ص 66-77؛ مهدي مبروك، "أوهام الاستثناء التونسي: المجتمع المدني وامتحان تجربة الانتقال الديمقراطي"، عمران، مج 13، العدد 50 (خريف 2024)، ص 111-135.

(26) للمزيد حول مفهوم حالة الاستثناء، ينظر: جورجيو أغامبين، حالة الاستثناء: الإنسان الحرام (2،1)، ترجمة ناصر إسماعيل (القاهرة: دار الكتب المصرية، 2015).

(27) للمزيد، ينظر، مثلاً: محمد مكي الطاهر، "الأمننة في أزمة الحرب: الجيش السوداني والحرب الأخيرة"، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2024/5/6، شوهد في 2024/12/9، في: <https://acr.ps/1L9BPi8>

(28) ينظر على سبيل المثال: عبد الرحمن الفكي، تاريخ قوة دفاع السودان (الخرطوم: الدار السودانية، 1971).

(29) ينظر على سبيل المثال: بهاء الدين مكاوي محمد قبلي، "تناهي ظاهرة العسكرة في السودان: المظاهر والأسباب والتداعيات"، سياسات عربية، مج 12، العدد 71 (تشرين الثاني / نوفمبر 2024)، ص 75-91.

(30) للاطلاع على وجهة نظر من هذا القبيل، ينظر: عبد الرحمن خوجلي، الجيش والسياسة (الخرطوم: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2012).

يرجع حسن الحاج علي أحمد، في مقاربتة الانقلاب العسكري بوصفه عملية سياسية، تدخل العسكريين السودانيين في السلطة إلى الاستقطاب السياسي المتزامن مع تسييس المؤسسة العسكرية؛ بحيث أضحى العسكريون في السلطة امتداداً للمدنيين داخلها، وغدا الانقلاب العسكري استمراراً للعملية السياسية بطريقة أخرى⁽³¹⁾. يعين الباحث المتمرس، يوضح أحمد كيف لازم انخراط العسكريين في العمل السياسي المؤسسة العسكرية السودانية منذ نشأتها، فطلت المشاركة في الكفاح ضد الاستعمار بالتنسيق مع تنظيمات مدنية سودانية ومصرية نشاطاً رئيساً للضباط السودانيين في الجيش المصري آنذاك. وتتبع أحمد، في الآن نفسه، حيثيات تأسيس قوة دفاع السودان والكلية الحربية السودانية من لبنة هؤلاء الضباط أنفسهم، والذي جاء، بالنسبة إليه، وفق أسس وثقافة تنظيمية بريطانية تفصل بين المجالين السياسي والعسكري⁽³²⁾.

يستدرجنا أحمد إلى أعتاب واقعتين تاريخيتين تكشفان عن تناقض مركزي، هما الأساس المهني لنواة الجيش السوداني، وانخراط الجنود السودانيين في النضال الوطني منذ تأسيس قوة دفاع السودان. استكمالاً لهذا الجهد، ثمة حاجة ملحة إلى أشكلة هاتين الواقعتين التاريخيتين تجاوزاً لمنزلق أخذ مهنية الجيش السوداني بصفتها مسلمة. فقد دفع التسليم بالمهنية والحياد، بصفتها سمتين تأسيسيتين للمؤسسة العسكرية السودانية، بعض الباحثين إلى قراءة الانقلاب العسكري الأول (انقلاب إبراهيم عبود عام 1964) بوصفه انحرافاً عن الأسس المهنية للجيش التي أرسى البريطانيون دعائمها⁽³³⁾. في حين تكشف حيثيات تأسيس المؤسسة العسكرية السودانية، وانخراط الجنود السودانيين في النضال ضد الاستعمار، أنّ نزع الطابع السياسي عن الجيش السوداني، بغرض "مهنته"، استبطن دوافع كولونيالية هدفها قمع النزوع الوحدوي مع مصر لدى النخب السودانية الحديثة آنذاك⁽³⁴⁾.

تترك هذه التفصيلة الباب مشرعاً إزاء إمكانيات أشكلة مقولة "مهنية الجيش السوداني واستقلالته عن السياسة"، عبر ردّها إلى تناقضات المرحلة الاستعمارية في السودان. يقترح عبد الوهاب الأفندي، مستلهمًا من صموئيل هنتنغتون Samuel Huntington، أنّ تدخل الجيش في السياسة لا يعكس طبيعة المؤسسة العسكرية وبنيتها، بقدر ما يعكس خللاً مؤسسياً في بنية المجتمع، وتحديدًا فرط تسييسه. وفي هذا، يذهب الأفندي خطوة أبعد من فحص العلاقات المدنية - العسكرية في تناول إشكالية الجيش والسياسة. إلا أنّ مساره التحليلي يقف عند حدود إعادة تأطير نظرية الأمانة Securitization،

(31) حسن الحاج علي أحمد، "الانقلاب العسكري بمنزلة عملية سياسية: الجيش والسلطة في السودان"، سياسات عربية، مج 5، العدد 24 (كانون الثاني/يناير 2017)، ص 53.

(32) المرجع نفسه، ص 53-54.

(33) ينظر: الفكي.

(34) تعدّ ثورة 1924 لحظة مفصلية تتوّج المفاهيم الوحدوية بين السودان ومصر من ناحية، وتبرز بدايات استقلال تصور قومي سوداني عن مصر من ناحية أخرى. وللمزيد عن الحراك الوطني السوداني ومركزية المؤسسة العسكرية فيه، ينظر: يوشيكو كوريتا، علي عبد اللطيف وثورة 1924: بحث في مصادر الثورة السودانية، ترجمة مجدي النعيم، ط 2 (القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2004).

بغرض إعمالها إطاراً نظرياً "لتفسير التدخلات العسكرية في الدول النامية والصناعية على حد سواء"⁽³⁵⁾. خلافاً لذلك، تميل هذه الدراسة إلى ردّ إشكالية المدني - العسكري في السياق السوداني إلى ملابسات تشكّل الدولة الحديثة في السودان، وما استحضرتة الذهنية الكولونيالية عند إرسائها دعائم جيش وطني سوداني.

للعسكرة، إذًا، عمقٌ تاريخي يقترن بشروط تشكّل الدولة الحديثة ومؤسساتها في السودان، وبمركزية المؤسسة العسكرية في توجيه مسارات الفعل والنظم السياسية. فقد تمظهرت هذه المركزية، أو العطب البنيوي في تشكّل الدولة السودانية ومؤسساتها العسكرية، في احتلال النخب السياسية أحد موقعين: إمّا موقع التحالف مع النخب العسكرية وتوظيفها في تحقيق أهداف سياسية، وإمّا موقع مناهضتها الذي يكشف متبنيّه إزاء قمعها المحتمل. وفي ظل تبدّل مواقع القوى بين التنظيمات السياسية السودانية، وبفضل الثبات النسبي لموقع المؤسسة العسكرية بوصفها فاعلاً سياسياً، أضحت حصيلة هذا التاريخ هي مؤسسة عسكرية أكثر تمرساً في إدارة الشأن السياسي من الأحزاب السودانية مجتمعة. وقد عضدت المؤسسة العسكرية موقعها هذا، بفضل إدارتها لأنشطة صناعية وتجارية مستقلة، جعلتها قوة كبرى ضمن المنظومة الاقتصادية السودانية.

لقد أسهمت النزاعات المسلحة المستمرة في السودان، وخاصة خلال فترة نظام الإنقاذ، في تحفيز تطورين مهمّين بالنسبة إلى مسار العسكرة في البلاد، يتمثلان في تضخم الإنفاق العسكري المتزامن مع توسع صلاحيات المؤسسة العسكرية بصفتها منظومة صناعية واقتصادية، وتوسيع نطاق "العمل العسكري" بالاستفادة من حالة الحرب بوصفها استثناءً يمنح حقاً سيادياً في إعادة تشكيل الفضاء - الزمان والذوات ضمن جغرافيتها السياسية. ففي دراسة رائدة حول العسكرة في السياق السوداني، استكشف نادر محمد اتجاهاتها ومحدداتها، موضحاً كيف اتخذ الإنفاق العسكري منحى تصاعدياً، بلغ أقصى مستوياته خلال فترة الإنقاذ، بفعل الحروب الأهلية في جنوب البلاد وغربها⁽³⁶⁾. استمراراً لهذا المسار التضخمي للإنفاق العسكري، أصبح الإنفاق على الأمن والدفاع والشرطة هو الأعلى ضمن ميزانية الحكومة السودانية عام 2012، بنحو 62 في المئة⁽³⁷⁾.

تكمن أهمية تتبّع هذا التوسع في الإيعاز بضرورة استصحاب مؤشرات تتجاوز تمظهر استيلاء الجيش على السلطة، عبر الانقلاب أو الصراع بين النخب المدنية والعسكرية، عند فحصنا لظاهرة العسكرة في السياق السوداني. فلم يكن الإنفاق العسكري المتزايد مؤشراً دالاً على تعاظم صلاحيات الجيش فحسب، بل حمل في طياته نُذُر هشاشة الدولة وتآكل سيادتها، بفعل الصراعات المسلحة بين

(35) عبد الوهاب الأفندي، "بين عسكرة السياسة وتمدين العسكرية: نحو إطار نظري لمعالجة إشكالية الدولة المتخذة"، في: الجيش والسياسة في مرحلة التحول الديمقراطي في الوطن العربي، محمد جمال باروت (محرر) (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019)، ص 154-161.

(36) Nadir A. L. Mohammed, "Militarization in Sudan: Trends and Determinants," *Armed Forces & Society*, vol. 19, no. 1 (1993), pp. 411-432.

(37) Atta El-Battahani, "The Role of Local Resistance Committees in Sudan's Transitional Period," CMI-CHR. Michelsen Institute (2021), accessed on 14/12/2024, at: <https://acr.ps/1L9BPwX>

الحكومات المتعاقبة ومعارضيتها في الأطراف⁽³⁸⁾. فعلى الرغم من أنّ هذه الحروب حُفّزت بالصراع على الموارد، وفي مقدمتها النفط، بصفته قناة تربط السودان باقتصاد رأسمالي عالمي، يحتل فيه موقع "أرض استخراج"، فإنها جسّدت دلائل تآكل السلطة بوصفها نمطاً من الشرعية يستند إلى قدر من الإجماع/ التواطؤ، أكثر من تعويله على أدوات القمع المميزة لعمل العنف⁽³⁹⁾.

تمثّلت الآثار المباشرة لهذه الحروب الممتدة في إرهاب خزّانة الدولة، وإضعاف مؤسساتها، وانفصال جنوب السودان (2011)، وفقدانها لسيادتها على بعض المناطق داخلها، مثل أجزاء من جبال النوبة ودارفور، إلى جانب صناعة الأنظمة السياسية للمليشيات. فشهدت البلاد خلال فترة نظام الإنقاذ تضخّماً في حجم المليشيات المنشأة، من جانب النظام السياسي نفسه مثل "قوات الدفاع الشعبي"، أو من جانب تنظيمات معارضة مثل الأجنحة العسكرية لتنظيمات "الحركة الشعبية لتحرير السودان". وقد ظلّ توظيف التناقضات الاقتصادية - الإثنية بين مكونات المجتمعات المحلية في أطراف البلاد أحد أهم ميكانيزمات إدارة الصراع السياسي - العسكري على امتداد تاريخ البلاد⁽⁴⁰⁾.

يدين ميلاد قوات الدعم السريع لهذا التاريخ من توظيف السلطة المركزية للتناقضات المحلية؛ حيث تطوّر من ميليشيات قبلية مساندة للجيش في حروبه غرب البلاد وجنوبها في مطلع الألفية، إلى قوة رسمية (عام 2013) تخوض حروب وكالة داخلية وخارجية، ومن ثم إلى ما يشبه جيشاً موازياً للجيش الوطني⁽⁴¹⁾. فخلال السنوات الأخيرة لنظام الإنقاذ، وعلى امتداد الفترة الانتقالية اللاحقة لإسقاطه⁽⁴²⁾، استمرّ تضخّم الدعم السريع قوةً عسكرية واقتصادية، مستفيداً من امتيازات وجوده في قلب السلطة السياسية في المرحلة الانتقالية بوصفه أحد ضلعي المجلس العسكري الانتقالي. وتكاملت هذه الديناميكيات الداخلية مع عوامل خارجية تمثّلت في شبكة علاقات اقتصاد - سياسي، تجاوزت حدود الدولة الوطنية، وتشكّل اليوم رافد الدعم السريع الرئيس في الحرب الحالية⁽⁴³⁾.

(38) عن الحروب الأهلية في السودان وارتباطاتها بالصراع على الموارد، ينظر: محمد سليمان محمد، السودان: حروب الموارد والهوية، ط 3 (الخرطوم: دار عزة للنشر، 2010).

(39) للمزيد حول التمييز بين السلطة والعنف، ينظر: حنة أرندت، في العنف، ترجمة إبراهيم العريس (بيروت: دار الساقي، 1992)، ص 38-42.

(40) لقراءة مادية لبروز الدعم السريع من تناقضات الرّيف والسلطة المركزية، ينظر: عبد الله علي إبراهيم، جنجويد وحاكورة: الماركسية وصدأ الرّيف (الخرطوم: دار المصورات للطباعة والنشر، 2022).

(41) للمزيد حول الشروط التاريخية لنشأة الدعم السريع، ينظر: المرجع نفسه، ص 78-135.

(42) حول التحالفات السياسية في هذه الفترة، ينظر: حسن الحاج علي أحمد، "فترة انتقالية مضطربة: تحولات التحالف الهجين في السودان"، عمران، مج 12، العدد 47 (شتاء 2024)، ص 7-32.

(43) للمزيد حول نشأة الدعم السريع وتوسعه فاعلاً اقتصادياً - سياسياً متجاوزاً حدود الدولة القطرية، ينظر: البدوي عبد القادر البدوي، "قوات الدعم السريع السودانية: من ميليشيات إلى قوة نظامية (2003-2018)"، تحليلات استراتيجية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021/8/17، شوهد في 2015/12/20، في: <https://acr.ps/1L9BPuB>

يُمثّل الدعم السريع، إذًا، تحديًا تحليليًا، لولاه لاكتفيتُ بقراءة ما يمارَس من عنف على المدنيين اليوم في السودان، في ضوء وضعية الاستثناء، وما تنتجه من حيوات عارية، وفق تنظير جورجيو أغامبين⁽⁴⁴⁾؛ ذلك أنّ موقع المبادئ النازمة لتشكّل الدعم السريع وممارساته على الصعيد اليومي خارج نطاق الشرعية التي يستند إليها السيادي، في منح نفسه حق تعليق العمل بالدستور والقوانين الحامية للحريات، استجابةً لحالة استثناء. إذ يُمثّل الدعم السريع حالة مركّبة، يحتاج فهمها استصحاب المستويات المختلفة لعمل العسكرة؛ فوضع لبناته من حزمة من القبائل العربية في غرب السودان وجنوبه يعكس تاريخ تسليح النظم السياسية السودانية للقبائل وتوظيفها في توطيد سلطتها. أضف إلى ذلك أنّ أنشطته العابرة للحدود الوطنية، خاصة في محاربة الهجرة غير النظامية، توضح عسكرة الحدود ضمن نظام رأسمالي مُعرّق Racial Capitalism. فضلًا عن هذا، فإنّ مشاركته في حروب وكالة خارجية (مثل حرب اليمن) وتجنيد لمجموعات إثنية من غرب أفريقيا ودول الساحل يميّطان اللثام عن أزمة امتهان العمل العسكري سبيلًا لكسب العيش، في سياق عجز نموذج الدولة - الوطنية عن تقديم إجابات مقنعة لأزمات العديد من مواطنيها، هذا فضلًا عن أنّ أنماط الإغارة المتبناة من جانب الدعم السريع، وانتهاكاته ضد المدنيين والمرافق العامة، تُجلبان عمل العسكرة بصفته عنفًا مباشرًا يحوّل فضاءات الحياة اليومية إلى جغرافيا سياسية يُمارَس فيها العنف بوصفه حقًا سياديًا لا يمتّ إلى الدولة بصلة.

من هذه السمات، أستمّد مسوغات تركيزي على فحص ظاهرة العسكرة، مستندًا إلى بيانات سُجّلت في نطاقات جغرافية ارتسمت مع حدود سيطرة الدعم السريع عليها ملامح تآكل السيادة الوطنية للدولة السودانية. ففي اعتقادي، يجسّد التطور التاريخي للدعم السريع، بوصفه فاعلاً لا دوليًا Non-State Actor، تمظهرًا للعسكرة بوصفها عملية مركّبة تتجاوز مركزية الدولة الوطنية، ومؤسساتها العسكرية والأمنية، باعتبارها فاعلاً أوحد يُرسم مسارات العسكرة ومآلاتها. ويوضح تحوّل الدعم السريع، من أداة بيد الدولة إلى مقوِّض لها، كيف تلتهم الدولة نفسها بالعسكرة، بينما تسعى، في الوقت نفسه، إلى أن تغدو "طائرَ فينيقٍ" ينشد حياته من خلال تكثيفها.

إلى جانب الآثار المباشرة للتوسع العسكري وصناعة الميليشيات في الدولة، والتي كان الدعم السريع إحدى نتائجها، تُمثّل مؤشرات أخرى للعسكرة معبّرةً عن صيرورة التحولات الجارية على مستوى المفاهيم الحاكمة للعمل السياسي في السودان المعاصر. فلو تتبّعنا تعامل الحكومات مع اتفاقيات السلام العديدة التي مر بها البلد، وجدناها تجسّد اتفاقيات تقاسم سلطة وتسويات سياسية، أكثر من كونها مساعي جادة لحل التناقضات المولّدة لهذه النزاعات المسلّحة. ومع تزايد المكاسب السياسية المحققة من المقاومة المسلحة للأنظمة، بدأنا نشهد، في العقدين الأخيرين، توسعًا في دائرة المؤنّين بجدوى المعارضة المسلحة سبيلًا لخدمة المشاريع السياسية. وعلى الرغم مما حملته انتفاضة كانون الأول/ ديسمبر 2018 من بوادر رد الاعتبار لقدرة الفعل السياسي غير المسلح على إحداث التغيير السياسي المنشود، فإنّ مآلاتها قد أفرزت تسارعًا في وتيرة العسكرة، بفضل تناقضات تجاوزت

(44) جورجيو أغامبين، المنبؤ: السلطة السيادية والحياة العارية، ترجمة عبد العزيز العيادي (بغداد/ كولونيا: منشورات الجمل، 2017).

قدرة القوى الثورية على حلحلتها. فالقمع المفرط للاحتجاجات أثناء حكم عمر البشير، وسيادة المقاربة الأمنية في تعامل حكومة انقلاب (تشرين الأول/ أكتوبر 2021) مع أشكال الاحتجاج الشعبي، سرّعا عملية التحوّل نحو تبنيّ مركات معسكرة لحل الخلاف السياسي. وبدأنا نشهد تحولات على مستوى الخطاب والفعل السياسيين نحو أنماط أكثر حدّة، تتخذ من "العداء" و"استهداف الإقصاء" مبادئ حاكمة لحل الخلاف السياسي⁽⁴⁵⁾.

وخلال الفترة التي أعقبت سقوط نظام الإنقاذ، تدافّع بعض السياسيين نحو تجذير أنفسهم في حركات مسلحة، بحثاً عن شرعية عسكرية يضمّنون بموجبها كرسياً أكبر على طاولة التسوية السياسية المرتقبة بين الحكومة الانتقالية والحركات المسلحة في دارفور. في المقابل، عملت هذه الحركات على بسط دائرة التجنيد الشعبي، رغبةً في توسيع قاعدة جنودها لتستخدمها أداةً ضغطٍ في المساومة، لنيل قسط أكبر من التسوية السياسية المرتقبة، والتي أنجزت فيما عُرف بـ "اتفاقية جوبا للسلام"⁽⁴⁶⁾. فضلاً عن ذلك، أشارت ظواهر، مثل تزايد الوجود العسكري في المدن، وخاصة في العاصمة خلال السنوات الثلاث السابقة للحرب، وتزايد حالات العنف القبلي في بعض الأقاليم، إلى جانب واقعة إغلاق تنظيمات سياسية لطريق شرق السودان، إلى صيرورة من ضُمور الدولة المرافقة لحالة العسكرية، وإلى تنامي إدراك معيّن للدولة بوصفها غنيمة.

يخلص هذا السرد المتداخل إلى أنّ تاريخ السودان المضرج بالانقلابات العسكرية، والحروب الأهلية، وتوسع المؤسسة العسكرية بوصفها قوة اقتصادية - سياسية، وتنامي الميليشيات بفعل التجنيد الإثني، والتحوّلات التي جرت على مفاهيم العمل السياسي وعلاقة المكونات السياسية والمسلحة مع الدولة، يعكس صيرورات ظلت تعتمل داخل بنية الدولة السودانية منذ استقلالها. تماشياً مع العمق التاريخي لهذه الصيرورات، أثرتُ التعامل مع حرب 15 نيسان/ أبريل باعتبارها امتداداً للظاهرة التي اخترتُ توصيفها بالعسكرة. ومع أنّ انزياح العنف فيما يُصنّف ضمن إبستيمولوجيا الدولة الحديثة على أنه فضاء سلمي - مدني ظلّ عاملاً حاسماً في توصيف العسكرية، أو حتى إدراكها باعتبارها عرض علة تنخر جسد الاجتماع السياسي المعني، فإنني أفهم العسكرية، في سياق هذه الدراسة، بوصفها خيطاً تحليلياً يصل بين ما صنّفه سلافوي جيچيك على أنه مستويات ذاتية ورمزية ونظامية لعمل العنف⁽⁴⁷⁾. وبناء عليه، تقترح الدراسة تعريفاً إجرائياً للعسكرة، على أنها صيرورة من إعادة تشكيل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، ضمن جغرافيا سياسية محددة، تبعاً لاعتبارات الممارسة

(45) شمل هذا التحول بعض القوى الشبابية التي قادت الحراك السلمي ضد نظام البشير، والتي تبّنت فيها مجموعات، مثل "ملوك الاشتباك" و"غاضبون بلا حدود"، أشكال تنظيم وتكتيكات عسكرية (من دون استعمال سلاح ناري) بهدف الحماية ضد قمع حكومة الانقلاب المفرط للاحتجاجات. حول نشأة هذه الكيانات، ينظر: أحمد فضل، "كيف نمت وتشكلت؟ 'غاضبون' و'ملوك الاشتباكات' مجموعات تتقدم صفوف مظاهرات السودان"، الجزيرة نت، 2022/2/8، شوهد في 2024/12/14، في: <https://acr.ps/1L9BPHv>

(46) زيد العلي، "اتفاق جوبا لسلام السودان: ملخص وتحليل"، *International Idea*، 2021/7/21، شوهد في 2024/12/14، في: <https://acr.ps/1L9BPHv>

(47) سلافوي جيچيك، العنف: تأملات في وجوه الستة، ترجمة فاضل جتكر (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017).

العسكرية بوصفها ممارسة سيادية. وتتجسد إعادة التشكيل تلك في إعادة توزيع الحق في تقرير الحياة والموت⁽⁴⁸⁾، وتحديد الشكل الذي يتخذه كلٌّ منهما تبعاً للاعتبارات العسكرية، وفي مقدمتها ثنائية الصديق - العدو واتخاذ امتلاك أدوات القمع معياراً لشرعية العلاقات بين الأفراد. بهذا المعنى، تتماهى العسكرة مع الحرب، ليس بوصفها استثناءً، بل وضعياً تاريخية تتحول فيها الشروط المادية والافتراضات المفاهيمية للعسكرة إلى واقع مُشرّع إزاء إمكانات تكثيفها وبلوغها خلاصاتها المنطقية. يتخذ القسم التالي الحياة اليومية مجالاً لفحص هذه الإمكانيات المُشرّعة، في إثر حرب نيسان/ أبريل، وآثارها في هيئات الوجود والفعل اليوميين.

ثانياً: خرطوم ما بعد 15 نيسان/ أبريل 2023: نسقية المشاشة ويوميّات العسكرة

1. عن النظر بعدسة اليومي

منذ نشأة سوسيولوجيا الحياة اليومية، تياراً نقدياً إزاء النظريات الكلية في السوسيولوجيا، حاولت رد الاعتبار للفاعلية الفردية والديناميكيات الصغرى للحياة الاجتماعية، عبر بوابة التفاعل اليومي بين الفاعلين. كان الافتراض المؤسس لهذا التيار، هو عدم قابلية بعض جوانب الحياة الاجتماعية للتأويل من داخل الحتمية التاريخية التي وسمت نظريات السوسيولوجيا الكبرى آنذاك. وقد لخصت مجموعة من الباحثين أزمة تلك النظريات الكبرى في مقاربتها الفرد، إمّا على أنه إناء مفرغ تدفعه رغبته الحديثة للانتماء إلى التماهي مع الجماعة، أو باختزاله في كونه نتاجاً لبنى خارجه، طبقية في الأساس، تجعل من أفعاله الفردية انعكاساً للموقع الطبقي للجماعة التي ينتمي إليها⁽⁴⁹⁾. وفي إطار تأكيدهم لسبقية Contextualization الظاهرة الاجتماعية، بوصفها ركيزة تحليلية ضمن سوسيولوجيا الحياة اليومية، أكد هؤلاء الباحثون أهمية اتخاذ "دراسة الناس في سياقهم الطبيعي، وعالمهم اليومي الاجتماعي، وتفاعلاتهم اليومية، أساساً لفهم المجتمع"⁽⁵⁰⁾. وبغض النظر عن الوضعية المضمرّة في تصوّرها المعلمي للحياة الاجتماعية، وعن التفاعلات الاجتماعية، بوصفها "أشياء" قابلة للعزل والدراسة "في سياقها الطبيعي"، استمرت سوسيولوجيا الحياة اليومية في التطور والتنوع ضمن الحقلين السوسيولوجي والأنثروبولوجي، إلى حد جعل تأطيرها ضمن توجّه نظري موحد أشدّ تعقيداً يوماً بعد آخر⁽⁵¹⁾.

(48) للمزيد حول ممارسات الإمامة في سياق الرأسمالية المتأخرة، ينظر:

Achille Mbembe, "Necropolitics," Libby Meintjes (trans.), *Public Culture*, vol. 15 (2003), pp. 11–40.

(49) Patricia A. Adler, Peter Adler & Andrea Fontana, "Everyday Life Sociology," *Annual Review of Sociology*, vol. 13 (1987), p. 218.

(50) Ibid., p. 219.

(51) للمزيد عن الحياة اليومية بوصفها مجالاً للممارسة والمناورة، ولا سيما من خلال مفهومي التكتيك والاستراتيجية، ينظر: ميشال دو سارتو، ابتكار الحياة اليومية: فنون الأداء العملي، ترجمة محمد شوقي الزين (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011). وحول نقد الحياة اليومية وعلاقتها بالاغتراب وعلاقات السلطة، ينظر: هنري لوفيفر، "معرفة الحياة اليومية: الماركسية بوصفها معرفة نقدية بالحياة اليومية"، ترجمة ثائر ديب، أسطور، مج 3، العدد 5 (كانون الثاني/ يناير 2017)، ص 203–233.

إلى جانب المحاجة بوجود فاعليات صغرى غير قابلة للاختزال بنيويًا، بدت التصورات الأولى لسوسيولوجيا الحياة اليومية منطلقة، على غير هدى شमित، من حالة السلم النسبي، بوصفه الحيز الذي تأخذ فيه التفاعلات بين الفاعلين الاجتماعيين شكلها ومجراها. ولنا أن نؤوّل موقع الحرب ضمن هذا التصور باحتلاله مكان القطيعة في النسق اليومي، والمجرى "الاعتيادي" للأشياء؛ ذلك أن الحرب تسهم في خلخلة الشروط الحاكمة لهيئة الوجود وتدقّ الفعل اليوميّ، عبر فرضها إعادة ترسيم شاملة لطرائق ممارسة الحياة والموت، ضمن نطاق تنحيها على الأقل. بيد أن طرح العسكرية، بصفتها صيرورة تاريخية ليس لها بالضرورة نقطة بداية محددة، ومرآة للتوتر بين النسقي واليومي، يقتضي التعامل مع الحرب والسلم باعتبارهما تجربتين زمانيتين متداخلتين. وعن هذا، وضّح سامي هرمز أن أنماط تعامل اللبنانيين مع زمان "اللاحرب" ظلّت تستعير من أنماط الممارسات التي سادت فترات الحروب السابقة. فبالنسبة إليه، تفرض هذه الاستعارة على زمان السلم والحرب أن يتداخل ويذوبا في بعضهما مشكّلين متّصلاً يتحدّى الخطيئة والتصنيف والمقابلة الثنائية. فأحد متعلّقات العيش في (والتفاعل مع) أزمنة "اللاحرب" أن تتخللها لحظات من الترقب والتفكير في أحداث أزمنة الحرب، تتضمن إعادة سرد تلك الأحداث والتفكير فيها انعكاسيًا. ويجعل ذلك ممارسات الماضي فاعلة على نحو غير مباشر في أزمنة الحاضر والمستقبل، من خلال تعويل الناس على ذاكرتهم وتوظيفها من أجل النجاة، إزاء ما يجري اليوم ويتوقّع غدًا⁽⁵²⁾. وسيجد هذا التوتر بين التصنيفات الزمانية (ماضي، وحاضر، ومستقبل) لنفسه تعبيرات مخصوصة في حرب نيسان/ أبريل، عبر تجميعات تخلخل التمايز التقليدي بينها.

2. مانفستو العسكرية ومؤشراتها

صرّح قائد الجيش السوداني، عبد الفتاح البرهان، في مخاطبته مؤتمر الخدمة المدنية في نيسان/ أبريل 2025، قائلاً: "ما في مجد للساتك"⁽⁵³⁾ ثاني، المجد للبندقية دي بس". على مستوى الذات المتكلمة، لم يكن التصريح رسالة إلى القوى السياسية المدنية التي شكّلت جزءاً من الثورة، ثم انحازت إلى جانب الدعم السريع فحسب، بل إعلاناً بدخول البلاد مرحلة جديدة. أبرز ما يميز هذه المرحلة، كما يوحى التصريح، هو تغير الأسس التي تُبنى عليها شرعية العمل السياسي في البلاد، وإعادة ترسيم/ توزيع حقوق الفعل السياسي على مقياس فوهة البندقية. فشرعية الفعل السياسي المدني في مناطق سيطرة الجيش تُمنَح حاليًا لمن اصطفّ مع الجيش في هذه الحرب. وإذا تجاوزَ تلقينا للتصريح ذاته المتكلمة ورسائلها المبطنة إلى خصومها السياسيين، نجده ينطق بلسان وضعية نسقية تتكشف تمظهراتها وأثرها في إعادة ترتيب الحياة الاجتماعية في البلاد⁽⁵⁴⁾.

(52) Sami Hermez, "'The War Is Going to Ignite': On the Anticipation of Violence in Lebanon," *Political and Legal Anthropology Review*, vol. 35, no. 2 (2012), p. 232.

(53) يُراد بـ "اللساتك" إطارات السيارات، التي اكتسبت قيمة رمزية خلال ثورة ديسمبر 2018؛ إذ استخدمها المحتجون في إغلاق الطرق وإقامة المتاريس، ولا سيما عبر إحراقها، بما أسهم في إعاقة حركة مركبات الأجهزة الأمنية والشرطة، وجعلها جزءاً من تكتيكات الاحتجاج اليومي خلال الثورة. وارتبطت أيضاً عبارة "المجد للساتك" بأحد قادة قوى الحرية والتغيير، والتي أصبحت من التكوينات الموقّعة التحالف مع الدعم السريع. للاستماع إلى خطاب البرهان كاملاً، ينظر: "رئيس مجلس السيادة يخاطب مؤتمر الخدمة المدنية في السودان"، وكالة السودان للأنباء، يوتيوب، 2025/4/29، شوهدي 2025/12/25، في: <https://acr.ps/1L9F37m>

(54) بعض ما يعلن عنه التصريح هو أن تفسح "الشرعية الثورية" المستمدة من المشاركة في ثورة ديسمبر والتمسك بمبادئها المجال لشرعية "حرب الكرامة"، باعتبارها المكيال الذي توزع عبره المواقع والحقوق في السودان ما بعد حرب نيسان/ أبريل.

يُعاد عبر هذه الأجندة تشكيل ذاتيات⁽⁵⁵⁾ وأنماط فعل من يعيشون الحرب في السودان، ضمن نسقية تفرض شكلاً معيناً للوجود والفعل الاجتماعيين، وترسم لهيئات الفعل اليومي علاقة اشتقاقية مع حالة الحرب، بما هي إطار ممكن من إعادة تشكيل الواقع الاجتماعي وفق الاعتبارات الحديثة لممارسة السيادة. تندرج تحت هذا الإطار إعادة رسم حدود تعريف الذوات وفق منطق ثنائي (صديق/ عدو، وتهديد/ تحييد، ومقاومة/ تواطؤ)، وموضوعة النجاة الآنية بوصفها محرّكاً أساسياً للفعل اليومي، فضلاً عن سيادة حالة الترقب بما هي مظهر لوقع هذه النسقية على صعيد نفسي، وإحالة إلى رغبة الفكك منها في الوقت نفسه.

بدا لي واضحاً، خلال عملي على هذه الدراسة، أنّ الاستقطاب الحاد الذي يسم الحرب الجارية، وانقسام أغلبية المواطنين بين مؤيد للجيش أو الدعم السريع، يجعلان المدنيين منخرطين في أنشطة ذات صلة مباشرة بالشأن العسكري. وراوحت هذه الأنشطة بين الالتحاق المباشر بجبهات القتال، مروراً بالدعم المادي عبر التبرعات (كما في حالة مسيرات دعم القوات المسلحة ونصرتها)، وصولاً إلى تقديم معلومات تساعد في إنجاز عملية عسكرية (مثل تزويد المواطنين للجيش بإحداثيات دقيقة عن مواقع الدعم السريع أو العكس). وتُفهم أشكال الانخراط والتماهي هذه على مستوى اللغة اليومية المعبرة عن حالة الاستقطاب بين أطراف الصراع والمشكلة لها. ففي دراسة مهمة، تستكشف حواء الزين والشفاء الأمين صور التكامل بين المادي والخطابي في استدامة رحي الحرب، عبر تحليل إثنوغرافي رقمي لكيفية إعادة إنتاج حالات الانقسام بين الجيش والدعم السريع على منصّات التواصل الاجتماعي⁽⁵⁶⁾؛ فأشكال التعبير اليومي في السودان اليوم لا تكشف فقط عن الحيّز المعتبر الذي يشغله النقاش حول مجريات المعارك ضمن المحادثات اليومية بين المدنيين، بل عن عمليات تخلّق متسارع لمعاجم يومية، تنهل من الاستعارات المتبادلة بين مجالات عسكرية وغير عسكرية، بالمعنى التقليدي لهذه الثنائية. وفي مثال آخر، نشرت منصة بيم ريبورتس تقريراً تتبع من خلاله انتشار استخدام مصطلح "الانسحاب التكتيكي" في أوساط المواطنين، للتعبير عن رسائل سياسية متعددة الدلالات، مثل نقل معلومة حول مجريات معركة معينة، أو إخفاء معلومة أخرى، أو التبرير لهزيمة، أو السخرية من تفسيرات طرف آخر لمجريات المعارك⁽⁵⁷⁾.

(55) يحمل مفهوم الذاتية Subjectivity دلالات مركبة، تلقي الضوء على تدفق أفعال الأفراد عبر تجربة زمانية - مكانية مخصصة، العمق الأنطولوجي لهذه التجربة، وعمليات التشكيل المتبادلة بين البنى المجتمعية والأفعال الفردية. للمزيد عن المفهوم والنقاش النظري حوله ضمن حقل الأثنوبولوجيا، ينظر:

João Biehl, Byron Good & Arthur Kleinman (eds.), *Subjectivity: Ethnographic Investigations* (Berkeley: University of California Press, 2007).

(56) حواء الزين والشفاء الأمين، "سجل الكلمات والرصاص في السودان: تحليل إثنوغرافي رقمي لخطاب حرب الخامس عشر من نيسان/ أبريل"، عمران، مج 14، العدد 53 (صيف 2025)، ص 93-119.

(57) "الخداع العسكري في حرب السودان: كيف يربك تداول المدنيين للمصطلحات العسكرية فهم ما يجري في الميدان؟"، بيم ريبورتس، 2024/12/5، شوهد في 2024/12/10، في: <https://acr.ps/1L9BPcV>

تحكي فاطمة في سرد رحلة عودتها إلى منزلها في أحد أحياء أم درمان القديمة، بعد استعادة الجيش السيطرة عليها⁽⁵⁸⁾، عن تعرّضها لمحاولة انتزاع خاتم ذهبي من يدها، في إحدى نقاط التفتيش التابعة للجيش. كانت حجة الجندي وقتها "أنّ الخاتم مسروق، لعدم امتلاكها إيصالاً يثبت ملكيتها له". تحمل نقاط التفتيش تناقضاً أصيلاً، مردّه طبيعتها المزدوجة، كونها فضاءات حماية وانتهاك في آن واحد. هي جدران حماية بالمنطق العسكري، تمنع حدوث اختراق من جانب "العدو". لكنها أيضاً فضاءات تقرير الولاء والتهديد عبر فحص الهوية، وامتحان السردية، واستكشاف الخلفيات المكانية والإثنية والسياسية، واستنطاق الوجه قبل اللسان. عقب عبور فاطمة هذا الفضاء "الطارئ" إلى آخر "مألوف"، وقفت عند تحولات المكان والسكان في الحي الذي غادرته قبل فترة وجيزة؛ فوصفت انتشار السلاح بين أبناء الحي وعند أخيها الأصغر وبائع الخضروات. واستوقفها ابتكار أطفال الحي لعبة ينقسمون فيها إلى فريقين (جيش، ودعم سريع) لخوض "معركة"، مستخدمين أسلحة "لعب" يصنعها حدّاد الحي. أمّا داخل البيت، فوجدت آذان أهلها مصغيةً لسردية واحدة مفادها جيشٌ يحميهم، وميليشيا تهدف إلى إبادتهم⁽⁵⁹⁾.

تتيح هذه الملاحظات مدخلاً لفهم عمل العسكرية على صعيد تحويل الفعل والخطاب اليوميين للمواطنين، استجابةً للاعتبارات العسكرية للصراع الدائر. ويمكن تلخيص مظاهر عسكرية الحياة اليومية، التي عززتها الحرب، في أمور أهمها: إعادة تعريف ذوات الأفراد (مدنيين كانوا، أم عسكريين) ضمن أطر ثنائية، وفرض حالة من العنف المصاحبة لانتشار السلاح في أيدي المواطنين وتوسّع جبهات القتال، إضافة إلى إعادة تأطير الممارسات اليومية (مثل الأكل، والشرب، والمشي، واللعب، وغيرها)، وفق مآلات المعارك العسكرية، وتبعاً لذلك إعادة تشكيل العلاقة مع الفضاء - الزمان تبعاً لهذه الاعتبارات، فضلاً عن تحويل القسط الأكبر من التفاعلات والمحادثات اليومية إلى استجابة لحديث السلاح. وستحدد مخرجات هذا الحديث شكل الفضاء، وطرائق سكناه، والحركة فيه.

3. نسقية العسكرية: الدعم السريع نصير المهمشين وجلّادهم

قضيتُ الأيام الأولى للحرب في منزلنا بمنطقة الديوم الشرقية (الديم) وسط الخرطوم. كان هاجسنا الأكبر وقتها هو الأعيرة النارية والقذائف الطائشة التي أودت بحياة بعض سكان المنطقة. وأضحى الموت باعتباره أثراً جانبياً لتفشّي العنف حدثاً اعتيادياً، وبات النظر إلى السماء ممارسة يومية نراقب من خلالها مجريات المعارك الجوية، احتراساً وترفيهاً. وتجدّر تبنيّنا هذا الشكل من الترفيه في حالة تعليق وسائل المعيشة والترفيه التقليدية عبر انقطاع الكهرباء وما فُرض علينا من حالة حظر التجوال،

(58) جميع الأسماء المستخدمة للإحالة إلى المشاركين في البحث هي أسماء مستعارة، وذلك بناءً على طلب المشاركين الذين آثروا إخفاء هويتهم بسبب الظروف التي أجريت فيها المقابلات. وقد أخفيتُ أو استبدلتُ بعض البيانات الخاصة بظروف إجراء المقابلات، مثل أسماء الأحياء الصغرى، وذلك لتعقيد إمكانية التعرف إلى هوية المشاركين في البحث. في المقابل، احتفظتُ بتواريخ إجراء المقابلات وأسماء الأحياء والمناطق الكبرى مثل أم درمان القديمة، والديوم الشرقية، وشعبات، على حالها.

(59) فاطمة، 28 عامًا، مقابلة شخصية، الدوحة، 2024/11/27.

وإلى محاولتنا استكشاف طرائق جديدة للتكيف مع إيقاع مغاير للزمن، تُشتق من مجريات العمل العسكري. شيئاً فشيئاً، بدأنا كغيرنا ممّن عايشوا قسماً من فترة الحرب في السودان باكتساب معرفة بنوع السلاح انطلافاً من صوت القذيفة التي أُطلقت منه، وبتنا قادرين على تخمين مواقع إطلاقه، وتحديد ما إذا كان يستدعي الاحتماء (بالانبطاح على الأرض مثلاً)، أم لا.

بعد يومين تقريباً من اندلاع الحرب، لاذ بعض جنود الدعم السريع بالحي، مخلفين أسلحتهم في الشوارع، وبين أفرع الأشجار، وداخل مقبرة الفاروق المتاخمة للحي. وقتها، استبدل الجنود الهاربون إلى الحي بزتهم العسكرية بأزياء مدنية. وهرع عددٌ من شباب الحي المدنيين إلى اغتنام ما خلفوه من أسلحة، مدفوعين، بعضهم، بنظرة تشاؤمية إلى مستقبل قد يستدعي الدفاع عن النفس، وبدافع الرغبة، لدى آخرين، في بيع الأسلحة بعد انتهاء حربٍ وعد الجيش بحسمها في غضون أسبوعين. ولم تمض أيام حتى فرض الدعم السريع سيطرته على منطقة الدير، ومعها ازداد خوارها من سكانها الذين بدؤوا في النزوح إلى مناطق أخرى داخل السودان أو اللجوء إلى دول مجاورة. وسرعان ما تحوّلت المنطقة إلى جغرافيا سياسية لفضاءٍ معسكر. هجرها معظم أهلها، خاصة الأطفال والنساء، إدراكاً لمركزية الاغتصاب بوصفه سلاح حرب تبنّى جُلّه الدعم السريع. وبنينا استنتاجاتنا هذه على سرديات سمعناها عن عنف الجنجويد وجرائمهم في حرب دارفور، والتي عايشنا قسماً سيراً منها إبان فضّ اعتصام القيادة العامة في حزيران/ يونيو 2019⁽⁶⁰⁾. تحوّلت الدير، كغيرها من أحياء الخرطوم آنذاك، إلى حيزٍ يضجّ بالموت (المادي والاجتماعي) أكثر منه بالحياة، وتمارس في نطاقه أشكال مخصوصة من إدارة شؤون الحياة/ الموت⁽⁶¹⁾.

بعد أسبوع من اندلاع الحرب، مرّ على منزلنا أحد أبناء الحي (محمد) حاملاً حاسوبين جديدين. سألناه، فأخبرنا أنّ جنوداً من الدعم السريع فتحوا أحد المحال التجارية "الحاوي سوپر ماركت" على الطريق الرئيس (شارع محمد نجيب) ومبنى الإدارة المحلية للخرطوم، وأخذوا بعض المواد التموينية والأموال، ثم أبلغوا من شهد فعلهم من المواطنين بإمكانية الدخول وأخذ ما يريدون. خرج الشاب مسرعاً من بيتنا. ولم تمض ساعة حتى سمعنا نحيباً خارج المنزل. فخرجنا نستطلع الأمر، ورأينا طفلاً (بدا بين الثانية عشرة والخامسة عشرة من العمر) يحمله طفلان في العمر نفسه تقريباً، ومن ورائهما فتاة تبكيه بحرقة. بدا واضحاً أنّ الطفل قد فارق الحياة على إثر طلق ناري. لم نضطر إلى السؤال عن قصته، فقد عاد محمد لاهثاً هذه المرة، ليحجب عمّا استفهمته عنه وجوهنا، قائلاً: "كنا ماشين كمية من الناس على المحلية عشان نشيل حاجات، وفجأة ظهر واحد من الدعم السريع شكلو كان لافي بمشط في الحلّة. لمن شافنا اتخلع وقال لينا كلكم ارقدوا تحت،

(60) فضّ اعتصام القيادة العامة بتنسيقات بين الجيش والدعم السريع أمنية وسياسية أخرى، وشهد انتهاكات واسعة ومتنوعة الصور. ينظر: مزدلفة عثمان، "الذكرى الثالثة لفضّ اعتصام القيادة.. الحادثة التي توجع السودانيّين مرتين في العام"، الجزيرة نت، 2022/4/29، شوهد في 2024/12/14، في: <https://acr.ps/1L9BPML>

(61) حول "إدارة شؤون الموت"، ينظر: إسماعيل ناشف، صور موت الفلسطيني (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015).

قمنا رقدنا. لكن الشافع قام خاف وعايز يقوم جاري قام العسكري طوالي ضربو طلقة.. والشايلنو ديل أخوانو شالوهو ولمن وصل لحدي جنب ملوك للأحذية كان خلاص أدى الروح"⁽⁶²⁾.

كان الطفل القتل من دولة جنوب السودان، يسكن أهله بيتاً قيد الإنشاء في منطقة الدير، وتفصل بينه وبين المحل التجاري الذي كان ذاهباً لأخذ نصيبه منه حوالى 20-25 دقيقة مشياً. ويقع مبنى المحل والمحل التجاري الذي كسر بوابته الدعم السريع في حي العمارات، الذي تسكنه فئات ميسورة مقارنة بمعظم سكان المنطقة. سرعان ما استشرت الاستباحة لتشمل جميع المحال التجارية والمنازل، حتى داخل الدير، وتزايدت أعداد المشاركين في عمليات النهب. كان النمط السائد في البداية، والذي أصبح يسم ثقافة استباحة ممتلكات المواطنين في العاصمة، على النحو الآتي: يدخل جنود من قوات الدعم السريع إلى المنطقة، فيكسرون المحال ويقتمهم بعضهم المنازل بحثاً عن السيارات والذهب والنقود، ثم يسمحون للمدنيين الراغبين في الدخول وأخذ ما تبقى. في الأثناء، وبينما تُقام نقاط ارتكاز للقوات عند المنافذ الاستراتيجية للمنطقة، يُعين لكل منطقة "مدير لشؤونها" يسمى "قائد المنطقة"، ويكون عادةً الجندي الأعلى رتبةً في الكتيبة العسكرية المسيطرة عليها.

توضح وضعية الدير ديناميكيتين رئيسيتين تتمثلان في عملية تشكيل فضاء معسكر، تُرسى فيه دعائم نسق اجتماعي قوامه السلطة المفروضة بقوة سلاح الدعم السريع، من ناحية، ومن ناحية أخرى، صناعة "فوضى وظيفية" تخدم عملية إعادة التشكيل هذه. وتندرج تحت هاتين الديناميكيتين عدة اعتبارات تكفل لهذا النسق من السلطة أداء وظيفته؛ فهي تتيح، أولاً، لجنود الدعم السريع انتزاع منافع وُعدوا بها ضمناً أو صراحةً، نظير مشاركتهم في القتال، وذلك عبر تخويلهم "اغتنام" ما يجدونه من سيارات وذهب ومال وحتى نساء. ثانياً، عدّ الدعم السريع، بوصفه قوة لا نظامية في الأساس، تفويض أشكال التنظيم القائمة تمهيداً ضرورياً يتيح له تشكيل فضاء المنطقة بما يلائم غايته منها. ونجد، ثالثاً، أنّ إفراغ المنطقة من جميع أشكال الضبط المؤسسي المرتبطة بالدولة (مثل الشرطة المجتمعية، والمحاكم، والمحليات) أتاح للدعم السريع إدارة أنشطة اقتصادية قرينة بوضعيات السيولة الأمنية، تشمل السرقة، ونهب الممتلكات، واحتكار وسائل الاتصال البديلة (مثل أجهزة "ستار لينك" عقب انهيار أنظمة الاتصالات الرسمية). ونجد، أخيراً، أنّ سيادة أشكال معينة من الفوضى أتاح للدعم السريع تقعيد وضعيته حامياً لنظام متوازن من الفوضى، ومؤطراً لحدودها بديلاً من دولة غائبة. ضمن هذا الترتيب، لا يجد من بقوا في مناطق سيطرة الدعم السريع سوى "للجوء" إلى قائد المنطقة "للابلاغ عن تجاوزات فاقت الحد المسموح به" من السرقة والنهب، والذي غالباً ما يبدي تعاطفاً ويسعى إلى فرض هيبة اللادولة عبر إنزال العقاب بـ "المتجاوزين".

(62) محمد، مقابلة شخصية، اليوم الشرقية، الخرطوم، 2023/4/26. تردّد الاقتباسات المباشرة للمشاركين في المتن كما أفادوا بها باللهجة العامية السودانية، بينما أدرجها في الهامش بالفصحى لمن كان في حاجة إلى استيضاح بعض الكلمات غير المألوفة لديه: "كنا مجموعة من الناس نسير نحو مبنى المحلّة لأخذ ممتلكات، وفجأة ظهر أماننا جندي من الدعم السريع بدا أنه كان يُمشط المنطقة. تفاجأ برؤيتنا وأمرنا جميعاً بالانبطاح على الأرض، ففعلنا. لكن الطفل خاف وهم بالجري فأطلق عليه الجندي رصاصة. ومن يحملونه الآن هم إخوته، وكان قد فارق الحياة عندما وصلوا به إلى متجر ملوك للأحذية".

تبين هذه الديناميكيات عمليات إعادة ترتيب وظيفي للفضاء وللأنشطة الاجتماعية في نطاق سيطرة الدعم السريع، قوامها نزح الطابع المؤسسي للدولة وإحلال آخر مكانه. وتُقرّض على الذات الموجودة ضمن هذا النطاق صور محددة من الوجود سمتها الهشاشة، وترسم حدود أفعالها بين متصل من التواطؤ والانكشاف إزاء العنف. فدعوة الناس للمشاركة في عمليات النهب ليست تخفُّفاً من المسؤولية إزاء مؤسسات الدولة التي يدّعي الدعم السريع تمثيلها الشرعي فحسب، بل هي أيضاً تعكس استثماراً في حالة الفاقة والغبن الناجمين عن التفاوتات الطبقيّة القائمة سلفاً بهدف إنتاج متواطئين، وتوظيف هذه الوضعية في تدعيم صورة الدعم السريع بوصفه "نصيراً للمهمشين"؛ ذلك أنّ هذا التواطؤ يتيح له فرض العقاب على "المتجاوزين"، متى اقتضت حاجته إلى خلق مسافة تفصل بين مؤسسته وعمليات النهب المقترفة.

في تحليل إلزا دورلين للعلاقة بين الشرطة المحلية وفتة الرجال السود في الولايات المتحدة الأمريكية، نجد مدخلاً تحليلياً نستعين به لفهم تقنيات إنزال العقاب، كما شاهدنا في حالة قتل الصبي المُشار إليها. توضح دورلين أنّ تقنيات العنف التي يستخدمها نظام شرطي منحاز عرقياً، تستهدف "قدرة الضحية على الفعل" ودافعها الغريزي للمقاومة، لتوظفهما في قمع هذه القدرة في حد ذاتها⁽⁶³⁾. وقد بدا ذلك الاستهداف للقدرة ولردود الأفعال الغريزية حاضراً بكثافة، ضمن منظومة التواطؤ التي نتناولها، والتي أنتجت طفلاً خرج للمشاركة في عمليات سرقة ممتلكات الآخرين، وهمّ بالهروب بدافع الخوف عند مواجهته لجندي من الدعم السريع، فوجد نفسه مُردى برصاصة الجندي. لكن، ثمة خصوصية لما تتعامل معه في هذا السياق؛ إذ يتجاوز الاستهداف الفعل القسدي للذوات المنخرطة في الحدث، ليشكّل امتداداً للبنى المادية والحسية ضمن سياق معسكر. فمنظومة التواطؤ المنتجة، استهدفت هنا قدرة الطفل على الفعل في مرحلتين: الأولى عند رغبته في تأمين مكسب أو قوت مستفيداً من حالة السيولة الأمنية، لتجعله موضوعاً محتملاً للعنف "الشرعي" بوصفه "مجرماً". والثانية باستهدافها ردة فعله (هي الهروب) عند استشعار خطرٍ محددٍ، وإعادة تعريف هذا الفعل بوصفه تهديداً أو عصياناً لأوامر ممثلٍ لسلطة شرعية ماثلة أمامه. وتتنوع مآلات هذه الحالة النسقية وفق شروط عديدة (مثل اختلاف الأماكن، والأشخاص، والموارد الموجودة على المحك)، لكنّ مبدأها الناظم يظلّ قيد الاشتغال، كما ستوضح القصة التالية.

4. لمن البيت اليوم؟ أبواب مشرعة على الهشاشة

بعد أن هجر خباب منزله في منطقة شمبات شرقي الخرطوم عدة أشهر، اضطر إلى العودة إليه رفقة أحد أصدقائه (مازن)، لأخذ وثيقة إثبات شخصية (جواز سفره) كان قد خَلّفها وراءه. وما إن اقترب الشبان من المنزل حتى أبصرا بابه مفتوحاً على مصراعيه، وفي داخله سيارة دفع رباعي ومجموعة من جنود الدعم السريع. فغيّرا وجهتهما صوب منزل محجوب، أحد أقارب خباب الذي يسكن في الحي المجاور، متنازليين عن فكرة أخذ الوثائق. وبعد أن حكيا له ما حدث، ألحّ محجوب في العودة

(63) ينظر: إلزا دورلين، فلسفة العنف، ترجمة جلال بدلة (بيروت: دار الساقي، 2021).

لاسترجاعها. في البداية، رفض خباب ومازن الفكرة لخطورتها. ظلّ محجوب، أثناء روايته للمحادثة، يفكر انعكاسيًا فيما دار وقتها، فأثنى على قرار صاحبيه بالتنازل عن الوثيقة. أمّا هو، فوصف نفسه بـ "المغفل"، مُرجعًا تهوره إلى عجزه حينها عن استيعاب واقع أنّ هناك من استباح بيتهم ليحول دونهم، وهم "ملأك هذا البيت"، ودون الدخول إليه قائلًا: "كان الموضوع ماكل معاي جنبه يعني ناس يجوك جوة البيت"، ثم سكت خلال ثانية، قبل أن يضيف: "حقك أو انت المالك ما تقدر تخش جوة"⁽⁶⁴⁾.

حُسم النقاش بين هؤلاء الشباب بأن يذهب محجوب وخباب إلى البيت لاستعادة الأوراق، على أن ترقيهما عينا مازن من بعيد، تحسبًا. وأعدّا العدة، كما حدّثني، للرحلة، فتوضّأ، وصلّى ركعتين، واستبدل محجوب قميصه بآخر مهترئ خشيّة أن "يعجب" قميصه أحد الجنود، وحمل بطاقته الوظيفية ليجنّب نفسه عناء إثبات أنه غير "عسكري". وحدّثني عن مشيهما مسافة نصف ساعة تقريبًا إلى بيت خباب، لم يعكّر صفوه فيها سوى صوت خباب الذي كان يلحّ عليه بالعدول عن الأمر. تكسّر صوت خباب المتردد أمام إصرار محجوب، ووصلا إلى المنزل ليجدها مشرّعًا كما هو، تجلس قبالة على الجانب الآخر من الطريق بائعة شاي يتحلق حولها بعض جنود الدعم السريع لشراء الشاي والقهوة، وبقية رفاقهم داخل المنزل. يقول محجوب: "لقيتهم قاعدين جنب ست الشاي ماخدين راحتهم للآخر. وفي واحد طالع من البيت كأنو طالع من بيت أبوه، يتمغى كدة صاحي من النوم يادووب"⁽⁶⁵⁾. عندما همّا بالدخول إلى المنزل، أقدم محجوب بخطوته الأولى متمعّنًا في وجوه الجنود الموجودين لانتقاء أكثرهم "أمنًا" للحديث إليه، إلى أن وجد ضالّته في أحدهم. فبادأه بالسلام وأخبره أن هذا منزلهم، قصدوه لأخذ بعض جوازات السفر والوثائق الطبية الخاصة بوالدهم. كان محجوب حريصًا في انتقاء الطريقة التي يوضح بها هذا الطلب بالقول "طالبكم في مساعدة". رد الجندي السلام ولم يزد عن سؤال واحد: "ده بيتكم؟"⁽⁶⁶⁾. ردّ محجوب: "أيوه ده بيتنا، ودي بطاقتي عشان ما تقولوا أنا عسكري ولا اتجندت قبل كدة"⁽⁶⁷⁾. فأخذ الجندي البطاقة وتمعّن فيها وفي وجه محجوب، ثم أكّد عدم ممانعته دخولهم: "اتفضلوا"، وأرسل معهم جنديًا وصفه محجوب بـ "ولد صغير".

يجسّد هذا المقطع من القصة جوانب من تحولات العلاقة بالمكان في سياق الحرب، تتلخص في حالة من فقدان المكان نتيجة تفشّي العنف من جهة، والسعي إلى استعادته، أو إلى استعادة الحق في استعماله مؤقتًا على الأقل، بوصف ذلك فعلاً من أفعال المقاومة، من جهة أخرى. ففي حين أجبر اندلاع الصراع المسلح خبابًا وأهله على هجر منزلهم وترك كل شيء وراءهم خوفًا من التعرّض للاعتداء أو الموت (من جرّاء الاستهداف المباشر أو بوصفها "أضرارًا جانبية")، تحوّل المنزل إلى ثكنة عسكرية لجنود الدعم السريع. ها هم اليوم مُكرّهون على الاستئذان قبل ولوجه، ولا يحق له

(64) محجوب، مقابلة عبر واتساب، 2024/5/23. "كان الأمر يحزّ في نفسي. أن يأتي أناس إلى منزلك وأنت المالك لا تقدر على الدخول إليه".

(65) المرجع نفسه. "وجدتهم جالسين قرب بائعة الشاي بأريحية. وكان أحدهم خارجًا من المنزل كأنه ملك والده، يتمطّي كأنما استيقظ من النوم لتوّه".

(66) "هل هذا بيتكم؟".

(67) "نعم هذا منزلنا، وها هي بطاقة هويتي حتى لا تعتقدوا أنني عسكري أو مجنّد سابق".

المطالبة إلا بما لا يُعدُّ ذا قيمة بالنسبة إلى من يقطنه آنياً. لمن تؤول ملكية البيت؟، سؤال يعبر عن شدة تأزم أوضاعهم، لكن ليس لصديقنا رفاهية التفكير فيه. فقد أضحي الدخول إلى المنزل رهاناً وجودياً، لم يتجاوز إلا بتذويت تمثّل معيّن عن الذات، سمته التماهي وإبراز الخضوع. ففي وضعية يحتلان فيها موقعاً أدنى ضمن هرم القوة، عُدّ تقديم صورة عن ذاتيهما بوصفهما خاضعتين طيّعتين وغير مهذبتين للجنود الماثلين أمامهما شرطاً للنجاة. فالمواقع تتحدد بصورة اشتقاقية من توزيع القوة العسكرية، ممثلة في امتلاك السلاح والغلبة العددية، والتدريب العسكري اللازم. وعلى كل فاعل أن يتبوأ موقعه في مثل هذا الموقف تبعاً لعلاقته بالسلاح، إمّا مقررّاً لشأن سياديّ يتعلق بالحياة والموت، وإمّا موضوعاً لممارسة هذا الحق.

أدرك صاحبانا ما يستتبع وجودهما ضمن نطاق الحرب، أي أن يغدو جسدهما مشرّعين إزاء ممارسات السيادة المتبعثرة ضمن الجغرافيا السياسية للعنف. لذلك، لم يجد محجوب بُدّاً من تقديم صورة عن ذاته تبدو فيها في أقصى حالات ضعفها، بغرض استخدامها سلاحاً للمقاومة. إن إفراغ محجوب جسده مما اعتبره مظاهر قوة و"اختلاف"، بدءاً من اختياره القميص المهترئ ليبدو مُعَدِّماً، حماية لنفسه من السرقة، ومحاولته تقليد لهجة الجنود أمامهم، وصولاً إلى أفعاله البسيطة، مثل طريقة شرب الماء، انتظمت جميعها في توظيف الضعف أداةً لتجسير المسافة بينه وبين الآخر الماثل أمامه، ومثّلت بالنسبة إليه شرطاً لبلوغ مساعهما؛ إذ يؤكد قائلاً: "أثناء ما بتكلم معاهم كنت بمطمط في الكلام عشان يحسوا إننا قريب منهم.. أدوني جردل بتاع موية شربتو كلو، ما عشان أنا عطشان، لكن عشان يقولوا الناس ديل مساكين"⁽⁶⁸⁾.

ردد محجوب، خلال حديثه إليّ، أنه لم تساوره لحظة شك في أن جنود الدعم السريع سيقتلونه "وسيحسرون فيه طلبة"⁽⁶⁹⁾. فالطلقة (العيار الناري أو الرصاصة) تكتسب في هذا السياق قيمة أعلى من حياة لم تنل، بعبارات جوديث بتلر، حقّ التعريف بها بوصفها حياة كاملة، ومن ثمّ لا يمكن أن تُخسر ويُنتخب عليها⁽⁷⁰⁾، من منظور من يسلبها. تستمد الرصاصة قيمتها الثمينة هذه من مصدرين: علاقتها بالجسد الذي تواجهه (جسد محجوب)، والذي يحمل قيمة أقل من جسد الجندي الذي غدا السلاح امتداداً له، ومن أداتيتها بوصفها تقنية تُمارَس عبرها السلطة على جسد الآخر، بالقتل أو الإصابة. يمكن إرجاع هذا البعد من علاقة محجوب ورفيقه بجنود الدعم السريع الذين قابلوهما إلى سياق المواجهة الجارية بين الجيش والدعم السريع، التي تدفع إلى تصنيف جميع الفاعلين، عسكريين كانوا أو مدنيين، وفق منطق قائم على ثنائية صديق/عدو، وهو منطق يجعل قتل "العدو" شرطاً للنجاة. إلا أنّ ثمة أبعاداً أخرى لعلاقة محجوب يستدعي فهمها عدم الربط المباشر بين العنف المُمارَس عليه وعلى رفيقه وغاية "النجاة". فبعد أن بدا الجنود مقتنعين بسردية محجوب، وأنهم ليسوا "أعداء"، وإنما جاؤوا لاسترجاع

(68) محجوب. "أثناء كلامي معهم، كنت أمدُّ في الحديث لأقمع اختلافي عنهم. قدموا لي دلو ماء فشربته كله، لا لعطش، بل لإيهامهم بأننا مساكين".

(69) المرجع نفسه.

(70) Judith Butler, *Frames of War: When Is Life Grievable?* (London: Verso, 2009).

مستنداتهم، طلبوا منه مساعدتهم في العثور على مفتاح سيارة موجودة في المنزل، وفكّ شيفرة هاتف مسروق. لذلك يبدو مبدأ الإقصاء، بوصفه تحييداً لتهديد مائل، والمُضمَر في منطق المواجهة الثنائية بين الجيوش، قاصراً عن فهم الصورة الكاملة للديناميكيات الصغرى لممارسة السيادة على الحياة والموت في هذا الموقف. ويؤكد ذلك واقع أنه أُطلق سراحهما في النهاية؛ لأنّ أعلى الجنود رتبةً أُعجب بمحجوب وبطريقة حديثه التي عكست "ثباتاً أمام قوة السلاح"، فخاطبه قائد "المتحرك" قائلاً⁽⁷¹⁾: "أنا اتكيفت ليك.. وحأسميك الرجل.. بس صلح لي تلفوني ده وأمشي"⁽⁷²⁾.

تبدو نجاة محجوب ورفيقه، أول وهلة، نتيجة مباشرة لقرار شخصي اتخذته الجندي الأعلى رتبةً، وهي قراءة قد تتماشى مع إشارة ستائيس كاليباس إلى أنّ الديناميكيات الصغرى لممارسة العنف في الحروب الأهلية كثيراً ما تنفصل عن الأهداف الكبرى التي اندلع الصراع من أجلها⁽⁷³⁾. ولعل في اعتراف القائد برجولة محجوب وإطلاق سراحه إثر ذلك، تأكيداً لتجذّر هذه الديناميكيات في المنظومة الثقافية للمجتمع المعنيّ، وما تنتجه من تمثّلات الذكورة والأنوثة. وعلى غرار إنلوي، التي أشارت إلى أنّ المفاهيم الذكورية تقبع في صلب المبادئ المؤسسة للعسكرة⁽⁷⁴⁾، نجد أنفسنا أمام إعادة إنتاج لثنائيات الخوف والشجاعة، والقوة والضعف، بوصفها مفاهيم متقابلة تعبّر عن التناظر/ التناقض بين الأنثوي والذكوري. بيد أنّ إعادة إنتاج مفاهيم مثل "الرجولة" في هذا السياق تجري على نحوٍ مخصوص؛ فالاعتراف بـ "الرجولة" الذي حازه محجوب لم يتحقق عبر تمثّله لما يتماشى مع نموذج الذكورة السائد (بإظهار "الثبات"، أو الشجاعة) فحسب، بل استدعى كذلك تبني سمات (مثل الضعف، والامثال) تُعدّ نقيضاً لنموذج "الرجولة" السائد في المجتمعات الأبوية. فضلاً عن أنّ "رجولة" محجوب تبرز، بوصفها قيمة مُسبّغة من الخارج في الأساس؛ إذ يسبغها "آخر" (قائد عسكري) يرى في نفسه نموذجاً أرسخ للرجولة، ويوزّع صكوكها على من يعتبرهم مستوفين لشروطها (مثل محجوب). ما يميز هذه الوضعية هو أنّ من يطرح نفسه نموذجاً أعلى للرجولة قد استمدّ سلطته في منحها من علاقته المباشرة بقوة السلاح، وما يستتبع ذلك من امتلاك القدرة على إنزال الموت أو وهب الحياة. بهذا المعنى، تتيح السياقات المعسكرة إمكانيات إعادة إنتاج نماذج الرجولة السائدة في الأنظمة الأبوية، لا بصورة آلية، بل عبر إعادة تركيب هذه النماذج على نحوٍ يكشف طابعها العرضي والتاريخي.

ثمة عنصر آخر مكمل لنجاة محجوب، يرتبط بالهيئة التي اتخذتها فاعليته في هذا السياق، لينتقل من حالة الموت الوشيك والوقوع تحت تهديد بالقتل إلى حياة الإعجاب والظفر بإطلاق سراحه.

(71) في أكثر من مرة، عبّر محجوب لي عن استغرابه من "الثبات" الذي "نزل عليه" أثناء هذا الموقف. واستقرأ محجوب قرينة هذا الثبات في نبرته الواثقة وسرديته المتسقة أثناء حديثه للجنود. وكأنّما شكّل، عبر صوته الواثق "غير المرتجف"، حجاً بين قلقٍ داخليٍّ من احتمالية موتٍ وشيكٍ وأدائية تنفي هذا التوتر الداخلي عبر تقديم صورة مناقضة عن حالته الداخلية. ينظر: محجوب.

(72) "أنا أعجبت بك، وسأسميك الرجل. فقط أصلح لي هاتفي واذهب".

(73) ستائيس كاليباس، منطق العنف في الحروب الأهلية، ترجمة عبيدة عامر (الدوحة: دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، 2021)، ص 22-17.

(74) Enloe, p. 11.

ولينجو من وضعيته على حافة الموت، حشد صنوفاً من المهارات السردية، مستعيناً بذاكرته، ومعرفته بالتاريخ السياسي السوداني. فبدأ يحكي للقائد قصة السودان منذ استقلاله، مروراً بالحكومات العسكرية والوطنية المتعاقبة، وانتهاءً بلحظة الحرب الحالية. وخلال هذا السرد، وقف على محاسن كل حقبة ومساوئها، وعلى سمات بعض الشخصيات الرئيسة فيها (إسماعيل الأزهرى، وإبراهيم عبود، والصادق المهدي، وعمر البشير، وعبد الفتاح البرهان، ومحمد حمدان دقلو). ومن بين هذه الشخصيات، برز قائد الدعم السريع بوصفه استثناءً؛ إذ لم يقف محجوب إلا عند محاسنه.

تعكس عملية إعادة تشكيل تاريخ المجال السياسي السوداني وسرده على لسان محجوب، ليعبدو وظيفياً ضمن مشروع نجاة آنية، وجهاً آخر لعملية سبق لهرمز أن لاحظ اشتغالها في السياق اللبناني. ويتعلق الأمر باستعمال ذاكرة السلم من أجل النجاة في زمن الحرب⁽⁷⁵⁾. فحينما أقدم محجوب على تمثيل علاقة محددة بهذا التاريخ وبالفاعلين فيه، وإعادة بنائها في سرده، أنجز تركيباً جديداً للتاريخ السوداني، قدّم فيه "حميدتي"، قائد الدعم السريع بوصفه بطلاً قومياً، في مقابل شيطنته الكاملة لعناصر الجيش السوداني، وخاصة قائدهم البرهان. واختتم محجوب قصته بإقرار أن مشكلته الرئيسة مع "العساكر" - وهو تعبير يستخدمه جنود الدعم السريع أحياناً لوصف الجيش وكل من حمل سلاحاً أو تدرّب على حمله من الموالين للجيش - هي أنهم بدؤوا بقتل المواطنين، من دون أن يفوته التشديد على تفهمه لتعامل جنود الدعم السريع الفظّ معهما، قائلاً: "أنا ما زعلان منكم، ومن العملو معنا، لأنو ده إجراء أمني. شنو عرفكم إنو ده بيتنا أصلاً. لكن ما تكتلوننا، لأنكم ما بتكتلوا المواطن"⁽⁷⁶⁾. لهذا السرد التاريخي وظيفة تقف، زمانياً ودلائياً، عند حدود ضمان نجاة صاحبينا من هذا الموقف. وقد عضد محجوب هذا السرد عبر إبداء استعداده الكامل لمساعدة الجندي الذي أمامه في فكّ شيفرة هاتف، خمن عند حمله أنه ملك شخص آخر، لكنه تظاهر بالعمل على فكّ شيفرته، إلى حين نجاحه في إقناع القائد بإطلاق سراحه ورفيقه.

ثمّة نقاط التقاء بين وضعية محجوب وحالة السكان الأصليين خلال الاستعمار الإسباني، التي علّق عليها ميشيل دو سارتو، مركزاً على كيفية أدائهم الطقوس والشعائر والإجراءات القانونية المفروضة عليهم بطريقتهم الخاصة، مستندين إلى مرجعيات من خارج المنظومة الاستعمارية التي فرضت عليهم. فقد رأى أن طرائق استعمالهم للنظام المهيمن مثلت تلاعباً بسلطته، فظلوا "آخرين" داخل هذا النظام، قادرين على تقويضه من الداخل، من دون التمكن من الفكّ منه كلياً⁽⁷⁷⁾. وعلى غرار هؤلاء السكان الأصليين، ركن محجوب إلى استعمال الخطاب الرسمي للدعم السريع، ومفاده أنهم "جاؤوا لنصرة المواطن المستضعف وجلب الديمقراطية"، وإلى التظاهر بمساعدة الجندي في فكّ شيفرة الهاتف، ليقنع الجندي الأعلى رتبة بإخلاء سبيله. وبلغه دو سارتو، يمكن القول إنّ محجوب

(75) Hermez, p. 232.

(76) "لستُ عاتباً عليكم لتعاملكم معنا، فهو إجراء أمني، وليس ثمّة ما يثبت لكم أن البيت ملكنا. لكن ما أرجوه فقط هو أن لا تقتلوننا، فأنتم لا تقتلون المواطنين من دون سبب".

(77) دو سارتو، ص 23-24.

أعاد، في هذا الموقف، تعريف الصور والتمثيلات والمعاني المرتبطة بفعل التواطؤ أو "التعاون" مع الدعم السريع، ولم يوظفها تقنية لإعادة تملك المكان فحسب⁽⁷⁸⁾، بل وظفها أيضاً فعلاً ضرورياً لاستعادة الذات والسيادة عليها.

ينبغي، إذًا، موقعة سلوك محجوب ضمن سياق تبلغ فيه صيرورة العسكرية، بما هي تحويل ما لم يكن شأنًا عسكريًا في الأصل (مثل المشي في شوارع الحي، والدخول إلى البيت، والمحادثة اليومية بين الأهل والأصدقاء) إلى قضية عسكرية ترتبط بالسلاح، والتهديد، والإقصاء والصراع على السلطة، نهاياتها المنطقية. فمنظومة الحرب التي تختزل جميع تعقيدات الوجود الاجتماعي إلى منطلق ثنائي جعلت فعل دخول صاحب البيت إلى بيته رهانًا وجويًا، وفرضت على محجوب ورفيقه، على غرار مدنيين غيرهما، أشكالًا طارئة من الفعل ومن العلاقة بالذات والآخر. وعلى الرغم مما توفره قصة محجوب من مدخل لفهم جوانب من عسكرة الحياة اليومية على مستوى التفاعل البيئاتي، فإن ثمة مظهرات أخرى لعمل العسكرية، وصورًا لمقاومتها، يستدعي فهمها استحضار أمثلة إضافية.

5. أنماط التضامن في سياق الهشاشة

لنعد مرةً أخرى إلى الديم، حيث يتبلور شكلٌ آخر من أشكال المقاومة لعمليات الموت الاجتماعي التي يفرضها العيش في سياق معسكر. منذ اندلاع الحرب، بدأ الناس في مختلف بقاع السودان، وفي مقدمتهم لجان المقاومة وغرف الطوارئ، في إنشاء غرف الاستجابة الطارئة لدعم المدنيين، وتدشين مطابخ شعبية تُعرف بـ "التكاي". وتضاعف عدد التكايا في العاصمة الخرطوم، تزامنًا مع أزمات الغذاء والأمن التي فجّرتها الحرب، حيث شلّت حركة معظم الأسواق، خاصة في مناطق العمليات العسكرية، وبات الخروج إلى أسواق خارجية مسألة حياة أو موت. ويتشكل قوام التكايا السائد من مطبخ تقليدي ومجموعة من المتطوعات والمتطوعين، يتولّون جمع التبرعات وإعداد الأطعمة التي تُوزّع بحصص لا تهدف إلى الإشباع، بقدر ما تهدف إلى اتقاء الموت جوعًا. وتنوّعت التكايا والمطابخ الشعبية وغرف الطوارئ، مجسّدةً أحد أشكال التضامن خلال الحرب، وعكست وجهًا من التحولات الجارية في أسس تشكّل العلاقات الاجتماعية⁽⁷⁹⁾.

تتمظهر في الديم، التي لم يذع فيها صيت تكية بعينها، صورٌ مشابهة لحالة النجاة - مقاومة. وخلال العامين الأوّلين من الحرب، تجمّع نفرٌ لم يتجاوز عشرة أشخاص، اختاروا البقاء، أو اختارهم البقاء، في أحد منازل المنطقة. وراحت أعمارهم بين العشرين والستين عامًا، وتباينت مستوياتهم التعليمية بين غير المتمدرسين والجامعيين. يبدأ يومهم، كما أفادني أحدهم، على النحو الآتي: يستيقظ غالبيتهم ما بين الخامسة والسابعة صباحًا، ويصلّون جماعة في المنزل، ثم يخرج الشباب منهم في جولة تفقدية يَمرون خلالها على بيوت الحي لحصر ما نُهب منها خلال الليلة الماضية. ويتفقّدون كل بيت على

(78) المرجع نفسه، ص 24-25.

(79) تمثّل غرف الطوارئ إلى جانب ذلك نموذجًا لإدارة الشأن العام في سياق تتخفف/ تنغيب فيه الدولة عن أداء مسؤولياتها إزاء المواطنين.

حدة، ثم يغلقون أبواب المنازل المنهوبة. ولم يكن التعرف إلى البيوت المنهوبة مهمةً صعبةً، فترك أبوابها مشرعةً بعد نهبها هو النمط السائد في تعامل من امتنوا السرقة والنهب خلال الحرب. وبعد حصر هذه البيوت، يعودون إلى البيت الذي يتجمعون فيه، أو يعود كل منهم إلى بيته، ويتواصلون مع أصحاب البيوت التي نُهبَت لإبلاغهم بما حدث. واستمرت جولاتهم الصباحية مدة عام ونصف العام تقريباً، منذ اندلاع الحرب، ثم توقفت؛ لأنه لم يعد هناك ما يمكن نهبه، أو كما حدّثني أحدهم: "الوضع بقى أحسن لأنو ما فضل شي زاتو.. إلا يشيلو السقف بعد ده" (80).

قياساً على ما قاسوه من اقتحامات شبه يومية طوال الثمانية عشر شهراً الأولى للحرب، قلّ تعرّض هذه المجموعة للمضايقات، بعد نفاذ ما يُعدّ ثميناً بالنسبة إلى الدعم السريع، ومن شاركهم في سرقة الممتلكات. ولم يعد هناك "عبء ملكية". لكن ظلّ وجودهم في حد ذاته خطراً كافياً، يستدعي منهم التجمع في منزل واحد والاحتماء بعضهم ببعض. ويتبادلون طهي الطعام، ويؤدون صلواتهم جماعةً، ويتلون أذكّاراً صوفية الطابع، ويختتمون ذلك برفع أيديهم بالدعاء. وكان لا بدّ لكل واحد منهم أن ينام وإلى جانبه بطاقة هويته؛ فكثيراً ما استيقظوا على جنود من الدعم السريع موجّهين أسلحتهم إلى رؤوسهم، ليسألوا، في معظم الأحيان، ثلاثة أسئلة متتابعة: "بطاقتك وين؟ وين البيوت فيها العربات والذهب؟ شنو مقعدكم لحدي هسي؟" (81).

توضح الأسئلة المطروحة ثلاث مراحل في تعريف وضعية الشخص، وفي شكل العلاقة التي سينبثقها الجندي معه تبعاً لإجاباته. فإبراز الهوية يميّز مبدئياً "المدني" من "العسكري"، مجسّراً بذلك الانتقال من هوية "العدو المهدّد" إلى مرحلة أخرى يعرف "المدني" من خلالها إما بوصفه "متعاوناً" يشي بالمنازل الأجدر بالسرقة، وإما باعتباره شخصاً غير مرغوب فيه وموضوعاً لشك لا بد من تبديده من خلال تقديم مسوغات مقنعة لعدم مغادرته المنطقة. وعبر الأسئلة الثلاثة، يدور المرء في حلقة يعبر فيها من تهديد إلى آخر، وتتسم حالته، في مختلف مراحل استجابته، بوضعية ثابتة هي الانكشاف إزاء عنف محتمل.

بالنسبة إلى من بقوا، يقلّل تجمعهم في مكان واحد احتمالية الموت. ففي كل مرة تتهجم فيها مجموعة من الدعم السريع عليهم، يساندون بعضهم بعضاً بالتبريرات وبتقديم حجج معدّة بعناية وسرديات اتفقوا عليها حول هويتهم وأسباب بقائهم. ومثلّت الحاجة إلى النجاة، والتشارك في وضعية البقاء ضمن جغرافيا سياسية تعريهم أمام العنف المتفشي فيها، أهم أسس تشكّل هذه الجماعة. وتجسّد سلوكيات هذه الجماعة، مثل المكوث في الحيّ، وتوثيق الانتهاكات الممارسة، وإغلاق المنازل وحصر ما فُقد، وأداء الصلوات والأذكار الجماعية داخل المنزل (لأن الطريق إلى المسجد محفوف بمخاطر أكبر)، بعض ميكانيزمات النجاة والمقاومة المتاحة ضمن هذا الشرط. ومن خلال هذا الشكل

(80) خالد، مقابلة عبر واتساب، 2024/12/17. "أضحى الوضع أفضل لأنه لم يتبق شيء أصلاً (أي ليسرق).. ليس لهم إلا أن يأخذوا أسقف المنازل بعد الآن".

(81) عبد الله، مجموعة نقاشية، الدوحة، 2024/12/13. "أين بطاقة هويتك، أين البيوت التي يملك أصحابها سيارات وذخبا، وما الذي يقيكم في هذا المكان حتى الآن؟".

من التضامن، يجهد هؤلاء لاستعادة نسق الحياة اليومية وإنتاج معانٍ من داخل المنظومة المفروضة عليهم، في انتظار انفتاح إمكانية الفكّك.

يمكن إدراج ملاحظة أخيرة ترددت على مسمعي خلال عملي على هذا البحث، وهي استئجار بعض المواطنين الميسورين الذين نزحوا من العاصمة مواطنين آخرين للبقاء في منازلهم وحراستها من السرقة، بينما سمح آخرون لأفراد وعائلاتٍ بالسكن المؤقت فيها من دون دفع أجره أو تلقّيها. لهذه الممارسة أبعادٌ كثيرة تلتقي عند السؤال التالي: كيف تعيد الحرب تشكيل العلاقات الاجتماعية والتعاقدية بين الأفراد؟ وقد بدا لي هذا الشكل من علاقات التبادل عصياً على التأويلات الأحادية، كأن توصف بأنها علاقات استغلال، أو أشكال تضامن مثلاً. إنه ذلك، وأكثر. وهذا "الأكثر" هو ما يستلزم استكشاف مداخل جديدة لتحليلها، لعلّها تردّنا إلى تجربة العيش / الموت في فضاء معسكر؛ ذلك لأن حالة البقاء في بيت آخرين، نظير أجره، تعكس رغبةً في حماية الممتلكات لاقت حالة فاقة، وانحساراً في سبل كسب العيش خلال الحرب. إلى جانب ذلك، فهي بالنسبة إلى ملاك البيوت، في جانبٍ منها على الأقل، تعبير عن فداء الجسد بالمال عبر استجلاب "جسد بديل" أكثر استعداداً، بحكم هشاشته الاقتصادية، للانكشاف إزاء أنماط متنوعة من العنف. ويفتح التفكير في هذا الشكل من العلاقات على أسئلة من قبيل: من بقي في الخطوط أثناء سيطرة الدعم السريع عليها؟ ولماذا؟ وهي أسئلة تكشف عن أزمات بنيوية وتواريخ من التهميش لعلّها تتجاوز الإمكانيات التحليلية لمفهوم العسكرية.

خاتمة

حاولتُ في هذه الدراسة استكشاف بعض التحولات التي طرأت على الحياة اليومية في السودان، نتيجة الصراع المسلّح الذي اندلع، في نيسان/ أبريل 2023، بين الجيش وقوات الدعم السريع. وقد أثرتُ توظيف مفهوم العسكرية في قراءة هذه التحولات، لقيّمته التحليلية التي تعين على فهم ما يتبدّى اليوم على مستوى الحياة اليومية، مع إتاحتها في الوقت نفسه ربط هذه التحولات بصيرورات متجذرة في تاريخ الدولة السودانية الحديثة. وتميّزت هذه المحاولة باستكشاف عمل العسكرية في نطاقات يسيطر عليها فاعل لادولتي (الدعم السريع)، لتستهلّ بذلك نقاشاً حول القيمة المضافة التي يمكن أن تقدّمها قراءة العسكرية، انطلاقاً من وحدات تحليلية أصغر من الدولة. وعلى الرغم من إدراكي أنّ عسكرية الحياة في السودان ليست مخصصة بهذه القوة؛ ذلك لأن مظاهر تسليح المدنيين وانتهاكات حقوقهم وعسكرة اللغة اليومية سائدة أيضاً في نطاقات سيطرة الجيش، فإنّ خصوصية هذه الحالة أتاحت استكشاف نمط متميز من الذاتية، مشتق من المنطق الحاكم للفعل العسكري لدى القوة اللادولتية، وما يشكّله من فضاءات حياة/ موت تفسح فيه سيادة الدولة الوطنية الطريق لسيادة نقيضها.

على الصعيد النظري، ثمة مرتكزان رئيسان شكّلا عماد هذه المساهمة: أولهما إعادة تأطير العسكرية ضمن الافتراضات المؤسسة للدولة الحديثة، والتي كشفت عن بعض المركزية التي حكمت تطور المفهوم ودراسته على نحوٍ محدد. وثانيهما موقعة حرب نيسان/ أبريل 2023، ضمن صيرورة تاريخية من العسكرية، بما يقتضي إعادة تعريف هذه الحرب بوصفها لحظة تكثيف وتوزيع لمسارٍ يمتد إلى

بدايات تشكّل الدولة السودانية من ناحية، والنظر إلى العسكرة، من ناحية أخرى، بوصفها صيرورة لإعادة تشكيل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، ضمن جغرافيا سياسية محددة، وفق اعتبارات الممارسة العسكرية بوصفها ممارسة سيادية.

وهاتان الخطوتان هما بعض مستلزمات مقاربة العسكرة انطلاقاً من عدسة اليومي؛ إذ أوضحنا كيف تغدو مجريات المعارك العسكرية ونتائجها عاملاً حاسماً في تقرير الشكل الذي تتخذه حياة المدنيين في نطاقها. وما يميّز هذه الحياة تحركها على متّصل من الهشاشة المنتجة عبر تاريخ ممتد، والمُعاد إنتاجها ضمن سياق حرب نيسان/ أبريل، ومن ثم قُعدت أساساً لتمثّل هيئات جديدة للجسد، والفضاء - الزمان، والآخر، والدولة، ونقائضها، والموقع الذي تحتله الذوات في العلاقة بها.

تغيّر الكثير منذ أن استهللت العمل على هذه الدراسة، التي حذفت منها جوانب عديدة، إذعائاً لحدود موضوعها وأهدافها. ولعل أبرز تجلّيات حدودها ضيق حركتها المكانية مقارنةً بحركتها الزمانية، المجسّدة في تتبّع العسكرة بوصفها صيرورة تاريخية. ولنا في حالات النزوح ومسارات الهجرة التي ترسمها آثار أقدام النازحين واللاجئين من ولايات الحرب بؤراً معرفية وسياسية تنتظر استكشافها. وإلى جانب هذا السكون المكاني، تبرز محدودية مجالها الإثنوغرافي، باقتصاره على حيّز لا يتعدّى ثلاثة أحياء من مدينة الخرطوم، هذا فضلاً عن العدد المحدود للظواهر المُسترشّد بها في استقراء تظاهرات العسكرة على صعيد الحياة اليومية، والتي استُبعدت منها، على سبيل المثال التحولات الجارية في أنماط الزواج وطقوس الدفن، والتي قد تختزن معارفَ أعمقَ عمّا يعنيه العيش/ الموت في سياق حرب نيسان/ أبريل.

هذه بعض الأسئلة التي لم يسعني الإجابة عنها، والتي أطرحتها في الختام في إطار دعوة إلى مشاريع بحثية مستقبلية. وليست هذه الدراسة، بعيداً عن أهدافها المعلنة، سوى محاولة متواضعة لاقتراح مناظير جديدة، تغادر المداخل التي حكمت تاريخ التفكير في أزومات السودان. فالعسكرة، إذاً، ليست سوى مدخل من بين مداخل متعددة للقراءة، أمل أن نبدأ استكشافها على نحوٍ جماعي. وما اليوميّ إلا نيلنا المهيب الذي تقبع في أعماقه مواقع جديدة للمعرفة والحرية.

References

المراجع

العربية

أحمد، حسن الحاج علي. "الانقلاب العسكرية بمنزلة عملية سياسية: الجيش والسلطة في السودان". سياسات عربية. العدد 24 (كانون الثاني/ يناير 2017).

_____. "فترة انتقالية مضطربة: تحولات التحالف الهجين في السودان". عمران. مج 12. العدد 47 (شتاء 2024).

أرندت، حنة. في العنف. ترجمة إبراهيم العريس. بيروت: دار الساقي، 1992.

- أسد، طلال. جينالوجيا الدين: الضبط وأسباب القوة في المسيحية والإسلام. ترجمة محمد عصفور. بنغازي: دار المدار الإسلامي، 2017.
- أغامبين، جورجيو. حالة الاستثناء: الإنسان الحرام (1،2). ترجمة ناصر إسماعيل. القاهرة: دار الكتب المصرية، 2015.
- _____. المنبذ: السلطة السيادية والحياة العارية. ترجمة عبد العزيز العيادي. بغداد/ كولونيا: منشورات الجمل، 2017.
- إبراهيم، عبد الله علي. جنجويد وحاكورة: الماركسية وصدأ الريف. الخرطوم: دار المصورات للطباعة والنشر، 2022.
- بشارة، عزمي. الجيش والسياسة: إشكاليات نظرية ونماذج عربية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.
- جيجيك، سلافوي. العنف: تأملات في وجوه الستة. ترجمة فاضل جتكر. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.
- الجيش والسياسة في مرحلة التحول الديمقراطي في الوطن العربي. محمد جمال باروت (محرر). الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.
- حمدي، زهير. "انقلاب مصر: مقارنات تاريخية بتجارب أخرى". سياسات عربية. العدد 4 (2013).
- خوجلي، عبد الرحمن. الجيش والسياسة. الخرطوم: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2012.
- دورلين، إلزا. فلسفة العنف. ترجمة جلال بدلة. بيروت: دار الساقى للطباعة والنشر، 2021.
- دو سارتو، ميشال. ابتكار الحياة اليومية: فنون الأداء العملي. ترجمة محمد شوقي الزين. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011.
- الزين، حواء والشفاء الأمين. "سجال الكلمات والرصاص في السودان: تحليل إثنوغرافي رقمي لخطاب حرب الخامس عشر من نيسان/ أبريل". عمران. مج 14، العدد 53 (صيف 2025).
- شميت، كارل. مفهوم السياسي. ترجمة سومر المير محمود. القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2017.
- الفكي، عبد الرحمن. تاريخ قوة دفاع السودان. الخرطوم: الدار السودانية للكتب، 1971.
- كاليفاس، ستاثيس. منطق العنف في الحروب الأهلية. ترجمة عبيدة عامر. الدوحة: دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، 2021.

- كوريتا، يوشيكو. علي عبد اللطيف وثورة 1924: بحث في مصادر الثورة السودانية. ترجمة مجدي النعيم. القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2004.
- لوفيفر، هنري. "معرفة الحياة اليومية: الماركسية بوصفها معرفة نقدية بالحياة اليومية". ترجمة نادر ديب. أسطور. مج 3، العدد 5 (كانون الثاني/ يناير 2017).
- مبروك، مهدي. "أوهام الاستثناء التونسي: المجتمع المدني وامتحان تجربة الانتقال الديمقراطي". عمران. مج 13، العدد 50 (خريف 2023).
- محمد، محمد سليمان، السودان: حروب الموارد والهوية. ط 3. الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2010.
- مكاوي محمد قيلي، بهاء الدين. "تنامي ظاهرة العسكرة في السودان: المظاهر والأسباب والتداعيات". سياسات عربية. مج 12، العدد 71 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2024).
- ناشف، إسماعيل. صور موت الفلسطينيين. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.
- _____ . "عمل الحد: قراءة مختلفة للصهيونية". تبين. مج 9، العدد 34 (2020).

الأجنبية

- Adler, Patricia A., Peter Adler & Andrea Fontana. "Everyday Life Sociology." *Annual Review of Sociology*. vol. 13 (1987).
- Alexander, Michelle. *The New Jim Crow: Mass Incarceration in the Age of Colorblindness*. New York: The New Press, 2010.
- Biehl, João, Byron Good & Arthur Kleinman (eds.). *Subjectivity: Ethnographic Investigations*. Berkeley: University of California Press, 2007.
- Butler, Judith. *Frames of War: When Is Life Grievable?* London: Verso, 2009.
- Enloe, Cynthia. *Globalization and Militarism: Feminists Make the Link*. 2nd ed. Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2016.
- Gareth, H. H. & C. Wright Mills. *From Max Weber: Essays in Sociology*. New York: Oxford University Press, 1946.
- Günel, Gökçe & Watanabe, Chika. "Patchwork Ethnography." *American Ethnologist*. vol. 51, no. 1 (2024).
- Hall, Abigail R. & Christopher J. Coyne. "The Militarization of U.S. Domestic Policing." *The Independent Review*. vol. 17, no. 4 (2013).

Hermez, Sami. "'The War Is Going to Ignite': On the Anticipation of Violence in Lebanon." *Political and Legal Anthropology Review*. vol. 35, no. 2 (2012).

Kuhn, Philip A. *Rebellion and Its Enemies in Late Imperial China: Militarization and Social Structure 1796–1864*. London: Harvard University Press, 1970.

Mann, Michael. *War and Capitalism: Studies in Political Sociology*. Oxford: Basil Blackwell, 1988.

Mbembe, Achille. "Necropolitics." Libby Meintjes (trans.). *Public Culture*. vol. 15 (2003).

Mohammed, Nadir A. L. "Militarization in Sudan: Trends and Determinants." *Armed Forces & Society*. vol. 19, no. 3 (1993).

Nelson, Lise & Joni Seager (eds.). *A Companion to Feminist Geography*. Malden, MA: Blackwell Publishing, 2005.

Vagts, Alfred. *A History of Militarism: Civilian and Military*. New York: The Free Press, 1959.

West, Brad & Thomas, Crosbi. *Militarization and the Global Rise of Paramilitary Culture: Post-Heroic Reimaginings of the Warrior*. Singapore: Springer, 2021.

لميا مغنية | Lamia Moghnieh*

العنف الإسرائيلي في لبنان: المشهد النفسي للحرب وخطابات التروما والصمود

Israeli Violence in Lebanon: The Psychological Landscape of War and Discourses of Trauma and *Sumud*

ملخص: تُقدِّم الدراسة تحليلًا نقديًا لخطابات المعاناة النفسية في لبنان، ارتكازًا على مفهوم استعادة الإنسانية، بوصفه محورًا للشفاء من العنف الإسرائيلي، وتُحاجَّ بأنَّ هذا العنف قد يكون غير متساو تجاه لبنان وتجاه فلسطين، لكن من المهم ربط التجربتين المعيشيتين؛ لكونهما نتيجتين لعنف استعماري استيطاني إسرائيلي واحد. وتستكشف الدراسة المشهد النفسي في لبنان اعتمادًا على بحث إثنوغرافي وأرشيبي عن الطب النفسي الإنساني والحروب الإسرائيلية، مستعرضةً خطاب هذا النوع من الطب في لبنان، وإشكاليات ثنائية التروما - المرونة النفسية. وتُركِّز إمبريقًا على الاجتياح الإسرائيلي عام 1982، والنقاشات التي تلت الحدث حول الصدمة النفسية والقدرة على الصمود. وتختتم بدعوة إلى الخروج من محورية المعاناة، بوصفها موقعًا للإنسانية والشفاء النفسي السياسي، من خلال استكشاف الأساليب الأخرى للنجاة والتعافي من العنف الإسرائيلي.

كلمات مفتاحية: العنف الإسرائيلي، التروما، المرونة النفسية، الصمود، لبنان.

Abstract: This article offers a critical analysis of narratives of suffering in Lebanon, taking the concept of re-humanization as a central mode of healing from Israeli violence. Its fundamental argument is that, while Israeli violence in Lebanon and Palestine may not be identical, it is important to link these lived experiences as products of the same Israeli settler colonial violence. The article explores the psychological landscapes in Lebanon by drawing on ethnographic and archival research on humanitarian psychiatry and the Israeli wars. It reviews the discourse of humanitarian psychiatry in Lebanon and the problems behind the binary of trauma and *sumud*, using the example of the 1982 Israeli invasion and subsequent debates on psychological trauma and *sumud* practices. The article offers several reflections, calling for a shift away from the centrality of suffering as a site of humanity and psychopolitical healing. It concludes by exploring alternative ways of surviving and healing from Israeli violence.

Keywords: Israeli Violence, Trauma, Resilience, *Sumud*, Lebanon.

* أستاذة مشاركة في قسم الدراسات الإنكليزية والألمانية والرومانسية بجامعة كوبنهاغن، الدنمارك.

Associate Professor in the Department of English, Germanic and Romance Studies at the University of Copenhagen, Denmark. Email: lamia@hum.ku.dk

مقدمة

تبحث الدراسة في الأسئلة التي تناولها الطيبان غسان أبو ستة وروبا ماريا في الأشهر الأولى من شنّ الإبادة الإسرائيلية في فلسطين منذ تشرين الأول/ أكتوبر 2023، في مقالهما "العلاج العميق لاستعادة الإنسانية للفلسطينيين"⁽¹⁾، الذي تطرقاً فيه إلى دور الطب والمتخصصين في مجال الصحة في عملية استعادة الإنسانية Rehumanization للفلسطينيين، مرتكزين على المحور السياسي لأجسام الفلسطينيين خلال الإبادة وتبعاتها، داعين إلى إرجاع السياسة إلى مجالي الطب والصحة. وختم الطيبان مقالهما بالدعوة إلى النظر إلى الشفاء الجماعي بوصفه طريقاً للتحرر من العنف الاستعماري الإسرائيلي:

أن نرى ما هو لامرئي يعني أن نتعرّف إلى أثر السلطة في تغيير واقعنا وصحتنا. أن نتذكر كيف نرى الإنسانية، في أولئك الذين نُفيت الإنسانية عنهم، يُمثل خطوة جذرية في شفائنا المجتمعي من جرائم الحاضر والماضي، التي هي من إرث الاستعمار. نحن أطباء ملتزمون بشفاء الإنسانية، ونحن ندعو العالم إلى أن يتحد في دعوته إلى وقف إطلاق النار وإنهاء القمع العنيف للشعب الفلسطيني. إنّ استعادة الإنسانية هو الدواء الذي نحن في أمسّ الحاجة له⁽²⁾.

وقد قدّمتُ، سابقاً، تصوري لدور المعالجين النفسيين والطب النفسي في عملية استعادة الإنسانية خلال الإبادة، وعملية تحرير الأنفس المعرضة للعنف الإسرائيلي ومعايشته، وسُبل التعافي من ذلك. وقدّمت نقدي، أيضاً، للخطابات النفسية التي تحوم حول التروما والصمود⁽³⁾. وركّزت محاولتي السابقة على تخيل مسار سياسي للشفاء من العنف الإسرائيلي، محوره عملية استعادة للإنسانية بأجزائها النفسية والسياسية والاجتماعية. وفي هذه الدراسة، أستكمل مشروعني بالتوسّع في التحليل النقدي لهذه الخطابات، والتركيز على المشهد النفسي بشأن العنف الإسرائيلي في لبنان، منطلقاً من حجة رئيسة متمثلة في القول الآتي: قد لا يكون العنف الإسرائيلي في لبنان وفلسطين وتجارب الأفراد والمجموعات معه على قدر متساوٍ؛ ذلك أنّ الإبادة، بوصفها أقصى أساليب العنف الإسرائيلي، قد لا تكون بمنزلة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان مثلاً. ومع ذلك، من الضروري تحليل التجارب المعيشة وربطها، بوصفها ناتجة من عنف استعماري استيطاني إسرائيلي واحدٍ للإنسانية Dehumanizing⁽⁴⁾.

(1) Ghassan Abu Sitta & Rupa Marya, "The Deep Medicine of Rehmanizing Palestinians," *Yes Magazine*, 1/11/2023, accessed on 2/2/2026, at: <https://acr.ps/1L9F2eX>

(2) Ibid.

(3) Lamia Moghnieh, "On Trauma/Resilience and Psychological Suffering: How Can the Palestinians Be Rehmanized?" *Untold Magazine*, 20/2/2025, accessed on 2/2/2026, at: <https://acr.ps/1L9F2uj>

(4) ينظر على سبيل المثال: لميا مغنية، "الطفولة والعنف الإسرائيلي: محاولة لربط الجروح"، مجلة حكاية ما انحكت، 2024/9/6، شوهد في 2026/2/2، في: <https://acr.ps/1L9F2F9>

Sami Hermez, "The Levantine Warscape: Methodological Nationalism and the Politics of Normalization with the Israeli State," *Middle East Critique* (August 2025), pp. 1–20.

إنّ تصنيف بدايات العنف الإسرائيلي في لبنان ونهاياته، والاعتماد على سردية تاريخية موحدة له ولتداعياته على نفسيات الأفراد والمجموعات، أمرٌ صعب، وقد يكون خاليًا من الجدوى. فتاريخ هذا العنف مترام بحجم التجارب المجتمعية المعاشة له، وسرديته متشعبة ومعقدة. ولا يمكن فصل العنف الإسرائيلي في لبنان عن تاريخه في فلسطين، ونكبة عام 1948. فقد بدأ التوغل والعمليات العسكرية الإسرائيلية في جنوب لبنان منذ عام 1978، وبدأ الاجتياح الإسرائيلي الأول على لبنان عام 1982 خلال الحرب الأهلية اللبنانية التي استمرت 17 عامًا. وقد استمرت عمليات الاغتيالات والتفجيرات الإسرائيلية في أثناء هذه الحرب. واحتلت إسرائيل جزءًا من جنوب لبنان حتى تحريره في عام 2000. وبعد الحرب الأهلية، شهد لبنان عمليات حربية إسرائيلية مختلفة منها حرب "عناقيد الغضب" (1996)، وحرب تموز (2006). وفي الفترة الأخيرة، بدأت العمليات العسكرية الإسرائيلية في جنوب لبنان بعد شنّ حرب الإبادة في غزة بيوم، أي يوم 8 تشرين الأول/أكتوبر 2023، ثم تفاقمت إلى حرب كاملة في أيلول/سبتمبر 2024، ومن ثم وقف إطلاق النار في تشرين الثاني/نوفمبر 2024⁽⁵⁾. واندلعت الحرب مجددًا يوم 2 آذار/مارس 2026، ليستمر العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان، واحتلاله جزءًا منه حاليًا، على الرغم من وقف إطلاق النار في نيسان/أبريل 2026. لذلك، لا يبدو أنّ للعنف الإسرائيلي "نقطة بداية" أو "نقطة نهاية"، خاصة بالنسبة إلى التجربة النفسية⁽⁶⁾.

في هذا السياق، تُركّز الدراسة على الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، والإصلاحات في مجال الصحة النفسية التي أتت بعده، والجدل الذي تلا ذلك حول الصدمة النفسية والقدرة على الصمود. وأفرّق هنا بين مصطلح "المرونة النفسية"، ومصطلح "الصمود". فالأول مصطلح نفسي بحث، انبثق من الأبحاث والاختبارات النفسية التي أجريت على قدرة الأطفال على التحمل في المواقف الصعبة، ثم أصبح مفهومًا عالميًا ومحوريًا في الخطابات النفسية المتعلقة بالصحة العامة والفهم الإنساني للمعاناة⁽⁷⁾. أمّا الثاني، فمصطلح سياسي محلي، يحمل في طياته كمنًا من الأساليب الجسدية والنفسية اليومية لمقاومة العنف الإسرائيلي⁽⁸⁾. وعلى الرغم من أنّ المصطلحين يأتیان من تاريخين

(5) للاطلاع على بعض المراجع التاريخية المتعلقة بالعنف الإسرائيلي في لبنان، ينظر: علي بيضون، بيروت... ناس ومقاومة: الاجتياح الإسرائيلي للبنان صيف عام 1982 (بيروت: التنوير للنشر والطباعة والتوزيع، 2012)؛ منذر جابر، الشريط اللبناني المحتل: مسالك الاحتلال، مسارات المواجهة، مصائر الأهالي (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)؛ محمد صفا، موسوعة معتقل الخيام: القصة الكاملة (بيروت: دار الفارابي، 2021)؛ جلال شريم، إرادات وقيود: دراسة أثروبولوجية في معتقل الخيام (بيروت: مكتبة النخبة الجامعية، 2011)؛ محمود سويد، إسرائيل/ جنوب لبنان: سياسة الأرض المحروقة والحل المفروض (من "تصفية الحسابات" 1993 إلى "عناقيد الغضب" 1996) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996)؛

Gilbert Achkar & Michel Warschawski, *The 33 Day War: Israel's War on Hizbollah in Lebanon and Its Consequences* (London: Routledge, 2007).

(6) Lamia Moghnieh, "War Threshold: The Psychological Landscape of Israeli Violence," *Kohl: A Journal for Gender and Body Research*, vol. 12, no. 1 (July 2026).

(7) Michael Pettit, "What Counts as Resilience? Childhood Adversity, Psychiatric Epidemiology, and the Coloniality of the 'Invulnerable'," *History of the Human Sciences* (May 2026).

(8) لتاريخ مصطلح الصمود، ينظر: "صمود: المقاومة كممارسة يومية"، الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، شوهد في 2026/8/30، في: <https://acr.ps/hBxVKeX>؛ ينظر أيضًا:

Livia Wick, *Sumud: Birth, Oral History, and Persisting in Palestine* (Syracuse: Syracuse University Press, 2023).

وسياقين مختلفين، فقد استخدمهما على نحو متبادل بعض الباحثين عند دراستهم للمعاناة والعنف في لبنان وفلسطين؛ فبدت المرونة النفسية كأنها مرادف للصمود. لكن تطرقت، في الفترة الأخيرة، بعض الباحثات في علم النفس النقدي إلى الاختلاف الجذري بينهما على صعيد التسييس، وذلك في سياق تحليل خطابات المرونة النفسية في لبنان بعد انفجار مرفأ بيروت عام 2020. وقد دعت الباحثات إلى إدراج ممارسات المقاومة السياسية المرتبطة بالصمود لدى البحث في المرونة النفسية للعنف في لبنان، بصفتها وسيلة لتسييس المصطلح النفسي⁽⁹⁾. أمّا النقاشات التي تعلق بالاجتياح الإسرائيلي عام 1982 من جانب الخبراء وفي المجال العام، فقد ساهمت في تشكيل سياسات المعاناة في لبنان المعاصر؛ إذ أُرست ثنائية الصدمة - المرونة، وأسست لسردية الصمود في مواجهة العنف الإسرائيلي، ورسمت حدود خطاب المعاناة منه.

تستكشفُ هذه الدراسة المشهد النفسي للعنف الإسرائيلي في لبنان، اعتماداً على بحث إثنوغرافي وأرشيفي بشأن حرب تموز والاجتياح الإسرائيلي، وتسعى لاستنطاق الإيماءات النفسية والوجدانية في سرد التجربة المتراكمة للعيش تحت وطأة العنف الإسرائيلي، مراجعةً الأدبيات النقدية في مجال الصحة النفسية. وتحاول من خلال هذا الإجابة عن سؤالين رئيسيين: هل يمكن أن يعيد الطبُّ النفسي الإنساني Humanitarian Psychiatry الإنسانية Rehumanize إلى من أُريد سلبها منه، على المستويات المادية والنفسية والاجتماعية؟ وكيف يعيش اللبنانيون العنف الإسرائيلي ويتذكرونه وينجون منه؟

تستعرضُ الدراسة أولاً خطاب الطب النفسي الإنساني في لبنان، وإشكاليات خطاب التروما والصمود، مركزةً على الإطار الإنساني المتمثل في ثنائية التروما - المرونة النفسية Resilience؛ وهي ثنائية معولمة للمعاناة النفسية جرى تبنيها وانتقادها بطرائق مختلفة في مواجهة ممارسات العنف. ومن خلال التركيز على مفهوم "إعادة الإنسانية"، بوصفها عنصراً محورياً في فهمنا لأخلاقيات وسياسات العيش والنجاة من العنف الإسرائيلي، تحاجّ الدراسة بضرورة الابتعاد عن هذه الثنائية، والتركيز على الطرائق المجتمعية للتعافي النفسي. ففي ظل التجارب الحياتية المختلفة للعنف الإسرائيلي، تستحيلُ هذه الطرائق مخزوناً معرفياً مجتمعياً يعيّننا على إعادة التفكير في معنى أن نكون بشراً اليوم.

أولاً: الطب النفسي الإنساني وخطابات التروما والمرونة النفسية

الطب النفسي الإنساني هو أحد أشكال الخبرة الإنسانية التي توظف التشخيصات والعلاجات الطبية، من أجل "نَقْصَةِ" المعاناة والعنف في مواقع النزاع وما بعده⁽¹⁰⁾. وقد دُمجت العلاجات النفسية في العمل الإنساني في أواخر ثمانينيات القرن العشرين، وأظهر هذا الدمج التحوّلات

(9) Yara Zebian, Haneen Eldiri & Rim Saab, "Resilience Versus Resistance? Insights from the Recent Multiple-Crises Context of Lebanon," in: Yasemin Gulsum Acar, Blerina Kellezi & Sandra Penić (eds.), *The Power of Collective Resilience Against Political Violence and Repression* (London: Routledge, 2025), pp. 86-103.

(10) Gerard A. Jacobs, "The Development and Maturation of Humanitarian Psychology," *American Psychologist*, vol. 62, no. 8 (2007), pp. 932-941.

التي طرأت على هوية العمل الإنساني وسياساته وأخلاقياته، وأثر في كيفية فهم العاملين في المجال الإنساني آثارَ الحروب (خاصة غير المرئية منها)، وكيفية معالجتها. وكان مصطلح "التروما" في صميم هذه العلاجات؛ إذ "أصبح الإنسان الذي يعاني الصدمة [...] التجسيد الحقيقي لإنسانيتنا المشتركة"⁽¹¹⁾. وفي حين يُستخدم مصطلح "الطب النفسي الإنساني" لوصف البرامج الإنسانية المختلفة التي استُعملت من قبل المنظمات الإنسانية في النزاعات، فإنني أستخدم هنا هذا المصطلح للإشارة إلى النمط الشامل من التدخل الإنساني الأخلاقي والاجتماعي والمادي والعلمي، المعني بالوجع النفسي.

تقاطع اهتمام العمل الإنساني المتعلق بجراح المدنيين النفسية في النزاعات والحروب في أوائل الثمانينيات مع إدماج اضطراب "ما بعد الصدمة" Post-Traumatic-Stress Disorder، في الدليل الأمريكي التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية الثالث Diagnostic and Statistical Manual-III⁽¹²⁾. وقد أضاف ذلك شرعية علمية وطبية إلى مصطلح التروما، باعتباره اضطراباً نفسياً يحدث بعد تلقي الصدمة؛ ما حوّلته إلى اضطراب عالمي قادر على تفسير المعاناة غير الجسدية الناتجة من العنف⁽¹³⁾. وقد انسجم ذلك مع المطالب المتزايدة بالاعتراف الشامل والعالمي بمعاناة المجموعات المتضررة من العنف من الناحية النفسية، والحاجة إلى تدخل إنساني مناسب يُعالج هذه الأنواع من الإصابات⁽¹⁴⁾.

أصبح مصطلح التروما نموذجاً وقياساً عالمياً لمعاناة العنف، وهي "معاناة بلا حدود، ومعاناة لا تعرف الحواجز الثقافية"⁽¹⁵⁾، وبات الأداة المثلى لجعل آثار العنف مرئية ومقروءة في الخطابات العامة والطبية والقانونية، كما هو الشأن في خطابات حقوق الإنسان⁽¹⁶⁾. وبذلك، عكست التروما جوهر

(11) Didier Fassin et al. (eds), *The Empire of Trauma: An Inquiry into the Condition of Victimhood* (Princeton: Princeton University Press, 2009), p. 33.

(12) الدليل الأمريكي التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية الثالث، هو دليل نشرته الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين عام 1980، وبرز فيه المرة الأولى اضطراب ما بعد الصدمة، بوصفه مرضاً نفسياً عيادياً، وقد اعتمدته عالمياً منظمة الصحة العالمية لصياغة برامج التروما الإنسانية. ينظر:

Allan Young, *The Harmony of Illusions: Inventing Post-Traumatic Stress Disorder* (Princeton: Princeton University Press, 2001); Ethan Waters, *Crazy Like Us: The Globalization of the American Psyche* (New York: Free Press, 2010); Rick Mayes & Allan V. Horwitz, "DSM-III and the Revolution in the Classification of Mental Illness," *Journal of the History of the Behavioral Sciences*, vol. 41, no. 3 (2005), pp. 249–267.

(13) Joshua Breslau, "Introduction: Cultures of Trauma: Anthropological Views of Posttraumatic Stress Disorder in International Health," *Culture, Medicine and Psychiatry*, vol. 28, no. 2 (June 2004), pp. 113–126; Derek Summerfield, "A Critique of Seven Assumptions behind Psychological Trauma Programmes in War-Affected Areas," *Social Science & Medicine*, vol. 48, no. 10 (1999), pp. 1449–1462.

(14) Marjorie Agosin, *Women, Gender, and Human Rights: A Global Perspective*, 2nd ed. (New Brunswick: Rutgers University Press, 2002); Michael Humphrey, *The Politics of Atrocity and Reconciliation: From Terror to Trauma*, Routledge Studies in Social and Political Thought, no. 34 (London: Routledge, 2002).

(15) Fassin et al. (eds), p. 239.

(16) Judith Butler, *Precarious Life: The Powers of Mourning and Violence* (London: Verso, 2006); Judith Butler, *Frames of War: When Is Life Grievable?* (London: Verso, 2016).

الإنسانية الحديثة والمشاركة، التي ظهرت بوصفها كياناً هشاً وقابلاً للإصابة، على نحو يشهد على العنف والظلم ويواجههما.

سواء عُرِفَت التروما وتأثيرها في الطب النفسي الإنساني على أنها اضطراب ما بعد الصدمة Post-traumatic Stress Disorder-PTSD، أو استُحضرت في الثقافة العامة بطرائق مختلفة، فإنها مصطلح مراوغ اكتسب معاني مادية، وبيروقراطية، وسياسية، وعلمية، وعلاجية، مختلفة لدى الأفراد والمجتمعات. فالسرديات المؤسسية للتروما (أكانت سرديات إنسانية، أم نفسية، أم دولية) لا تتقارب دائماً مع الاستخدام المجتمعي والعام لها. وفي عصر سياسة الإصابة Injury Politics اليوم⁽¹⁷⁾، تأخذ التروما معاني ومطالب سياسية وأخلاقية جديدة. فقد استُخدمت لغة التروما لدى مجموعات ومجتمعات بوصفها أداة سياسية من جهة، وانتُقدت لكونها غير سياسية إلى حد بعيد من جهة أخرى؛ إذ سعت المجموعات إلى إعادة تعريفها واستعمالها لتحقيق المطالب والعدالة الاجتماعية، وإثبات معاناتها، والتعافي منها.

اشتبكت النقاشات حول التروما واضطراب ما بعد الصدمة في المنطقة العربية مع أسئلة أوسع حول سياسات المعاناة (كيف نصوغ معاناتنا؟ ولماذا نصوغها أيضاً؟) من أنظمة حكم عنيفة وظالمة وقمعية. وفي مصر مثلاً، أخذت التروما أهمية كبيرة، خاصة لدى الناشطات والنسويات اللواتي كافحن للتأقلم مع قمع ما بعد الثورة. فالعمل الذي أنتجته النسويات المصريات، والذي يوثق تجارب العنف ضد النساء وضحايا التعذيب، أعاد وضع التروما النفسية في مركز السياسة المصرية بوصفها جرحاً يدين العنف الدولة والعنف الذكوري⁽¹⁸⁾. أما في سورية، فقد ظهرت بُعيد الثورة منشورات شخصية، وتأملات، وتحليلات تُعنى بكيفية التعامل مع العنف السلطة الذي لا يمكن سرده، والتروما، والذاكرة، والعيش في المنفى بعد العنف⁽¹⁹⁾. وظهرت الأفلام الوثائقية السورية طريقةً للشهادة ولسرد العنف المعيش؛ وهو ما أسس لتمرين جماعي متمثل في تفسير هذه الأحداث وإعطائها معنىً سياسياً نفسياً⁽²⁰⁾.

(17) Wendy Brown, *States of Injury: Power and Freedom in Late Modernity* (Princeton: Princeton University Press, 2025).

(18) ينظر على سبيل المثال:

Kholoud Saber Barakat & Pierre Philippot, "The Lives of Egyptian Women between Continuous Trauma and Everyday Resistance: A Feminist Analysis of Narratives of Five Survivors in the Context of 2011 Revolution and Its Aftermath," *Gender Issues*, vol. 41, no. 1 (2024), p. 2; Frances Hasso, "Beyond the Treatment Room: The Psyche-Body-Society Care Politics of Cairo's El-Nadeem," *Signs: Journal of Women in Culture and Society*, vol. 49, no. 1 (2023), pp. 7-35; Vivienne Matthies-Boon, "Shattered Worlds: Political Trauma amongst Young Activists in Post-Revolutionary Egypt," *The Journal of North African Studies*, vol. 22, no. 4 (2017), pp. 620-644.

(19) ينظر مثلاً المقالات والنصوص التي تنشرها منصات رقمية مثل: سوريا ما انحكت، شوهده في 2026/8/30، في: <https://acr.ps/1L9F2Kf>؛ الجمهورية، شوهده في 2026/8/30، في: <https://acr.ps/1L9F2FB>؛ ينظر أيضاً: ياسين الحاج صالح، الفطيع وتمثاله: مداولات في شكل سوريا المخرب وتشكلها العسير (بيروت: دار الجديد، 2021).

(20) ينظر مثلاً:

Soumitree Gupta & Crystine Miller, "Bearing Witness in A Post-Factual Age," *Afterimage*, vol. 45, no. 2-3 (2017), pp. 13-19; Dima Saber & Abdul Rahman al-Jaloud, "The Syrian Archive Digital Memory Project: Archiving as Testimony, as Evidence, as Creative Practice," *Visual Anthropology*, vol. 37, no. 1 (February 2024), pp. 19-34.

في السياق الفلسطيني، انتقد اضطراب ما بعد الصدمة الناجمة عن العنف الإسرائيلي، باعتباره أنه مفهوم إمبريالي وغير سياسي، ولا يتوافق مع الطبيعة الزمنية للعنف الاستيطاني وعنف تجربة اللجوء⁽²¹⁾. أما في البلدان الأوروبية والأميركية الشمالية، فقد أضحت التروما بمنزلة تأشيرة؛ ورقة بيروقراطية تعلن أن هذا الشخص ليس مرتكباً للعنف، بل ضحية له، ومن ثمّ يحق له دخول أوروبا⁽²²⁾. وعندما يدخل اللاجئون إلى أوروبا أو الولايات المتحدة الأميركية وكندا، تُعامل التروما النفسية بصفتها تهديداً أمنياً للمجتمع الغربي، فيضحي اللاجئون المصابون بالصدمة النفسية من العنف "مخيفين"، ويصيرون أكثر عرضةً لارتكاب العنف الذي شهده. وبذلك، يحتاجون إلى علاجات نفسية تُطهّرهم من العنف القديم، لكي يدمجوا بطريقة فعّالة في المجتمع الغربي "الخالي من العنف".

ثانياً: التروما والصمود والعنف الإسرائيلي في لبنان

في لبنان، كانت قصة التروما الناتجة من الحروب الإسرائيلية والاحتلال، في كثير من الأحيان، قصة اختفاء أو غياب. ففي حين كان الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982 إحدى الحروب التي ساعدت في تعزيز تشخيص اضطراب ما بعد الصدمة في الدليل التشخيصي والإحصائي الثالث - مع التركيز على حالات الصدمة النفسية من الجانب الإسرائيلي من جنود، ومدنيين، ومتخصصين - فإن الأطباء النفسيين وجدوا صعوبةً في الكشف عن المجتمعات المصابة بالتروما وعلاجها في لبنان، وفي إيجاد أثر الصدمة النفسية في عام 1982؛ ومن ثم حرب تموز (2006). وانطلاقاً من سردية غياب المعاناة والتروما من العنف الإسرائيلي في لبنان، برز مصطلح "الصمود" في لبنان، بوصفه تفسيراً نفسياً وسياسياً لهذا الغياب⁽²³⁾. لننظر في مثال دالّ على غياب التروما خلال الاجتياح والاحتلال الإسرائيلي للبنان سنة 1982.

جاء الاجتياح بعد حوالي سبع سنوات من اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990)، وقد أعقبه ظهور تدريجي للتدخلات الإنسانية النفسية في لبنان. انتهى الاجتياح باحتلال الجنوب جزئياً، وهزيمة الفصائل الفلسطينية المسلحة وخروجها من لبنان، ومجزرة صبرا وشاتيلا التي ارتكبتها جيش الاحتلال الإسرائيلي والميليشيات اللبنانية في مخيم صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في أيلول / سبتمبر 1982. ومثل الاجتياح والاحتلال الإسرائيليان مرحلة جديدة في ميزان القوى الجيوسياسية والعسكرية في لبنان،

(21) لمثال على هذه الانتقادات، ينظر:

Lena Meari, "Reconsidering Trauma: Towards A Palestinian Community Psychology," *Journal of Community Psychology*, vol. 43, no. 1 (2015), pp. 76-86; Rita Giacaman et al., "Mental Health, Social Distress and Political Oppression: The Case of the Occupied Palestinian Territory," *Global Public Health*, vol. 6, no. 5 (2011), pp. 547-559; David J. Marshall & Cindy Sousa, "Decolonizing Trauma: Liberation Psychology and Childhood Trauma in Palestine," in: Tracey Skelton, Christopher Harker & Kathrin Hörschmann (eds.), *Conflict, Violence and Peace* (Singapore: Springer, 2017).

(22) Gemma Bird, "Constructing Vulnerability and Victimhood at the EU Border," *Polity*, vol. 54, no. 4 (2022), pp. 874-881.

(23) Lamia Moghnieh, "Humanitarian Psychology in War and Postwar Lebanon," PhD. Dissertation, University of Michigan, May 2016.

وأسهم في تعليق مؤقت للحرب الأهلية أيضاً. وقد أتاح ذلك انتخاب رئيس لبناني وحكومة جديدة؛ وهو ما سمح بفترة قصيرة من التعافي وإعادة الإعمار، قبل أن تُستأنف الحرب الأهلية حتى عام 1990.

في هذه الفترة القصيرة من العنف المُعلّق، أصبح لبنان موقعاً لإعادة التأهيل والإعمار ما بعد الحرب Postwar Site؛ فقد سعت التدخلات الإنسانية، من منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة "يونسف" والاتحاد الدولي للمنظمات الخيرية "أوكسفام"، إلى إصلاح مؤسسات الصحة والصحة النفسية⁽²⁴⁾. كانت هذه المبادرات جزءاً من سياسات حكومية جديدة تهدف إلى إشراك المجتمع الدولي والإنساني في إعادة إعمار لبنان في مرحلة ما بعد الحرب؛ إذ سعى الرئيس الجديد أمين الجميل (1982-1988) إلى إعادة فرض سلطة الدولة على الحياة السياسية والمدنية من خلال تفعيل مؤسساتها والتوجه نحو المجتمعات الدولية، لا سيما الولايات المتحدة، وتنسيق التنظيم مع وكالات دولية مثل الوكالة الأميركية للتنمية الدولية USAID ومنظمة الصحة العالمية. وقد بادرت وزارة الصحة، تحديداً، إلى إعادة تنظيم جذرية للقطاع الصحي العام في لبنان، الذي دمرته الحرب وأصبح أكثر اعتماداً على الخدمات الخاصة⁽²⁵⁾.

في كانون الأول/ديسمبر 1982، في عقب الاجتياح، قدّم عدنان مروّة، وزير الصحة اللبناني آنذاك، بياناً حول "السياسة الصحية الوطنية"، ودعا إلى المساعدة الدولية في تقييم القطاع الصحي وتنظيمه. كانت إصلاحات عام 1982 مميزة لكونها شملت، أول مرة، مشاركة وإرشاد خبراء وأكاديميين ومنظمات صحية محلية ودولية. وقد شكّلت جزءاً من تطلعات لبنان الإنسانية والدولية باعتباره بلد ما بعد الحرب Postwar Country يسعى إلى إعادة البناء وفق معايير أميركية وإنسانية⁽²⁶⁾.

بعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982، نصحت منظمة الصحة العالمية وزارة الصحة اللبنانية بدعوة فريق دولي مكون من سبعة خبراء، لإجراء مسح لتقييم احتياجات السكان اللبنانيين الصحية. ركّز الفريق الدولي على تقييم القطاع الصحي المدمّر بسبب الحرب وإعادة تنظيمه، وتوفير بيانات أولية متعلّقة بأثر تلك الحرب في الصحة الجسدية والنفسية في الخدمات، وفي السكان عموماً، وذلك في غياب الدراسات الوبائية الحديثة. وفي هذا السياق، وُجّهت الدعوة إلى الطبيب النفسي والفلسف الأميركي إدواردز مانسيل باتيسون Edwards Mansell Pattison لتقييم احتياجات اللبنانيين في مجال الصحة النفسية، بعد رصد أمراض جديدة مثل "الاكتئاب العصبي والإدمان على المخدرات"، وهما مرضان ربطهما الرئيس الجميل بالحروب على لبنان⁽²⁷⁾.

(24) Huda Zurayk & Haroutune Armenian, *Beirut, 1984: A Population and Health Profile* (Beirut: American University of Beirut Publications, 1985); Élizabéth Picard, *Lebanon, a Shattered Country: Myths and Realities of the Wars in Lebanon* (New York: Holmes & Meier, 2002);

مجلس الإنماء والإعمار، لبنان 1982-1988: وقائع وأضواء (بيروت: مكتبة صادر، 1988).

(25) World Health Organization, *Reconstruction of the Health Services of Lebanon* (Geneva: 1983), accessed on 2/2/2026, at: <https://acr.ps/1L9F2y9>

(26) Nabil M. Kronfol & Rashid Bashshur, "Lebanon's Health Care Policy: A Case Study in the Evolution of a Health System under Stress," *Journal of Public Health Policy*, vol. 10, no. 3 (1989), pp. 377-396.

(27) Amine Gemayel, *Rebuilding Lebanon* (Cambridge, MA: Harvard University Publication, 1992), p. 69.

كان باتيسون باحثاً أكاديمياً غزير الإنتاج ومعالجاً نفسياً ملتزماً، ارتكزت اهتماماته على مقارنة إنسانية - ثقافية - نفسية - اجتماعية للمرض النفسي. وقد عكس هذا الالتزام معتقداته الدينية، فكتب بإسهاب عن الطب النفسي والدين، وعن الموت والاحتضار، والأخلاق والمرض النفسي، والطب النفسي المجتمعي، والعلاج الأسري. وهو يعدّ طبيباً نفسياً ثقافياً Transcultural Psychiatrist أعاد صياغة المرض النفسي عبر علاقته بالأنظمة الاجتماعية - الثقافية التي تشكّله.

في تقييم باتيسون لآثار الحرب الإسرائيلية نفسياً، أجرى مقابلات مع مسؤولين حكوميين وسياسيين، وزار مؤسسات رئيسية، وتحدث مع أطفال وأسر ومعلمين وأناس عاديين عن تجاربهم مع الحرب. في مقال له نُشر عام 1984، قدّم وصفاً تفصيلياً للمفردات الثقافية والتاريخ الديني - السياسي للبنان، بدلاً من تقييم عيادي وإحصائي للاضطرابات النفسية التي أنتجتها الحرب. وأعلن باتيسون أن اللبنانيين يتمتعون بـ "قدرة ممتازة على المرونة النفسية"⁽²⁸⁾؛ إذ لا يظهر لديهم أي صدمات نفسية مباشرة، والقليل جداً من الآثار غير المباشرة للحرب على صحتهم النفسية:

كنت أتوقع فعلاً أن أجد سكاناً دمرتهم الحرب، مع أدلة واضحة على صدمة الحرب. ولدهشتي الكبيرة، لم يكن هذا هو الحال. كان اللبنانيون، سواء من المسيحيين أو المسلمين، مرتاحين ومبتهجين ونشطين وحيويين، يعيدون بناء بلادهم. كان الأمر أشبه ببلد يعج بنشاط النحل العامل. لم أجد حالات واضحة للصدمات النفسية. وبصعوبة، استطعت الكشف عن آثار غير مباشرة للحرب في الصحة النفسية⁽²⁹⁾.

أظهر باتيسون إعجابه بـ "قدرة الشعب اللبناني على المرونة النفسية"، وصرّح في مقابلة نشرتها صحيفة كليته في عقب عودته إلى الولايات المتحدة بأن "سنوات الحرب لم تُضعف معنويات اللبنانيين"⁽³⁰⁾. وربط ما وصفه بـ "غياب" معاناة اللبنانيين بسردية تاريخية ترى في لبنان بلداً معرضاً بطبيعته للعنف والغزو، حيث جعل الموقع الجغرافي - السياسي للبنان منه مقصداً للاحتلالات والحروب من قوى شرقية وغربية على السواء؛ الأمر الذي دفع اللبنانيين عبر السنين إلى "التدبير للبقاء وسط هذه العملية"⁽³¹⁾. ومن خلال اختزال التاريخ الكولونيالي والإمبريالي للبنان وتحويله إلى تاريخ طبيعي ("من الطبيعي أن يكون لبنان موقعاً للغزو")، اعتبر أن النفس اللبنانية تتمتع بمناعة نفسية جينية وطبيعية إزاء العنف الإسرائيلي.

كان هذا المثال الأول الدالّ على غياب المعاناة النفسية في الخطاب النفسي الإنساني عن العنف الإسرائيلي في لبنان. وقد صاغ باتيسون مفهوم المرونة النفسية Resilience بشأن هذا العنف، واعتبره خاصية جوهرية في أسلوب حياة اللبنانيين، واستعداداً طبيعياً - جينياً للحرب، اكتسبه اللبنانيون من

(28) E. Mansell Pattison, "War and Mental Health in Lebanon," *Journal of Operational Psychiatry*, vol. 15 (1984), p. 35.

(29) Ibid.

(30) "Visit to Lebanon Leaves Impression on MCG Psychiatrist," *The Beeper*, vol. 4, no. 13 (30 March 1983).

(31) Ibid.

تجاربهم التاريخية مع الحروب والاحتلالات من جهة، ومن خلال استيطانهم للمفردات الثقافية والدينية من جهة أخرى. وقد رصدتُ هذا الغياب المسجّل للتروما في لبنان في حروب إسرائيلية أخرى مثل حرب تموز/ يوليو، حين وجد العاملون الإنسانيون والأطباء النفسيون صعوبةً، مرةً أخرى، في العثور على الأشخاص المصابين بالتروما وتشخيصهم بذلك.

وخلال حرب تموز على سبيل المثال، طلبت منظمة الصحة العالمية من وزارة الصحة فتح عيادات الطب النفسي وتحضيرها لاستقبال المجتمعات المتأثرة بالتروما، لا سيما الأطفال، خشية حدوث ما وصفته المنظمة بـ "الوباء من الصدمات النفسية". واستجابةً لنداء هذه المنظمة، عُقدت اجتماعات في وزارة الشؤون الاجتماعية لمناقشة التدخلات النفسية المناسبة. ودار نقاش بين الأطباء النفسيين وعلماء النفس والمحللين النفسيين متعلّق بجدوى علاج اضطراب ما بعد الصدمة بالأدوية. واقترح بعضهم إنشاء عيادات نفسية متنقلة في المدارس والحدائق في بيروت، حيث كانت تقيم العديد من العائلات النازحة. وفي مقابل ذلك، رفض آخرون هذا النهج العيادي لمعالجة التروما، ودعوا إلى تشكيل تدخلات نفسية أكثر مجتمعية وسياسية ومحلية.

وخلال بحثي الإثنوغرافي في حرب تموز، سألتُ أنيسة الأمين، وهي محللة نفسية لبنانية حضرت تلك الاجتماعات، عن رأيها في هذه النقاشات، فاستحضرت مفهوم "المعيش"، أي التجربة المعيشة للحرب والعنف. ومن وجهة نظرها، تعني المقاربة المجتمعية للصحة النفسية إيلاء خصوصيات الحرب المعيشة وسياقاتها وطبيعتها اهتماماً، بدلاً من أن تُعتمد تدخلات إنسانية وطبية نفسية عالمية على نحو أعمى⁽³²⁾.

يتناقض هذا العجز في الطب النفسي الإنساني في التعرف إلى المعاناة النفسية بسبب العنف الإسرائيلي بشدة مع الآثار النفسية لهذه الحروب نفسها في إسرائيل؛ إذ صوّرت على أنها سببت صدمة نفسية شديدة في المجتمع الإسرائيلي، سواء من الخبراء أو في الخطاب العام حول الحرب. فعلى عكس ما اعتبره باتيسون غيباً للمعاناة في لبنان، تسببت الحرب الإسرائيلية على لبنان عام 1982، على غرار حرب تموز، في العديد من حالات التروما النفسية في إسرائيل، وكانت التروما هي المصطلح الذي يستعمله الخبراء أو الخطاب العام للحديث عن الحرب. وتُعدّ أبحاث زاهافا سولومون المتعلقة بانتشار اضطراب ما بعد الصدمة في إسرائيل بعد اجتياح لبنان مثلاً واضحاً يدلّ على هذا الخطاب في موضوع التروما.

وفي سلسلة من الدراسات حول التأثيرات النفسية للاجتياح الإسرائيلي للبنان، درست سولومون آثار الحرب في الجنود الإسرائيليين من الناحية النفسية؛ وكانت أعراض التروما واضحة إلى حدّ أنها كانت لا تزال تُكتشف حتى بعد مرور ثلاث سنوات على الأقل من انتهاء الحرب. علاوة على ذلك، وجدت دراسة متابعة مع قدامى المحاربين الإسرائيليين، بعد عشرين عاماً من انتهاء

(32) Lamia Moghnieh, "Infrastructures of Suffering: Trauma, Sumud and the Politics of Violence and Aid in Lebanon," *Medicine Anthropology Theory*, vol. 8, no. 1 (2021), pp. 1-26.

حرب 1982، علاقات مشابهة ومؤثرة بين الصحة البدنية السلبية وتشخيص اضطراب ما بعد الصدمة⁽³³⁾.

وقد أصبح لبنان في حد ذاته يوصف بـ "التروما" في الخطاب العام الإسرائيلي؛ إذ ناقش السياسيون والصحافيون والخبراء العسكريون "تروما لبنان" Lebanon Trauma التي كان على كل من الجيش والأمة تجاوزها بعد حرب تموز. واستُخدم المصطلح نفسه في الخطاب العام الإسرائيلي لوصف الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982⁽³⁴⁾. لكن تروما لبنان لم تكن خطاباً سياسياً يعبر عن فشل الآلة العسكرية الإسرائيلية في لبنان في هاتين الحربين فحسب، بل أصبحت التروما (أو غيابها) أيضاً في صميم فهم إسرائيل ولبنان للحرب والمعاناة. وفي هذا الحوار، تكمن مطالب سياسية مختلفة على الجانب اللبناني متعلقة بما تعنيه المعاناة في مواجهة الاعتداءات والحروب الإسرائيلية، وكيفية النجاة منها، في حين أن الجنود الإسرائيليين المصابين بالتروما أصبحوا ضحايا في نظر الدولة الإسرائيلية؛ إذ يطالبون بالتعويض لخوضهم الحرب.

لعلّ المثال الثاني الأكثر وضوحاً هو فيلم "فالس مع بشير"⁽³⁵⁾ وهو فيلم إسرائيلي، يتناول التروما التي عاناها الجنود الإسرائيليون في أثناء اجتياحهم لبنان عام 1982 ودورهم في مجزرة صبرا وشاتيلا. يصور الفيلم رحلة جندي إسرائيلي النفسية نحو الشفاء، ويروي ذكريات هذا الجندي عن الاجتياح، عام 1982، ليصل في النهاية إلى نوع من "التطهير النفسي" Catharsis عندما يتمكن من تذكر دوره في المجزرة والتحدث عنه. ينفي الفيلم أيّ تمثيل ممكن للمعاناة النفسية للبنانيين والفلسطينيين، بينما تغطي تروما الجندي الإسرائيلي على خطاب الحروب الإسرائيلية.

وكما ناقشت سابقاً⁽³⁶⁾، من المفارقة أن فيلم "فالس مع بشير" قد سجّل هذا الغياب المزعوم للمعاناة خلال الاجتياح في مشهد واحد، وهو قصة حقيقية لصحافي إسرائيلي رافق الجيش الإسرائيلي خلال اجتياح بيروت، ولاحظ بدهشة - تُشبه دهشة الطبيب النفسي باتيسون - اللبنانيين وهم يشاهدون القصف من شرفاتهم من دون الاختباء في الملاجئ أو الشعور بالذعر. مثل الفيلم، مرةً أخرى، اللبنانيين والفلسطينيين على أنهم، في جوهرهم الطبيعي، لا يبالون ولا يتأثرون بالعنف الإسرائيلي.

(33) Zahava Solomon, "Combat-Related Posttraumatic Stress Disorder Among Israeli Soldiers: A Two-Year Follow-Up," *Bulletin of the Menninger Clinic*, vol. 51, no. 1 (January 1987), pp. 80-95; Zahava Solomon et al., "Delayed Onset PTSD among Israeli Veterans of the 1982 Lebanon War," *Psychiatry*, vol. 52, no. 4 (1989), pp. 428-436; Zahava Solomon & Mario Mikulincer, "Trajectories of PTSD: A 20-Year Longitudinal Study," *American Journal of Psychiatry*, vol. 163, no. 4 (2006), pp. 659-666.

(34) "The Politics of the Gaza Operation," *Jerusalem Post*, 2/11/2006, accessed on 2/2/2026, at: <https://acr.ps/1L9F2LI>; Almos Peter Kiss (ed.), *Conflicts in the Gray Zone A Challenge to Adapt*, Conference Proceedings, May 9-10 2017, Budapest, Hungary (Hungary: The Hungarian Defence Forces General Staff Scientific Research Centre, 2017), accessed on 2/2/2026, at: <https://acr.ps/1L9F2IB>

(35) Ari Folman (Dir. & Wr.), "Waltz with Bashir," 2018.

(36) Moghnieh, "On Trauma/ Resilience and Psychological Suffering."

في هذا السياق - سياق غياب التروما من العنف الإسرائيلي في لبنان وكثرة وجوده في إسرائيل - لا يمكن فهم سياسة معاناة الحرب في لبنان بعيداً عن سياق علاقتها المباشرة بإسرائيل، ومدى ارتباطها بخطاب الصمود في مواجهة العنف الإسرائيلي.

ثالثاً: تبعات غياب التروما على سياسات المعاناة من العنف الإسرائيلي في لبنان: ثلاث مسائل

أدى "غياب" التروما في لبنان إلى نقاشات وخطابات متعددة عامة، رصدتها بحثي الإثنوغرافي في موضوع معنى المعاناة وكيفية مكابدة الأفراد إيّاها، وانبثقت من هذه النقاشات سرديات مختلفة حول الصمود. وقد فُسر هذا الغياب المزعوم للمعاناة النفسية في كلتا الحربين (1982 و 2006) بأنه صمود في مواجهة العنف. وبناءً على أن الصمود موقف نفسي سياسي مقاوم للعنف الإسرائيلي، له تاريخه وطرائقه المختلفة، فقد أدى ذلك التفسير إلى خلق ثنائية "التروما - الصمود"، بحيث أصبحت المعاناة بسبب العنف غير ممكنة فقط إلا إذا صيغت على أنها صدمة نفسية أو تروما. وإذا لم تكن كذلك، فهي غائبة عن الخطاب العام والخطاب الصحي، ولا مكان أيديولوجي لها⁽³⁷⁾.

كانت هناك أيضاً سرديات محورها علاقة الحداثة والمعاناة في لبنان في كلتا الحربين، فقد جادل المثقفون والأطباء النفسيون والسياسيون بأن أولئك الذين لا يعانون التروما من جراء العنف الإسرائيلي ليسوا حداثيين، وأنهم ينتمون إلى ثقافة غير متحضرة تشجع على الموت. واعتُبر الدين عاملاً يعوق المعاناة ويطبّع مع العنف (أي يجعله حدثاً عادياً)، في حين تظل التروما هي التي تُمثل هشاشة النفس وحقيقتها اللتين ترمزان إلى الحداثة⁽³⁸⁾. علاوة على ذلك، اعتبر الطب النفسي الإنساني أن هؤلاء الناس مقاومين للعلاج النفسي، وأنّ عقولهم غير طيّعة تُجاهه Non-therapeutic Minds، وبات الثقافة من العوائق الرئيسة للعلاج النفسي في لبنان⁽³⁹⁾.

أدى غياب التروما، أو صعوبة توثيقها في سياق العنف الإسرائيلي، إلى إنتاج خطاب ينزع الإنسانية De-humanizing عن المجموعات التي لم تسرد معيشها مع هذا العنف اعتماداً على التصنيفات والمفردات النفسية. وقد ظهرت هذه الخطابات في لبنان، كما تظهر في الخطابات الإسرائيلية لدى الحديث عن جنوب لبنان وغزة، بطريقة تتيح قتل اللبنانيين والفلسطينيين، وحتى الأطفال، وتجعله شيئاً عادياً لكونهم "إرهابيين"، أو ينتمون إلى مجموعات ذات ثقافة ودين بدائيين وغير متحضرين، فيظهرون كأنهم لا يتأثرون بالموت ولا يخافون منه.

بناءً على هذه المحصّلات الإثنوغرافية والأرشيفية، أقدم ثلاث نقاط أتأمل من خلالها سياسات معاناة العنف الإسرائيلي في لبنان:

(37) Moghnieh, "Infrastructures of Suffering."

(38) Ibid.

(39) Lamia Moghnieh, "Global Mental Health in South Lebanon: Psychoeducation, Translation and Culture," *Medical Anthropology*, vol. 42, no. 1 (2023), pp. 105-119.

1. فسر الأطباء النفسيون والعاملون الإنسانيون هذا الغياب المزعوم للمعاناة، في كثير من الأحيان، من منظور الاختلاف الثقافي. لكن من المهم تحويل الإطار للنظر في بُنى المعاناة⁽⁴⁰⁾. وأعني بذلك التشكلات المادية والاقتصادية والسياسية والمعرفية والعسكرية⁽⁴¹⁾، التي تشكّل طبيعة المعاناة وقيمتها الاجتماعية في سياق معيّن. إنّ التنظير لبنى المعاناة يمكن أن يُعقّد فكرة الاختلاف الثقافي وفكرة المشاعر والأوجاع النفسية؛ إذ بدلاً من اعتبارها فئة محددة وداخلية ونفسية من الذاتية والهوية الفردية⁽⁴²⁾، فإنّ بنى المعاناة تتيح لنا أن ندرس ونحلل السياقات الأيديولوجية التي تعزّز سرديات معينة متعلّقة بالعنف الإسرائيلي وتقيّمها.

2. إنّ خطابات التروما والصمود في لبنان ليست ثابتة، بل هي متحوّلة ومشروطة بمادية العنف وطبيعته من جهة، وبالبنى التي تحددها من جهة أخرى. فإذا نظرنا إلى تجارب الأفراد والمجموعات مع عنف غير العنف الإسرائيلي، رأينا تشكلات وبنى مغايرة للمعاناة، وقيماً ومعاني مختلفة للتروما والصمود. وعلى سبيل المثال، خلق انفجار مرفأ بيروت، في آب/ أغسطس 2020، صدمة مجتمعية أدت إلى تحوّل التروما إلى مفهوم ذي قيمة جماعية ووطنية، يسرد الناس عبره جراحهم النفسية الناتجة من العنف الصادر من الانفجار، ومن عنف السلطة اللبنانية التي تسببت فيه. وفي هذا السياق، اكتسبت التروما معاني سياسية واجتماعية عديدة، وساعدت في التأسيس لمطالب مجتمعية، ولمساءلة الدولة اللبنانية وعنفها تجاه الناس. ومن ناحية أخرى، أصبح مفهوم الصمود، الذي اكتسب معاني وطنية صلبة في لبنان، أيديولوجياً تستعملها السلطة اللبنانية لـ "تسخيف" آثار الانفجار ودعوة الناس إلى التعوّد والتأقلم مع ما حدث، واعتُبر حادثاً، وخطأً عرضياً، فلاقى طلب الدولة لمواطنيها بـ "الصمود" استياءً ورفضاً من المجموعات المتضررة. وفي هذه الحالة، تساوى مفهوم الصمود مع المرونة النفسية في الخطاب اللبناني، وقد أُفْرِغَ من معناه السياسي ليصبح دعوة إلى التكيف مع عنف السلطة وتقبّله⁽⁴³⁾.

3. يكتسب كل من التروما والصمود قيمتهما السياسية والاقتصادية، بناءً على السياق الاجتماعي وطبيعة العنف. فمفهوم الصمود مثلاً، وهو مفهوم فلسطيني نفسي سياسي بامتياز، يُعزّز ممارسات مقاومة الاستعمار الإسرائيلي وحروبه⁽⁴⁴⁾. وعلى الرغم من الأهمية السياسية المتغيرة بالنسبة إلى هذين المصطلحين، فإنهما لا يعيدان الإنسانية إلى الأفراد والمجتمعات المعاشة للعنف

(40) Moghnieh, "Infrastructures of Suffering."

(41) Brian Larkin, "The Politics and Poetics of Infrastructure," *Annual Review of Anthropology*, vol. 42, no. 1 (2013), pp. 327–343.

(42) João Biehl et al., *Subjectivity: Ethnographic Investigations* (Oakland: University of California Press, 2009).

(43) ينظر مثلاً:

Lamia Moghnieh, "(Interrupted) Writing in Apocalyptic Times: Suffering, Survival, and Rebuilding," *Perpetual Postponement*, 20/12/2021, accessed on 2/2/2026, at: <https://acr.ps/1L9F2KN>; Sara Mourad, "Aftershock," *Rusted Radishes: Beirut Literary and Art Journal*, 16/8/2020, accessed on 28/8/2026, at: <https://acr.ps/hBxVKiG>

(44) رامى رميلة، "صمود عابر للمناطق: ردود اللاجئين على أنظمة القمع المتعددة في مخيم برج البراجنة"، عمران، مج 12، العدد 45 (صيف 2023)، ص 137–167.

الإسرائيلي. فالتروما مرتبطة بسياسات الطب النفسي الإنساني واقتصادياته، وأخلاقياته المبنية على قياس مجتمعات غربية، ويؤسس لتصنيفات حداثوية تُصبح التروما ذاتها عبرها دليلاً على الانتماء إلى الإنسانية ويصبح غيابها نفيًا له. أمّا الصمود، فتؤطره وتستخدمه العديد من الأطراف لأغراض سياسية معيّنة، وهو أيضًا ينفي أيّ معنى سياسي للمعاناة النفسية من العنف الإسرائيلي. وإذا كان انطلاقنا النظري هو أهمية استعادة الإنسانية، بوصفه مشروعًا سياسيًا نفسيًا، فإنني أدعو إلى الانتقال من ثنائية التروما - الصمود، والابتعاد عن محورية "المعاناة"، نحو التعمق في سرديات ويوميات البقاء والنجاة من العنف الإسرائيلي.

بمعنى آخر، أدعو إلى الإجابة عن سؤالين: كيف نتعافى ونعيد البناء من دون التركيز على التروما أو الصمود؟ وماذا يحدث إذا كان إطار بحثنا مركّزًا على الشفاء والبناء والنجاة بدلًا من المعاناة؟ يمكننا، في هذا السياق، الاستعانة بأدب الخيال العلمي بصفته سبيلًا إلى تخيل طريقة جديدة لفهم الواقع ودراسته عندما يتحول إلى عالم غير مألوف⁽⁴⁵⁾. هذا تحديدًا هو ما تدعو إليه الكاتبة النسوية للخيال العلمي، أوكتافيا باتلر Octavia Butler، في أوقات الأزمات، خاصة في روايتها *مثل الزارع ومثل الوزنات* اللتين تتناول فيهما مذكرات امرأة تحاول النجاة وإعادة بناء مجتمعها في عقب انهيار عالمها ومقتل عائلتها، وترسم لنا طرائق للنجاة عندما يصبح العالم الذي نعرفه غير آمن وعنيفًا⁽⁴⁶⁾.

خاتمة

كيف نعيش وننجو ونتعافى في أوقات الإبادة؟ وكيف نعيد الإنسانية إلى أجساد وعقول ممزقة ومفككة في عالم غير إنساني؟ على الصعيد المجتمعي والفردى، تمثل إعادة/ استعادة الإنسانية "تمرينًا مهمًا يجب أن ينخرط فيه العالم"⁽⁴⁷⁾. إنها خطوة تقربنا من النجاة من العنف الاستعماري والإمبريالي، وعملٌ يساعدنا على أن نتخيل طرائق للشفاء وللحياة ولتحرر الأجساد والعقول⁽⁴⁸⁾.

إن التنظير عن العنف الإسرائيلي من خلال مفهوم إعادة - استعادة الإنسانية، بعيدًا عن ثنائية التروما - الصمود يتيح لنا أن نربط بين المعاناة اللبنانية والفلسطينية عبر الانتباه للتراكب التاريخي والمعرفي للتجربة المعيشة للعنف الإسرائيلي؛ وذلك عبر التركيز على السرديات الفردية والمجتمعية المختلفة لهذا العنف من جهة، والتأمل في الأدوات والسبل اليومية للنجاة والاحتواء منه والبقاء من جهة أخرى. وهي دعوة إلى الإنتاج المعرفي حول أفعال مجسدة تقاوم العنف الإسرائيلي وتندأى منه

(45) وقد أصبح أدب الخيال العلمي جزءًا مهمًا من الرواية العربية ووسيلة أدبية للكتابة عن العنف وتخيل آثاره، لا سيّما بعد الربيع العربي. ينظر مثلاً:

Rawad Alhashmi, "Diglossia between Edge and Bridge in Arabic Science Fiction: Reinventing Narrative after the Arab Spring," *Interdisciplinary Literary Studies*, vol. 25, no. 1 (2023), pp. 54-78.

(46) Moghnieh, "(Interrupted) Writing in Apocalyptic Times."

(47) Abu Sitta & Marya.

(48) Frantz Fanon, *The Wretched of the Earth* (New York: Grove Press, 2002).

مثل المشي، والطهي، والزراعة، والأكل، وبناء المجتمعات. هذه الممارسات، هي جزء من المخزون المعرفي المتراكم حول العنف الإسرائيلي في منطقتنا، وهي أيضاً دعوة إلى التركيز على سبل قراءة العنف في الحياة اليومية، والتكيف والنجاة منه، وإلى البحث في التاريخ المتراكم الشفهي والسردى بالنسبة إليه، وبالنسبة إلى القصص والحكايات المصوغة عن النجاة منه.

أمل أن يفتح هذا التنظير مجالاً لدراسات بحثية جديدة حول العنف الإسرائيلي في لبنان وفلسطين، تستكشف المعاناة وتوثقها، على نحو يتجاوز ثنائية "العقل والجسد" Mind/ Body Dualism. فتتيح مجالاً لسرديات عن معاناة العنف الإسرائيلي؛ ليست نفسية أو جسدية فحسب، بل تمتد أيضاً إلى البيئة ومنازل الناس وتلتصق بها، في مطابخهم وغرف نومهم، وبالأشجار والنباتات والحيوانات، وتصبح جميعها رواة وصانعي سرديات عن تجربة العيش تحت وطأة العنف الإسرائيلي والنجاة منه⁽⁴⁹⁾.

أخيراً، إن دراسة الخطابات المتنوعة حول التروما والصمود في المنطقة العربية تقدم فهماً غنياً للسياسات المتعلقة بالمعاناة والنجاة والتكيف. وقد صُنفت المنطقة على أنها منطقة عنف وصراع على نحو جوهري، لكن هذا التفكير يتجاهل القوى العالمية والمحلية التي تنتج هذا الواقع وتؤدي إليه. وللتعامل بجدية مع مسألة إعادة الإنسانية، يجب الالتفات إلى مشهد المعاناة في منطقتنا، وإلى أنماط السرد (وغيابه) حول العنف الإسرائيلي (ما يتم إسكاته، وما يطفو على السطح، وما هو سائد في الخطاب)، وجمعها، وربط تاريخها التراكمي والمشارك عن العنف الإسرائيلي.

تنويه وتقدير

أنجزت هذه الدراسة بتمويل مؤسسة البحوث الوطنية الدنماركية (منحة رقم 171-DNRF).

References

المراجع

العربية

بيضون، علي. بيروت... ناس ومقاومة: الاجتياح الإسرائيلي للبنان صيف عام 1982. بيروت: التنوير للنشر والطباعة والتوزيع، 2012.

جابر، منذر. الشريط اللبناني المحتل: مسالك الاحتلال، مسارات المواجهة، مصائر الأهالي. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999.

الحاج صالح، ياسين. الفطيع وتمثلاته: مداولات في شكل سوريا المخرب وتشكلها العسير. بيروت: دار الجديد، 2021.

(49) Lamia Moghnieh, "Revenants," Hot Spots, *Fieldsights*, 11/4/2025, accessed on 6/9/2026, at: <https://acr.ps/hBxVKbe>

رميلة، رامي. "صمود عابر للمناطق: ردود اللاجئين على أنظمة القمع المتعددة في مخيم برج البراجنة". عمران. مج 12، العدد 45 (صيف 2023).

سويد، محمود. إسرائيل/ جنوب لبنان: سياسة الأرض المحروقة والحل المفروض (من "تصفية الحسابات" 1993 إلى "عناقد الغضب" 1996). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996.

شريم، جلال. إرادات وقيود: دراسة أنثروبولوجية في معتقل الخيام. بيروت: مكتبة النخبة الجامعية، 2011.

صفا، محمد. موسوعة معتقل الخيام: القصة الكاملة. بيروت: دار الفارابي، 2021.

مجلس الإنماء والإعمار. لبنان 1982-1988: وقائع وأضواء. بيروت: مكتبة صادر، 1988.

مغنية، لميا. "الطفولة والعنف الإسرائيلي: محاولة لربط الجروح". مجلة حكاية ما انحكت. <https://acr.ps/1L9F2F9>. في: 2024/9/6.

الأجنبية

Abu Sitta, Ghassan & Rupa Marya. "The Deep Medicine of Rehumanizing Palestinians." *Yes Magazine*. 1/11/2023. at: <https://acr.ps/1L9F2eX>

Acar, Yasemin Gulsum, Blerina Këllezi & Sandra Penić (eds.). *The Power of Collective Resilience Against Political Violence and Repression*. London: Routledge, 2025.

Achkar, Gilbert & Michel Warschawski. *The 33 Day War: Israel's War on Hizbollah in Lebanon and Its Consequences*. London: Routledge, 2007.

Agosin, Marjorie. *Women, Gender, and Human Rights: A Global Perspective*. 2nd ed. New Brunswick: Rutgers University Press, 2002.

Alhashmi, Rawad. "Diglossia between Edge and Bridge in Arabic Science Fiction: Reinventing Narrative after the Arab Spring." *Interdisciplinary Literary Studies*. vol. 25, no. 1 (2023).

Barakat, Kholoud Saber & Pierre Philippot. "The Lives of Egyptian Women Between Continuous Trauma and Everyday Resistance: A Feminist Analysis of Narratives of Five Survivors in the Context of 2011 Revolution and Its Aftermath." *Gender Issues*. vol. 41, no. 1 (2024).

Biehl, João et al. *Subjectivity: Ethnographic Investigations*. Oakland: University of California Press, 2009.

Bird, Gemma. "Constructing Vulnerability and Victimhood at the EU Border." *Polity*. vol. 54, no. 4 (2022).

Breslau, Joshua. "Introduction: Cultures of Trauma: Anthropological Views of Posttraumatic Stress Disorder in International Health." *Culture, Medicine and Psychiatry*. vol. 28, no. 2 (June 2004).

Brown, Wendy. *States of Injury: Power and Freedom in Late Modernity*. Princeton: Princeton University Press, 2025.

Butler, Judith. *Precarious Life: The Powers of Mourning and Violence*. London: Verso, 2006.

_____. *Frames of War: When Is Life Grievable?* London: Verso, 2016.

Fanon, Frantz. *The Wretched of the Earth*. New York: Grove Press, 2002.

Fassin, Didier et al. (eds). *The Empire of Trauma: An Inquiry into the Condition of Victimhood*. Princeton: Princeton University Press, 2009.

Gemayel, Amine. *Rebuilding Lebanon*. Cambridge, MA: Harvard University Publication, 1992.

Giacaman, Rita et al. "Mental Health, Social Distress and Political Oppression: The Case of the Occupied Palestinian Territory." *Global Public Health*. vol. 6, no. 5 (2011).

Gupta, Soumitree & Crystine Miller. "Bearing Witness in A Post-Factual Age." *Afterimage*. vol. 45, no. 2–3 (2017).

Hasso, Frances. "Beyond the Treatment Room: The Psyche–Body–Society Care Politics of Cairo's El-Nadeem." *Signs: Journal of Women in Culture and Society*. vol. 49, no. 1 (2023).

Hermez, Sami. "The Levantine Warscape: Methodological Nationalism and the Politics of Normalization with the Israeli State." *Middle East Critique* (August 2025).

Humphrey, Michael. *The Politics of Atrocity and Reconciliation: From Terror to Trauma*. Routledge Studies in Social and Political Thought, no. 34. London: Routledge, 2002.

Jacobs, Gerard A. "The Development and Maturation of Humanitarian Psychology." *American Psychologist*. vol. 62, no. 8 (2007).

Kiss, Almos Peter (ed.). *Conflicts in the Gray Zone A Challenge to Adapt*. The Hungarian Defence Forces General Staff Scientific Research Centre, 2017. at: <https://acr.ps/1L9F2IB>

Kronfol, Nabil M. & Rashid Bashshur. "Lebanon's Health Care Policy: A Case Study in the Evolution of a Health System under Stress." *Journal of Public Health Policy*. vol. 10, no. 3 (1989).

Larkin, Brian. "The Politics and Poetics of Infrastructure." *Annual Review of Anthropology*. vol. 42, no. 1 (2013).

Matthies–Boon, Vivienne. "Shattered Worlds: Political Trauma amongst Young Activists in Post–Revolutionary Egypt." *The Journal of North African Studies*. vol. 22, no. 4 (2017).

Mayes, Rick & Allan V. Horwitz. "DSM–III and the Revolution in the Classification of Mental Illness." *Journal of the History of the Behavioral Sciences*. vol. 41, no. 3 (2005).

Meari, Lena. "Reconsidering Trauma: Towards A Palestinian Community Psychology." *Journal of Community Psychology*. vol. 43, no. 1 (2015).

Moghnieh, Lamia. "Infrastructures of Suffering: Trauma, Sumud and the Politics of Violence and Aid in Lebanon." *Medicine Anthropology Theory*. vol. 8, no. 1 (2021).

_____. "(Interrupted) Writing in Apocalyptic Times: Suffering, Survival, and Rebuilding." *Perpetual Postponement*. 20/12/2021. at: <https://acr.ps/1L9F2KN>

_____. "Global Mental Health in South Lebanon: Psychoeducation, Translation and Culture." *Medical Anthropology*. vol. 42, no. 1 (2023).

_____. "On Trauma/Resilience and Psychological Suffering: How Can the Palestinians Be Rehumanized?" *Untold Magazine*. 2/20/2025. at: <https://acr.ps/1L9F2uj>

_____. "Revenants." *Hot Spots*, Fieldsights. 11/4/2025. at: <https://acr.ps/hBxVKbe>

_____. "War Threshold: The Psychological Landscape of Israeli Violence." *Kohl: A Journal for Gender and Body Research*. vol. 12, no. 1 (July 2026).

_____. "Humanitarian Psychology in War and Postwar Lebanon." Dissertation, University of Michigan. May 2016.

Pattison, E. Mansell. "War and Mental Health in Lebanon." *Journal of Operational Psychiatry*. vol. 15 (1984).

Pettit, Michael. "What Counts as Resilience? Childhood Adversity, Psychiatric Epidemiology, and the Coloniality of the 'Invulnerable.'" *History of the Human Sciences* (May 2026).

Picard, Élizabeth. *Lebanon, a Shattered Country: Myths and Realities of the Wars in Lebanon*. New York: Holmes & Meier, 2002.

Saber, Dima & Abdul Rahman al-Jaloud. "The Syrian Archive Digital Memory Project: Archiving as Testimony, as Evidence, as Creative Practice." *Visual Anthropology*. vol. 37, no. 1 (February 2024).

Skelton, Tracey, Christopher Harker & Kathrin Hörschelmann (eds.). *Conflict, Violence and Peace*. Singapore: Springer, 2017.

Solomon, Zahava. "Combat-Related Posttraumatic Stress Disorder Among Israeli Soldiers: A Two-Year Follow-Up." *Bulletin of the Menninger Clinic*. vol. 51, no. 1 (January 1987).

Solomon, Zahava & Mario Mikulincer. "Trajectories of PTSD: A 20-Year Longitudinal Study." *American Journal of Psychiatry*. vol. 163, no. 4 (2006).

Solomon, Zahava et al. "Delayed Onset PTSD among Israeli Veterans of the 1982 Lebanon War." *Psychiatry*. vol. 52, no. 4 (1989).

Summerfield, Derek. "A Critique of Seven Assumptions behind Psychological Trauma Programmes in War-Affected Areas." *Social Science & Medicine*. vol. 48, no. 10 (1999).

"Visit to Lebanon Leaves Impression on MCG Psychiatrist." *The Beeper*. vol. 4, no. 13 (30 March 1983).

Watters, Ethan. *Crazy Like Us: The Globalization of the American Psyche*. New York: Free Press 2010.

Wick, Livia. *Sumud: Birth, Oral History, and Persisting in Palestine*. Gender, Culture, and Politics in the Middle East. Syracuse: Syracuse University Press, 2023.

World Health Organization. *Reconstruction of the Health Services of Lebanon*. Geneva: 1983. at: <https://acr.ps/1L9F2y9>

Young, Allan. *The Harmony of Illusions: Inventing Post-Traumatic Stress Disorder*. Princeton: Princeton University Press, 2001.

Zurayk, Huda & Haroutune Armenian. *Beirut, 1984: A Population and Health Profile*. Beirut: American University of Beirut Publications, 1985.



أحمد عبد الموجود الشناوي

المسألة النوبية في مصر الماضي والحاضر والمستقبل

يقدم هذا الكتاب صورة للمسألة النوبية في وضعها الراهن؛ لما تمثّله من أهمية للجماعة النوبية من جهة، وللمجتمع المصري من جهة أخرى. وتتمحور المسألة، تحديداً، حول رغبة أبناء هذه الجماعة في العودة إلى موطنهم الأصلي في النوبة القديمة على ضفاف بحيرة ناصر، حيث تستند مطالبتهم بالعودة أساساً إلى الحقوق التاريخية للجماعة النوبية المصرية، والتي ترجمتها إحدى مواد الدستور المصري (المادة 236) الصادر عام 2014، وذلك بهدف توفير حياة كريمة ومستقبل لا يرى بعضهم إليه سبيلاً إلا بالعودة إلى موطن الأجداد مرة أخرى.

ومن أجل فهم واضح وعميق للمسألة النوبية، يركز الكتاب على رصد عوامل تشكّل تلك المسألة ودوافعها وفهم أبعادها، ومدى إمكانية تحقيقها على أرض الواقع، وتحديد الصعوبات التي تعوقها، استناداً إلى رؤية الراغبين في العودة، بما يمكن أن يساهم في وضع تصور لمجتمع العودة المنشود.

زينب علي خازم | Zeinab Ali Khazem*

تهجير الموتى بعد الدفن: قراءة أنثروبولوجية في العنف الإسرائيلي على المقابر في لبنان

Post-Burial Displacement of the Dead: An Anthropological Reading of Israeli Violence against Cemeteries in Lebanon

ملخص: تبحث الدراسة في العنف الإسرائيلي على المقابر في لبنان، من خلال حالتَي روضة شهداء عيناتا في الجنوب ومقبرة الرادوف في برج البراجنة، انطلاقاً من السؤال الأنثروبولوجي التالي: ماذا يحدث للموتى حين يُستهدف الموضع الذي استقروا فيه بعد الدفن؟ تعتمد الدراسة مقارنة أنثروبولوجية بصرية - مادية تستند إلى المعاينة الميدانية والمقابلات والصور الفوتوغرافية والأرشيفية والفضائية. وتقترح مفهوم "تهجير الموتى بعد الدفن"، لقراءة زعزعة العلاقة التي تثبت الجسد المدفون في موضع إقامته الجنائزية بعد استقرار الدفن، بما يشمل الحالات التي يبقى فيها الجسد في مكانه. وتكشف المقارنة أن هذه الزعزعة تتخذ صيغاً مختلفة، بحسب بنية الفضاء الجنائزي ونطاق الضرر، وأن إعادة التثبيت جزء من تاريخ العنف على الفضاء الجنائزي.

كلمات مفتاحية: العنف الإسرائيلي، المقابر، الفضاء الجنائزي، أنثروبولوجيا الموت، لبنان.

Abstract: This article examines Israeli violence against cemeteries in Lebanon through two cases: Rawdat Shuhada' Ainata in southern Lebanon and Al-Radouf cemetery in Burj al-Barajneh, Beirut. It asks what happens to the dead when the place in which they have been laid to rest is targeted after their burial. Adopting a visual and material anthropological approach, the article draws on field observation, interviews, photographs, archival photos, and aerial imagery. It proposes the concept of post-burial displacement of the dead to examine the destabilization of relations anchoring buried bodies in established funerary places, even in cases when bodies remain in place. The comparison shows that this destabilization varies according to the organization of funerary space and the scale of damage, and that restabilization forms part of the history of violence against such spaces.

Keywords: Israeli Violence, Cemeteries, Funerary Space, Anthropology of Death, Lebanon.

* باحثة دكتوراه في الأنثروبولوجيا، المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعة اللبنانية.

PhD researcher in Anthropology at the Doctoral School of Literature, Humanities and Social Sciences, Lebanese University. Email: zeinab.khazem@gmail.com

"حتى الموتى لن يكونوا في مأمن من العدو إذا انتصر"⁽¹⁾.

مقدمة

قبل التاسعة صباحاً، في 15 آذار/ مارس 2025، دخلتُ مقبرة الرادوف من مدخلها الشرقي، وكانت أول مرة أصل فيها إلى المقبرة بعد اتفاق وقف إطلاق النار. وتحت طائرة استطلاع إسرائيلية وصوتها المتواصل، مشيت على بلاط متكسر ونباتاتٍ مقتلعة، وتحت قدمي حصي وتراب وشظايا رخام وأكياس، وكان عليّ أن أراقب خطواتي بحذر. توقفت عند القطع الرخامية، بعضها يحمل حروفاً سوداء كاملة، وبعضها انكسر في منتصف الكلمة، قرأت آية الكرسي على رخامات كثيرة مبعثرة، كلمةً من هنا وأخرى من هناك، كأني أجمعها من قبورٍ متعددة. وقرأت اسم "محمد" ونقش "المرحوم" وتواريخ لم أعرف لأي قبر تعود كل واحدة منها، ثم رأيت شريطاً رخامياً منقوشاً عليه "يعلّم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون"⁽²⁾ مرفوعاً وموضوعاً فوق بلاطة سليمة في موضع ظاهر، لا أعرف من وضعه ولا زمان وضعه. أدّرت رأسي نحو عمق الجبانة (المقبرة)، هناك كانت قبورٌ ما تزال شواهدا ومزهرياتها منتصبّة، لم يصبها شيء. وقفت بين ما بقي قائماً وما صار قطعاً متناثرة، وسألت: ماذا يحدث للموتى حين يُستهدف الموضع الذي استقروا فيه بعد الدفن؟

تفتح المقابر مدخلاً أنثروبولوجياً مكثفاً إلى المجتمعات من إحدى عتباتها الأكثر حساسية، حيث تنظم الجماعات علاقتها بموتاهها عبر الجسد، والمكان، والعلامة، والطقوس وأنماط الحضور المتجدد. يُثبت القبر الجسد في موضع محدد ويمنحه قابلية التعرف والزيارة والعناية، في حين تربط المقبرة هذا الموضع بشبكة أوسع من القرابة والانتماء والعناية والترتيب المكاني. ومن خلال "الشاهد"⁽³⁾ والنقوش والصور ومواد البناء والمسارات والمداخل والقبور المتجاورة، يتشكل الفضاء الجنائزي مجالاً اجتماعياً تستمرّ داخله العلاقة بين الأحياء والموتى بعد الدفن.

خلال الحرب الإسرائيلية على لبنان منذ عام 2024، لم تسلم هذه الفضاءات من دائرة العنف الممتدة، فقد لحقت الأضرار بمقابر شهداء ورياضهم، وأصابت القبور والشواهد والمسارات والحدود والمحيط العمراني الذي يمنح المقبرة موقعها داخل البلدة أو الحي. وتكشف هذه الأضرار أن أثر الحرب يمتد إلى المواضع التي استقرّت فيها الأجساد بعد دفنها، وإلى الأنظمة المادية والرمزية والعلائقية التي تثبت صلتها بالأرض وبالأسماء والعائلات والجماعات التي تعرفها وتعود إليها. ويجعل ذلك من استهداف المقبرة تدخلاً في الشروط التي تثبت إقامة الموتى في المكان، ويتجاوز أثره توصيف الخراب المادي وحده.

(1) Walter Benjamin, "Theses on Philosophy of History," in: Walter Benjamin, *Illuminations: Essays and Reflections*, Hannah Arendt (ed.), Harry Zohn (trans.) (New York: Schocken Books, 1968), p. 255.

(2) الشريط مكسور عند هذه الكلمة من الآية، والنقش جزءٌ من آية الكرسي (البقرة: 255)، وهي من الآيات المتكررة على الشواهد والقبور في المادة الميدانية.

(3) الشاهد أو "الشاهدة" باللغة المحكية، جزء من أجزاء القبر، وهو علامة مادية قائمة أو مرتفعة فوق القبر، تدل على موضع القبر. يختلف شكل الشاهد من قبر إلى آخر، وبعض القبور لا ترتفع عندها شواهد، وقد يحمل الشاهد نقوشاً أو آيات قرآنية أو أبياتاً شعرية وتأريخية.

تنطلق الدراسة من هذا السؤال مقترحةً مفهوم "تهجير الموتى بعد الدفن" لفهم الأثر المكاني والعلائقي للعنف في المقابر. يشير المفهوم إلى زعزعة العلاقة التي تثبت الميت في مكان إقامته الجنائزية بعد أن يكون الجسد قد دُفن واستقرّ في موضع يُفترض أنه نهائي، ودخل في شبكة من العلامات والعلاقات والممارسات. وقد تتخذ هذه الزعزعة صورة نقل فعلي للجسد يفرضه العنف، أو صورة تهجير في المكان يبقى فيه الجسد في موضعه وتزعزع الشروط التي تجعل قبره معروفًا وقابلًا للوصول إليه والعناية به.

منهجياً، تستند الدراسة إلى ملاحظات وزيارات ميدانية أجريتها في مقبرة الرادوف في برج البراجنة في الضاحية الجنوبية لبيروت، حيث بدأت تتبّع الأضرار في آذار/ مارس 2025، وتابعت ذلك بزياراتٍ متقطّعة حتى أيلول/ سبتمبر 2026، وفي روضة شهداء عيناثا في جنوب لبنان، التي زرتها في حزيران/ يونيو 2024، وحزيران/ يونيو 2025، وكانون الثاني/ يناير 2026. تعتمد الدراسة أيضاً على مقابلات نوعية أجريتها في المرحلة الأخيرة من البحث. تشمل المادة الخاصة بعيناثا إجابات مكتوبة عبر واتساب لعضو في مجلس البلدية فضّل عدم ذكر اسمه، ومقابلة عبر رسائل صوتية على واتساب مع إحدى بنات شهداء البلدة، أُجريتاً يوم 8 أيلول/ سبتمبر 2026. أمّا في الرادوف، فتشمل المادة جولة ميدانية ومقابلة استغرقتا نحو ساعة ونصف الساعة يوم 14 أيلول/ سبتمبر 2026، مع مهندس من لجنة الوقف الجعفري يشرف على ترميم القسم الشرقي من المقبرة، وأحد القائمين معه على أعمال المسح والترميم. وتضمّ المادة البصرية صوراً من تصويري، ومواد بصرية ومقابلات واردة في مشروع التخرّج الوثائقي لريان بّسام بعنوان "بين الركن والمقام"، استخدمتها بإذنها، ومواد منشورة أخرى. وتُراعى في التحليل مواقع المتحدثين وسياقات إنتاج المادة الوثائقية والإعلامية. وتختلف شروط إنتاج المادة بين الحالتين تبعاً لإمكان الوصول إلى الموقع في مراحل الحرب المختلفة. فبينما أتاحت الرادوف معاينة مباشرة متكررة، تفاوتت إمكانية الوصول إلى عيناثا بين مرحلة وأخرى، واكتسبت الصور الأرشيفية والفضائية وإفادات أبناء البلدة أهمية أكبر، حينما تعذّرت المعاينة المباشرة. ويحدّد هذا التفاوت نوع المادة الممكن جمعها ودرجة التفصيل التي تسمح بها، ويشكّل جزءاً من شروط إنتاج المعرفة في زمن الحرب.

تشكّل الصور الفوتوغرافية والفضائية مادة بصرية ومكانية تتيح تتبّع تحولات الموقع عبر الزمن، من حيث حدوده، والركام، وحالة القبور والشواهد، ومسارات التدمير والترميم، مع مراعاة اختلاف دقة الصور وما تسمح به من تمييز للتفاصيل. وتستفيد هذه المقاربة من أدبيات المصادر المفتوحة التي تؤكد أهمية الجمع بين المادة الميدانية والمصادر البصرية والمكانية، ولا سيّما عند تعذّر الوصول المباشر، مع مراعاة شروط إنتاج الصورة وزمنها وموقع التقاطها⁽⁴⁾. وتتقاطع أيضاً، في نطاقٍ محدد، مع مناهج التحقيق البصري والمكاني المرتبطة بعمل المجموعة البحثية،

(4) Fred Abrahams & Daragh Murray, "Open Source Information: Part of the Puzzle," in: Sam Dubberley, Alexa Koenig & Daragh Murray (eds.), *Digital Witness: Using Open Source Information for Human Rights Investigation, Documentation, and Accountability* (Oxford: Oxford University Press, 2020), pp. 318–319; Micah Farfour, "The Role and Use of Satellite Imagery for Human Rights Investigations," in: Dubberley, Koenig & Murray (eds.), p. 233.

العمارة الجنائية Forensic Architecture، من خلال جمع الصور والخرائط والشهادات وغيرها وربطها بالموقع والزمن ومقارنتها لإعادة بناء آثار العنف ضمن بناء معرفي مركّب، مع بقاء المادة المرئية محتاجة إلى التفسير والمقارنة بمصادر أخرى⁽⁵⁾.

ويقوم تحليل المادة على تتبّع التحوّلات في كل موقع عبر الفترات التي تغطيها المصادر، ومقارنة الملاحظات الميدانية بالصور وإفادات المعنيين. وتتظلم القراءة حول ما أصاب العلامات، والعلاقات المكانية داخل المقبرة ومحيطها، والجسد المدفون والبنية التي تصونه، وما يقابل ذلك من أعمال الترميم واستعادة المعرفة بالقبور وممارسات الزيارة والعناية. ثم تُقارَن الحالتان، من حيث نطاق الضرر والروابط التي تعطلّت أو أُعيدَ وصلها، مع مراعاة تفاوت المادة المتاحة بين الموقعين ومراحل الحرب.

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ موضوع هذه الدراسة يتصل بموقعي داخل الميدان، فقد عرفتُ بعض المقابر قبل أن تصبح موضوعاً لبحثي، ودخلتها زائرة ومشاركة في الدفن وإحياء الذكرى، ثم تداخلت هذه الخبرة مع الملاحظة والتدوين والتصوير بعد تحوّلها إلى موضوع للدراسة، بحيث شكّلت الملاحظة بالمشاركة جزءاً من المنهج. وأتاحت هذه الموقعية معرفةً باللغة المحلية المرتبطة بالموت والدفن والزيارة، وبطرائق الحركة داخل الفضاء الجنائزي والتعامل معه، من دون افتراض معرفة مسبقة بتفاصيله؛ إذ ظلّت هذه المعرفة جزئية وخاضعة للتحقق والمقارنة بمصادر أخرى⁽⁶⁾. ومن هنا ميّزت الدراسة بين ما عاينته مباشرة، وما تسنده الصورة، وما يرد في الشهادات والمصادر المحلية، وما يحتاج إلى إسناد مستقل؛ وهو تمييز تزداد أهميته في سياق الحرب وتفاوت إمكانات الوصول إلى المواقع. وتؤدي الدراسة، إلى جانب وظيفتها الأنثروبولوجية، وظيفة توثيقية تحفظ آثار التحوّلات المادية والبصرية للفضاء الجنائزي وشهاداتها، مع مراعاة حرمة الموتى وخصوصية الأحياء، وإبلاغ المشاركين بأن إفاداتهم ستستخدم في مقال معدّ للنشر والحصول على موافقتهم الشفهية على ذلك، وحجب أسماء المشاركين في المقابلات التي أجريتها، واستخدام المواد الخاصة بإذن أصحابها، وقصر الشهادات والصور على ما يخدم السؤال البحثي.

(5) Andrew Barry, "Collective Empiricism and the Material Witness," *Journal of Visual Culture*, vol. 20, no. 3 (2021), pp. 494–495.

(6) تتصل هذه الموقعية بالنقاش الأنثروبولوجي حول موقع الباحث الجواني/ البراني Insider/ Outsider، الذي أبرز تعدّد علاقات القرب والمسافة، بحسب السياق والتكوين الأكاديمي والخبرة السابقة وعلاقات القوة. تتيح الألفة بالميدان معرفةً ببعض الممارسات والمعاني، مع بقاء هذه المعرفة جزئية ومتأثرة بالعلاقات التي نشأت ضمنها، كذلك يُدخل العمل البحثي أسئلةً وأدوات تحليلية تعيد تأطير الخبرة السابقة وتغيّر علاقة الباحث بما كان مألوفاً لديه. في هذه الدراسة، أسهم التداخل بين خبرتي السابقة ببعض المقابر والعمل البحثي في فهم بعض معاني المكان وممارساته، واستلزم الانتباه إلى حدود الخبرة الشخصية وإلى أثرها في اختيار المشاهد والشهادات وتأويلها. ينظر:

Kirin Narayan, "How Native Is a 'Native' Anthropologist?" *American Anthropologist*, vol. 95, no. 3 (1993), pp. 671–686; Sonya Corbin Dwyer & Jennifer L. Buckle, "The Space between: On Being an Insider–Outsider in Qualitative Research," *International Journal of Qualitative Methods*, vol. 8, no. 1 (2009), pp. 54–63; Lila Abu Lughod, "Writing Against Culture," in: Richard G. Fox (ed), *Recapturing Anthropology: Working in the Present* (Santa Fe: School of American Research Press, 1991), pp. 137–162.

تركز الدراسة في تحليلها على حالتين في لبنان: روضة شهداء عيناثا في الجنوب، ومقبرة الرادوف في برج البراجنة في الضاحية الجنوبية لبيروت. تمثل الأولى فضاءً جنازياً منظماً حول الشهادة، ارتبط بتاريخ البلدة وبحضور شهدائها وبشبكة من الرموز والممارسات المرتبطة بهم، ثم تعرض لدورات من التدمير وإعادة التثبيت في سياق الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان⁽⁷⁾. أما الرادوف، فهي مقبرة محلية أقدم وأكثر تراكمًا، تتجاوز فيها طبقات من الدفن المتعاقب، ويأخذ الدفن القروي فيها غالبًا شكل دفن أفراد العائلة الواحدة في القبر نفسه على مستويات متعاقبة، إلى جانب قبور الشهداء، ومقام ديني محلي داخل برج البراجنة الذي تشكل تاريخيًا عبر تحولات سكانية وعمرانية واجتماعية متعددة. يتيح اختلاف الحالتين اختبار أثر العنف في نمطين من تنظيم إقامة الموتى: روضة جماعية للشهداء داخل بلدة جنوبية لحق بنسيجها دمار واسع، ومقبرة تراكمية داخل نسيج مديني كثيف أصابها ضررٌ جزئي ومتفاوت. وتتأسس المقارنة على اختلاف الموقعين في بنية الفضاء الجنائزي وفي مسارات التعافي اللاحقة، بما يتيح تتبع أثر هذا التفاوت في كيفية زعزعة إقامة الموتى وإعادة تثبيتها. ففي كلٍّ منهما، يعمل الضرر داخل بنية مختلفة، وتتخذ إعادة التثبيت مسارًا مختلفًا تبعًا لذلك. ومن خلال هذا التفاوت، يتحوّل سؤال التدمير إلى سؤالٍ آخر: كيف يُعاد وصل الموتى بمكان إقامتهم بعد أن يكون العنف قد زعزع هذه الصلة؟

تنظّم الدراسة محاولة الإجابة عن هذا السؤال عبر ثلاثة مسارات تحليلية مترابطة: محو العلامات، وتفكيك الفضاء الجنائزي، والمساس بالجسد المدفون وحرمة موضعه. ونُقرأ هذه المسارات عبر خمسة أبعاد: المادي، والرمزي، والعلائقي، والمعيش (الممارس)، والزمني. بذلك، تتوزع الدراسة على أربعة أقسام، يقدم القسم الأول إطارًا أثروبولوجيًا وتحليليًا لفهم الجسد والقبر والحرمة والإقامة بعد الدفن، ويضع المفهوم المقترح "تهجير الموتى بعد الدفن" في حوارٍ مع أدبيات العنف على الموتى والمحو المكاني والأدبيات الفلسطينية ذات الصلة. ويعرض القسم الثاني السياق المحلي وتشكّل الفضاء الجنائزي في الموقعين المدروسين. ويقرأ القسم الثالث الحالتين عبر مسارات الضرر وإعادة التثبيت. في حين يناقش القسم الرابع المساهمة المفاهيمية للدراسة وحدودها، ويسأل عمّا يضيفه "تهجير الموتى بعد الدفن" إلى فهم العنف الإسرائيلي على المقابر حين يمتد أثره إلى الجسد والعلامة والفضاء واستمرار العلاقة بين الأحياء وموتاهم.

أولاً: أثروبولوجيا المقابر: الجسد والحرمة والإقامة بعد الدفن

تنظر أثروبولوجيا الموت إلى الموت في امتداده الاجتماعي والطقوسي، من توقف الجسد عن الحياة إلى تنظيم انتقاله ودفنه واستمرار العلاقة به بعد الدفن. فقد بيّن أرنولد فان جنيب، في تحليله لطقوس العبور، أن الانتقال بين الأوضاع الاجتماعية ينتظم عبر ثلاث حركات مترابطة: الانفصال، والمرحلة

(7) بدأت المواجهات الحدودية في 8 تشرين الأول/أكتوبر 2023، واتسعت الحرب على لبنان في أيلول/سبتمبر 2024، ثم تجددت على نطاق واسع في آذار/مارس 2026.

الهامشية، ثم الإدماج أو التجميع في وضع جديد⁽⁸⁾. وفي الطقوس الجنائزية، تمرّ علاقة الجماعة بالميت عبر سلسلة من الممارسات تشمل تجهيز الجسد، والتشييع والدفن، والحداد، ثم أشكال الزيارة والعناية اللاحقة بالقبر. يثبت الدفن، ضمن هذا المسار، انتقال الميت إلى وضع اجتماعي ومكاني جديد، ويمنحه موضعاً تستمر العلاقة به من خلاله⁽⁹⁾. وتظهر أهمية المكان في هذه السيرة من خلال الحدود والعتبات والممرات التي تنظم الانتقال؛ ففي حديثه عن "الانتقال المادي" Le passage matériel، يشير فان جنيب إلى أن العبور يتحقق عبر عتبات وحدود وأبواب ومناطق ذات حرمة، تنظم الدخول والخروج والانتقال بين المجالات⁽¹⁰⁾.

من هذا المدخل، يمكن قراءة المقبرة بوصفها فضاءً عتبياً تنظم داخله العلاقة بين الأحياء والموتى، عبر حدودها ومسارات الدخول إليها والخروج منها، وما يرتبط بها من علامات وممارسات تضبط الزيارة والتعامل مع موضع الميت. ويغدو القبر، ضمن هذا الفضاء، موضع استقرار للجسد بعد الدفن؛ إذ يثبت الميت في موضع جديد، وتمنح العلامات والممارسات اللاحقة هذا الموضع قابلية التعرف والزيارة؛ ليصبح القبر نقطة التقاء بين الجسد المدفون والعلامة الدالة عليه والعلاقة الاجتماعية التي تستمر من خلاله.

يتشكل هذا المكان من تداخل الجسد والعلامة والعلاقة، فالقبر يضمّ الجسد في موضع محدد، وتمنحه الشواهد والبلاطات والأسماء والتواريخ والصور والنقوش والآيات والرموز قابلية التعرف. ويعمّق لوي-فانسان توماس هذا المستوى من التحليل، من خلال تناوله الموت واقعةً مجتمعيةً، تطبعها الجماعة بتمثيلات وقواعد ومؤسساتها⁽¹¹⁾. ويتيح مدخله السيميائي قراءة الموت عبر أنظمتها الدلالية والرمزية⁽¹²⁾، وانطلاقاً من هذا المدخل، تقرأ الدراسة العلامات الجنائزية (الاسم، والصورة، والنقش، والشاهد، والبلاطة)، في الحالتين المدروستين، وسائط تربط الجسد المدفون بموضع قابل للتعرف والاستدلال عليه. وهي عناصر تعمل معاً، فالمقبرة فضاءً مادي ورمزي وعلائقي في آن، على النحو الذي تقترحه أفريل مادريل وبريندا ماتيسن؛ إذ تربطان التنظيم المكاني للمقبرة بماديتها وتمثيلاتها وممارساتها، وتدرسان النصوص والأيقونوغرافيا والعلامات على القبور، إلى جانب العلاقات المستمرة بين الأحياء والموتى⁽¹³⁾. وتظهر أن القبر يحدد مادياً موضع الرفات، ويحمل في الوقت نفسه دلالات الهوية والانتماء، وأن الزيارة وتزيين القبر والعناية به والصلاة للميت والدعاء له تدخل في استمرار العلاقة بين الأحياء والموتى⁽¹⁴⁾. ومن هذا المنظور، تدخل القبور والشواهد والحدود والمسارات،

(8) Arnold van Gennep, *Les rites de passage* (Paris: Picard, 2011), p. 21.

(9) Ibid., p. 230.

(10) Ibid., pp. 30, 33-34.

(11) Louis-Vincent Thomas, *Anthropologie de la mort* (Paris: Payot, 2010), pp. 67-68.

(12) Ibid., p. 399.

(13) Avril Maddrell & Brenda Mathijssen, "Situating the Dead: Cemeteries as Material, Symbolic, and Relational Space," in: Jeanne Halgren Kilde (ed.), *The Oxford Handbook of Religious Space* (New York: Oxford University Press, 2022), pp. 525-528.

(14) Ibid., pp. 539-540.

إلى جانب الأسماء والصور والنقوش والآيات والرايات، في تشكيل الفضاء الجنائزي مادياً ودلالياً وعلائقياً. وتعمل المقبرة، في التحليل المقترح هنا، نظاماً للموضوعة والتعرف: تثبت الجسد في مكان، وتجعل موضعه قابلاً للاستدلال، وتوفر للزيارة والرعاية مسارات تعيد وصل الأحياء بالموتى.

يكتسب القبر في السياق المحلي للحالتين معنى معيارياً يرتبط بحرمة الميت. وتظهر هذه الحرمة في أنماط التعامل اليومي مع القبر والمقبرة، كما نجد سنداً فقهياً في الأحكام المتعلقة بصون جسد الميت وموضع دفنه، فيرد الضحك في المقابر والمشي على القبر من غير ضرورة ضمن مكروهات الدفن، ويحرم هتك حرمة الميت ونش قبر المسلم إلا في موارد مستثناة ومحددة⁽¹⁵⁾. ويفيد هذا التمييز في قراءة الضرر الذي يلحق بالقبور، لأن تضرر موضع الجسد أو احتمال كشفه يدخل ضمن منظومة محلية وفقهية تستمر فيها حرمة الميت وموضع دفنه بعد الدفن. وتظهر استمرارية هذه العلاقة في ممارسات عايتها خلال عملي الميداني المتكرر في المقابر. تشمل هذه الممارسات زيارة القبر، وقراءة الفاتحة، والعناية بمحيطه، ووضع الزهور والشموع والرسائل، والعودة إليه في مناسبات الوفاة أو الاستشهاد وفي أزمنة الزيارة الدورية.

وتمنح شهادة إحدى بنات شهداء عيناثا هذه العلاقة صيغة يومية مباشرة، ففي وصفها للروضة خلال فترة الإسناد⁽¹⁶⁾، ذكرت أنها كانت "محطتنا الأولى بس نوصل والمحطة الأخيرة قبل ما نمشي". ثم أضافت أن المهم بالنسبة إليهم هو أن "تكون بيناتهم". تكشف هذه الشهادة كيف يمكن أن تدخل الروضة في إيقاع الحياة اليومية للعائلة، وأن يتحول القبر من موضع دفن إلى نقطة عودة متكررة وعلاقة معيشة⁽¹⁷⁾. وتستند هذه الملاحظات إلى المعاينة الميدانية المباشرة، بينما توثق المادة البصرية بعض آثارها المادية في القبور، وتقرأ كل مادة وفق شروط إنتاجها؛ فالصورة تسند ما يظهر فيها مادياً، وتستند ممارسات، مثل قراءة الفاتحة والطرق على البلاطة الخارجية وحركة الجسد الزائر، إلى المعاينة المباشرة. ولهذه الممارسات تاريخ محلي مدون يسبق المعاينة الراهنة.

يصف قاسم سمحات، في دراسته لعيناثا، طقوساً جنازية كانت سائدة في البلدة وفي جبل عامل عموماً ثم تراجع، من بينها ذهاب النساء عصرًا إلى الجبانة لتكريم الميت بوضع البخور على عيدان وإشعالها، وانتظامهن في حلقة يرددن وراء "القوالة" أراجيز الحزن والمواساة، إلى جانب ما كان يرافق ذكرى الأسبوع من دعوة أهل البلدة المشاركين فيها إلى الطعام في البيوت أداءً للواجب الاجتماعي تجاه أهل المتوفى⁽¹⁸⁾. ويوضح هذا أن الجبانة شكّلت تاريخياً موضعاً لممارسات متكررة، يتجدد من

(15) "فصل في مكروهات الدفن"، الكتب الفتوائية، التعليقة على العروة الوثقى، ج 1، موقع مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني، شوهف في 2026/9/6، في: <https://acr.ps/hBxVKaX>

(16) يُستخدم تعبيراً "جبهة الإسناد" و"معركة أولي البأس" في الخطاب المحلي اللبناني، للإشارة إلى "معركة جبهة الإسناد" التي خاضها حزب الله إسناداً لغزة بدءاً من 8 تشرين الأول/أكتوبر 2023، ومن بعدها "معركة أولي البأس" ضد العدوان الإسرائيلي على لبنان في أيلول/سبتمبر 2024، التي انتهت جولتها الأولى يوم 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2024، لتبدأ الجولة الثانية منها يوم 2 آذار/مارس 2026، وهي مستمرة حتى زمن كتابة هذه الدراسة.

(17) ابنة شهيد من عيناثا، مقابلة عبر الرسائل الصوتية على واتساب، 2026/9/8.

(18) قاسم محمد سمحات، عيناثا: قمة في جبل عامل (نوافذ على التاريخ والتراث) (بيروت: دار المحجة البيضاء، 2009)، ص 185-186.

خلالها حضور الميت داخل جماعته، وأن أشكال هذه العلاقة تتحوّل مع تغير الشروط الاجتماعية للبلدة. ومن هذا المدخل، يمتد البعد الزمني في الشبكة التحليلية إلى ما يسبق العنف؛ إذ يدخل العنف على إقامة جنازية لها تاريخها الخاص من الاستقرار والتحول. ولا تنتظم الممارسات الجنازية في البيئات الشيعية على صيغة واحدة؛ إذ تتفاوت بحسب الموقع الجغرافي والانتماء الاجتماعي والسياسي، كما تبيّن سابرينا ميرفان في دراستها لطقوس الجسد والحداد. وهذا التفاوت هو ما يستدعي قراءة كل فضاء جنازي في شروطه المحلية بدلاً من رده إلى نموذج عام⁽¹⁹⁾.

تكتسب رياض الشهداء، ضمن هذا السياق، كثافة علائقية ومكانية إضافيتين؛ ففيها تتداخل القرابة الدموية - الرحمة⁽²⁰⁾ مع شكل من القرابة الرمزية - الأيديولوجية⁽²¹⁾، تنتجها مكانة الشهيد داخل الجماعة. ويظهر ذلك في منطق تنظيم الفضاء الجنازي نفسه؛ إذ يجمع معيار الشهادة موتى ينتمون إلى عائلات وبيوت مختلفة داخل فضاء واحد، فيبقى الشهيد داخل قرابته ونسبه، ويأخذ في الوقت نفسه موقعاً داخل جماعة الشهداء. وتظهر هذه الرابطة كذلك في ممارسات الزيارة؛ فقد يقصد الزائر شهيداً لا تربطه به صلة نسب مباشرة، وقد يقصد الروضة كلها فضاء دينياً وجماعياً. وتدل القرابة الرمزية - الأيديولوجية هنا على علاقة رمزية تنتج أشكالاً من القرابة.

وإذا كانت الإقامة الجنازية تتشكّل، عبر تثبيت الجسد في موضع تعرفه الجماعة وتعود إليه، فإن تعرّضها للعنف يضع استمرار هذه العلاقة موضع سؤال⁽²²⁾، ويجعل حضور الجماعة الذي تشهد عليه المقابر عرضةً للمحو⁽²³⁾. وتظلّ مادية الجسد أساسية في فهم ما يصيب هذه الصلة؛ فمعاملة الجثث بطرائق مهينة أو تدينسية أو غير إنسانية، قد تُنتج أشكالاً إضافية من العنف⁽²⁴⁾. من هذا المنظور، يقتضي النظر إلى الإقامة الجنازية تتبّع الضرر الذي يلحق أيضاً بالعناصر التي تصون الجسد وتدلّ عليه. بذلك يصبح السؤال: كيف تترزعزع إقامة الميت حين ينكشف جسده، أو حين تنفصل علامة قبره عن موضعها، أو يتعرّف القبر والوصول إليه، حتى مع بقاء الجسد مدفوناً؟

(19) Sabrina Mervin, "Les larmes et le sang des chiites: Corps et pratiques rituelles lors des célébrations de 'ashûrâ' (Liban, Syrie)," *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, no. 113-114 (2006), pp. 153-154, 163-164.

(20) أستخدم تعبير القرابة الدموية - الرحمة للدلالة على القرابة المباشرة القائمة على النسب.

(21) طورت مفهوم القرابة العصبية - الأيديولوجية في عمل بحثي سابق، للإشارة إلى منطق الدفن الذي تنتجه الشهادة في روضة الشهيدين في بلدة الغييري في الضاحية الجنوبية لبيروت، حيث يجتمع الشهداء داخل فضاء جنازي واحد وفق رابطة تتجاوز النسب المباشر. ويُعاد توظيف الفكرة في هذه الدراسة بصيغة القرابة الرمزية - الأيديولوجية، بما يركز على طبيعتها الرمزية والجماعية من دون تحميلها الدلالات النظرية الأوسع لمفهوم العصبية. ينظر: زينب خازم، "إقامة الشهداء: نموذج مقبرة روضة الشهيدين" - الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت (دراسة حقلية إثنوغرافية)، رسالة دراسات معتمّة غير منشورة، معهد العلوم الاجتماعية، الجامعة اللبنانية، بيروت، 2019.

(22) ينظر:

Katherine Verdery, *The Political Lives of Dead Bodies: Reburial and Postsocialist Change* (New York: Columbia University Press, 1999), pp. 106-107.

(23) Noa Krikler, "Killing the Dead: The Logic of Cemetery Destruction during Genocidal Campaigns," *Nations and Nationalism*, vol. 29, no. 4 (2023), pp. 1338-1339.

(24) Jason De León, *The Land of Open Graves: Living and Dying on the Migrant Trail* (Oakland: University of California Press, 2015), pp. 68-83.

تعمّق الأدبيات الفلسطينية البُعدين المكاني والسياسي؛ فالمصادرة والهدم وتفتيت المجال وتقييد الحركة، في سياق الإبادة المكانية Spacio-cide، تصيب الشروط التي تجعل البقاء في المكان ممكناً⁽²⁵⁾. وتظهر مادية هذه السيطرة في حالة مقبرة مأمن الله في القدس، حيث يتداخل التخطيط والبناء وعمل السلطات البلدية والأثرية في التدخل في القبور وما تحت الأرض⁽²⁶⁾. وتُقرأ هذه الممارسات على أنها تدخل في صلة الأجساد المدفونة بالأرض والتاريخ، وفي حضور الجماعة الذي تثبته المقبرة⁽²⁷⁾. ويشكّل احتجاز الجثامين وجهاً آخر لهذه السيطرة بما ينطوي عليه من عقاب يتجاوز الميت إلى العائلة والجماعة، عبر التحكم في إمكانات الحداد وممارسته⁽²⁸⁾. ويعيد احتجاز الجثامين وشروط تسليمه وتشيعه تشكيل زمن الموت وعلاقة الأهل بالميت، وتكشف هذه الممارسات الطابع الدائري لانتقالاته الاجتماعية والسياسية، بما يعقد تصوّر أن العبور الجنائزي يتخذ مساراً خطياً ينتهي بالدفن⁽²⁹⁾.

ويمكن التمييز تحليلياً بين صورتين رئيسيتين لتهجير الموتى بعد الدفن⁽³⁰⁾؛ نقل فعلي لجسد أو رفات سبق أن استقر في موضع نهائي، أو اضطراب العلاقة بموضعه مع بقاءه فيه، وتتحدد كلّ صورة بأثر العنف في شروط الإقامة الجنائزية. ويقتضي ضبط هذا الحدّ التمييز بين تهجير الموتى بعد الدفن ودفن الوديعة⁽³¹⁾. فالوديعة ترسم الحدّ المقابل لهذه الزمنية؛ فهي إقامة جنائزية مؤقتة يكون الانتقال اللاحق جزءاً من ترتيبها منذ البداية، وينطلق تهجير الموتى بعد الدفن من إقامة استقرت ثم يتدخل العنف في زرعته. وحين يفرض العنف اللجوء إلى دفن الوديعة، تفتح هذه الممارسة سؤالاً عن تهجير الموتى قبل الدفن النهائي، وتستدعي أبعاده الفقهية والطقسية والاجتماعية معالجة مستقلة.

تُصاغ هذه المفاهيم في سياق حربٍ مستمرة، تزامن فيه الكتابة عن الموتى مع فقدٍ يتجدّد ومقاومة الأحياء للعنف الذي يستهدف حياتهم وصلتهم بأرضهم وموتاهم. وتضع هذه المزامنة البحث أمام

(25) Sari Hanafi, "Explaining Spacio-cide in the Palestinian Territory: Colonization, Separation, and State of Exception," *Current Sociology*, vol. 61, no. 2 (2013), pp. 191–193.

(26) Aya Hijazi, "Toward Spacio-cide: Building the Museum of Tolerance over the Mamilla Cemetery in Jerusalem," *Jerusalem Quarterly*, no. 67 (Autumn 2016), pp. 97–100, 102–106.

(27) Nadera Shalhoub-Kevorkian, "Criminality in Spaces of Death: The Palestinian Case Study," *British Journal of Criminology*, vol. 54, no. 1 (2014), pp. 39–40, 50.

(28) Nadera Shalhoub-Kevorkian, "Necropenology: Conquering New Bodies, Psychics, and Territories of Death in East Jerusalem," *Identities*, vol. 27, no. 3 (2020), pp. 286–290.

(29) سهاد ظاهر – ناشف، "الاعتقال الإداري للجثامين الفلسطينية: تعليق الموت وتجميده"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 107 (صيف 2016)، ص 21–22، 29.

(30) يستلزم هذا النقل المفهومي مراعاة خصوصية تجربة تهجير الأحياء وثقلها التاريخي والإنساني. ويُستخدم "التهجير" هنا أداة مكانية – علائقية لتحليل اضطراب الإقامة والموضوعة بعد الدفن.

(31) يُستخدم مصطلح الوديعة محلياً في سياقات الحرب للإشارة إلى دفن مؤقت لجثمان يتعذر نقله إلى بلدته أو مقبرته المقصودة. وفي تقرير ميداني عن مقابر الوديعة في جنوب لبنان، يشرح الشيخ كاظم شمس أن الوديعة مشتقة من الإيداع؛ بمعنى ترك الأمانة في مكان، وأن الجثمان يُدفن وفق ترتيبات الدفن المعتادة داخل صندوق خشبي معد لهذا الغرض، بحيث يمكن نقله كاملاً لاحقاً، ويصفه بـ "قبر متنقل". غفران مصطفى، "فيديو مقابر الودائع في لبنان: دفن مؤقت بانتظار العودة إلى مسقط الرأس"، الميادين، 2026/4/9، شوهد في 2026/9/6، في: <https://acr.ps/hBxVK7e>. وتتفق هذه الدلالة مع ما أوضحته إحدى المشاركات عن عمّها الذي دُفن مؤقتاً في بلدة جويّا في الجنوب، ثم نقل إلى جبانة البلدة بصفة وديعة قبل دفنه النهائي في روضة الشهداء في 22 شباط/فبراير 2025.

إشكالية المسافة التي يُنشئها التحليل إزاء معاناة ما زالت تُعاش، وما قد يحجبه التجريد المفهومي من خصوصية الموتى وعلاقات الأحياء بهم. ويقتضي ذلك إبقاء هذه الاعتبارات حاضرة في بناء المفهوم وتأويل المادة، مع الإقرار بأن المعرفة المنتجة تظل جزئية ومفتوحة على المراجعة في ميدان يستمرّ العنف في تغييره. ولتتبع مظاهر هذا الاضطراب داخل الفضاء الجنائزي، تعتمد الدراسة ثلاثة مسارات تحليلية مترابطة.

ينتظم المسار الأول حول محو العلامات؛ أي إضعاف المؤشرات (الاسم، والشاهد، والبلاطة، والصورة، والنقش، والآية، والراية، والرمز الديني/السياسي)، التي تجعل القبر قابلاً للتعرف. يصيب هذا المسار الوسيط المادي والدلالي الذي يربط الجسد المدفون باسمه وموقعه وجماعته. ويتصل المسار الثاني بتفكيك الفضاء الجنائزي؛ أي اضطراب البنية المكانية التي تنظم علاقة القبور بعضها ببعض وعلاقة القبر بمحيطه القريب. ويظهر ذلك في الركام وانهيار الحدود، وتضرر المسارات، واختلاط مواد البناء وتبعثر العلامات أو إعادة توزيعها بما يربك صلتها بمواقع القبور. ويؤثر هذا التفكيك في قابلية المكان للقراءة والحركة والرعاية وفي انتظام الجوار بين القبور. أما المسار الثالث، فيتصل بما يصيب الجسد المدفون وحرمة موضعه، من تضرر البنية التي تحميه إلى انكشافه أو انكشاف الرفات. وتختلف حدود الاستدلال، بحسب ما تثبته المعاينة والصورة والشهادة في كل حالة. وتقرأ هذه المسارات، عبر خمسة أبعاد تحليلية متداخلة، يعرضها الجدول.

مسارات العنف والأبعاد التحليلية

مسار العنف	البعد المادي	البعد الرمزي	البعد العلائقي	البعد المعيش	البعد الزمني
محو العلامات	تكسر الشواهد والبلاطات والصور	تضرر العلامات التي تثبت الاسم أو الرمز أو صفة الشهيد	ضعف الصلة بين الجسد والقبر والجماعة	إضعاف قابلية الاستدلال إلى القبر عند الزيارة	انتقال العلامة من الثبات إلى الركام أو الاستبدال
تفكيك الفضاء الجنائزي	ركام، وانهيار، وتضرر المسارات والحدود	اختلاط رموز المكان وفقدان انتظامها	اضطراب الجوار وترتيب القبور وعلاقات القربة	اضطراب مسارات الحركة والوصول والرعاية	انتقال الفضاء من الانتظام إلى الركام ثم إلى إعادة التنظيم
المساس بالجسد المدفون وحرمة موضعه	تضرر بنية القبر أو انفتاحها، وانكشاف الجسد أو الرفات	المساس بحرمة الميت وموضع دفنه	زعزعة صلة الجسد بمكان إقامته بعد الدفن	تقييد إمكان الاقترب والرعاية المباشرة	استمرار الاضطراب، أو إعادة التثبيت، أو تعليق عملية التثبيت عند تعدّد الوصول

المصدر: من إعداد الباحثة.

تشكّل هذه الشبكة أداة قراءة للحالتين المدروستين؛ فالبعد المادي يتّصل بالقبر وعناصره والركام، والرمزي بالنقوش والصور والإشارات الدينية والسياسية، والعلائقي بعلاقة الجسد بموضعه والقبر بجواره والمقبرة بجماعتها، والمعيش بالزيارة وقراءة القرآن والأدعية ومجالس العزاء والعناية بالقبر، والزمني بدورات التدمير والترميم وإمكان الاستهداف المتكرر. وتعمل هذه الأبعاد بصفتها عدسات متقاطعة، يُستعان بها لتتبع المسار الواحد، بحسب طبيعة الحالة والمادة المتاحة.

ثانيًا: تشكّل الفضاء الجنائزي في الجنوب اللبناني والضاحية الجنوبية

يتشكّل الفضاء الجنائزي من الممارسات التي تتجه وتجعله فضاءً معيشًا، وقد ميّز هنري لوفيفر بين ثلاثة أبعاد مترابطة ومتداخلة في إنتاج الفضاء: الممارسة المكانية أو الفضاء المُدرَك، وتمثّلات الفضاء أو الفضاء المتصور - المتمثّل والفضاء المعيش L'espace vécu الذي تتجه الجماعة من الداخل عبر استخدامها اليومي وما تضيفه على المكان من معانٍ ورموز وذاكرة⁽³²⁾. ويعمّق ميشال دو سارتو هذا المستوى الأخير حين يُظهر كيف تمنح الممارسات اليومية (المشي، والتنقّل، والاستخدام المتكرر) معنىً خاصًا للفضاء يتشكّل من الداخل لا من فوق⁽³³⁾. وينتج الفضاء الجنائزي المحلي من هذا المستوى المعيش تحديدًا، حيث تشكّل الجماعة الشيعية⁽³⁴⁾، في الحالتين المدروستين، فضاءهما الجنائزي من خلال روابط القرابة والانتماء الديني والتجاور المكاني، وعبر الدفن والزيارة والتسمية والعناية؛ فتتحوّل المقبرة إلى امتداد مادي للعلاقات التي تنظّم حضور الموتى داخلها.

1. عينات: البلدة والروضة وتشكّل فضاء جنائزي للشهداء

تقع عيناتنا في قضاء بنت جبيل ضمن المجال التاريخي لجبل عامل، وقد عاشت منذ سبعينيات القرن العشرين تحت أثر متواصل للاحتلال والعنف الإسرائيلي وما رافقهما من نزوح وفقد ومقاومة وعودة، وأصبحت هذه الخبرات جزءًا من التاريخ المحلي الذي تشكّلت داخله علاقة البلدة بأرضها

(32) Henri Lefebvre, *The Production of Space*, Donald Nicholson-Smith (trans.) (Oxford: Blackwell Publishers, 1991), pp. 38-40.

(33) Michel de Certeau, *The Practice of Everyday Life*, Steven Rendall (trans.) (Berkeley: University of California Press, 1984), pp. 97-99.

(34) أستخدم مصطلح "الجماعة الشيعية" بمعناه الأثروبولوجي الوظيفي؛ أي الجماعة التي تنتج فضاءاتها وممارساتها ومعانيها من الداخل، لا بمعناه الطائفي التصنيفي. ويحيل الاستخدام هنا تحديدًا إلى الجماعة الشيعية في الجنوب اللبناني (ممثلة ببلدة عينات)، وفي الضاحية الجنوبية لبيروت (برج البراجنة)، بما يحدّد السياق الاجتماعي والمكاني للحالتين المدروستين من دون ادّعاء تمثيل الجماعة الشيعية في لبنان ككل. ويمكن الاستئناس هنا باستعمال جان-ميشيل لاندري لمفردة البيئة في السياق الشيعي اللبناني للإشارة إلى المحيط الاجتماعي والأخلاقي الذي تشكّل داخله العلاقات والممارسات والقيم اليومية.

Jean-Michel Landry, "Community Fashioning: Political Ethics and Shi'i Clerical Training in Lebanon," *American Ethnologist*, vol. 50, no. 2 (2023), pp. 170-180.

ينظر أيضًا:

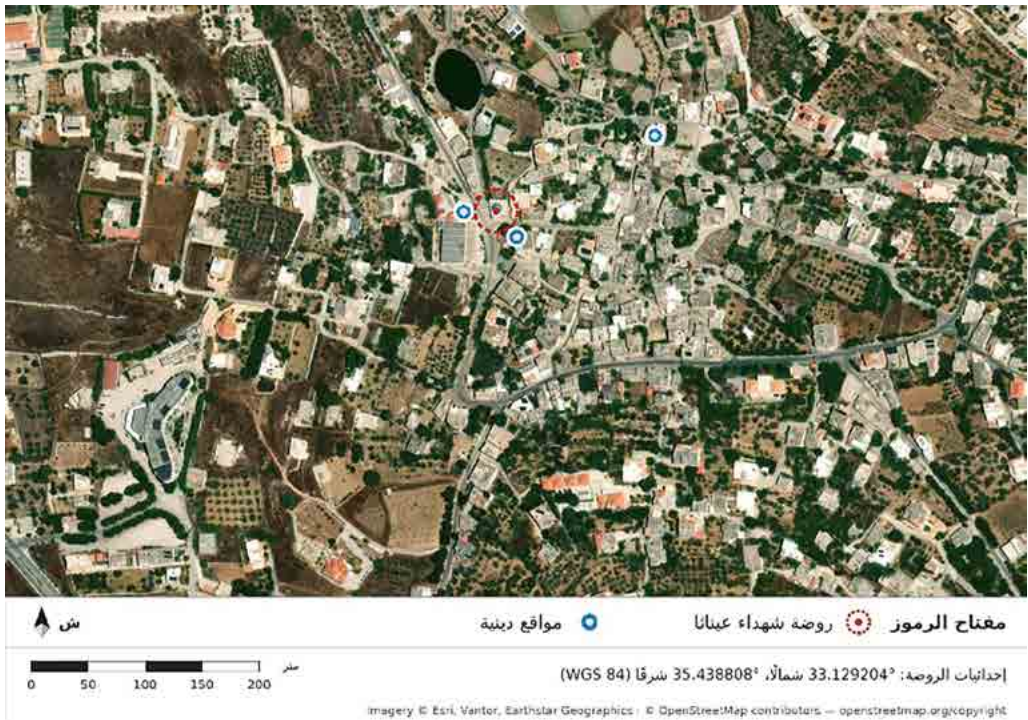
Sami Hermez, "Resistant Ecologies and the Bi'a beyond Methodological Nationalism," *American Ethnologist*, vol. 50, no. 2 (2023), pp. 198-199.

وموتاهما. وبعد الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان عام 2000، بدأ تشكل روضة شهداء عيناثا حينما ضم موضعها الأول شهيدين من أبناء البلدة، ثم اتسعت مع تعاقب شهدائها، ولا سيما بعد حرب تموز/ يوليو 2006⁽³⁵⁾.

يروى مؤسس الروضة أنّ شهيدين من أبناء البلدة دفنّا خارجها بصفة ودائع، أحدهما في بيروت والآخر في بلدة دير قانون النهر، وبعد التحرير في 25 أيار/ مايو 2000، اختار قطعة أرض بين الحسينية والجامع (الصورة 1)، ونُقل إليها الشهداء في أيلول/ سبتمبر من العام نفسه. ضمت الروضة في طورها الأول شهيدين وضريحاً رمزياً لشهيد دفن جثمانه في بيروت "دفناً رسمياً"، ثم أضيف إليها عام 2004 جثمان شهيد ثالث⁽³⁶⁾.

الصورة (1)

موقع روضة شهداء عيناثا في النسيج العمراني لبلدة عيناثا، قضاء بنت جبيل



المصدر: من إعداد الباحثة اعتماداً على صورة خريطة فضائية التقطت يوم 11 تموز/ يوليو 2024، باستخدام النسخة المؤرشفة بتاريخ 5 آب/ أغسطس 2026، في:

"World Imagery (Wayback 2026-08-05)," Esri, accessed on 5/10/2026, at: <https://acr.ps/hBxVKk8>

تكشف هذه النشأة أن ممارسة دفن الوديع في عيناثا تسبق حرب عام 2024 بنحو ثلاثة عقود، وأن نقل الموتى من موضع دفنهم الأول إلى موضع مقصود يجري أيضاً بفاعل محلي، ويضيف الضريح

(35) يستند التسلسل التاريخي المتعلق بروضة شهداء عيناثا إلى: روضة عيناثا، شوهد في 2026/4/3، في: <https://acr.ps/hBxVKHu>؛ علي الصغير، "العمل مستمر لإنهاء روضة شهداء عيناثا"، السفير، 2008/7/3، شوهد في 2026/9/5، في: <https://acr.ps/hBxVKDL>

(36) شهادة مؤسس روضة شهداء عيناثا، نقلاً عن: ريان بسام، الفيلم الوثائقي "بين الركن والمقام"، الدقائق 03:00-04:45.

الرمزي وجهاً ثالثاً: علامة جنائزية تؤدي وظيفتها التعريفية ويفصلها عن الجسد التصميم لا العنف. وقد تعرّضت الروضة يوم 27 تشرين الأول/ أكتوبر 2024 للتدمير خلال العمليات العسكرية الإسرائيلية في عيناثا⁽³⁷⁾، وأعيد بناؤها في شباط/ فبراير 2025، بعد رفع الركام، وألحقت بها قطعة جديدة لاستقبال شهداء الحرب. وفي الشهر نفسه، نُقلت إليها جثامين عددٍ من الشهداء الذين دُفِنوا بصفة ودائع في مقابر بلدات أخرى؛ كان بعضها قد نُقل مؤقتاً إلى جبّانة عيناثا، في حين نُقل البقية مباشرةً من تلك المقابر إلى الروضة. واستقرّت الروضة على هيئتها الجديدة في آب/ أغسطس من العام نفسه، وكانت تضمّ 84 شهيداً وفق التوثيق المحلي. ثم تعرّضت الروضة للاستهداف مجدداً في نيسان/ أبريل 2026، في سياق التصعيد الإسرائيلي وتجدد عمليات التدمير في عيناثا، كما تُظهر الصورة الفضائية المؤرخة في 27 نيسان/ أبريل 2026، حجم الأضرار في موقعها ومحيطها (الصورة 2).

الصورة (2)

صورة فضائية لروضة شهداء عيناثا ومحيطها بعد التدمير الثاني



المصدر:

"Satellite Imagery Report #1," *OnGeo Intelligence*, 27/4/2026, p. 2, accessed on 5/10/2026, at: <https://acr.ps/hBxVKgp>

(37) يستند هذا التاريخ إلى شهادتين محليتين مستقلتين: عضو في مجلس بلدية عيناثا، وإحدى بنات شهداء البلدة. وكانت المفكرة القانونية قد أوردت يوم 28 تشرين الأول/ أكتوبر 2024، نقلاً عن تصريح تلفزيوني، خبر تدمير الجيش الإسرائيلي مقبرة في عيناثا، ووصفتها بأنها المقبرة الجديدة المستحدثة بعد حرب تموز/ يوليو 2006، ويرجح أن يوم 28 هو تاريخ ورود الخبر. "إخبار عن جرائم حرب رقم 12: تدمير المقابر في جنوب لبنان"، *المفكرة القانونية*، 2024/11/8، شوهد في 2026/9/5، في: <https://acr.ps/hBxVK3v>. تجدر الإشارة إلى أن في البلدة أربع مقابر، منها ثلاث للدفن العام وواحدة هي روضة الشهداء، ويحتمل أن يكون الوصف الوارد في التوثيق منصرفاً إلى غيرها.

يمنح وجود مقابر أخرى لعموم الموتى في البلدة تخصيص روضة الشهداء دلالة مكانية واضحة، حيث تنظم القبور فيها ضمن صفوف أكثر تجانساً وانتظاماً، وتتواتر صور الشهداء⁽³⁸⁾ والرموز والعلامات المرتبطة بالشهادة. ويُبقى ذلك الشهيد داخل قرابته الدموية - الرّحمية وعلاقته ببيته وبلدته، ويدخل في الوقت نفسه في قرابة رمزية - أيديولوجية أوسع تنتجها صفة الشهادة والتنظيم الجماعي للفضاء الجنائزي.

ولمقبرة البلدة العامة هذه، المعروفة محلياً بالجبّانة، تاريخها الخاص السابق للروضة، فيذكر سمحات أنها "جُرّفت جزئياً عام 1982 في أثناء أعمال بناء النادي الحسيني في البلدة"⁽³⁹⁾، وأنّ شاهد أحد القبور القديمة انتزع حينها ونُقل إلى منزل خاص، وهو شاهد يعود إلى القرن الثامن عشر، حُفرت عليه أبيات رثاء نظمها الشيخ ناصيف النصار. وتكشف هذه الواقعة صيغة أخرى للانفصال عن الموضوع ناتجة من أعمال بناء وإعادة تنظيم محلية، وتُظهر أنّ الشاهد بعد انفصاله عن القبر قد ينتقل إلى حيّز آخر، يحفظ دلالاته ويستقر فيه بعيداً عن الموضوع الذي كان يعرف به. ويتحدّد استخدام مفهوم تهجير الموتى بعد الدفن هنا بأثر العنف في الروابط التي تصل الجسد بموضعه وعلامته وإمكان العودة إليه، وقد يلحق هذا الأثر قبراً بعينه أو يتّسع إلى المقبرة ومحيطها.

2. برج البراجنة والرادوف: تراكم الدفن داخل فضاء مديني متحوّل

يجمع موقعي الدراسة تاريخ واحد من الحركة السكانية؛ فقد بدأ انتقال أبناء عيناثا إلى العاصمة منذ الخمسينيات بدافع التحولات الاقتصادية وضيق فرص العيش، وبفعل إقبال الحدود مع فلسطين التي كانت مورداً مهماً لأبناء البلدة. فاستقرّ معظم أهل عيناثا في الضاحية الشرقية لبيروت، ثم تعاقبت العودة والنزوح بين البلدة وبيروت خلال الحرب الأهلية (1975-1990) وتدهور الأوضاع الأمنية في الجنوب، ليستقرّ قسم منهم لاحقاً في الضاحية الجنوبية، بما في ذلك برج البراجنة⁽⁴⁰⁾.

(38) يندرج هذا الحضور البصري ضمن ممارسة أوسع من التنظيم المؤسسي والمحلي لصورة الشهيد وثقتها كندة شعيب في جنوب لبنان. ويبيّن أنّ إعادة توزيع صور الشهداء اتجهت، ما بعد صيف 2003، نحو ربطها بصورة أكبر بقرى الشهداء الأصلية ومواقع عملياتهم العسكرية، بما يعزز الصلة بين صورة الشهيد والمكان الذي ينتمي إليه.

Kinda Chaib, "Le Hezbollah libanais à travers ses images: La représentation du martyr," in: Sabrina Mervin (dir.), *Les mondes chiites et l'Iran* (Paris: Karthala, 2007), pp. 126-127.

ويضيف بشير سعادة بعداً زمنياً إلى هذا السياق من خلال إظهاره الكيفية التي تُعاد بها الشهادة إلى الحاضر عبر دورات التذكر وجمع آثار الشهداء وكتاباتهم ومقتنياتهم وشهادات ذويهم.

Bashir Saade, "Martyrology and Conceptions of Time in Hizbullah's Writing Practices," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 47, no. 4 (2015), pp. 728, 738-739.

(39) سمحات، ص 32.

(40) المرجع نفسه، ص 186، 190-192.

ويضع هذا المسار حاليّ الدراسة داخل حركة سكانية واحدة أنتجت، في كل موضع، تنظيمًا مختلفًا لإقامة الموتى. وتساعد دراسة أماندا رزق الله للتحويلات السكانية في ضواحي بيروت بعد الحرب على قراءة برج البراجنة ضمن تداخل السكان السابقين على الحرب مع النازحين والوافدين الذين استقروا فيها خلالها وبعدها، وما رافق ذلك من اختلاف في الشبكات الاجتماعية والسياسية⁽⁴¹⁾. وتدعم إثنوغرافيا لارا ديب للضاحية الجنوبية هذه القراءة؛ إذ تشدد على تعدد المجال من حيث الطبقة ومدة الإقامة والانتماءات السياسية وبعض أشكال التنوع الديني، بما يمنع التعامل مع الضاحية أو سكانها الشيعة بوصفهم كتلة متجانسة⁽⁴²⁾. ومن داخل هذا النسيج المدني المتحول، تشكلت مقبرة الرادوف واتسعت.

تستمد الرادوف اسمها من مقام ديني داخل المقبرة، تحمل البلاطة المثبتة على واجهته اسم "مقام إمامي وسيدي محمد الرديف"، وتُعرف محليًا باسم "الرادوف"؛ وهي تسمية تمتد في التداول المحلي إلى المقبرة نفسها والمنطقة التي تقع فيها، والتي تظهر في توثيق محلي أقدم⁽⁴³⁾. وتحمل نشأة الجبانة طابعًا تراكميًا؛ إذ بدأت بأرض وهبها أحد أبناء عائلة فرحات، ثم اتسعت على مراحل بالتبرعات وشراء أراضٍ إضافية بوساطة الوقف وأبناء البلدة⁽⁴⁴⁾. وتظهر هذه التراكمية ماديًا في المقبرة: شواهد حجرية قديمة إلى جانب قبور من الباطون والرخام والجرانيت، واختلاف في الارتفاع والمواد، وممرات ضيقة ومتعرجة، وقبور تضم أكثر من جسد ضمن وحدة ترتبط غالبًا بالقرابة الدموية - الرحمية.

ويكشف تنظيم الدفن في الرادوف صيغة مكانية خاصة لهذه القرابة؛ فلا توجد في المقبرة قطع مخصصة لعائلات بعينها، إنما تعمل الأولوية العائلية عموديًا، فيبنى القبر طبقات بعضها فوق بعض، وتصل بعض القبور إلى أربع طبقات. وبحسب القائمين على المقبرة، تراعى قيود شرعية، منها امتناع دفن رجل فوق امرأة، وحرمة نبش القبر⁽⁴⁵⁾. بذلك، تنتظم القرابة في الرادوف في عمق القبر كما في جواره، في حين ينتظم الدفن في روضة شهداء عيّنًا أفقيًا بحسب تاريخ الاستشهاد مع أولوية لتجاوز شهداء العائلة الواحدة عند الإمكان، وهذا اختلاف في هندسة القرابة داخل الفضاء الجنائزي لا في درجات حضورها.

(41) Amanda Rizkallah, "Foreign Intervention and Internal Displacement: Urban Politics in Postwar Beirut," *International Security*, vol. 48, no. 3 (Winter 2024), pp. 108–111.

(42) Lara Deeb, *An Enchanted Modern: Gender and Public Piety in Shi'i Lebanon* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006), pp. 45–47.

(43) نجيب البعيني، "برج البراجنة وجاراتها"، السفير، العدد 7023، 1995/3/1، شوهده في 2026/9/23، في: <https://acr.ps/hBxVJZM>

(44) كانت قطعة ثالثة قيد الشراء والتجهيز عند إجراء المقابلة. المهندس المشرف على ترميم القسم الشرقي من المقبرة عضو لجنة الوقف الجعفري، بمشاركة أحد القائمين معه على أعمال المسح والترميم، مقابلة شخصية خلال جولة ميدانية في مقبرة الرادوف، برج البراجنة، 2026/9/14.

(45) المرجع نفسه.

إضافة إلى ذلك، تضمّ الرادوف قبورًا للشهداء، ينتظم بعضها في موضع يعرف محليًا بخيمة الشهداء، في حين يتداخل بعضها الآخر مع سائر القبور⁽⁴⁶⁾. ويمثل المقام علامة مكانية داخل هذا التراكم. ويجعل هذا التنظيم معرفة موقع القبر مرتبطة أحيانًا بالاسم أو العائلة، وأحيانًا أخرى بجوار قبر آخر أو شجرة أو مسار أو بقربه من المقام. وتتصل المقبرة بالنسيج المدني المحيط بها من خلال مداخل ومسارات تتخلّل الأزقة والنسيج المبني ويعتمد الوصول إلى بعضها على معرفة محلية بمسارات الحي، وتشكّل قابلية الاستدلال داخل الرادوف من تراكم هذه المعرفة الموضعية بالمقبرة ومحيطها.

تكشف الحالتان أن الفضاء الجنائزي يتشكّل من تراكم مواضع الدفن، والقرابة، والعلامات، ومسارات الزيارة والمعرفة المحلية بالمكان. وقد أخذ هذا التشكّل صورة مختلفة في كل موقع، تبعًا لتاريخه الاجتماعي والعمراني وأنماط الدفن فيه. ومن هذه البنية السابقة للعنف، ينطلق القسم التالي لتتبع ما أحدثته التدمير في قابلية التعرف إلى القبور والوصول إليها، ثم في محاولات إعادة تثبيت المواضيع والعلاقات التي تنظم حضور الموتى داخل الفضاء الجنائزي.

ثالثًا: مسارات العنف وإعادة التثبيت في عيناثا والرادوف

بعد عرض نشأة الموقعين وأنماط تنظيم الدفن فيهما، يتتبع هذا القسم تفاوت آثار التدمير في القبور وعلاماتها وإمكان الوصول إليها، ومسارات إعادة تثبيت إقامة الموتى. وتبحث المقارنة في أثر البنية السابقة لكل مقبرة في نطاق الضرر وإمكانات الترميم واستمرار العلاقة بالموتى.

1. بنية المقبرة ونطاق التدمير

قبل التدمير الأوّل لروضة شهداء عيناثا، يوم 27 تشرين الأول/أكتوبر 2024، نُظِّمَت إقامة الشهداء داخل بنية معمارية وبصرية واضحة، توزعت القبور في صفوف متقاربة، وحملت البلاطات الرخامية أسماء الشهداء وتواريخهم ومواضع استشهادهم، وأحاطت بها قبة وأقواس وجدران تحمل الصور والكتابات والعناصر الدينية (مثل الآيات القرآنية) والحزبية (مثل شعار حزب الله). وقد جمع هذا التنظيم بين فردية الشهيد، التي يحددها الاسم والصورة والقبر، وجماعية الروضة التي تضم الموتى داخل فضاء جنائزي واحد للشهداء. وتضمّ البنية المعمارية لروضة شهداء عيناثا القبة والعناصر الجدارية الحاملة للنقوش والآيات، إلى جانب حضور الصور الملونة المتعددة الأحجام للشهداء، داخل فضاء مسقوف، يدمج بين القبر والعناصر البصرية ضمن حيّز معماري واحد (الصورة 3).

(46) يضمّ القسم الغربي من المقبرة موضعًا يُعرف محليًا بخيمة الشهداء. وتعود نشأته إلى مرحلة تعدّز فيها نقل شهداء إلى بلداتهم، فدُفِنوا في المقبرة بصفة ودائع، ثم استقرّ الموضع وصار دفنًا ثابتًا. وتُظهر هذه الواقعة أنّ دفن الوديعه ليس ممارسة خاصة بحرب 2024 ولا بعيناثا وحدها، وأنّ الموضع المؤقت قد يتحوّل نهائيًا حين تطول المدّة وتتغيّر الشروط. المرجع نفسه.

الصورة (3)

البنية المعمارية لروضة شهداء عيناثا قبل التدمير



المصدر: من تصوير الباحثة، 2024/6/25.

أدخل التدمير الأول هذه البنية في طور من التفكك، فتكسر جزء من الشواهد والبلاطات، وتبعثرت عناصر كانت مرتبطة بقبور محددة، وتضررت البنية المعمارية التي كانت تجمع القبور، وتداخل الركam مع المواضع والعلامات. وأدى انفصال البلاطة أو الصورة أو الشاهد عن القبر إلى اضطراب الصلة بين الاسم والجسد والموضع، في حين أصبح انتظام الصفوف وحدود القبور أقل قابلية للقراءة داخل الركam (الصورة 4). ويتسع قياس الضرر في عيناثا إلى علاقة الروضة بمحيطها العمراني، فتظهر الزعزعة في موضع القبر داخل الروضة وفي تموضع الروضة داخل البلدة (الصورة 2).

الصورة (4)

شظايا من بلاطات وشواهد القبور في الروضة بعد التدمير الأول عام 2024



المصدر: أرشيف ريان بسام، 2025/1/26.

وفي الرادوف، تركّز الضرر الأوضح في القسم الشرقي، نتيجة استهداف الجيش الاسرائيلي مبنى ملاصقًا وسقوط الركام والحجارة داخل المقبرة، وألحقت بعض الأضرار بقبور في القسم الغربي بسبب تطاير بعض الأحجار وارتطامها بها⁽⁴⁷⁾. وقد عاينتُ قبورًا تكسّرت عناصرها الخارجية، وبلاطات شواهد انفصلت عن مواضعها، إلى جانب تضرر الأرض والمسارات، ولم أعين أجساداً أو رفاتاً مكشوفة، لذلك يقتصر الاستدلال على ما تثبته البنية الخارجية للقبور والمادة المتاحة (الصورة 5).

الصورة (5)

الأضرار التي لحقت القسم الشرقي من مقبرة الرادوف



المصدر: من تصوير الباحثة، 2025/3/15.

ويكتسب الضرر دلالاته من مساسه بالعلاقات المكانية التي نشأت مع تراكم القبور وتداخلها؛ إذ يقوم التعرف إلى القبر على تضافر الاسم واسم العائلة والشاهد والجوار والعلامات النباتية أو القرب من المقام. لذلك، قد يؤدي انفصال أيٍّ من هذه العناصر عن موضعه إلى إرباك شبكة العلاقات التي

(47) المهندس المشرف على ترميم القسم الشرقي من المقبرة عضو لجنة الوقف الجعفري.

تجعل القبر قابلاً للتعرف. وفي حين ظلّت أجزاء من المقبرة قائمة واستمرت فيها بعض وظائف الدفن والزيارة، دخلت أقسام أخرى في مسارات من التفكك والترميم.

2. مسارات تهجير الموتى بعد الدفن

أ. محو العلامات

يظهر المسار الأول في محو العلامات أو فصلها عن مواضعها. فقد أدّى التدمير في عيناثا إلى تكسر الشواهد والبلاطات، وتضرر العلامات التي كانت تربط الشهيد باسمه وقبره وصفته. وتكتسب العلامة هنا كثافة إضافية لأنها تدخل في نظام تعريفي يجمع الاسم والصورة وتاريخ الاستشهاد والرمز الديني والحزبي داخل فضاء جماعي واحد، وحين تتحول هذه العناصر إلى شظايا يتزعزع النظام الذي كان يجعل كل شهيد قابلاً للتعرف داخل الروضة.

وفي الرادوف، قد تنفصل البلاطة أو الشاهد أو المزهريّة عن القبر، وتختلط بعناصر قبور أخرى أو بمواد البناء. وبسبب تراكم المقبرة وتنوّع ترتيب قبورها وانتظامها، يصبح موضع العلامة جزءاً من معناها، فيفقد الاسم المكتوب على قطعة رخام قدرته على تحديد القبر حين تنفصل عنه. وهنا تظهر إحدى صور التهجير في المكان المتمثل في اضطراب الوسائط التي تجعل موضع الجسد المدفون معروفاً وقابلاً للعودة.

ب. تفكيك الفضاء الجنائزي

أدّى انهيار البنية المحيطة بالقبور وتراكم الركام في روضة شهداء عيناثا إلى تشويش الصفوف وحدود المواضع والمسارات الداخلية، وتحولت الروضة من فضاء تقرأه العين عبر القبة والجدران والصفوف المتكررة إلى فضاء يحتاج إلى إعادة تحديد وترتيب وتعريف. وتلتقط خبرة الزائر هذا التحول بصورة أوضح، كما روت إحدى بنات الشهداء المدفونين في الروضة. فحينما وصلت إلى البلدة والروضة ليلة "وقف إطلاق النار"، لم تستطع تمييز القبور وتحديد مواضعها بسبب اختفاء المعالم: "ما كنّا نقدر نميّز الأضرحة ولا وين موجودين حتى"⁽⁴⁸⁾. فقد تحول فقدان العلامات، في هذه الخبرة، إلى تعطل المعرفة المكانية التي كانت تتيح الوصول إلى قبر بعينه.

وفي الرادوف، يعمل التفكيك من خلال الأرض والمسارات والجوار بين القبور؛ فالممرات الضيقة والمتعرجة جزء من النظام المحلي للاستدلال والحركة، وتضررها أو تغييرها يؤثر في وصول الزائر إلى القبر. إلى جانب ذلك، يخلّ اختلاط عناصر القبور بالشبكة التي تربط كل قبر بما حوله. ويتّضح ذلك في مرحلة الترميم، حينما جُمعت البلاطات والمزهريات وبعض الشواهد قرب الجدار، مع أرقام وعلامات تساعد على فرزها وإعادة ربطها بمواضعها (الصورة 6).

(48) ابنة شهيد من عيناثا.

الصورة (6)

جمع عناصر القبور وتكديسها خلال ترميم القسم المتضرر من مقبرة الرادوف



المصدر: من تصوير الباحثة، 2026/4/19.

ج. الجسد المدفون وحرمة الموضع

يتعلّق المسار الثالث بالجسد المدفون في موضعه، وبما يصيب البنية التي تحيط به وتحدّد مكانه. فقد أفاد عضو مجلس بلدية عيناثا بظهور رفات في حالات محددة في أثناء رفع الركام، وروى انكشاف جثمان أحد الشهداء، فغطّي مباشرة ثم أعيد تشييعه ضمن "التشييع الكبير" يوم 22 شباط/ فبراير 2025⁽⁴⁹⁾. وتفتح إعادة التشييع بعداً رمزياً يتّصل بما يصيب حرمة الميت بعد استقرار دفنه؛ فالجثمان الذي سبق أن شُيّع ودُفّن يدخل مجدداً في طقس جماعي يؤكد حرمة وصفة صاحبه شهيداً. ويمكن قراءة هذا التجدد الطقسي كما لو أن انتهاك الحرمة شكّل استشهاداً

(49) عضو في مجلس بلدية عيناثا، مقابلة مكتوبة عبر واتساب، 2026/9/8.

آخر على المستوى الرمزي، استدعى تجديد التشيع والاعتراف الجماعي بالشهيد. ومن هذه الزاوية، تأخذ إعادة التثبيت بُعداً جسدياً وطقسياً، يجمع بين ستر الجثمان وتجديد الصلة بين الجماعة وشهيدها بعد انكشاف جسده.

وفي الرادوف، عاينتُ في القسم الشرقي، يوم 15 آذار/ مارس 2025، عدة قبور تناثرت بلاطاتها حول فتحة داكنة، ولم يظهر في الفتحة في حدود المعاينة والتصوير جسد أو رفات. فيقتصر ما تسنده الملاحظة على انفتاح البنية الخارجية للقبر⁽⁵⁰⁾. ويؤيد هذه الملاحظة تأكيد المشرف المباشر على العمل في الموقع، عدم انكشاف أجساد أو رفات في المواضع التي تابع فيها العمل⁽⁵¹⁾. ويكتسب تضرر البنية الخارجية للقبر معناه في ضوء حرمة الميت التي تناولها القسم الأول؛ إذ يمس الغلاف المادي الذي يصون موضع الدفن ويجعل حدوده قابلة للتعرف والوصول إليه.

3. عيناها: من الدفن المؤقت إلى إعادة تثبيت الروضة

يربط إمام بلدة عيناثا بدء الدفن المؤقت بتوقف الدفن في الروضة مع اشتداد المعركة وتعذر الوصول إلى مواضع الاستشهاد، بعد دفن أول شهيدين بحضور عدد قليل من الأهالي. فبدأ دفن الشهداء بصفة ودائع خارج البلدة، في انتظار إمكان نقلهم إلى موضعهم المقصود⁽⁵²⁾. وتوضح هذه الممارسة الكيفية التي تفرض بها الحرب إقامة جنازية مؤقتة تظل العودة جزءاً من مسارها. وقد أقيمت في أول أيام وقف إطلاق النار صلاة جماعة على ركام الروضة، ووضع المصلون تحت جباههم قطع رخام من بقايا أضرحة الشهداء⁽⁵³⁾. وتكشف الواقعة أن إعادة وصل الجماعة بموتاتها بدأت قبل اكتمال البناء وباستخدام مادة الدمار نفسها؛ فقد اكتسبت شظايا الرخام وظيفة طقسية داخل الفضاء الذي أصابه التدمير.

ثم نُقلت، يوم 22 شباط/ فبراير 2025، جثامين شهداء كانوا قد دُفِنوا مؤقتاً وشيعهم جمع كبير من الناس من أهالي البلدة وخارجها ثم دفنهم في الروضة. وشمل "التشيع الكبير" إعادة تشيع الشهيد الذي انكشف جثمانه في أثناء رفع الركام، وبذلك التقى تثبيت جثامين الودائع في موضعها المقصود مع إعادة تثبيت روضة سبق أن أصاب العنف موتاتها المستقرة. ويظل التمييز بين المسارين ضرورياً، فالدفن المؤقت يسبق الاستقرار في الموضع النهائي، في حين تتعلق إعادة تثبيت الروضة بفضاء جنازي قائم أصابه التدمير. تُظهر الصورة (7) طوراً انتقالياً بين التدمير وإعادة التثبيت؛ إذ تؤدي الصور المؤقتة ورايات حزب الله والأكاليل وظيفة تعريفية بديلة ورمزية في إعادة وصل الشهداء بمواضعهم داخل الروضة.

(50) الملاحظة مؤقّعة بصرياً في أرشيف الباحثة، مقبرة الرادوف، 2025/3/15.

(51) المشرف المباشر على العمل في الموقع، مقابلة شخصية خلال جولة ميدانية في مقبرة الرادوف، برج البراجنة، 2026/9/14.

(52) شهادة إمام البلدة، نقلاً عن: بسام، الدقائق 15:40-15:51.

(53) المرجع نفسه، الدقائق 16:00-16:15.

الصورة (7) روضة شهداء عيناثا بعد تشييع الودائع ودفنهم



المصدر: أرشيف ريان بسام، 2025/2/22.

وتوثق جولة تلفزيونية أجريت، يوم 11 شباط/ فبراير 2025، جانباً من التحضير للعودة؛ إذ يصف المسؤول الإعلامي هادي خنافر⁽⁵⁴⁾ وضع العلامات المؤقتة ضمن تحضيرات التشييع، قائلاً: "بنحطّ مثل الشاهد لكل قبر، لنعرف معالم القبر تقريباً"، ويربط رئيس البلدية السيد رياض فضل الله ذلك بإتاحة زيارة الأهالي لقبور شهدائهم⁽⁵⁵⁾.

وتوضح شهادة عضو مجلس بلدية عيناثا أن استعادة مواضع القبور اعتمدت على الصور القديمة والخرائط ومعرفة العائلات، التي حضرت خلال العمل، وساعدت في تحديد المواقع⁽⁵⁶⁾. واستخدم بعض الأهالي الصور والحصص والنباتات علامات مؤقتة للإشارة إلى مواضع قبور أبنائهم إلى حين تثبيت الشواهد. وتولّت البلدية إعادة البناء بمشاركة أبناء البلدة ومساهمات من المغتربين تحت إشراف هندسي محلي. وتُظهر هذه الإجراءات إعادة التثبيت عملاً يجمع بين الوثيقة والمعرفة المحلية وإعادة تثبيت العلامة المادية للموضع. وتوضح الصورة (8) هذه المرحلة الوسيطة، حيث تظهر القبور في طور إعادة التنظيم، وتعمل الصور المؤقتة على وصل الأسماء بمواضع الدفن قبل اكتمال بناء الشواهد.

(54) الذي استشهد لاحقاً في آب/ أغسطس 2025 ودُفن في الروضة.

(55) جولة ميدانية في بلدة عيناثا، في: "الخط الساخن"، قناة المنار، 2025/2/11، شوهد في 2026/9/13، في: <https://acr.ps/hBxVKA2>. يُنسب ما يقوله المتحدثون إلى صفاتهم المحددة في المادة الإعلامية.

(56) عضو في مجلس بلدية عيناثا، مقابلة بالكتابة عبر واتساب، 2026/9/8.

الصورة (8)

مرحلة التعرف المؤقت في الروضة بعد تشييع الشهداء الودائع وقبل اكتمال إعادة الإعمار



المصدر: أرشيف ريان بسام، 2025/4/19.

تواصلت العملية عبر تسوية الأرض وتنظيم الصفوف وإعادة تثبيت الصور والشواهد والحدود، وصولاً إلى الهيئة التي ظهرت في آب/ أغسطس 2025، فانتقلت الروضة من بنية مسقوفة ذات قبة وجدران إلى فضاء مفتوح تنظمه الصفوف والشواهد وأحواض الزهور والحضور والرايات والصور. وأنتجت إعادة البناء صيغة معمارية جديدة للإقامة الجنائزية، تقوم على انتظام الصفوف، وتكرار العلامات؛ فتحولت الروضة بذلك إلى فضاء مفتوح ومنظم تؤطره الآيات القرآنية والرايات الحزبية، ويُعاد من خلاله تشكيل المقبرة بوصفها فضاءً جماعياً للشهداء (الصورة 9).

الصورة (9)

قسم من الروضة بهيئتها الجديدة بعد إعادة الإعمار



المصدر: أرشيف ريان بسام، 2025/8/23.

وأدى بقاء اسم الروضة قائماً على الرغم من تغيير عمارتها إلى استمرار التعرف إلى المكان بوصفه فضاءً للشهداء. وجمعت إعادة التثبيت بين تجديد البنية المادية واستمرار الاسم والصور والممارسات التي تصل الجماعة بموتاتها. وتُظهر الصورة المؤرخة في 27 نيسان/ أبريل 2026 (الصورة 2)، ضرراً جديداً واسعاً في موقع الروضة ومحيطها بسبب الاستهداف الإسرائيلي، لتتعدى المعاينة حتى لحظة كتابة الدراسة.

4. الرادوف: الفرز والترميم واستمرار المكان في العمل

تبدأ إعادة التثبيت في الرادوف من المادة المفككة نفسها، وقد أظهرت المعاينة الميدانية بلاطات وشواهد ومزهريات وقطعاً من عناصر القبور جُمعت إلى الجدار الشرقي للمقبرة، وترافقت مع أرقام وعلامات وأسماء كُتبت عليه. ويكشف هذا الترتيب انتقال المادة من التناثر إلى الفرز؛ وإعادة الشاهد أو البلاطة تستلزم تحديد القبر الذي تعود إليه، واستعادة العلاقة بين المادة والاسم والموضع (الصورة 6).

أظهرت الجولة الميدانية، يوم 14 أيلول/ سبتمبر 2026، أن إعادة ربط العناصر بمواضعها اعتمدت على أكثر من نوع من المعرفة. فقد جمع المشرفون على عملية الترميم البلاطات القديمة وعرضوها، بحيث يستطيع الأهالي التعرف إليها. وجرت عملية التعرف إلى القبور استناداً إلى شهادات أكثر من شخص، وصور وفيديوهات سابقة، وذاكرة العائلات بعلاقات الجوار بين القبور. وبدأ تنظيم المقبرة، بحسب التقسيمات الناتجة من المسح الجديد وربط الأسماء بقاعدة بيانات، مع التوجه إلى ترقيم الشواهد لتثبيت هذه العلاقة مستقبلاً⁽⁵⁷⁾، وكانت أعمال الترميم قد جرت بالتعاون بين بلدية برج البراجنة ولجنة الوقف الجعفري وجهات محلية أخرى، مع استمرار الدفن أثناء العمل⁽⁵⁸⁾.

لم تشمل أعمال إعادة الترميم نبش الجثامين أو نقلها، وتركز العمل في البناء فوق مواضع الدفن والعناصر الخارجية للقبور والمسارات والتنظيم المكاني. واستفاد المنظّمون من هذه الأعمال لتسوية أيّ فرق في مستوى الأرض، واستطاعوا بذلك كسب أماكن جديدة للدفن. تُظهر الصورة التالية صفوفاً من البنى قيد الإنشاء فوق مواضع دفن قائمة، إلى جانب بلاطات جنائزية قديمة مسندة إلى الجدار. ووفقاً لفريق الترميم، ارتبطت هذه الأعمال بتسوية تفاوت منسوب الأرض وإعادة تنظيم المساحة لإتاحة مواضع إضافية للدفن (الصورة 10). ويتيح هذا التحديد قراءة الاضطراب وإعادة التثبيت في مستوى العلاقة بين القبر وعلامته ومحيطه، مع ضبط حدود الاستدلال بشأن الجسد المدفون.

(57) المهندس المشرف على ترميم القسم الشرقي من المقبرة.

(58) المرجع نفسه؛ "بلدية برج البراجنة تُنهي المرحلة الأولى من ترميم جبانة الرادوف والرمل"، جمعية العمل البلدي، 2026/1/9، شوهد في 2026/9/5، في: <https://acr.ps/hBxVKwj>

الصورة (10)

أعمال إعادة بناء القبور في القسم الشرقي من مقبرة الرادوف



المصدر: من تصوير أحد القائمين على أعمال المسح والترميم في مقبرة الرادوف، من دون تاريخ.

وفي 19 نيسان/ أبريل 2026، بدأ أن أعمال الترميم اتجهت أيضًا إلى تنظيم الحركة داخل المقبرة، من خلال رصف ممر داخلي وإعادة توزيع المساحة بين القبور. وبذلك لم يقتصر الإصلاح على القبور نفسها، بل شمل أيضًا المسارات التي تتيح الوصول إليها وتعيد تنظيم شروط الحركة والاستدلال والعناية داخل القسم المتضرر. تُظهر الصورة (11) أربعة صفوف من القبور موزعة بانتظام وتوازٍ، تتخللها أرضية مرصوفة بأحجار تُستخدم عادةً في الأرصفة، مع الإبقاء على جزءٍ من الغطاء النباتي السابق.

الصورة (11)

مشهد لمرحلة إعادة تنظيم القبور وترميمها وتوزيعها في مقبرة الرادوف



المصدر: من تصوير الباحثة، 2026/4/19.

ويبرز مقام الرادوف داخل القسم الغربي نقطة ثابتٍ نسبي داخل هذا المشهد؛ فقد بقي قائماً، واستمرت حوله ممارسات عاينتها مباشرة. وفي الوقت الذي كانت عناصر من القسم الشرقي للمقبرة تخضع للفرز والترميم، حافظ المقام على حضوره مرجعاً دينياً ومكانياً. ويظهر في الصورة (12) مدخل المقام المتمثل بالبوابة الحديدية الخضراء ذات القوس العلوي، وعلى يمينها بلاطة رخامية تعريفية نُقش عليها "مقام إمامي وسيدي محمد الرديف". وعلى يسار البوابة، صندوق معدني أخضر مخصص لإضاءة الشموع، تعلوه لوحة تعريفية موسّعة بصاحب المقام، وإلى جانبه شبّاك محاط بحماية حديدية تُربط عليه أقمشة خضراء وملونة في سياق ممارسات نذرية متكررة. وتتيح فتحة صغيرة ضمن الزجاج رؤية داخل المقام من دون الدخول إليه. تُظهر هذه العناصر مجتمعةً الحضور المستمر لممارسات الزيارة والنذر داخل الفضاء الجنائزي.

الصورة (12)

مقام الرادوف داخل المقبرة



المصدر: من تصوير الباحثة، 2026/4/19.

تكشف الحالتان أن إعادة التثبيت تبدأ باستعادة قابلية المكان للمعرفة والوظيفة: تحديد مواضع القبور وربط الأسماء بها، والمسارات التي تجعل الزيارة ممكنة. واتخذت هذه العملية في عيناثا شكل إعادة بناء جماعية لروضة تغيّرت عمارتها كلياً، وأُعيد تنظيم صفوفها وعلاماتها، في حين اشتغلت في الرادوف عبر الفرز والتحقق من المواضع وإعادة تنظيم القبور والمسارات داخل مقبرة استمرت في أداء وظائفها. وتبيّن الحالتان أيضاً هشاشة هذا التثبيت؛ فقد دخلت عيناثا دورة جديدة من الضرر وتعذّر الوصول بعد إعادة البناء، أما ترميم الرادوف فظلّ عملية متواصلة.

رابعاً: تهجير الموتى بعد الدفن بين المحو وإعادة التثبيت

يتوقّف استمرار الإقامة الجنائزية على الروابط التي تجعل الجسد المدفون معلوم الموضع، وتصل قبره بعلامته وجواره والجماعة التي تعود إليه. وتكشف المقارنة بين روضة شهداء عيناثا ومقبرة الرادوف أن العنف يمسّ هذه الروابط بدرجاتٍ وصيغٍ متفاوتة، بما يشمل الحالات التي يبقى الجسد فيها مدفوناً في مكانه. وتظهر الفائدة التحليلية لمفهوم تهجير الموتى بعد الدفن في وصل الضرر المادي بما يعطلّه من معرفة وممارسات وعلاقات استقرّت بعد الدفن، ثم في تتبّع الشروط التي تسمح بإعادة بنائها. وتحدّد المسارات الثلاثة الواردة في الجدول مواضع هذا الاضطراب. ففي محو العلامات، تتضرّر الصلة التي تجعل الاسم المكتوب دالاً على قبرٍ بعينه؛ وقد يبقى الاسم مقروءاً، ولكنّ تحديد موضع صاحبه يتعذّر. ويتّسع الاضطراب في تفكيك الفضاء الجنائزي إلى الجوار والمسارات والحدود التي تنظّم الاستدلال والحركة. أمّا مسار المساس بالجسد المدفون وحرمة موضعه، فيتعلّق بما يصيب البنية التي تصونه وحرمة موضعه، وصولاً إلى انكشافه في الحالات التي ورد وصفها في المقابلات.

يمنع التمييز بين هذه المسارات مساواة جميع الأضرار بانكشاف الأجساد، مع بيان ما يجمعها من مساس بشروط استمرار العلاقة بالميت. وتوضح الأبعاد الخمسة للجدول نفسه أنّ إعادة التثبيت تتقدّم على نحوٍ متفاوتٍ؛ فقد تُستعاد معرفة موضع القبر بالصور والشهادات قبل اكتمال بنائه، وتستأنف الجماعة ممارسة طقسية في موقع ما زال ركاماً، ثم يتعذّر الوصول إلى المقبرة بعد إعادة إعمارها. وتكشف هذه الأوضاع اختلافاً بين استعادة العلامة مادياً، وتثبيت دلالتها، وتجدد الممارسات حولها، واستمرار إمكان العودة إليها. وهنا تؤدي الشبكة التحليلية وظيفة تفسيرية؛ فهي تساعد على تحديد الروابط التي أعيد وصلها، وتلك التي بقيت معلقة، وكيف يتغير ذلك عبر الزمن. ويتصل هذا التفاوت ببنية كل موقع ونطاق الضرر فيه؛ ففي عيناثا، دمّرت الروضة وأصاب الضرر محيطها العمراني، فاضطرب موقع القبر داخلها وتموضعها داخل البلدة، أمّا في الرادوف فارتبط الضرر الأوضح بسقوط ركام مبنى ملاصق استهدفه جيش الاحتلال الإسرائيلي، في حين استمرت أجزاء من المقبرة في أداء وظائفها وبقي المقام مرجعاً دينياً ومكانياً.

يتقاطع هذا التحليل مع تحليل نوا كريكلر لتدمير المقابر ضمن "قتل الموتى"، ولا سيما إبرازها دور المقبرة في الدلالة على الحضور التاريخي للجماعة، وفي وصل حاضرها بماضيها المشترك⁽⁵⁹⁾. وتتيح الأدبيات الفلسطينية المشار إليها في القسم الأول من الدراسة تتبع أشكال السيطرة الإسرائيلية على الجثمان وموضع دفنه وزمن تشييعه وشروط الوصول إليه. وقد اتجهت مساهمة هذه الدراسة إلى العلاقة التي تتكوّن بعد استقرار الدفن، وإلى كيفية تعطّلها واستمرارها وإعادة بنائها. ومن خلال هذا التحديد، يمكن تتبع أثر العنف في ممارسات يومية، كالتعرّف إلى القبر وزيارته والعناية به، وفي الأعمال الجماعية التي تستعيد إمكان هذه الممارسات.

وتوضح مقارنة نوا ليشم أن أعمال الإصلاح نفسها تحمل دلالة سياسية، حيث تكشف دراسته لمقبرة مأمّن الله في القدس عن ارتباط ترميم المقبرة بإظهار الحضور التاريخي للجماعة وبالمطالبة بالمكان، وتبيّن أن الشاهد قد يؤدي وظيفة جماعية تتصل بالدالتين الثقافية والدينية للمقبرة، إلى جانب وظيفته في تعيين قبر فردي⁽⁶⁰⁾. ويفيد هذا التمييز في قراءة الحالتين المدروستين؛ إذ إنّ إعادة ربط الاسم بموضعه تتيح للأهل العودة إلى ميّت محدّد، في حين تعيد أعمال الترميم إظهار المقبرة داخل البلدة أو الحي، وتكتسب هذه الوظيفة كثافة خاصة في عيائنا، حيث يدخل ترميم الروضة في استعادة معلم يجمع تاريخ الشهادة وتمثالاتها وممارسات الزيارة وعودة الجماعة إلى شهدائها.

تكشف شهادات المعنيين في عيائنا الكيفية التي يُفهم بها التدمير الإسرائيلي داخل هذه العلاقة، فيصف المهندس المشرف على اختيار هيكل الروضة القديمة، في فيلم "بين الركن والمقام"، إسرائيل بأنها "عدو حتى للأشياء الرمزية"، رابطاً التدمير بمعنى البناء وبالشهداء المدفونين تحته. وفي حلقة قناة المنار، تفسّر إحدى أمهات الشهداء تدمير الأضرحة بقولها: "دمّروه لأن هن مهجورين من"⁽⁶¹⁾. تنسب هذه الأقوال إلى العدو عداءً يستمر تجاه الشهداء وما يمثلونه بعد موتهم، وهي تكشف تفسير أصحابها للفعل الإسرائيلي من مواقعهم وعلاقتهم بالموتى؛ فتدخل الروضة المدمّرة في خطاب عن استمرار المواجهة، ويكتسب الحفاظ عليها معنى الوفاء للشهداء ومواصلة حضورهم في البلدة؛ إذ يربط مؤسس الروضة هذا الحضور بالعودة إلى الأرض حين يقول: "وإذا ما رجعنا على بلادنا بنكون نحن عم نقتل شهداءنا من جديد"⁽⁶²⁾.

تُستخدَم صورة قتل الشهداء من جديد للتعبير عن مسؤولية الأحياء تجاههم، فالشهداء، في هذا الخطاب، قدّموا حياتهم دفاعاً عن أهلهم وأرضهم، وارتبطت تضحياتهم ببقاء الآخرين على قيد الحياة وإمكان استمرارهم في أرضهم. ومن هنا، يصبح الرجوع إلى البلدة فعل وفاء لهذه التضحية، ومواصلة

(59) Noa Krikler, "Killing the Dead: The Logic of Cemetery Destruction during Genocidal Campaigns," *Nations and Nationalism*, vol. 29, no. 4 (2023), pp. 1339–1342.

(60) Noam Leshem, "Over Our Dead Bodies: Placing Necropolitical Activism," *Political Geography*, vol. 45 (2015), pp. 39–40.

(61) شهادة المهندس المشرف على اختيار هيكل الروضة القديمة، نقلاً عن: بسّام، الدقائق 09:30 – 09:40؛ شهادة أم شهيد في: "الخط الساخن"، الدقيقة 12:17.

(62) شهادة مؤسس الروضة، نقلاً عن: بسّام، الدقائق 06:26–06:33.

للحياة في المكان الذي دافعوا عنه. ويتّصل هذا المعنى بالاعتقاد الديني أن الشهداء أنفسهم أحياء، والذي يعبر عنه المتحدث بقوله: "موجودين بيناتنا أحياء"، فتأخذ العودة معنى تجديد الصلة بهم واستمرار الجماعة إلى جوارهم. وعلى هذا المستوى، يمسّ منع العودة إمكان ممارسة هذا الوفاء في المكان الذي يرتبط به، ويشمل علاقة أخلاقية وسياسية تتجدّد عبر الحضور والزيارة والعناية. وتتضح أيضًا إعادة صياغة المعنى السياسي في تنظيم التشييع الجماعي حين يشرح إمام البلدة أن القرار كان دفن الشهداء: "في يوم واحد، في مشهد واحد، في عرس واحد"، ويصفه بأنه "مشهد الانتصار". ويوضح كذلك أن حمل نعوش على الأكتاف في الجزء الأخير من المسيرة كان ترتيبًا مقصودًا، يُراد له أن يبقى في ذاكرة الأطفال والفتية والأجيال⁽⁶³⁾. وفي حديث رئيس البلدية، يمنح التشييع الأحياء "عزيمة وصبر"، لذلك يقول: "يعني هو مشاننا لازم نشييع"⁽⁶⁴⁾.

يجمع التشييع، وفق هذه الأقوال، تكريم الشهداء وإعادة جمع الأحياء حولهم وإنتاج صورة للعودة بعد الحرب، ويحضر في شهادة إمام البلدة أيضًا الاشتياق والألم الذي يتجدّد مع وصول النعوش، فتتداخل معاني القوة والفقد في وصف الحدث. وتضيء هذه الشهادات المعنى العام للتشييع الجماعي، في حين تستند واقعة إعادة تشييع الجثمان الذي انكشف إلى الشهادة الميدانية الخاصة بها كما بيّن القسم الثالث.

تتجه إعادة التثبيت كذلك إلى المستقبل؛ لإعادة الشاهد وفتح المسار وتنظيم المعلومات تهبيّ إمكان العودة اللاحقة إلى الميت؛ وهو ما يلتقي مع ربط هانز روين العناية بالقبر بفعل يستحضر الماضي ويتجه نحو المستقبل⁽⁶⁵⁾. وتنتج هذه الأفعال المتراكمة أوضاعًا مادية ومعرفية جديدة؛ إذ تغيّرت عمارة الروضة في عيناثا، وأعاد ترميم الرادوف تنظيم أجزاء من المساحة والقبور فوق مواضع الدفن القائمة. وبذلك، تضيف إعادة التثبيت طبقة إلى تاريخ المكان، وتعيد تشكيل شروط استمراره الجنائزي. وتوضح إفادة ابنة شهيد أثر هذه التحولات في علاقتها اليومية بالروضة، حين تصف الوقت الذي تقضيه فيها بعد إعادة بنائها بقولها: "صار أغلب وقتنا تحت وأكثر من قبل حتى"⁽⁶⁶⁾. ففي خبرتها، اقترنت إعادة البناء بتكثيف الحضور بين القبور، وتُظهر الممارسة أن الترتيبات المادية الجديدة تدخل في تجديد صلتها اليومية بموتاهها.

يظلّ استمرار هذه الصلة خاضعًا للسيطرة على المكان؛ ففي عيناثا، أعقب إعادة البناء تدمير إسرائيلي متجدد عام 2026، واجتمع الضرر مع منع الأهالي من العودة والوصول إلى قبور موتاهم بفعل الاحتلال والتهديد بالقتل. ويعطلّ هذا المنع الزيارة والرعاية والتحقق من حال القبور، فيقطع سبيلًا لاستمرار العلاقة بالموتى كانت أعمال الترميم قد أتاحت استئنافها. وتكشف هذه الحالة أن إعادة

(63) شهادة إمام البلدة، نقلًا عن المرجع نفسه، الدقائق 17:49-18:13 و 18:32-19:30.

(64) شهادة رئيس بلدية عيناثا، نقلًا عن: "الخط الساخن"، الدقائق 17:05-17:15.

(65) Hans Ruin, *Being with the Dead: Burial, Ancestral Politics, and the Roots of Historical Consciousness* (Stanford: Stanford University Press, 2019), p. 44.

(66) ابنة شهيد من عيناثا.

التشييت تظلّ قابلةً للتعطيل بعد إنجاز البناء، فقد تبقى مواضع الدفن قائمة، في حين يُحرّم الأحياء من بلوغها، ومن ثمّ يتواصل تهجير الموتى بعد الدفن عبر إبعاد الأحياء عنهم، وتعليق الممارسات التي تجعل من القبر موضعاً للعودة.

خاتمة

في المشهد الذي افتتحت به الدراسة، بقيت أسماء وكلمات ظاهرة على شظايا الرخام، في حين تعدّر تحديد القبور التي تعود إليها. يكتّف هذا المشهد ما كشفتته المقارنة، إذ تتوقف إقامة الموتى على روابط تجعل بقاء الجسد في الأرض قابلاً للمعرفة والزيارة والعناية، وحين يصيب العنف هذه الروابط، يمتدّ أثره إلى قدرة الأحياء على مواصلة علاقتهم بموتاهم، وإلى حضور الجماعة الذي تحفظ المقبرة جانباً من تاريخه. وقد أظهرت المقارنة أن بنية الفضاء الجنائزي ونطاق الضرر يؤثّران في كيفية حدوث هذا الاضطراب وفي شروط معالجته؛ فتدخل تدمير الروضة في عيناً مع دمار محيطها، واتخذت إعادة التشييت شكل إعادة بناء جماعية أعادت تنظيم المكان، قبل أن يصيبه العنف الإسرائيلي مجدّداً وبقيد العودة إليه. وفي الرادوف، جرى الفرز والترميم داخل مقبرة استمرت أجزاء منها في أداء وظائفها، واستند العمل إلى ما بقي من العلامات والمعرفة المحلية. وتكشف الحالتان أن إعادة التشييت تجمع العمل المادي والتحقيق من المواضع وتجدد الممارسات، وأن استمرارها يرتبط بقدرة الأحياء على الوصول إلى موتاهم والعناية بهم.

تتمثّل مساهمة مفهوم تهجير الموتى بعد الدفن في معاناة هذه العلاقة وتتبعها بعد استقرار الدفن. فهو يصل الأضرار الظاهرة على القبور بتعطّل المعرفة بالمكان والممارسات التي تستمر من خلاله، ويسمح بقراءة الترميم ضمن تاريخ العلاقة بالموتى وما يطرأ عليها تحت العنف. وتكمن أهمية هذا المدخل في إظهار العمل المجتمعي الذي يتطلبه حفظ مواضع إقامة الموتى وما يحمله من معاني الوفاء والانتماء والتمسك بالأرض؛ فاستعادة القبر تمنح الأهل إمكان الوقوف عند موضع يعرفونه، وتدخل في استمرار علاقات تتجاوز لحظة الدفن وزمن إعادة البناء.

وتحدّد هذه النتائج بحدود الدراسة ومادّتها، فالمقارنة تتناول موقعين ضمن سياقات اجتماعية شيعية في الجنوب اللبناني والضاحية الجنوبية لبيروت، وتجمع روضةً تتكتّف فيها رموز الشهادة والانتماء الحزبي ومقبرة محلية تضم أنماطاً مترامية من الدفن وقبوراً للشهداء ومقاماً دينياً. ويتيح هذا الاختلاف مقارنة تنظيمين للإقامة الجنائزية داخل سياق محدد، مع بقاء تعميم النتائج على فضاءات أخرى في حاجة إلى دراسة مستقلة. لقد تفاوتت إمكانات المعالجة بين الموقعين ومراحل الحرب، وتعكس الشهادات مواقع أصحابها وشروط إنتاجها، بما فيها المواد المصوّرة في سياق إعلامي. لذلك تبقى معرفة حال الأجساد المدفونة وبعض المعاني التي يمنحها المعنيون للطقوس مرتبطة بحدود المادة المتاحة. وتفتح الدراسة مجالاً للبحث في "دفن الوديع"، بما يطرّحه من أسئلة عن الإقامة الجنائزية المؤقتة، وانتظار العودة، ونقل الجثمان إلى موضع الدفن المقصود، والشروط التي قد يتحوّل فيها مكان الإقامة المؤقت إلى مكان إقامة دائم. وتستدعي متابعة أطول زمناً لفحص مصير

المعرفة بالقبور، حين يطول النزوح أو يتعذّر الوصول، وكيفية انتقالها إلى أجيال لم تعرف المكان قبل تدميره. ويمكن توسيع البحث إلى مقارنات بمقابر في بيئات مذهبية ودينية وسياسية أخرى، لا سيما في لبنان، استناداً إلى حالات موثّقة تراعي اختلاف سياقات العنف وأزمته ونطاقه. وتسمح هذه المقارنات بفحص أثر اختلاف تنظيم الدفن وإدارة المقابر ومكانة الموتى في طرائق التعامل مع العنف والضرر وإعادة التثبيت.

في ضوء ما تقدّم، يدخل الموتى في استمرار العلاقات بين الأحياء، ويصبح الاعتناء بمكانهم جزءاً من الاعتناء بما يجمع الجماعة ويحفظ امتدادها في الزمن. وتأخذ المطالبة بالموتى، هنا، معنى التمسك بإمكان مواصلة هذه الصلة؛ أي أن يبقى لهم موضعٌ في المكان، وأن تبقى للجماعة قدرة على العودة إليه.

تنويه وتقدير

أتوجّه بالشكر إلى المشاركين في هذه الدراسة، وإلى من يسّروا العمل الميداني في عيناثا والرادوف وشاركوني معرفتهم بالموقعين وأتاحوا الصور والمواد التوثيقية، وأخصّ بالشكر ريان بسام لإتاحتها الاستفادة من مواد فيلمها الوثائقي وأرشيفها الخاص. وأعبر عن الشكر لهيئة تحرير دورية عمران والمحكمين على ملاحظاتهم التي أسهمت في تطوير الدراسة.

References

المراجع

العربية

خازم، زينب. "إقامة الشهداء: نموذج مقبرة 'روضة الشهداء' الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت: دراسة حقلية إثنوغرافية". رسالة بحث لنيل شهادة دراسات معمقة في علم الاجتماع (فرع الأنثروبولوجيا). غير منشورة. معهد العلوم الاجتماعية. الجامعة اللبنانية. بيروت. 2019.

سمحات، قاسم محمد. عيناثا: قمة في جبل عامل - نوافذ على التاريخ والتراث. تقديم يحيى الشامي. بيروت: دار المحجة البيضاء، 2009.

ظاهر-ناشف، سهاد. "الاعتقال الإداري للجثامين الفلسطينية: تعليق الموت وتجميده". مجلة الدراسات الفلسطينية. مج 27، العدد 107 (صيف 2016).

الأجنبية

Barry, Andrew. "Collective Empiricism and the Material Witness." *Journal of Visual Culture*. vol. 20, no. 3 (2021).

Benjamin, Walter. *Illuminations: Essays and Reflections*. Hannah Arendt (ed.). Harry Zohn (trans.). New York: Schocken Books, 1968.

- De Certeau, Michel. *The Practice of Everyday Life*. Steven Rendall (trans.). Berkeley: University of California Press, 1984 [1980].
- De León, Jason. *The Land of Open Graves: Living and Dying on the Migrant Trail*. Oakland: University of California Press, 2015.
- Deeb, Lara. *An Enchanted Modern: Gender and Public Piety in Shi'i Lebanon*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006.
- Dubberley, Sam, Alexa Koenig & Daragh Murray (eds.). *Digital Witness: Using Open Source Information for Human Rights Investigation, Documentation, and Accountability*. Oxford: Oxford University Press, 2020.
- Dwyer, Sonya Corbin & Jennifer L. Buckle. "The Space Between: On Being an Insider–Outsider in Qualitative Research." *International Journal of Qualitative Methods*. vol. 8, no. 1 (2009).
- Fox, Richard G. (ed). *Recapturing Anthropology: Working in the Present*. Santa Fe, NM: School of American Research Press, 1991.
- Hanafi, Sari. "Explaining Spacio–cide in the Palestinian Territory: Colonization, Separation, and State of Exception." *Current Sociology*. vol. 61, no. 2 (2013).
- Hermez, Sami. "Resistant Ecologies and the Bi'a beyond Methodological Nationalism." *American Ethnologist*. vol. 50, no. 2 (2023).
- Hijazi, Aya. "Toward Spacio–cide: Building the Museum of Tolerance over the Mamilla Cemetery in Jerusalem." *Jerusalem Quarterly*. no. 67 (Autumn 2016).
- Kilde, Jeanne Halgren (ed.). *The Oxford Handbook of Religious Space*. New York: Oxford University Press, 2022.
- Krikler, Noa. "Killing the Dead: The Logic of Cemetery Destruction during Genocidal Campaigns." *Nations and Nationalism*. vol. 29, no. 4 (2023).
- Landry, Jean–Michel. "Community Fashioning: Political Ethics and Shi'i Clerical Training in Lebanon." *American Ethnologist*. vol. 50, no. 2 (2023).
- Lefebvre, Henri. *The Production of Space*. Donald Nicholson–Smith (trans.). Oxford: Blackwell Publishers, 1991.
- Leshem, Noam. "'Over Our Dead Bodies': Placing Necropolitical Activism." *Political Geography*. vol. 45 (2015).
- Mervin, Sabrina. "Les larmes et le sang des chiïtes: Corps et pratiques rituelles lors des célébrations de 'Āshūrā' (Liban, Syrie)." *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*. no. 113–114 (2006).
- Mervin, Sabrina (dir.). *Les mondes chiïtes et l'Iran*. Paris: Karthala, 2007.
- Narayan, Kirin. "How Native Is a 'Native' Anthropologist?" *American Anthropologist*. vol. 95, no. 3 (1993).
- Rizkallah, Amanda. "Foreign Intervention and Internal Displacement: Urban Politics in Postwar Beirut." *International Security*. vol. 48, no. 3 (Winter 2024).

Ruin, Hans. *Being with the Dead: Burial, Ancestral Politics, and the Roots of Historical Consciousness*. Stanford: Stanford University Press, 2019.

Saade, Bashir. "Martyrology and Conceptions of Time in Hizbullah's Writing Practices." *International Journal of Middle East Studies*. vol. 47, no. 4 (2015).

Shalhoub-Kevorkian, Nadera. "Criminality in Spaces of Death: The Palestinian Case Study." *The British Journal of Criminology*. vol. 54, no. 1 (2014).

_____. "Necropenology: Conquering New Bodies, Psychics, and Territories of Death in East Jerusalem." *Identities*. vol. 27, no. 3 (2020).

Thomas, Louis-Vincent. *Anthropologie de la mort*. Paris: Payot, 2010 [1975].

Van Gennep, Arnold. *Les rites de passage*. Paris: Picard, 2011 [1909].

Verdery, Katherine. *The Political Lives of Dead Bodies: Reburial and Postsocialist Change*. New York: Columbia University Press, 1999.



كلود ليفي ستروس
ترجمة: شوقي دويهي

البنى الأولية للقراءة

يجدّد هذا الكتاب تصوّر الخاص بأنظمة القرابة والزواج، ومكانة الأسرة، وحظر سفاح القربى والتبادلات بين الفئات الاجتماعية. يُعدّ نصّاً رئيسيّاً مثيّرًا للجدل، ومقدمة للمدرسة البنيوية الفرنسية، حيث يعتبر التبادل الزوجي أساس المجتمع البشري من خلال الرابط الذي ينشئه والتنازلات التي يفرضها، ويؤشر إلى الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة. ويتنقل من الانتماءات الطوطمية لسكان أستراليا الأصليين، إلى تقاليد الحداد في الصين القديمة، ومن إثنوغرافيا قبائل بورما إلى الإقطاع في أوروبا خلال العصر الوسيط، ومن علم نفس الطفل إلى نظرية المجموعات.

محمد بامية | Mohammed Bamyeh *

الأمل في العصر الحالك

Hope in a Dark Age

ملخص: تطرح الدراسة "العصر الحالك" مصطلحاً يتطلب تعريفاً يمكننا من رؤية ديناميكيات نشأته ونهايته، وكذلك ديناميكيات أخرى تتعلق بخصائص الفكر المعارض له. تتطلب هذه المهمة التحليلية تجاوز فهم شائع للعصر الحالك يتعدى كونه عصر المآسي الكبرى، والتركيز بدلاً من ذلك على كونه عصرًا يصممه من يملك زمام الأمر فيه على نحو يغلق كل الأبواب في وجه أي مسعى للخروج منه، ومن ثم يخلق تعارضاً جذرياً بين انغلاق السياسة وحركية المجتمع، ينتهي بانفجار ثوري. تستخلص الدراسة هذا التعريف من خلال المقارنة بين أوضاع المنطقة العربية (1974-2011) وأوضاع المنطقة الأوروبية (1815-1848)، ثم تنظر إلى كيفية تعايش أهل العصر الحالك معه؛ أي كيف أو من أين يبرز شعور بما نسميه عادةً "الأمل"، في ظروف لا يبدو أنها تتيح مجالاً له؟ وكيف يتفاعل هذا الشعور مع بروز حراك تجاه التغيير في المجتمع؟

كلمات مفتاحية: العصر الحالك، الأمل، الثورة، الذاكرة التاريخية، الصمم الاستبدادي.

Abstract: This article presents the "Dark Age" as an analytical term, entailing a definition that makes it possible to identify the dynamics of its rise and fall as well as the characteristics of ideas opposed to it. This analytical task necessitates moving beyond a common understanding of the Dark Age as merely an era of great calamities, focusing instead on how it is designed with an intention to close off all attempts to escape it. This condition, then, creates a tension between political stagnation and social dynamism that eventually reaches the point of revolutionary explosion. We derive this definition by comparing the Arab region (1974-2011) with the European region (1815-1848). We then examine how the inhabitants of the Dark Age coexisted with it – that is, how or from where there emerged a sense of what is usually called "hope" in circumstances that seemed to offer no room for it, and how this feeling interacted with the social dynamism toward change in society.

Keywords: Dark Age, Hope, Revolution, Historical Memory, Autocratic Deafness.

* أستاذ علم الاجتماع في جامعة بيتسبرغ، الولايات المتحدة الأمريكية.

مقدمة

تطرح الدراسة مسألتين مترابطتين. أولاهما: كيف يتعايش سكان العصر الحالك مع هذه الحالة، أو بمعنى أعمق: كيف أو من أين يبرز شعور بشيء نسميه عادةً "الأمل" في ظروف لا يبدو أنها تتيح للأمل مجالاً؟ وكيف يتفاعل هذا الشعور مع بروز حراك تجاه التغيير في المجتمع؟ وثانيتهما: ما ديناميكيات العصر الحالك؟ أي: كيف يأتي إلينا؟ ومتى؟ وكيف نخرج منه، أو ندخل فيه مرةً أخرى بعد أن نكون قد خرجنا منه؟ تتطلب الإجابة عن هذه الأسئلة تعريفاً للعصر الحالك، يسمح لنا برؤية ديناميكيات نشأته ونهايته، وكذلك ديناميكيات أخرى تتعلق بطبيعة الحياة والفكر خلاله، أو بمعنى آخر، يسمح بطرح السؤال: كيف يوجد عصر الحلقة السياسي بالتوازي مع الأمل الاجتماعي في نهايته؟

يدفعنا هذا المدخل إلى تعريف العصر الحالك بما يتعدى كونه عصر المآسي الكبرى الذي نرى أنفسنا محاطين به: الإبادة على مرأى العالمين في غزة، والمذابح الوحشية في السودان وقبلها في سورية، والحروب الأهلية هنا وهناك، وإفلاس البلدان على أيدي منظومات حاكمة يشبه أسلوب عملها شبكات الجريمة المنظمة، وإهدار الثروات الهائلة في نزوات حكّام يستلهمون أفكارهم من روايات الخيال العلمي، وسباق تسلّح وعسكرة بلا نهاية، واستعمار استيطاني في قلب المنطقة العربية لا يتردد في إظهار قدرته على إذلال كلّ الأمم، والاستبداد (غير المستنير) في معظم جهاتها، وانعدام الشعور بالمسؤولية أو غياب القدرة أو ضيق النظر لدى الطبقات السياسية في كل مكان، والغزوات الأجنبية بين فترة وأخرى، ووجود بلدان تزخر بالثروات الخيالية جنباً إلى جنب مع بلدان أخرى يسودها الفقر المدقع.

لكن الأحوال الكارثية في حد ذاتها لا تقدّم لنا قدرة تحليلية لهذا العصر؛ لأن الطبيعة الأساسية للعصر الحالك تتعلق ببنيته، بوصفه تصميمًا صلبًا هدفه الأول مقاومة الأمل في بديل منه. من هنا، أرى أن التوصيف الأدق له، هو أنه عصر يُصمّمه من يملك زمام الأمر فيه على نحو يُغلق الأبواب كلّها في وجه أيّ مسعى للخروج منه، في ظل رغبة اجتماعية واسعة للخلاص منه.

أولاً: ما العصر الحالك؟

تتضح الفائدة التحليلية لهذا التعريف، عندما نستعمله لمقارنة الحالات التي ينطبق عليها، وهنا ننظر إلى حالتين متشابهتين بصفة عامة، وإن اختلفت تفاصيلهما: المنطقة العربية في الفترة 1974-2011، والمنطقة الأوروبية في الفترة 1815-1848. فبعد نهاية فترة نابليون بونابرت، ومؤتمر فيينا (1815)، أُعيد إنتاج أوروبا، بوصفها منطقة استبدادية مصممة لمقاومة أيّ ميول ثورية أو حتى إصلاحية. لكننا نعرف أن تلك المرحلة لم تتسم بالجمود إلّا على صعيد السياسات العليا؛ أي سياسة الدولة. في المقابل، وتحت ذلك، استمر التغيير الاجتماعي، وبموازاته تواصل تبلور أفكار معارضة للبيئة الاستبدادية برمتها، كان أهمها الفكر الليبرالي والفكر الاشتراكي بمختلف أطيافهما. فتحت النظام السياسي الجامد، استمرت المحاولات الفكرية التي جاءت امتداداً لعصر التنوير الذي أتت من صلبه الثورة الفرنسية (1789-1799)، والتي صُممت أوروبا بعد مؤتمر فيينا للقضاء على تبعاتها.

في المنطقة العربية، يبدأ العصر الحالك بنسخته الأخيرة بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973، ويستمر حتى عام 2011، وهي فترة إذا قارناها بالفترة الأوروبية التي نحن بصدددها، نخرج بملاحظة أولية؛ وهي أن العصر الحالك له عمر جيل تقريباً، أي من ثلاثين إلى أربعين سنة⁽¹⁾. لكن الأهم من ذلك أن هذه المقارنة تعطينا مؤشراً واضحاً للطبيعة الأساسية للعصر الحالك في أنه عصر الرغبة الاجتماعية الواسعة في التغيير في ظل أنظمة مصممة لمقاومة أي تغيير. من هذا المنظور، يماثل العصر الحالك في طبيعته التراجيديا كما يعرفها دارسوها؛ أي استحالة حصول ما يُستحب حصوله. الفرق الوحيد هنا بين التراجيديا بصيغتها الكلاسيكية والعصر الحالك بصيغته السوسيولوجية، هو أن العصر الحالك تنتفي منه الجماليات الفنية التي تُمكن الإنسان من الاقتراب من التراجيديا، فضلاً عن الاستمتاع بها، في حين أن العصر الحالك الفاقد لكل الجماليات لا يمكنه إلا أن يكون منقراً للإنسان. فلا نرى في العصر الحالك بوادر لنهايته أو تمثيلات مقنعة لما قد يأتي بعده، باستثناء المحاولات الأدبية والفنية والشعرية، والتي تتحول خلاله إلى مجالات للوعد الذي يعيش في ذلك العصر في مجال الخيال الذي يعتاش من قدرته الفريدة على تجاوز حدود الواقع المغلق.

ابتداءً من عام 1974، دخلت المنطقة العربية في حالة جمود لا يتزحزح على الإطلاق (مع بعض الاستثناءات التي سنتناولها لاحقاً)، إلى أن أتت ثورات عام 2011، والتي، على الرغم مما تلاها من إحباطات وثورات مضادة وحروب، أنهت حالة الجمود الأزلي وأعادت إلى المشهد ديناميكيات تبشر بأنواع مختلفة من التغيير، وإن كان طويل الأمد كما يصفه ريموند ويليامز⁽²⁾، أو يختلف عن آمال الكثير من الثوار⁽³⁾. نلاحظ أن الفترة 1974-2011 كانت فريدة في طبيعتها في العصر العربي الحديث؛ إذ انتهت فيها مرحلة التغيير المستمر لأنظمة الحكم والانقلابات. وعلى نحو تدريجي، بدأت معظم الجمهوريات في التحول إلى شبه ممالك أزلية، تتمركز في قمة هرمها حول حكم العائلة، وهو النموذج الذي طُبّق في العراق وسورية، وكان في طور التطبيق قبل ثورات 2011 في مصر واليمن وليبيا وتونس. نرى في تلك الفترة إفراغاً تدريجياً لمعنى "الثورة" الذي لازم في البداية الأنظمة الانقلابية التي أطلقت هذه التسمية على نفسها، وبدأت خلال فترة كأنها تتجاوب مع شعارات التغيير والحدادة والحرية والوحدة، قبل أن تتحول كلها إلى دكتاتوريات مطلقة. بدأ هذا التحول بتصفية رفاق الأمس، حيث ينتهي دور "مجلس قيادة الثورة"، ويحوّل الحزب الحاكم من منظومة أيديولوجية إلى جهاز نفعي، وتُنفى الكفاءات وتُستبدل بالولاءات، ويكون التركيز الأول والأخير على ثبات الحكم ومنع التغيير.

(1) على الرغم من أن هزيمة حزيران/يونيو 1967 قد تُعتبر البداية الحقيقية لما يسمّى هنا العصر الحالك، فهي لا تُطابق تعريفنا هنا. فقد تلاها رفض شامل للهزيمة، كما نرى في لاءات مؤتمر الخرطوم (1967) الشهيرة، وإعادة تأهيل القوة العسكرية المصرية، وحرب الاستنزاف الناجحة نسبياً، ثم أهم نتائج تلك الهزيمة، وهي البداية الفعلية للثورة الفلسطينية. ولا يمكن مقارنة هذه الحالة الديناميكية بالجمود المطلق الذي تلا عام 1973، والذي هو السمة المميزة للعصر الحالك.

(2) Raymond Williams, *The Long Revolution* (Cardigan: Parthian, 2012 [1961]).

(3) محمد بامية، "عشر أطروحات عن الثورات"، الآداب، ترجمة سماح إدريس، 2021/9/26، شوهدي في 2025/10/23، في: <https://acr.ps/1L9BOTt>

أفضل مثال على هذا الإصرار على الثبات الأزلي، على الرغم من كل الكوارث، هو حالة العراق في الفترة ما بين حرب الكويت (1991) والاجتياح الأمريكي (2003). فهنا نرى استمرار النظام في الحكم وكأن شيئاً لم يكن، مع أنه قد عرف هزيمة مدوية في حرب الكويت، والانهيار الذي عاناه العراق بعد ذلك خلال 12 عاماً من الحصار الخانق، والذي قوّض الطبقة الوسطى وأدى إلى انتشار سيكولوجيا سوداوية نراها في كثير من الأمثلة، منها انتحار أستاذة جامعة وبناتها الثلاث، على اعتبار أنه الوسيلة الوحيدة المتبقية أمامهن لتجنب "الانحراف" بعد أن فقدت الطبقة الممتمة إليها كامل ثروتها خلال الحصار⁽⁴⁾.

تكمّن أهمية سرديات مثل هذه فيما تشير إليه، وهو ثبات التقاليد الاجتماعية بوصفها آخر معاقل مجتمع يحاول الحفاظ على نفسه في مواجهة العوامل الممزقة التي يرميها عليه العصر الحال؛ ذلك أننا نرى الخطاب التقليدي ذاته في كارثة تالية بعد عقد من الزمان، وأعني تشرد نصف سكّان سورية خلال الحرب الطاحنة التي تلت ثورة عام 2011. هنا أيضاً نرى نظاماً سياسياً يقاوم أي إصلاحات فضلاً عن تغيير الحكم، ويصرّ على إبقاء الأمور كما هي، وإن كان الثمن "إحراق البلد"، كما قال أتباع النظام بكل صراحة. هنا أيضاً، في مواجهة الكارثة نرى ثبات التقاليد المتعارف عليها، بوصفها آخر معقل لتماسك المجتمع في ظل التوحّش الناتج من ذلك الصراع. من الأمثلة الكثيرة على ذلك، توارّد أخبار عن محاولات رجال من بلدان عربية أخرى الزواج من سوريات صغيرات السنّ نسبياً في مخيمات اللاجئين بحجة حمايتهن من "الانحراف"، ومعارضة نساء أكبر عمراً لتلك المحاولات التي اعتبرنها نوعاً من استغلال الظروف المأساوية والحاجة إلى الدعم، وخروجاً عن تقاليد الحياة المتعارف عليها، والتي يمنع المفهوم التقليدي لـ "كرامة" تجاوزها على ما اتسمت به الظروف من شدة⁽⁵⁾.

بناء عليه، في موازاة ديناميكية الحركة الأدبية والفكرية، نرى في العصر الحال نوعين من الثبات: ثبات النظام بقوّته القمعية، يواجهه خطاب محافظ في المجتمع يرى تقاليده الأخلاقية شيئاً ثابتاً وضرورياً للحفاظ على المجتمع في مواجهة الأزمات المستمرة. ما يهمنا هنا هو الجزء الأول من هذه المعادلة والمتعلق بالدولة. ذلك أن دولة العصر الحال تتحول تدريجياً إلى نوع من العصابة المنظمة التي تلتهم الموارد التي تتوجه في الأزمنة العادية إلى مهمات اجتماعية. وهذه الحالة تؤثّقها عدّة تقارير، مثل تقرير التنمية البشرية العربية للأمم المتحدة لعام 2005، الذي يشبّه الدولة العربية بالثقب الأسود الذي يبتلع كل ما في محيطه ولا يخرج منه شيء⁽⁶⁾.

(4) روى هذه الحادثة عبد الستار الراوي في محاضرته: "نحو عقلية علمية: حسام الدين الألوسي ومشروعه الفكري"، المؤتمر الرابع والعشرون للجمعية الفلسفية المصرية "المشاريع العربية المعاصرة"، القاهرة، 7-9/12/2013.

(5) محمد خير العناسة، "استغلال اللاجئين السوريين لعروض زواج في الأردن"، دويتشه فيله، 2012/9/21، شوهد في <https://acr.ps/1L9BP8V>، في: 2025/10/20.

(6) تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2005: نحو نهوض المرأة في الوطن العربي (عمّان: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2006).

لذلك، نلاحظ في بداية حراك الربيع العربي أن معظم الأنظمة لم تكن لديها قدرة على فهم الثورات على أنها شيء آخر غير ضوضاء عابرة، بدلاً من فهمها على أنها تعبير عن أزمة عميقة تتطلب تجاوزاً جذرياً وإيجابياً مع مسبباتها. ونلاحظ هذا الفهم المغلق في رد فعل كل الأنظمة، والذي اقتصر على معاملة الحراك على أنه مشكلة أمنية يمكن حلها بالأساليب القمعية المعتادة، إضافةً إلى بعض التنازلات السطحية التي لا تغير طبيعة النظام. عبّرت هذه العقلية، التي واجهت بها الأنظمة الثورات ضدها، عن أحد منتجات العصر الحالك؛ أي "الصّمم الاستبدادي"، الذي يلغي قدرة السلطة على سماع ما تقوله الأصوات العالية، فيختزلها في نوع من الضجيج العابر⁽⁷⁾.

أفترض أن ظاهرة الصّمم الاستبدادي ملازمة لأي نظام تتطلب صلابة تكوينه الحفاظ على الولاء المطلق داخله وتهميش الأصوات الناقدة؛ ما يؤدي في نهاية المطاف إلى قرارات غير حكيمة. فكيف نفهم إصرار نظام معزول مثل نظام صدام حسين بعد غزوه الكويت على الاستمرار في مواجهة ما كان في إمكانه تجنبه حتى اللحظة الأخيرة، ضد تحالف دولي تقوده دولة كبرى لديها أحدث أسلحة العصر؟⁽⁸⁾

كما كان الحال في أوروبا في عصرها الحالك، نلاحظ في الحالة العربية استمرارية للفكر المعارض بمختلف اتجاهاته، مع بروز قويٍّ للتيارات الإسلامية التي كانت، كما وضّحت في كتابات أخرى، أحد التعبيرات عن اتجاه المجتمع إلى تنظيم نفسه خارج حدود الدولة، وفتح المجال أمام الفئات غير المؤهلة أو المسيّسة للدخول إلى حيّز المشاركة المجتمعية، بصفة مباشرة، وفي سياق غياب أشكال المشاركة الديمقراطية⁽⁹⁾.

السؤال هنا: من أين يأتي العصر الحالك؟ من السهل القول إنه ينطلق من تقاليد اجتماعية بالية أو غير مناسبة للحدث، وإن كانت وفرة الدراسات التي تدحض هذه النظرية وتُرينا أن القدرة على ممارسة الاستبداد ترتفع فاعليتها مع امتلاك الإمكانيات التنظيمية والإدارية الحديثة، بما في ذلك ما تشهده

(7) طرحْتُ سابقاً مفهوم "الصّمم الاستبدادي" Autocratic Deafness من ملاحظة محاولة نظام حسني مبارك في مصر التعامل اليومي مع أحداث الثورة. ينظر:

Mohammed Bamyeh, "The Egyptian Revolution: First Impressions from the Field," *Jadaliyya*, 11/2/2011, accessed on 20/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BPle>

(8) نرى هذه الحالة أيضاً في وقتنا هذا في الغزو الروسي لأوكرانيا (شباط/ فبراير 2022-)، وهو قرار كان واضحاً منذ بداية الحرب مدى حاجته إلى نظرة ناقدة من داخل النظام، وهي نظرة لم يكن مسموحاً بظهورها كما يرى الدبلوماسي الروسي السابق بوريس بونداريف الذي استقال من منصبه في أعقاب الغزو. يقول بونداريف إن غياب الأصوات الناقدة ضمن نظام فلاديمير بوتين أدى إلى تصديق النظام دعاية كان هو من اخترعها في البداية بوصفها دعاية لا غير وليست حقيقة. ويوضح بونداريف: "تُظهر الحرب أن القرارات المتخذة في غرف الصدى قد تأتي بنتائج عكسية"، وتقود إلى تبني مبادرات مستحيلة التحقيق، كان في الإمكان تجنبها لو كان النظام مصمماً على سماع تقييمات صادقة.

Boris Bondarev, "The Sources of Russian Misconduct: A Diplomat Defects from the Kremlin," *Foreign Policy*, 17/10/2022, accessed on 20/10/2025, at: <https://acr.ps/1L9BPle>

(9) Mohammed Bamyeh, *Lifeworld of Islam: The Pragmatics of a Religion* (New York: Oxford University Press, 2019), ch. 1.

المجتمعات الصناعية المتطورة، كما نرى مثلاً في التجربة الفاشية. وهنا يجد نقد سامي زبيدة للنظرة التي تلقي باللوم على العقلية العشائرية في فهم مسيرة حزب البعث العراقي، مثلاً، كامل معقولته؛ فهو يرى أنها وإن كانت تفسر كيفية تبلور الحزب في نهاية المطاف حول زمرة عائلية ضيقة من تكريت، فإنها لا تفسر نشأة حزب البعث نفسه ولا تاريخه الاجتماعي السابق لفترة صدام حسين⁽¹⁰⁾.

على هذا الأساس، نفترض أن العصر الحالك يأتي من مسارات الحاضر المتأزم، وليس من تراث الماضي. إذا توسعنا في هذا التحليل، يبدو لنا أننا إزاء ديناميكيتين حديثتين (تحالفات اجتماعية محلية تقليدية الطابع، وحركات وطنية شاملة وعابرة للحدود) كانتا في حركة مشتركة خلال فترة معينة، وهي الفترة التي تسمى عادةً النهضة الثانية (التي تمتد من العقد الثالث إلى أواخر العقد السادس من القرن العشرين). وأعقب هذه الفترة تباعد هاتين الديناميكيتين، ثم صدامهما وانتصار إحداهما على الأخرى؛ ما يعطينا حينها العصر الحالك. لم تتعارض هاتان الديناميكيتان تعارضاً واضحاً خلال النهضة الثانية، بل سهّلت كل واحدة منهما عمل الأخرى، إلى درجة أن "الحداثة" نفسها بدت كأنها تنمو بسلاسة من "التقاليد" (وهي الحالة التي تسبق عدداً لا يُحصى من الكتابات جاءت بعدها حول "أزمة" العلاقة بين الأصالة والحداثة)⁽¹¹⁾. لاحقاً، يبدأ العصر الحالك بهيمنة الديناميكية التحالفية المحلية ذات الطابع الأهلي وطغيانها على الديناميكية الوطنية. ثم نلاحظ أن جزءاً مهماً من الديناميكية الوطنية يأخذ مظهراً إسلامياً. لكن التدين المتزايد في العصر الحالك يعزز قاعدة التضامن الاجتماعي العابر للحدود الطبقية، باسم هوية عابرة للحدود المحلية، تماماً كما كان يسعى الفكر القومي إلى الغاية العابرة للحدود نفسها قبله.

إضافة إلى هذا كله، يكفي إلقاء نظرة على الإنتاجات الأدبية الواسعة الانتشار، خلال تلك الحقبة أو استطلاعات الرأي العام العربي التي أصبحت في حوزتنا منذ تسعينيات القرن العشرين، لنلاحظ الطبيعة العامة للعصر الحالك، والتي تتمثل في رغبة عارمة في التغيير تقابلها بنية صلبة تصرّ على الثبات الأزلي كما هي ومهما حصل. يقابل هذا الثبات القاتل حالة أدبية حيوية تحاول توجيه النظرة إلى واقع آخر غير المنظور، سواء في الشعر الوطني الذي يأخذ أبعاداً وجودية وفلسفية تتجاوز التعامل الوصفي مع الواقع، كما نرى في أعمال محمود درويش (1941-2008) بعد عام 1982، أو مسرحيات سعد الله ونوس (1941-1997) في آخر خمس سنوات من حياته. ونرى أيضاً زخماً من الإنجازات الأدبية التي توجّه النظرة بعيداً عن الحاضر الحالك، حيث عاشت الرواية التاريخية العربية عصرها الذهبي بوصفها مواجهة نقدية مع العصر الحالك. ويكفي هنا ذكر بعض الأسماء اللامعة التي حاولت إعادة كتابة التاريخ الاجتماعي والسياسي لدول بأكملها، مثل عبد الرحمن منيف (1933-2004)، وإبراهيم الكوني (1948-)، وخيري شلبي (1938-2011)، وإلياس خوري (1948-2024)،

(10) Sami Zubaida, *Islam, the People and the State: Essays on Political Ideas and Movements in the Middle East* (London: Routledge, 1989).

(11) يمكن أن نأخذ الاهتمام المتزايد بـ "أزمة" العلاقة بين "الحداثة" و"الأصالة" على أنه تعبير عن رؤية تظهر في مرحلة تاريخية معينة، وليس بالضرورة عن وجود أزمة حقيقية. وهنا نأخذ في الاعتبار بروز الحركات الإسلامية بوصفها نوعاً من معارضة هذا التمييز ومحاولة لتوطين الحداثة ضمن إطار محدّد.

وغيرهم. ويوازي هذه الذاكرة التاريخية الروائية ذاكرة سينمائية تاريخية ذات طموح موسوعي للتاريخ الاجتماعي، يُماثل الرواية التاريخية، كما ظهر، على سبيل المثال، في ثلاثية محمد ملص عن تاريخ سورية الحديث، أو في فيلم "باب الشمس" (2004) ليسري نصر الله عن النكبة الفلسطينية⁽¹²⁾.

كثير من الأدب المذكور آنفاً هو سرد لتواريخ أوطان من وجهة نظر الشخص العادي، ولا نرى فيه تركيزاً على شخصيات تاريخية كبرى، على الرغم من بعض الاستثناءات التي يُنظر إليها على نحو إيجابي عموماً، مثل شخصية عبد القادر الجزائري (1808-1883) في كتاب الأمير لواسيني الأعرج⁽¹³⁾. إلى حدٍ أقل، نرى محاولات لوصف سيكولوجيا الحكم، مثل شخصية داود باشا (1767-1851) في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف⁽¹⁴⁾. تنتقل تلك الرواية الرائدة بين مجتمعين، أي مجتمع المؤامرات في السرايا والمجتمع الشعبي الموازي في مقاهي بغداد، حيث يبدي الناس العاديون حكمتهم اليومية والمتغايرة حول مجتمع السياسات العليا الذي هو مجتمع من هم مختلفون عنهم. ولكن، وفي كل هذه التصورات للتاريخ، يعبر الشخص الصغير عن وعيه بالتاريخ الكبير بطريقة تتناسب مع المنطق المحلي. فهو لا يفهم الاستراتيجيات العالمية الكبرى، ولا من هم ممثلوها، لكنه يدرك الظلم. وهو يدرك، على نحو متزايد عبر آلاف الصفحات، ضآلته في المسرحية الكبرى التي يؤدي فيها الدور المسند إليه الذي يزداد تهميشاً، إلى أن نصل إلى العصر الحالك. عندها، نرى مصير هذا الإنسان المغلوب على أمره ببلاغة في رائعة نبيل المالح "الكومبارس" (1993)، وهو فيلم تمثل فيه الشخصية الرئيسة دور "كومبارس" (أي الشخصية العابرة من دون اسم في خلفية الشاشة، والتي غالباً لا ينتبه المشاهد إليها). في هذا الفيلم، يتخيل الممثل الذي يؤدي دور الكومبارس نفسه يؤدي أدواراً أكبر، قبل أن يدرك بصفة متزايدة أن كل من يعرفونه، وربما الأمة بأكملها، ليسوا سوى كومبارس في سرديات أكبر منهم، تديرها شخصيات غامضة تدخل وتخرج، تعقل أي شخص كما تشاء وتذكر الجميع بمكانهم الضيق في العصر الحالك. ويبرز هذا التمثيل للحياة في العصر الحالك في جماليات الفيلم، حيث تدور معظم الأحداث في شقة محصورة، ذات إضاءة خافتة أو شبه مظلمة، وبما ينبئ عن مدى عدم واقعية الآمال العليا التي يناقشها الكومبارس بأصوات منخفضة.

في الحالة الأوروبية، قبل عام 1848، غالباً ما كان يعبر عن عدم الرضا عن الاستبداد من وجهة نظر أيديولوجيات أو مناهج فكرية تقع جذورها في عصر التنوير، وكذلك في تجربة الثورة الفرنسية، مثل الفكر الاشتراكي أو الفكر الليبرالي، والذي يرى في الاستبداد تعدياً على مفاهيم آخذة في الاتساع، مثل الحقوق أو المواطنة أو المشاركة. ونرى مثل هذه التيارات كذلك في الحالة العربية قبل عام 2011، ولكن تُضاف إليها نظرة تاريخية ترى في الاستبداد الحديث تعدياً على ماضٍ كان حرّاً أو على الأقل ذا أخلاقيات أفضل. ونرى ذلك واضحاً في الحركات الإسلامية، ولكن أيضاً من وجهات

(12) والذي استند إلى رواية: إلياس خوري، باب الشمس (بيروت: دار الآداب، 1998).

(13) واسيني الأعرج، كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد، ط 2 (بيروت: دار الآداب، 2008 [2005]).

(14) عبد الرحمن منيف، أرض السواد، ج 1-3 (بيروت/الدار البيضاء: المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ المركز الثقافي العربي، 1999).

نظر لا علاقة لها بالدين. فمثلاً، يصوّر حيدر حيدر ما نسميه هنا العصر الحالك بوصفه فترة مفسدة للإنسان، سبقتها أزمة أكثر طهارة صبغت إنسانها بنقاها الأخلاقي:

لأنك لست ابنًا بارًا لهذا الزمان. زمان أولاد الحرام كما تسمّيه. أنت رجل أزمة انقرضت يا صاحبي. تريد أن تكون نظيفًا في زمن الوحل والتلوث. وفيًا في زمن الخيانات والغدر. نقي الضمير في عصر دُفنت فيه الضمائر. هذه المفاهيم الجاهلية والرّسولية تقود إلى هاوية الفقر والعزلة والنبد. نحن الآن في عصر الذئاب المفترسة، وأنا أتيّتك بكفني لتطوي به جثة عصرك الدرويشي. [...] الساحر الإبليسي، المولود من ضلع الشيطان، وسوس له. قال له أيضًا بأنّ الدنيا تغيرت. والبلد غابة ذئاب. وقال له إن ابن هذا الزمان هو من يصلي وراء علي حين تقام الصلاة ثم لا يلبث أن يهرع إلى مائدة معاوية حين يُمدّ سماء الطعام واللهط⁽¹⁵⁾.

نرى هنا حالة واسعة الحضور في دراسات العصر الحالك، وتقاريره وأدبه وسينما، تتميز بالوصف الناقذ، بل الرافض لكل ما يمثله هذا العصر، لكن من دون رؤية لكيفية الخلاص منه، حيث يُستبدل غياب رؤية الخلاص ببلاغة وصف الظلام، كما رأى مظفر النواب (1934-2022) العالم العربي: "سجونٌ متلاصقة.. سجانٌ يُمسك سجانًا".

من وجهة نظر السيكولوجيا الاجتماعية، نرى، على سبيل المثال لا الحصر، رؤيتين لكيفية الخلاص من تلك الأزمة الخانقة، التي لم يكن في مقدور النظام الحاكم حلّها، على الرغم من تشبّته بالحكم الذي يفترض نظريًا أن تكون له من خلاله قدرة على حلّ الأزمات. وقد تعرّفتُ على كليهما خلال مؤتمر أكاديميين من المنطقة عام 2003 عُقد قبل أسابيع من الاجتياح الأميركي للعراق، وهو الهمّ الذي طغى على هموم الحضور آنذاك. كان أولّها نظرية طرحها يزيد صايف، مفادها أنه على الرغم من المعارضة العالمية الواضحة للحرب المقبلة، يبدو الشارع العربي مزدوجًا في رؤيته، ليس لأن هناك تأييدًا للحرب، ولكن بسبب رؤية الحرب على أنها وسيلة لكسر الجمود القتال الذي يعانيه العراق تحت حصار لا نهاية له⁽¹⁶⁾. وهنا نرى أحد أوجه المعارضة للعصر الحالك، فإن لم يكن في استطاعتنا كسر الجمود الأزلي للعصر الحالك، ربما تكسره قوة خارجية ولأسبابها الخاصة، وإن كانت عدوًا لنا. من سُبُل الخلاص من العصر الحالك، إذًا، إن بدا التغيير مستحيلًا من وجهة نظر القدرات الذاتية، ربما يأتي الخلاص كيفما اتفق من قدرات وحسابات خارجية.

عبّرت النظرة الأخرى للخلاص، التي طرحها زميل آخر في المؤتمر نفسه، عن أسلوب آخر لاستنباط الخلاص من برائن العصر الحالك. قالت هذه النظرة إن الحرب المقبلة ستنتج حروبًا أكبر، تستمر عشر سنين وتنتهي بتحرير فلسطين. طبعًا لم يكن هناك تسويق لهذه "النظرية"، لكنها عبّرت عن

(15) حيدر حيدر، مراثي الأيام: ثلاث حكايات عن الموت (بيروت: ورد؛ أمواج، 2001)، ص 151، 159.

(16) يزيد صايف، "كلمة مفتاحية"، المؤتمر الرابع لبرنامج الدراسات المتوسطة، المعهد الجامعي الأوروبي، فلورنسا، آذار/ مارس 2003.

أسلوب منتشر ومعروف في متاهات العصر الحالك، يرى أن الخلاص سيأتي من تلافيف الكارثة المقبلة، ربما لأنها مقبلة بأي حال ولا يمكن تجنبها. لكن يمكن إضفاء الرغبات عليها، لأن لا أمل لمن لا يملك القدرة، ولا خطة للخلاص، إلا بإضفاء الأمل على الكارثة. ولا يأتي الأمل هنا، إذًا، من التحليل المستند إلى معطيات وإثباتات، بل من ضرورة الأمل في زمن ليس في معطياته ما يُثبت واقعية الأمل.

استوقفتني هذه النبوءة طويلاً، ليس لإيماني بها، بل لأنها بدت لي بمنزلة تجسيد لوعي يتفاعل مع ظلام العصر الحالك: كان هناك غموض مُتعمّد، بمعنى عدم تحديد أيّ مسبب منطقي للأمل المرجوّ من الكارثة المقبلة، أو دفاع عن أيّ منهج يبرر حتمية هذه الرواية المستقبلية. وسنرى فيما بعد أن هذا الغموض كان في حد ذاته إحدى المواد الفاعلة للثورات المقبلة، التي استندت أساساً إلى النوع ذاته من الوعي الذي يستوحي الأمل من محض الحركة ضد عصر الجمود، وليس إلى أيّ تحليل واضح لكيفية نجاح الثورات، ولا إلى انتظار ظهور مُسبّب نهاية الظلام كما عهدناه من التجربة التاريخية، سواء أكان قائداً فذاً أو حزباً طليعياً أو جيشاً غازياً. ونلاحظ الطبيعة غير الراسخة لهذه النبوءة، التي تبدو أكثر شيوعاً من التحليل الواقعي للمستقبل في عقلية عصر حالك، وتأتي ضرورتها من كونها مصدر إلهام لا يقدمه التحليل الواقعي لسكان ذلك العصر.

هنا تجب الإشارة إلى الطبيعة غير الثورية لكلتا النظرتين، وأيضاً إلى أن كليهما تسبقان الربيع العربي. وعلى الرغم من اختلافهما من ناحية القول بأسبقية التحليل أو الأمل، تتفق النظرتان في التركيز على فعل القوى الخارجية بوصفه مصدراً أولياً للتغيير المنشود، ولا نرى فيهما شيئاً سيرز دوره في المنطقة بعد ثماني سنوات من احتلال العراق، شيئاً لا يهتم بالعوامل الخارجية بل يعتمد على قدراته الذاتية فقط، ويُرمّز هويته الفاعلة بمفهوم "الشعب يريد" (17).

والجدير بالذكر هنا أن حالة انتظار الخلاص من خلال مبادرات العوامل الخارجية خلال العصر الحالك كانت أيضاً ملازمة لعقلية الأنظمة الحاكمة، والتي افترضت أن مصيرها، بل تداول السلطة داخلها يتطلب أخذ آراء قوى مختلفة في الاعتبار. مثلاً في أواخر عام 2010، حينما بدأت الصحافة المصرية طرح موضوع الانتخابات الرئاسية المقبلة التي كان موعدها أواخر عام 2011، كان أحد أهم التخمينات إن كان هناك مرشح لخلافة الرئيس حسني مبارك يكون مقبولاً من عدّة أطراف. كانت هذه الأطراف تُسمّى بأسمائها حينذاك، وهي الولايات المتحدة الأميركية، والجيش، وأحياناً دول الخليج

(17) طوال العصر الحالك، كانت هناك بالتأكيد محاولات ثورية، لكنها أخذت مساراً مختلفاً عما رأيناه عام 2011 وما تلاه. ففي الغالب، باستثناء الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987-1993)، والانتفاضة الشعبية قبلها في السودان ضد نظام جعفر النميري (1985)، بقيت تلك المحاولات ضمن إطار أيديولوجي واضح، مثل كل ما سبقها من المحاولات الثورية في القرن العشرين. ففيها نلاحظ مثلاً نمو التيارات الثورية الإسلامية بعد الثورة الإيرانية عام 1979، وكيف اتجه إليها كثير ممن كانت لهم سابقاً رؤية ثورية ذات صبغة أيديولوجية مختلفة، بمن فيهم من كان تبنّى سابقاً فكرًا ماركسياً أو قومياً. الأمثلة هنا عديدة، وبكفيها ذكر مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، فتحي الشقاقي (1951-1995)، والذي شملت اتجاهاته الأيديولوجية السابقة لتأسيسه الحركة، الفكر اليساري العلماني القومي. طبعاً لم تنته الاتجاهات التي تنظر إلى الثورة على أنها تطبيق لمنهج أيديولوجي محدد بعد عام 2011، لكن ذلك العام أظهر محدودية الأيديولوجيا الواضحة أسلوباً للتعبئة العامة، بما فيها أيديولوجيا الإسلام السياسي.

العربية، لا سيما المملكة العربية السعودية. خلال متابعتي لتلك التغطية الصحافية السابقة للثورة بعدة شهور، لم أرَ أبداً أيّ ذكر لرأي الشعب المصري في الموضوع.

إحدى ظواهر نهاية العصر الحالك، إذاً، هي إعادة اكتشاف القدرات الذاتية وتجاهل العوامل الخارجية (وهنا نتكلم فقط عن الثورات وليس عن الأنظمة الحاكمة). ولم يكن استعمال القدرات الذاتية يأتي من خطة واضحة، ربما لأن العصر الحالك ليس سوى تعبير آخر عن غياب خطة واضحة للتخلص منه. كان الأمل، الذي يحدو الراغبين في التخلص من العصر الحالك، يتمثل إذاً في المبادرة اعتماداً على الذات، من دون انتظار وضوح خطة التغيير؛ وهذا الأسلوب هو بالضبط ما رأيناه يتجسّد في الانتفاضات العربية.

يجدر لفت النظر إلى تاريخ النضال الفلسطيني، حيث نرى مراراً محاولات القفز فوق انغلاق ما يسمّى "الظروف الموضوعية" (أو بتعبير آخر "العوامل الخارجية") والاعتماد على عامل المبادرة مهما كان الثمن، كما نرى في التعبئة العامة من مخيمات اللاجئين بعد عام 1967، أو الانتفاضة الأولى بدءاً من عام 1987، أو طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023. ويمكن القول إن النضال الفلسطيني بكل مراحلها كان وما يزال محاولات مستمرة لتخطي حدود أزمنة حالكة أحاطت مراراً بالحالة الفلسطينية على وجه التحديد. وهنا جدير بالذكر أن فلسطين تشكّل استثناءً لتأريخ العصر الحالك، وإن كان هذا العصر نتج إلى حد بعيد من الفشل المتكرر للنظام العربي في فلسطين. لكن، إذا اتّبعتنا تعريف العصر الحالك ذاته الذي وضعناه، بوصفه عصر انتفاء القدرة على مقاومة الظروف المفروضة وانعدام الخيارات أمام حالة الثبات الاستبدادي، لا نرى نهاية للعصر الحالك في فلسطين عام 2011. ونرى نهايات متكررة له في كل فترة تبرز فيها روح المقاومة، بمعنى التعرّف مرةً أخرى إلى القدرات الذاتية، بغضّ النظر عن النتائج، تماماً كما نرى في الانتفاضات العربية المعاصرة.

عموماً، نفترض أن عدم رؤية إمكانية الخلاص من واقع حالك يؤدي إلى سيكولوجيا متشائمة. لكن، ولأن تشاؤماً بلا نهاية يعني حياةً بلا أمل، نبدأ في الانتقال إلى حالة موازية يمكن وصفها بحالة متشائلة⁽¹⁸⁾. خلافاً لما نتوقع، نرى هذا الانتقال من التشاؤم إلى التشاؤل أحياناً عندما يزداد الظلام ظُلُمَةً، كما بعد خروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت إلى تونس عام 1982، ومن ثمّ تعليق دور المقاومة الفلسطينية بوصفها آخر مظاهر الديناميكية في العصر الحالك. نبدأ من هنا، من قاع العصر الحالك، برؤية يمثّلها بأعلى درجة من الإحساس محمود درويش، بدءاً بملحمة "مديح الظل العالي" التي كتبها عام 1983. هنا تصبح مسؤولية الشعر إضافة المزيد من المعنى إلى الحياة المجردة، لكن بطريقة لا تستطيع الحياة المجردة وحدها، لأنها مجردة، أن تدعمها. الشعر هنا لا "يمثّل" الواقع، بل يضيف إليه ما تحتاج إليه الحياة كي تستمر بوصفها أسلوباً لممارسة الأمل. وتحمل اللغة هنا مسؤولية إضافية إلى كونها وسيلة للتواصل، لتصبح مدخلاً لإضافة شيء إلى العالم ليس موجوداً فيه،

(18) اشتق التعبير في رواية: إميل حبيبي، الوقائع الغربية في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل (حيفا: منشورات عريبسك، 1974).

ولكنه ضروري لاستيعاب الحياة في عصر الظلام. عمومًا، نبدأ برؤية محاولات، غالبًا في الأدب، يوكل إليها جلب شروط إضافية لتخيّل ديناميكية الحياة في حاضر الجمود.

قبل الثورات العربية بفترة قصيرة، بدأنا نشهد إنتاجات أدبية مهمة لها علاقة بالتاريخ، ولكنها، خلافًا للرواية التاريخية، تنظر إلى المستقبل المنشود من خلال الحكم على التاريخ. أهم هذه الأعمال هي رواية عمارة يعقوبيان⁽¹⁹⁾، والتي ظهرت قبل الثورات العربية بفترة وجيزة وفاقّت مبيعاتها أيّ رواية أخرى في زمانها، فأشارت بذلك إلى توق اجتماعي واسع لما تطرحه. هذه العمارة التاريخية المتهالكة يسكنها مزيج من طبقات المجتمع المصري؛ يشير كلّ منها إلى آمال وحلول مختلفة، كحال التاريخ الحديث للبلد. لكن المهم في الموضوع أنّ الرواية تطرح حلًا سنراه هنا وهناك في الثورات المقبلة. في نهاية الرواية يكتشف الأرسقراطي القديم الذي ينتمي إلى ثقافة العصر الملكي البائد أن علاقته الحقيقية ستكون مع الفلاحة المتواضعة البريئة (والتي كانت دائمًا أحد أشكال تصوّر مصر). لا يعيد هذا الحلّ الحياة إلى العصر الملكي طبعًا ولا يدافع عنه، لكنه يُصالح بين طبقات المجتمع ويغفر خطايا المجتمع البائد، إذا تخلّى عن غروره وأخذ بأحقية الطبقات المسحوقة في الاعتبار كما هي.

إذا نظرنا بدقة إلى الحلّ الذي تطرحه عمارة يعقوبيان، نلاحظ جدلية هيغلية مفادها إن كانت هناك ضرورة تاريخية للثورة على النظام الملكي، فهناك الآن ضرورة للثورة على نتائج تلك الثورة. ولكن ليس من أجل الرجوع إلى الماضي، بل من أجل إدخال الجزء القابل للإصلاح من ذلك الماضي فيما يمكن إصلاحه من تراث الثورة التي أطاحت به. ويجدر أن نذكر أن أحد الأدلة على ذلك أن هذا الحل الجدلي كان في صلب الآمال اللاواعية للثورات العربية، من خلال إعادة الحياة للأعلام الوطنية القديمة في ثورات سورية وليبيا، وعلى نحوٍ كان واسع الانتشار منذ بداية الثورات، وكأنه كان حلًا متفقًا عليه في مجتمع الثورة.

من الجدير بالملاحظة أيضًا كيفية اختلاف هذا الحل الجدلي، النابع من قوة الاتجاهات الإصلاحية في الثورات العربية⁽²⁰⁾، عن ثورات تاريخية أخرى، اتسمت بجذريتها الراضية للماضي عمومًا. فمثلاً، نلاحظ بروز العقلية الابتكارية اللافتة للثورة الفرنسية، مثل التقويم المتري، والعلمانية الواثقة بنفسها، وفكرة الجمهورية في حد ذاتها في ذلك العصر الملكي، وما إلى ذلك. ولكن علينا ألا ننسى أن تلك الثورة توافر لها وقتٌ أطول للابتكار، وخاصةً في عامها الثاني حينما لم تتطلع إلا إلى الأمام وإلى مستقبل لم يجربّه أحد من قبل. في المقابل، نظرت الثورات العربية، وبينما كانت تحاول استلها

(19) علاء الأسواني، عمارة يعقوبيان (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002).

(20) تحليلي للمؤشرات المتاحة من ليبيا ومصر تشير إلى أن الثورات أيدها تقريبًا 75 في المئة من السكان، واستفاضة أخرى في التحليل تشير إلى أن هذه النسبة يمكن تقسيمها مناصفة بين "الثوريين" (أي الذين رأوا ضرورة للثورة قبل قيامها) و"الإصلاحيين" (أي الذين لم يجذبوا ثورة لكنهم انضموا إليها لما قامت). حول المنهجية المتبعة، ينظر:

Mohammed Bamyeh, "The Two Anarchies: The Arab Uprisings and the Question of an Anarchist Sociology," in: Carl Levy & Saul Newman (eds.), *The Anarchist Imagination: Anarchism Encounters the Humanities and the Social Sciences* (London: Routledge, 2019), note 1.

المستقبل، إلى الوراء، لا إلى التاريخ العميق بقدر ما نظرت إلى الماضي القريب؛ أي إلى آخر عصر معروف ينشر ضوءاً كافياً، أي يجدد شعوراً بأمل ما يزال في الذاكرة، كي تستخلص منه توقعاً لمستقبل أنسب للعيش. لذلك، أرادت الثورات إلغاء التجربة الثورية الأخيرة؛ أي نموذج الضباط الأحرار، والانطلاق من حيث توقفت تلك التجربة. بعبارة أخرى، كانت للثورات خطة بسيطة، ليست رحلة جديدة أو طريقاً مجهولة المعالم، بل العودة إلى آخر مفترق طرق، واتباع منعطف مختلف عن ذلك الذي قاد إلى العصر الحالك.

بناءً على ما سبق، ومع أن العصور الحالكة قابلة دائماً للعودة بعد نهايتها، كلما سمحت لها الظروف بذلك، فإنه يمكن القول إن العصر الحالك العربي وصل إلى نهايته عام 2011. وعلى الرغم من كل المآسي التي نراها حولنا، لا ينتهي العصر الحالك بحالة طوباوية، ولا بالضرورة بنظام أفضل مما سبق، ولكنه ينتهي بنهاية حالة الجمود والاستقرار القمعي، وبعودة الحياة إلى طبيعتها الحركية والديناميكية، وبانفلات القوى والمبادرات الاجتماعية من سجنها في قوقعة عصر لا يقبل الحركة. كيف إذاً ننظر إلى هذا الواقع الديناميكي؟

في القسم التالي، تستكشف الدراسة بعض مظاهر الحالة الديناميكية التي لا نراها في العصر الحالك، مع التركيز على ثلاثة مظاهر أراها محورية، تشمل: 1. التشكيلات الجديدة في المجتمع المدني، 2. طبيعة التعلم الثوري في المنطقة العربية منذ عام 2011، وما يشمله من مكونات للذاكرة التاريخية لم تكن مرئية من قبل، 3. بروز "الأمل" نتاجاً لممارسة عفوية وليس تطبيقاً لمنهج أيديولوجي. وننتهي باستخلاص ما يمكننا تعلمه من مئة عام من الثورات في المنطقة، وبالتحديد من خلال تركيز النظرة على الاختلاف الجذري بين منطق الحركات الاجتماعية من جهة، ومنطق السياسة العليا من جهة أخرى.

ثانياً: المعرفة والأمل على تخوم العصر الحالك

1. المجتمع المدني

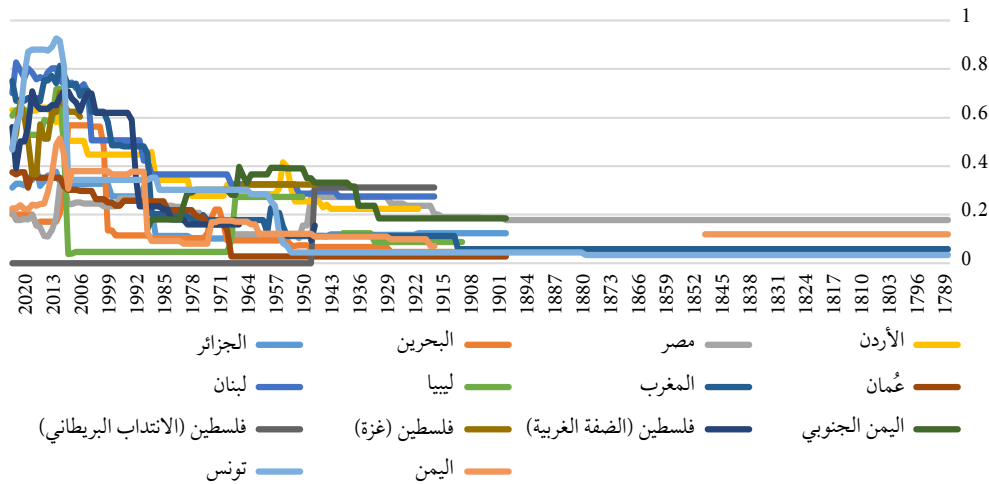
من ناحية المجتمع المدني، تشير الإحصائيات المتاحة⁽²¹⁾، حول درجة المشاركة فيه، إلى طفرة واضحة خلال عامي 2011-2012، ثم في عام 2019، خاصة في البلدان التي شهدت ثورات أو حركات احتجاجية واسعة. وتشير الأرقام إلى ظاهرة أخرى تتمثل في أن درجة المشاركة ما تزال أعلى مما كانت عليه في زمان ما قبل الثورات، على الرغم من تراجعها في السنوات الماضية؛ لأسباب مختلفة، منها الحروب والهجرات وتقييد الحريات بعد الثورة المضادة، وجائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19). الموضوع الأهم في النظرة إلى المجتمع المدني لا تشير إليه الأرقام، وهو

(21) تجب الإشارة إلى حدود مهمة فيما تقوله هذه الأرقام، فهي لا ترصد الجمعيات التي أنشأها الناشطون خارج بلدانهم بعد اضطرابهم إلى الهجرة، وهي ظاهرة مهمة في الحالتين السورية والمصرية مثلاً، في حين تركز على الجمعيات المنظمة رسمياً وليس على أشكال أخرى من العمل التعاوني الذي ظهر بعد الثورات، كما في تونس واليمن، فضلاً عن غياب المعلومات المتعلقة بفلسطين فيها. ولكنها، ومع كل ذلك، تعطينا إشارات أولية على الأقل.

طبيعة المشاركة المجتمعية بعامة، وكذلك العوامل المحفزة لها. ففي الحالة الفلسطينية مثلاً، برزت معظم الفصائل أولاً من خلال تشكيلات في المجتمع المدني منذ بداية خمسينيات القرن العشرين وعلى نطاق يتجاوز حدود الدول ويتناسب مع وضع الشتات الديموغرافي. وفي هذه العملية التي بلغت ذروتها في سبعينيات القرن العشرين، التقت الاتحادات العامة والفصائل والتجمعات المؤدلجة والجمعيات الخيرية والمنتديات الثقافية لتعطي الوجود الفلسطيني حضوراً منظماً على مستوى عالمي، على نحو أنقذ هذا الشعب من النسيان ووضعه على نحو مركزي ضمن حركات التحرر من الاستعمار⁽²²⁾.

في هذه الحالة، نرى كيف أن المجتمع المدني تلده الضرورة ثم يستمر في الإرادة، والتي غالباً ما تتكون من خلال الشعور بامتلاك قدرة لم تكن موجودة من قبل. ففي سورية مثلاً، ظهرت منذ بداية الثورة أشكال جديدة من التنظيم عُرفت باسم "التنسيقيات"، وكانت بوضوح بديلاً خلاقاً من غياب القيادة المركزية للثورة وربما أيضاً عدم الرغبة في وجودها. وكانت مهمتها الغالبة تبادل المعلومات وتنسيق الحراك، لكن من دون التحكم فيه أو إضفاء صبغة أيديولوجية محددة عليه؛ وهي لم تكن مهمات ممكنة بأي حال. وتلا ذلك، وبحكم الضرورة أيضاً، بروز فرق الإغاثة الطبية، ثم تشكيل منظمات مجتمع مدني سوري ومنتديات ثقافية سورية في المهجر، وخاصة في تركيا وألمانيا، استمرت في التواصل مع الداخل السوري، تماماً كما هو الحال في الوضع الفلسطيني.

شكل يرصد مؤشر المشاركة في المجتمع المدني (1789-2023)



المصدر:

"Civil Society Participation Index," Variable Graph, *V-Dem*, accessed on 15/12/2025, at: <https://acr.ps/1L9BPJE>

(22) ينظر:

Mohammed Bamyeh, "The Palestinian Diaspora," in: Hazel Smith & Paul Stares (eds.), *Diasporas in conflict* (New York/ Tokyo: United Nations University Press, 2007), pp. 90-105.

نرى في بلدان الثورة الأخرى طفرة مماثلة في المجتمع المدني، وإن اختلفت الظروف والهموم المحلية. ففي ليبيا مثلاً، نجد في عام 2013 أكثر من 1800 جمعية مجتمع مدني، بينما لم يتعدّ عددها خلال نظام معمر القذافي (1969-2011) 90-95 جمعية⁽²³⁾. فالتأثير المباشر لثورة 17 شباط/ فبراير 2011، كان تفعيل المجتمع المدني عشرين ضعفاً. وإذا دخلنا أكثر في صميم هذه الجمعيات، نرى فئات قديمة وجديدة في الوقت ذاته، منها الجمعيات الجهوية، وكذلك فئات شبابية لم تكن فاعلة على هذا النحو من قبل. المشكلة في نظرنا إلى ليبيا بعد الثورة، هي أنها غالباً ما تتجه إلى الصراع المستمر على السلطة ودور دول أخرى في تأجيج هذا الصراع، بحيث يتمّ غضّ النظر عن دور كل من لا يحمل سلاحاً ولا يُبدي اهتماماً بالصراع الذي لا ينتهي على السلطة بقدر ما يهتم بالحوار والمصالحة الوطنية ومسألة المشاركة، مع أن هذه هي القوى الأهم من ناحية سوسيولوجية، حيث تتكون من خلالها ثقافة ذات أفق مستقبلي، يتعدّى حدود الواقع السياسي المحكوم بمنطق ضيق يتعلّق بالحكم قبل أن يتعلّق بالمجتمع. وفي هذه الحالة، تماماً مثل ما في حالة الحروب الطاحنة التي تلت الثورات في سورية واليمن والسودان، نرى استمراراً قوياً لدور القوى الخارجية في الصراع على سلطة الدولة، مقابل غيابها التام في المراحل الأولى السلمية للثورات، وكذلك غياب الأدلة على دورها في الطفرة التي نلاحظها في المجتمع المدني بعد الثورات. وهي تبدو حالة مشابهة لما رأيناه في تاريخ إعادة تنظيم المجتمع الفلسطيني لنفسه، بعد نكبة عام 1948.

يمكن أن نستفيض كذلك في الأدوار المهمة التي أداها المجتمع المدني بعد الثورات في تونس واليمن والسودان؛ وهي بلدان تميزت بحضوره المعتبر قبل الثورات⁽²⁴⁾. وهي كلها أدوار معروفة، وإن طغى عليها فيما بعد دور السياسة العليا والصراع على السلطة، تماماً كما هو الحال في ليبيا. ويتعلق كل هذا بالنقطة المحورية التي ستطرح في الخلاصة حول الفرق الجوهرية بين منطق الحركات الاجتماعية ومنطق الدولة، بغضّ النظر عنّ يمتلك تلك الدولة في النهاية. فكما أوضح التقرير الأول للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية، إضافةً إلى الأدوار المدنية والسياسية للمجتمع المدني، يمكن أيضاً النظر إليه بوصفه موقعاً لإنتاج المعرفة، وحاضنةً إضافيةً أو تطبيقيةً للعمل الأكاديمي، ومدخلاً إلى ستة أنواع على الأقل من التأثير في المجال العام⁽²⁵⁾. ولا ننسى أطروحة ألكسي دو توكفيل الكلاسيكية من النصف الأول للقرن التاسع عشر حول دور المجتمع المدني في تثبيت النظام الديمقراطي وحماية المجتمع من تغوّل السلطة، بما في ذلك السلطة الديمقراطية⁽²⁶⁾.

(23) حميدة ميلاد أبو رونية، "مساهمة مؤسسات المجتمع المدني في المصالحة الوطنية بليبيا: بين الرؤية وآليات الحل"، الدكتوراه حميدة أبو رونية، 2014/6/12، شوهد في 2025/10/20، في: <https://acr.ps/1L9BOSj>

(24) في بعض الحالات قد يكون حضور المجتمع المدني أقوى مما تشير إليه الإحصاءات، لا سيما إذا عرفنا المجتمع المدني كالمجتمع الذي ينظم نفسه خارج حدود الدولة. حول اليمن قبل الثورة مثلاً، ينظر:

Sheila Carapico, *Civil Society in Yemen* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).

(25) محمد بامية، العلوم الاجتماعية في العالم العربي: أشكال الحضور (بيروت: المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، 2015)، ص 68-70.

(26) ألكسي دو توكفيل، الديمقراطية في أميركا، ترجمة بسام حجار (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023).

2. التعلم الثوري

تتعلق الميزة الثانية للطبيعة الديناميكية للعصر الذي نحن فيه الآن، بكيفية دخول الثورات إلى المجتمع بوصفها نوعاً من المعرفة وليس فقط بوصفها حركات سياسية⁽²⁷⁾. أ طرح هنا أربع نقاط تتعلق بمفهوم الثورة، بوصفها نوعاً من المعرفة التي تدخل تدريجياً في ثقافة المجتمع، وتؤدي مثل كل الثورات، بما فيها التي تبدو أنها فشلت، إلى ثورة ثقافية طويلة الأمد، وإن كانت غير منظورة على المدى القصير: 1. كيف يبدأ النور ظهوره من قلب الظلام؟ 2. كيف تتعلم الثورة التالية من الثورة التي سبقتها؛ أي كيف تتكوّن ذاكرة تاريخية تأخذ طابع الحكم الشامل (ماكرو) على تراث ثوري سابق؟ 3. كيف توازي هذه الذاكرة التاريخية الشاملة ذاكرة تاريخية أخرى تفصيلية وانتقائية (ميكرو) تتعلق بتكتيكات الحراك اليومية؟ 4. ما دور المثقف في مواجهة هذه المعرفة الجديدة؟

أولاً، الظلام الطويل يصل في النهاية إلى النور، مع أن هذا النور قد يبدو في بدايته على صيغة ظلام أشدّ. نرى أوضح مثال على ما أشير إليه في الانتخابات البرلمانية المصرية الأخيرة قبل الثورة، والتي جرت في تشرين الثاني/نوفمبر 2010. شهدت تلك الانتخابات تزويراً فاق في علنيته أيّ انتخابات سابقة، بما شمل حشو صناديق الاقتراع بالأوراق أمام كاميرات الصحافة، وطرّد القضاة من مراكز الاقتراع من دون أيّ اعتبار لسمعة العملية الانتخابية، ونشر نقاشات شراء الأصوات وارتفاع أسعارها خلال ساعات يوم الانتخاب علناً في الصحف، وكأن هذه ممارسة طبيعية ومسلّم بها. طبعاً، لم تكن تلك هي المرة الأولى التي حدثت فيها هذه الممارسات، لكن سابقتها لم تحظ بهذا الوضوح العلني، وكانت مغلفة إلى حدّ ما بتلفيقات قانونية. ففي آخر انتخابات قبل الثورة، كان دور القانون قد انتهى بصفة واضحة، باستثناء تفسير غريب استعملته الحكومة للردّ على انتقادات بعض القضاة للعملية، مفاده أن مبدأ "فصل السلطات" يعني أن كلّ سلطة تستأثر بحق الحكم على سلامة ممارساتها؛ أي إنّ البرلمان وحده هو الجهة المخوّلة بالحكم على نزاهة انتخابه هو ذاته!

لم تتعلق الحالة إذاً بتزوير عادي للانتخابات، وهو القاعدة التي سجّلها توفيق الحكيم في روايته منذ عام 1937⁽²⁸⁾. فإضافة إلى علنية الأمر وعدم اكتراث السلطة بالرأي العام أو بأيّ تغليفة قانونية، كان أسلوب انتخابات عام 2010 مذهلاً، لأن الانتخابات التي سبقتها عام 2005 كانت مفتوحة نسبياً، وأدت إلى فوز "الإخوان المسلمين" بعدد غير مسبوق من المقاعد (88 من أصل 444 مقعداً مشمولاً بالتنافس الانتخابي). فإذا ما قارنّا انتخابات عامي 2005 و2010، بدا لنا أن الظلام يعاني أكثر عندما يُسمح للمرء بومضاتٍ من الضوء. ولكن، في النهاية، يصل النظام إلى حدّ لا يحتاج فيه إلى إخفاء طبيعة اللعبة، لأنه يعلم أن الجميع يعلمها، وأن أفضل سلاح لديه ضد تلك المعرفة هو ببساطة الكشف عن عدم اكترائه بها. لذلك، فهو يسمح حتى بنشر أدبيات نقدية للغاية، مثل رواية عمارة يعقوبيان. ويسمح لكتّاب نقديين، مثل خيرى شلبي، بتصوير الظلام من دون أن يسمّيه كذلك في ثلاثية "الأمالى"، حيث

(27) لمعرفة جوانب أخرى من هذه النقطة، ينظر: محمد بامية، "المعرفة العفوية وروح الثورة"، سياسات عربية، مج 13، العدد 74 (أيار/مايو 2025)، ص 23-35.

(28) توفيق الحكيم، يوميات نائب في الأرياف (القاهرة: مكتبة مصر، 1937).

يصوّر بالتفصيل فساد الطبقة السياسية بأكملها، بما يشمل إدمان الرئيس أنور السادات الحشيش. لكن النظام لا يبالي كثيراً بكل هذا الكشف؛ لأنه يرى في النقد اللاذع آلية تنفيس ضرورية، ولأنه يعلم، قبل أن تفاجئه الثورة، أن أي نقد لا يؤدي إلى أي تغيير⁽²⁹⁾.

بناءً عليه، يصبح الظلام نوراً ساطعاً من دون أن يبدو كذلك، لأن بديله قبل الثورة يبدو بعيد المنال. ويصبح الاستيلاء على الأموال العامة من أهل السلطة في وضوح النهار أمراً شائعاً، ويطلب أفراد الأمن في المطار "البخشيش" علانيةً، ويُهَان موظفو الحكومة متواضعو الدخل فينتقمون بإهانة من هم أقل منهم منزلة. هذه لحظة الظلام الدامس، وهي أيضاً اللحظة التي تُلعب فيها اللعبة علانيةً ومن دون أي غطاء، في وضوح النهار، ويتحول الظلام إلى نور. يصبح كذلك، قبل أن يدرك أحد أنه أصبح نوراً، عندما يظن الجميع أنه قلب الظلام، ظلامٌ بلا نهاية. وهنا، في إمكاننا أن نضيف ظواهر مماثلة لتحوّل الظلام إلى نور، أهمها الإبادة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني في غزة في وضوح النهار وعلى مرأى من كل العالم، والتي لا تعدو أن تكون سوى إفصاح عن طبيعة كانت دائماً ومنذ البداية ملازمة للاستعمار الإحالي.

في مثل قاع الظلام هذا، ينتهي أي إيمان بنماذج الخلاص السابقة، أي توقّع وصوله من الخارج أو بتأمر من الداخل أو على يد قائد منقذ. وتنتهي سيناريوهات الخلاص هذه، في أدنى نقطة في ظلام العصر الحالك، في حرب العراق، ثم في فشل الحل الطائفي في أعقابها. ولذلك ليس من باب الصدفة أن المنطقة بأكملها ستري بعد ثماني سنوات من المخاض العراقي كياناً جامعاً شاملاً، كان قليلاً ما شوهد في عصر الظلام، اسمه "الشعب"، ليس بوصفه رمزاً أو صورة، بل بصفته تعبيراً عن الإجماع وتجاوز النظر الفئوية الضيقة للمصالح والواجبات. هذا الكيان، الذي نُسي أمره في عصر الظلام، يقفز إلى الواجهة بوصفه مفاجأة من قلب الظلام الدامس، ويصوّر النوار في الأيام الأولى للثورة بأحلى الصفات وأنقاها؛ فهو لا يُخطئ ولا يقبل أن يمثل فعله الثوريّ أحد، لأن الثورة نقية والإنسان خطأ، بما في ذلك أيّ قائد محتمل كما تعلّمنا من تراث العصر الحالك. يبرز هذا الشعب تعبيراً عن عودة الحياة إلى القدرات الذاتية، لأن الشعب يعود إلينا ليس على صيغة مفهوم فكري مجرد، بل بوصفه تعبيراً عن شعور الإنسان العادي البسيط بأنه هو الشعب، وأنه في الثورة يشعر مباشرة بأنه "سيف الأمة"، كما سمعتُ من مشاركين في الثورات العربية في أيامها الأولى. هنا يتحول الشعب من كونه فكرة مجردة إلى واقع ملموس، لكن فقط خلال هذه الفترة الزمنية التي تتميز ببروز شعور بالإجماع على ممارسة تبدو موحدة وتتميز بالفعل المباشر وقوة الإرادة ونسَميها "ثورة". في هذه الحالة، يرى الشخص الصغير نفسه فاعلاً مباشراً في المسرح الكبير الذي سبق أن احتلته السياسة العليا، وكانت تلك أول مرة في حياته لا يطلب فيها من أحد آخر أن يعبر عن رغباته نيابةً عنه.

(29) بعد يوم واحد من نجاح الثورة التونسية في إطاحة الرئيس زين العابدين بن علي، كتب عمرو الشوبكي مقالة قصيرة أكد فيها أن ما حصل في تونس لن يحصل في مصر لعدة أسباب، أحدها وجود هامش من الحرية في مصر يسمح بالتنفيس عن المشاعر. ينظر: عمرو الشوبكي، "مصر ليست تونس"، المصري اليوم، 2011/1/16، شوهد في 2025/10/23، في: <https://acr.ps/1L9BPzC>. وهذه هي النقطة التي أريد الإشارة إليها، مع أن الشوبكي أورد أسباباً أخرى، وأضاف غيرها بعد ثلاث سنوات في مقالة تعقيبية. ينظر: عمرو الشوبكي، "في ذكرى مصر ليست تونس"، المصري اليوم، 2014/2/4، شوهد في 2025/10/23، في: <https://acr.ps/1L9BORi>.

والسؤال المطروح هو: كيف تعلّم هذا الإنسان العادي أن يثور من دون أن تكون لديه خبرة في السياسة أو الأحزاب أو الفئات المنظّمة كما كان حال الغالبية العظمى من ثوار عام 2011؟ بمناسبة الذكرى العاشرة للربيع العربي عام 2021، نشرتُ نصًّا بعنوان "عشر أطروحات عن الثورات"⁽³⁰⁾، وكانت أولى هذه الأطروحات أن الثورات تأتي دائماً على نحوٍ مفاجئ، حتى عندما يتوافر توقُّع عارم لها كما هو الحال في العصر الحالك. ويعني هذا أن الثورة تأتي قبل موعدها أو بعده وليس في أي وقت محدد لها، كما تنفجر، أيضاً، بأسلوب لم يكن معتاداً خلال سياق الثورات التي سبقتها. فإذا نظرنا مثلاً إلى أدبيات ما قبل عام 2011 التي حاولت أن تصف ثورة قادمة، مثل رواية أجنحة الفراشة⁽³¹⁾، نجد أنها تصف حراكاً يشبه ثورة 1919، بما يشمل دوراً محورياً لزعيم ثورة معتقل يشبه ما تقوله السردية التاريخية حول الزعيم المصري سعد زغلول (1858-1927). يكمن الخطأ في هذه النظرة في أنها لا ترى أن الثورات لا تأتي إلينا بأسلوبها السابق نفسه، بل على نحوٍ يتماهى مع الواقع الحاضر للمجتمع والحلبة السياسية، وإن استلهم ذاكرة تاريخية فإن مهمتها الأساسية تنحصر، ليس في إعادة تكرار ما سبق، بل في إعطاء الناس شعوراً بقدرتهم على ممارستها.

على كل ثورة أن تختلق أسلوباً مبتكراً للحراك لا يشبه ما سبقه؛ ذلك أن النظام يعرف كيفية قيام ثورات من قبل، ومن ثمّ يعرف كيفية تغلبه عليها، لكنه لا يعرف أسلوب ثورة مختلفة ومقبلة، تماماً كما يعرف نظام المناعة عند الإنسان جرثومة قابلها من قبل والكيفية التي يتغلب بها عليها، لكنه لا يعرف التعامل مع جرثومة من نوع مبتكر لم يقابله بعد. وهذه بالمناسبة أيضاً ظاهرة نراها في مراحل مختلفة من النضال الفلسطيني. فالانتفاضة الأولى، بطابعها العفوي والسلمي واللامركزي، أرهقت الاحتلال طوال خمس سنوات؛ لأنها أتت مبتكرة الطابع، ولم تشبه ما سبقها من أنواع النضال التي كانت معروفة للاحتلال. كذلك يمكن القول إن "طوفان الأقصى"، وإن تلتته تلك الكارثة الإنسانية، أرق هو أيضاً الاحتلال بأطول حرب خاضها على الإطلاق، وأعاد الاعتبار لمركزية القضية الفلسطينية التي كانت قد دخلت طور النسيان قبله، وأدّى سوء عن قصد أو من دونه، إلى ظهور حراك عالمي مناصر لفلسطين وإلى عزلة للكيان المحتل، وكل ذلك كون طوفان الأقصى مبتكر الطابع ولم يشبه محاولات نضالية سابقة كان الاحتلال يعرفها ومستعداً لها⁽³²⁾.

من المعروف أن الثورات العربية المعاصرة اتسمت بطابع مبتكر، حيث غابت عنها القيادة الثورية المعتادة، وبدت أنها تمشي من دون خطة تتعدّى إسقاط النظام، ولم يكن لها حتى خطة متفق

(30) بامية، "عشر أطروحات عن الثورات".

(31) محمد السلماوي، أجنحة الفراشة (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2011).

(32) لتوضيح الأمر، لا أرى فائدة تحليلية لتقييم أي حراك يقاوم الظلم من خلال نتائجه، لأن النتائج تميل إلى أن تكون في مصلحة الطرف الأقوى، وهذه معادلة يعرفها سلفاً من يقوم بفعل المقاومة. يكون السؤال الأساس إذاً: لماذا يقاوم المقاوم على الرغم من معرفته بأن ميزان القوى لا يميل إلى مصلحته؟ وهنا لا مفر من العودة إلى أهمية الفعل المباشر بوصفه مصدراً أساسياً للشعور بالقدرة الذاتية على تحريك الأمور في وضع يمنع أي حركة، ولبروز الأمل خلال الفعل. أهم دليل على ذلك هو حالة النشوة الفائضة التي نراها في بداية كل حراك يعيد الحياة إلى الجو (المناخ) الثوري، بما فيها كل الثورات العربية في أيامها الأولى، والحالة الحماسية المذهلة في بدايات الانتفاضات الفلسطينية، وكذلك في الحالة النفسية المعروفة لكل من عاشها مباشرة بعد طوفان الأقصى.

عليها لكيفية إسقاط النظام، وبدت أناركية في أسلوب حركتها المفضّل على الرغم من أن برنامجها العام المتمحور حول الدولة المدنية كان ليبرالي المنحى. وقد فوجئت الأنظمة بهذا الأسلوب غير المعتاد للثورة، ولم تعرف كيف تتعامل معها بأساليبها المعتادة. فقد وضع غياب القيادة السلطات مثلاً أمام معضلة عدم القدرة على القبض على الثورة من خلال إلقاء القبض على قيادتها. طبعاً، نعرف الآن كل الانتقادات التي وُجّهت إلى الثورات، والتي تصرّ على أهمية الإرشاد الفوقي الذي يضمن نظرياً الانتقال السلس والمبرمج للسلطة ويعطي بوصلة ووجهة لحركة الشارع غير المنتظمة، فيضعها في صفوف الأحزاب أو الأطر السياسية التي تنظّم الأفكار الفردية في أطر أيديولوجية مشتركة مع الآخرين. وتتعلق المشكلة الأساسية في هذا النقد بعدم اهتمامه بسوسيولوجيا الثورات المعاصرة أو بالسيكولوجيا المرتبطة بها، وينتقل فوراً إلى الحديث عن نتائجها على صعيد السياسة العليا. ويقي السؤال الأساس قائماً عن سبب تفضيل الناس الآن هذا النوع من الحراك وتجنبهم غيره، مع أن التاريخ الثوري في القرن العشرين في المنطقة شهد نضالات قادتها طليعة تتمتع بشبه إجماع شعبي عليها ومنظمة من خلال أحزاب أو حركات تحرير هرمية، أو ضباط أحرار التفّ حولهم في سنواتهم الأولى قدر واسع من الإجماع الشعبي.

وها نحن نرى العديد من العوامل التي تحتاج إلى دراسات مفصّلة، لكننا نعود في غالب الأحوال إلى الذاكرة التاريخية، وليس المقصود هنا الذاكرة الملمّة بكل التفاصيل، بل الذاكرة في صيغتها الشعبية بوصفها حكماً على محاولات التغيير على مر ثلاثة أو أربعة أجيال، وضرورة الولوج إلى المستقبل الثوري من باب آخر. وهذا الباب الآخر يمتلك الصفات ذاتها التي تناولتها سابقاً حول كيفية الخلاص من العصر الحالّك بعد محاولات مختلفة؛ أي اعتماداً على الذات واكتشاف قدرات الإنسان الثوري على نحو مباشر، بدلاً من انتظار الطليعة أو القائد الملهم ليضطلع بالمهمة نيابةً عن الإنسان العادي.

عندما نتحدث عن الذاكرة التاريخية، فإننا نتحدث في الواقع عن الحاضر، بوصفه سياقاً يفرض نفسه على انتقائية الذكرى وأسلوب توظيفها، كما تطرح دراسات الذاكرة التاريخية والاتجاهات المعاصرة لعلم الأعصاب⁽³³⁾. لكن هذه الدراسات لا تنبّه إلى أن هذا الحاضر يستجلب إلينا نوعين من التذكّر: الذاكرة بوصفها حكماً شاملاً على ماضٍ، والذاكرة الانتقائية المتعلقة بتفاصيل محدّدة يحتاج إليها الحاضر كي يعرف كيف يسير من يوم إلى آخر.

من ناحية كون الذاكرة حكماً عاماً على تجارب ثورية سابقة، نعود إلى تعريف العصر الحالّك على أنه إجماع أو شبه إجماع على رفض الواقع، يقابله واقع مصمّم على مقاومة هذا الرفض الشامل له، بما فيه مقاومة المعارضة الإصلاحية؛ ذلك لأن نظام العصر الحالّك هو أيضاً، وكما طرحنا سابقاً، عصر الصّمم الاستبدادي، والذي يأتي من خشية أن تؤدي أي حركة في اتجاه الإصلاح إلى انهيار

(33) أصبح هذا الفهم للذاكرة مقبولاً على نطاق واسع، خاصة بعد مساهمات أليدا أسمان Aleida Assmann ويان أسمان Jan Assmann، وكذلك في علم الأعصاب المعاصر الذي ينظر إلى كل حالة تذكّر بوصفها تغييراً طفيفاً لما تستعيده الذاكرة، مما يثبت علاقة الذاكرة بالحاضر. لمساهمة عربية في هذا المجال، ينظر: محمد حبيدة، بؤس التاريخ: مراجعات ومقاربات (الرباط: دار الأمان، 2015)، ص 153.

نظام يعتمد بقاءه على غياب الحركة⁽³⁴⁾. في المحصلة النهائية، يحدث الانفجار البركاني (في أوروبا عام 1848، وفي المنطقة العربية عام 2011) عندما يصطدم الرفض الشامل الآتي من الأسفل بالجمود الأزلي الجاثم عليه من الأعلى. طبعاً، لا يمكننا أن نعرف توقيت هذا الاصطدام⁽³⁵⁾. لكن الديناميكية التي تؤدي إلى ثورة، هي جزء لا يتجزأ من تصميم العصر الحالك، تماماً كما أن انفجار البركان الحي، هو نتاج لبنيته الجيولوجية.

النقطة المهمة هنا هي أن الإجماع الاجتماعي على رفض الواقع يعني وجود نوع من التعبئة اللامركزية، تتحول تدريجياً، وفي سياق غياب استجابة الأنظمة⁽³⁶⁾، إلى إجماع على ثورة (عند أول لحظة مناسبة، ليست لدينا نظرية نخبرنا عن موعدها). نرى هذا الرفض الشامل في الحياة الثقافية وفي الأدب وفي الحوارات اليومية وفي رحلات التاكسي؛ أي في كل حيّز من الحياة العامة قادر على الاستحواذ على قدر ما من حرية التعبير. ونراه أيضاً في ظواهر أخرى يمكن رصدتها بصفة أدق، مثل تزايد عدد الإضرابات أو ظهور حراك من نوع جديد في المجتمع المدني، مثل حركتي "6 أبريل" أو "كفاية" أو حراك استقلال القضاة في مصر قبل الثورة. ولا تعني هذه الحالة بالضرورة أن الثورة ستأتي غداً، لكنها تخدم بوصفها مؤشرات مختلفة لتبلور إجماع لامركزي على ضرورة حدوث تغيير من نوع جذري. المهم هنا هو لامركزية مثل هذا الإجماع؛ إذ يعسر، في شكله هذا، اعتقاله وتحديده، ومن ثمّ سحقه قبل الأوان.

يمكن الافتراض أن ظهور الذاكرة التاريخية بهذا الشكل في الحالة الثورية إعلان عن شبه إجماع شعبي متعلق بسردية تاريخية مشتركة، كان غير مرئي قبل اللحظة الثورية. تتيح هذه النظرة الشك في بعض أطروحات نظريات ما بعد الحداثة، والتي تقول باضمحلال السرديات المشتركة وتشردم الهويات الجامعة إلى مسارات منفصلة. فيما أن المشاركين في الثورة الشعبية العامة ينظرون إليها على أنها نوع من الإجماع، نسميه في تلك اللحظة "الشعب"، تعني الحالة بالضرورة وجود سردية مشتركة، أو على الأقل إمكانية اختلاقتها في أتون اللحظة إن لم تكن موجودة، أو إبرازها إلى السطح إن كانت مخبأة أو لم تكن سابقاً، على الأقل، قابلة للاستعمال.

لم تكن الفترة السابقة لعام 2011 المرة الأولى التي نرى فيها إجماعاً على ضرورة التغيير في ظل أنظمة فاشلة، أو لا قدرة لها على التعامل مع معضلة تاريخية. رأينا الحالة ذاتها، بعد الفشل الذريع للنظام الرسمي العربي في فلسطين عام 1948، والذي كان يمكن أن يؤدي إلى ثورات تحتية قبل أن يستبقها الضباط الأحرار في مصر عام 1952، ثم تليه فئات عسكرية شبابية أو مماثلة لهم من ناحية

(34) للمقارنة بانهار نظام آخر بسبب العوامل نفسها، يقول أحد مستشاري الإمبراطور الإثيوبي السابق، هبلا سيلاسي، إن ذلك النظام انهار لسبب وحيد، وهو أنه تحرك. ينظر:

Ryszard Kapusinski, *The Emperor: Downfall of an Autocrat* (New York: Vintage, 1989), p. 146.

(35) بامية، "عشر أطروحات عن الثورات".

(36) المثال الأشد وضوحاً في أيامنا هذه هو استمرار الأنظمة في التطبيع مع كيانات محتلة، مع رفض شعبي شامل لجرائم المهولة في فلسطين.

ديموغرافية وسوسولوجية في سورية والعراق واليمن وليبيا على مرّ السنين. ومن الجدير بالذكر أن كل تلك الانقلابات سمّت نفسها "ثورة"، بمعنى أن الضباط الأحرار كانوا على دراية بضرورة الثورة، ومن ثمّ إعطاء كل من كان رافضاً جذرياً للواقع الجديد بعد عام 1948 شعوراً بأن الثورة المرجوة قد تحقّقت فعلاً. وهنا ندخل مرة أخرى إلى عصر "الكاريزما" التي يميّزها استبدال الإنسان العادي أو "الشعب" بالقائد الملهم الذي سيقوم بمهمته التاريخية نيابةً عنه، إلى أن نصل إلى نهاية الأمل في الظاهرة الكاريزماتية مع بداية العصر الحالي⁽³⁷⁾. من هنا، نفهم الذاكرة التاريخية بصفتها حكماً شاملاً، برز عام 2011 على تراث ما سبقها من ثورات. ففي عام 2011، وما تلاه من حراك في المنطقة بأكملها، لم نر ضباطاً أحراراً مرةً أخرى، ولم نر سعد زغلول، ولم نر روح الله الخميني (1902-1989)، ولم نر الحزب الطليعي. يظهر الآن مباشرة الإنسان العادي، الذي يسمى نفسه "الشعب"، صانعاً مباشراً للتاريخ وممارساً مباشراً للمسؤولية الوطنية.

تعطي الذاكرة بشكلها الشامل، أو الماكرو، حكماً عاماً على تراث محاولات سابقة للتغلب على أزمة مستمرة، ومن ثمّ دعوة لابتكار أسلوب وفاعل جديدين للولوج إلى المهمة التاريخية ذاتها، بما يشمل طريقة الثورة، تلك التي انفجرت، في الحالة المعاصرة، بأسلوب أناركي وطابع عفوي، وكان الإنسان العادي هو عنصرها الأساسي بدلاً من القائد التاريخي الكاريزماتي. ولكن، مع قيامها، برزت حاجة فورية إلى نوع آخر من الذاكرة، على مستوى الميكرو؛ بمعنى أن طابعها تفصيلي ويومي وعملي، وأنها تتعلق بكيفية إدارة الصراع من يوم إلى آخر، ذلك أن الذاكرة الشاملة لا تفني بهذا الغرض. في يوميات الحراك، نرى العديد من الأمثلة لكيفية توظيف الذاكرة التفصيلية، والتي لا تكون بالضرورة تطبيقاً مباشراً لما يتذكره كل الثوار. لكن مثل هذه الذاكرة لا تحتاج سوى إلى أن تكون متاحة لعدد قد يكون محدوداً من ضمن الملايين من المشاركين في الثورة، كي تدخل حيّز التطبيق فوراً عندما تبرز ضرورتها العملية لهم وأيضاً لغيرهم ممن يكشفونها، من خلال رفاقهم في ثورة مزدحمة بشتى الذكارات التفصيلية. أذكر هنا مثالين لتوضيح هذا النهج، من القاهرة عام 2011، والجزائر عام 2019.

بعد استيلاء الثوار على ميدان التحرير، في القاهرة يوم 28 كانون الثاني/يناير 2011، أحاطت سلسلة بشرية بالمتحف المصري القريب من أجل حمايته من النهب. وحين سُئل المشاركون في هذه المبادرة عن الكيفية التي دفعتهم إلى التفكير في أداء هذه المهمة في خضم الثورة والمواجهات مع قوى الأمن، تذكروا فوراً مصير المتحف العراقي في بغداد، في الأيام الأولى للاحتلال الأميركي، قبلها بثمانين سنوات عام 2003، حينما نهبت ذلك المتحف التاريخي عصابات منظّمة استغلت فوضى الحرب القائمة، وربما بتحفيز ضمني من المحتلين أنفسهم، كما قالت بعض نظريات المؤامرة، التي رأت في تدمير الذاكرة التاريخية العراقية هدفاً لقوى الاحتلال. وعندما نرى أن مصير بغداد ذكر أيضاً

(37) ينظر:

Mohammed Bamyeh, "The Rise and Fall of Postcolonial Charisma," *Arab Studies Quarterly*, vol. 45, no. 1 (March 2023), pp. 61-74.

في سياق آخر في العام نفسه، حين سقطت طرابلس بأيدي الثوار في ليبيا في آخر أسبوع من رمضان (أب/ أغسطس) 2011، نلاحظ أن الذاكرة التفصيلية تسافر بعيداً في الزمان وفي المكان عندما تتطلب الأمور ذلك، بحثاً عن إشكالية مماثلة لما قد تضعه أمامها ظروف اللحظة.

أما المثال الآخر، فقدّمه لنا الزميل ناصر جابي في ندوة حول الحراك في الجزائر عام 2019، ضمن المفاجآت السلوكية التي تبرز إلى الصدارة في كل حراك ذي طابع ثوري. ويذكر جابي عدم اهتمام الجمهور المشغوف بكرة القدم بالذهاب إلى مباراة مهمة صادف توقيتها خلال الحراك. وعندما سأل عن الأمر، أجابه أحد الشباب المشاركين في الحراك أنهم يتذكرون مذبحة استاد بور سعيد في مصر عام 2011، التي ذهب ضحيتها أكثر من 70 قتيلاً. وجرى تذكر ذلك الحدث في الجزائر، بعد ثماني سنوات من وقوعه، بوصفه أولى محاولات الثورة المضادة في مصر للعودة إلى السلطة⁽³⁸⁾. هنا أيضاً، في حالات ثورية مماثلة، أو تبدو كذلك للثوار، تسافر الذاكرة التفصيلية عبر السنين الطويلة وحدود البلاد إلى البعيد، على الرغم من أنها تبدو في فترة ما بين هذه الثورة وتلك كأنها دخلت طيّ النسيان حتى في البلد الذي حصلت فيه. لكن، عندما يبرز لهذه الذاكرة دورٌ في معركة، نكتشف أنها ما تزال كامنة، وقابلة للتوظيف بعيداً عن موضع وقوعها في الزمان وفي المكان؛ ذلك لأن لها مهمة الآن، وهي تجنب إعطاء الفرصة لظهور "عبد الفتاح السيسي آخر".

هكذا، نرى أنه في نهاية العصر الحالك، تبرز الذاكرة التاريخية بأشكال ومستويات مختلفة، دليلاً للحراك والفعل المستقل. وتنتج كل ثورة كذلك ذاكرة جديدة خاصة بها. قد لا يكون ثمة اتفاق عليها بعد الثورة مباشرة، بسبب طبيعة الثورة نفسها بوصفها نقطة التقاء مؤقت لأجندات وطبقات وأولويات مختلفة، أو لأن هذه الذاكرة تكون معرّضة للتشويش الذي تمارسه الثورة المضادة، أو من خلال الشعور بالإحباط أو عدم إنجاز الوعد الطوباوي للثورة أو الاقتصار على الإيفاء بوعده أقل منه. لكن المسيرة نحو إجماع جديد، يأخذ طابع الحكم الشامل على الثورة المعاصرة، يستمر في التكوّن في ثقافة المجتمع، ويظهر عندما ينفجر هذا الإجماع مرةً أخرى على شكل ثورة أخرى تستلهم هذه الذاكرة الجديدة في تحديد مسارها المبتكر. لا مفر من هذه العملية الجدلية، ما دام الشعور والفكر الثوريان استمرّا في التكوّن مرةً أخرى وبأشكال مختلفة، في عصر حالك جديد يتسم، مثل كل عصر حالك، بمقاومة صلبة لأيّ حركة لأنها قد تؤدي إلى انهيار، ويقف مرةً أخرى على قمة البركان الخامد، فيرى نفسه مرةً أخرى على صيغة ثبات أزلي.

تتعلق النقطة الأساسية هنا بكيفية تعلّم الثورات بعضها من بعض وكيفية تعلّمنا منها. فإذا كانت الثورات بطبيعتها حالات لا يمكن التنبؤ بها سواء من ناحية لحظة انفجارها أو أسلوبها أو ديناميكيتها، فهذا يعني أن المعرفة الضرورية لفهمها لا تكون موجودة قبل الثورة. كل ثورة، إذًا، ولأنها تفاجئ، تأتي بمعرفة جديدة لم تكن موجودة في العالم من قبل. علم الثورة إذًا يأتي مع الثورة ولا يسبقها،

(38) ناصر جابي، مداخلة في "ندوة حول الحراك في السودان والجزائر"، المؤتمر الرابع للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية، بيروت، 12-14/3/2019.

على الرغم من أننا نفترض العكس، ولهذا نحاول دائماً فرض القوالب النظرية الجاهزة على ظاهرة أتت بمعرفة جديدة وبقالبها الخاص.

3. فعل الأمل

إضافةً إلى المعرفة المبتكرة التي تقدّمها الثورة إلى العالم، هي تقدّم كذلك خدمة للعالم أكثر أهمية، مفادها إمكانية الأمل وواقعيته بوصفه رد فعل على انسداد العصر الحالك. وقد ناقشنا هذه النقطة سابقاً في محاولات شتّى خلال العصر الحالك لاستنباط الأمل في مجالات أدبية وفنية وتحليل على الواقع المغلق، أو من انتظار استسلامي أو قَدري لبصيص من الأمل قد يأتي من فعل غير مقصود لقوى خارجية. لكن، كما رأينا، تعبيراً عن تفعيل الإرادة وتجاهل انغلاق "الظروف الموضوعية"، تأتي الثورة بوصفها تجسّداً لواقعية الأمل؛ لأن الأمل في هذه الحالة يبرز على هيئة قدرة ذاتية وفعل مباشر. وهذا ما نراه مراراً في تاريخ النضال الفلسطيني، والذي كان دائماً في مواجهة "الظروف الموضوعية" وليس تعبيراً عنها. وفي الواقع، نرى أن الأسلوب العفوي والمباشر واللامركزي للانتفاضة الأولى بداية عام 1987 كان أول تعبير عن الأسلوب الذي ستتبعه الثورات العربية في عامي 2011 و2019؛ ما يعني أننا أمام أسلوب للحراك كان كامناً بصفة عفوية في المعرفة المقاومة، ونرى أول تطبيقاتها الثورية قبل الربيع العربي بربع قرن.

في الانتفاضة الفلسطينية الأولى، كما في الثورات العربية اللاحقة، نرى أهمية الأمل بوصفه ممارسة للقدرة، بمعنى أن الأمل هو نوع من السيكلوجيا ينتجها العصر الحالك بمنزلة رد فعل عليه، وهي سيكلوجيا تُبرز نفسها من خلال ممارسة القدرة أكثر مما ينتجها التحليل الواقعي أو النظرة الفلسفية. وتكمن أهمية مثل هذا الأمل في مختلف المشاعر الإضافية التي يضيفها إلى التكوين النفسي للثوار في لحظة الثورة، مثل الثقة بالنفس، والاستعداد للتضحية، والتعاون مع الغرباء، وممارسة المسؤولية الاجتماعية التي كانت قد فوّضت للآخرين من قبل، والشعور المفرط بالنشوة في المراحل الأولى من الثورات.

الأمل وليد اللحظة، إذًا، وإن كنا نتبناه عادةً على أنه وعد مستقبلي كما يطرح إرنست بلوخ⁽³⁹⁾؛ ذلك لأن الشعور بالقدرة الاستثنائية الذي تولّده اللحظة الثورية يولّد هو ذاته اعتقاداً لحظياً بأن هذه القدرة قابلة للاستنهاض بعد اللحظة الثورية. لكن نهاية هذه اللحظة هي أيضاً عودة إلى منطق سابق، وهو منطق السياسة العليا. وهنا يبرز من جديد الفرق الشاسع بين منطق الثورة ومنطق الدولة مهما اختلفت أشكالها، وهي النقطة التي تبدأ عندها اللحظة الثورية في التبخر عندما يبدو لجزء كبير من الثوار أن "النظام" قد سقط فعلاً، أي عندما يتنحى رئيس مثلاً، على الرغم من أنه يترك ما تبقى من دولته بأيدي أعوانه القدامى. ولأنّ الثورات الشعبية الكبيرة تكون غالباً تحالفاً مؤقتاً بين رؤى مختلفة، بما يشمل تعريفات مختلفة لما هو "النظام"، تبدأ الثورة في الانقسام عندما يبدأ النظام نفسه في ذلك. وعلى الرغم من أن درجات الانقسام قد تختلف، تُطرح الانقسامات نفسها

(39) Ernst Bloch, *Das Prinzip Hoffnung*, 3 vols. (Frankfurt: Suhrkamp, 1954–1959).

بوصفها برنامجاً سياسياً عملياً للمستقبل المنشود. وفي هذا السياق، تنتقل من اللحظة الثورية إلى مرحلة الحلقة السياسية، حيث يغلب على الصورة الصراع على السلطة وبرنامج المرحلة الموالية وتفصيل الانتقال إلى نظام جديد، في إطار يشمل صراعاً بين وجهات نظر أو أيديولوجيات كانت متحالفة مؤقتاً خلال اللحظة الثورية، وتنتهي في هذه الحلقة تدريجياً الحالة النفسية الاستثنائية التي كانت قد برزت في اللحظة الثورية.

خاتمة: بين أمل الثورة وإحباطات السياسة العليا

يؤدي هذا الفرق بين السياسة العادية والحالة الثورية عادةً إلى شعور بالإحباط بعد كل ثورة؛ لأن الثورة تُنتج حالة طوباوية استثنائية عندما تنفجر، تؤدي إلى شعور الثوار بأن المجتمع الطوباوي الذي أنتجوه واختبروه في اللحظة الثورية هو مجتمع ما بعد إسقاط النظام. وتعرض اللحظة الثورية المجتمع الطوباوي على الملأ على هيئة حالة تتم ممارستها في تلك اللحظة بالذات، وليس بوصفه نظرية أو فكرة مجردة. لهذا، يؤمن الثوار بالقدرة على الوصول الدائم إلى الحالة الطوباوية، لأنهم يرونها أمامهم في تلك اللحظة.

مع ذلك، لا يأتي المجتمع الطوباوي من المستقبل، بل تلده اللحظة الثورية الحاضرة وينتهي عندما تنتهي تلك اللحظة، حيث يبدأ في التحول إلى نوع من الذاكرة. وقد يكون ما يلي تلك اللحظة تغييراً مهماً في الواقعين السياسي والاجتماعي، لكن لن يليها المجتمع الطوباوي⁽⁴⁰⁾. وحتى عندما تغير الثورة كل النظام، يليها معتاد جديد، قد يكون أفضل أو أسوأ مما سبقه. لكن في كل الأحوال، يظل هذا المعتاد الجديد في انتظار هيئة مقبلة تطيح به أو تضعه أمام أزمة لا قدرة له على حلها؛ لأن الأزمة المقبلة تقبع في صميم تركيبة الدولة الكولونيالية، الانعزالية والمتوقعة على نفسها والمهتمة قبل أي شيء آخر بمصلحتها، إن لم يكن ببقائها بوصفها دولة. تُنتج هذه الدولة، بحكم تصميمها، وبغض النظر عمّن يمتلكها، الأزمات ذاتها التي أنتجتها الدول الأوروبية الحديثة التي دخلت، هي أيضاً، عصرًا حالكًا، ثم عصر ثورات، ثم نزاعات على أسس قومية حلتها جزئياً من خلال التوسع الاستعماري، إلى أن أدّت صراعاتها المستمرة إلى حروب عالمية دمّرت القارة بأكملها مرتين خلال ثلاثة عقود من القرن العشرين.

في نهاية المطاف، لم يكن أمام تلك الدولة الأوروبية المدمّرة لنفسها وغيرها خياراً غير دمجها في منظومة أكبر منها، تُفوّض إليها حل الإشكالات التي تُحدثها الدولة أو تلك التي لا قدرة لها عليها منفردة. وهي المنظومة التي استغرقت عقوداً من العمل المتواصل بعد الحرب العالمية الثانية (1939-1945) لتصل إلى ما يسمّى اليوم "الاتحاد الأوروبي"، والذي، على الرغم من كل عقباته التي واجهها واستمرار العقلية العنصرية، بل الاستعمارية فيه، وبيروقراطيته المذهلة، نجح على الأقل في إنهاء الحروب فيما بين أعضائه، وأيضاً في تخفيض الحوافز المثيرة للثورات على نُخبه؛ ذلك لأنّ هذا

(40) إلا إذا كنا في حالة "ثورة دائمة" كما يسميها ليون تروتسكي Leon Trotsky، وهي حالة لا نرى إمكانية لأي مجتمع أن يتحمّل مآلاتها.

الاتحاد أنتج حلاً يقترب قليلاً من المنظومة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أنتجها التاريخ العربي الإسلامي قبل الدولة الكولونيالية، وتتمثل في منطقة مفتوحة من دون حدود بالمعنى الحديث، وحرية حركة تسمح للأزمات الديموغرافية والأيكولوجية بالهجرة، فلا تتركز في مكانٍ لا يستوعبها إلى أن تنفجر فيه، إضافة إلى تعددية لمصادر السلطات اليومية في المجتمع بدلاً من تركيزها في قمة دولة بعيدة عن أناس لا قدرة لها على أن تعرفهم، وإن كانت تدّعي غير ذلك، فضلاً عن تعددية عرقية وثقافية ودينية لا تتطلب ما احتاجت إليه الدولة الحديثة، أكثر مما احتاج إليه مجتمعها، من فكر قومي أو أيديولوجي موحد.

من هذا المنظور، نرى أن الثورات المعاصرة وما سبقها كان لها الهم ذاته على الرغم من اختلاف النظام الذي قامت ضده، وهو عدم قدرة الدولة الحديثة، أو رغبتها، على إعادة إنتاج الحياة الاجتماعية الواسعة الترابط والمستقلة نسبياً، والتي تحل مشكلاتها بحرية الحركة، في منطقة ذات طابع تاريخي متواصل دمّرت الدولة الحديثة من دون إيجاد بديل أفضل. وتتوافر تعبيرات مختلفة عن هذا الأمل في كثير من الجهود الفلسفية والتنويرية والثقافية والسياسية في التاريخ العربي الحديث، وهي جهود نخبوية يمكن النظر إليها على أنها انعكاسات لشعور شعبي عفوي بشيء جاثم على الصدر يمنع الحركة والمبادرة والحل، ذي اسم مُتعارف عليه وهو "النظام".

لا تنفي هذه الرؤية التي هي في صميم الحراك الثوري أننا رأينا فعلاً مراحل من التاريخ العربي الحديث تزخر بمشاعر تؤمن وما تزال بإمكانية تغيير النظام على نحو يجعل الدولة الحديثة مصدراً لحل مشكلات المجتمع بدلاً من خلقها، كما نرى مثلاً في عصر الضباط الأحرار، وأيضاً في مطالب "الدولة المدنية" فيما بعد؛ ذلك لأن الثورات في النهاية هي تجارب لاستخلاص الأمل من واقع حالك، لكن بوعي لا يتعدى في الغالب المخزون المتاح من الذاكرة التاريخية ودروسها الملهمة. ولكن نرى أيضاً، إذا ما ركّزنا النظر على حراك عام 2011 وما تلاه، ظاهرة أخرى تلازم الثورات. فإضافةً إلى الوعي الثوري، هناك أيضاً لاوعي ثوري ملازم له. وأسمّيه لاوعي لأنني لا أراه في خطاب الثورة، وإن كنت أراه في أسلوبها. فالذاكرة التاريخية توجد حيزاً في العقل الثوري لوعي محدّد، ولكن أيضاً لمعرفة جديدة، نسميها لاوعية لأنها تسبق الثقافة أو اللغة القادرة على التعبير عنها في تلك اللحظة. يتبلور هذا اللاوعي تدريجياً بعد كل ثورة إلى خطاب مُعلن أو ثقافة مبدئية، تقول ما أرادت الثورة السابقة أن تقوله، لو أُتيح لها الوقت الكافي لتتعرف إليه؛ فالشعب يرى الدولة على صيغة عقبة أمام ما يريد، ولا يراها على أنها مصدر للرخاء والتحرر والتقدم والعدالة، وما إلى ذلك. والشعب يريد إسقاط الدولة. والشعب، تماماً مثل النظام، لم يعد يرى الفرق بين النظام والدولة. ولن يراه، إلا إذا فاجأته الدولة، وبصفة مستدامة، بكل ما انتظره منها خلال مئة عام من الحراك، وكلّ ما نسيه من وعودها خلال عصر الظلام.

References

المراجع

العربية

- الأسواني، علاء. عمارة يعقوبيان. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002.
- الأعرج، واسيني. كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد. ط 2. بيروت: دار الآداب، 2008 [2005].
- بامية، محمد. العلوم الاجتماعية في العالم العربي: أشكال الحضور. بيروت: المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، 2015.
- _____. "عشر أطروحات عن الثورات". الآداب. ترجمة سماح إدريس. 2021/9/26. في: <https://acr.ps/1L9BOTt>
- _____. "المعرفة العنوية وروح الثورة". سياسات عربية. مج 13، العدد 74 (أيار/ مايو 2025).
- تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2005: نحو نهوض المرأة في الوطن العربي. عمان: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2006.
- جابي، ناصر. مداخلة في "ندوة حول الحراك في السودان والجزائر". المؤتمر الرابع للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية. بيروت، 2019/3/14-12.
- حبيبي، إميل. الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل. حيفا: منشورات عربسك، 1974.
- حييدة، محمد. بؤس التاريخ: مراجعات ومقاربات. الرباط: دار الأمان، 2015.
- الحكيم، توفيق. يوميات نائب في الأرياف. القاهرة: مكتبة مصر، 1937.
- حيدر، حيدر. مراثي الأيام: ثلاث حكايات عن الموت. بيروت: ورد؛ أمواج، 2001.
- خوري، إلياس. باب الشمس. بيروت: دار الآداب، 1998.
- دو توكفيل، ألكسي. الديمقراطية في أميركا. ترجمة بسام حجار. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023.
- الراوي، عبد الستار. "نحو عقلية علمية: حسام الدين الألوسي ومشروعة الفكري". المؤتمر الرابع والعشرون للجمعية الفلسفية المصرية "المشاريع العربية المعاصرة". القاهرة، 2013/12/9-7.
- السلماوي، محمد. أجنحة الفراشة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2011.
- منيف، عبد الرحمن. أرض السواد. ج 1-3. بيروت/ الدار البيضاء: المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ المركز الثقافي العربي، 1999.

الأجنبية

Bamyeh, Mohammed. "The Egyptian Revolution: First Impressions from the Field." *Jadaliyya*. 11/2/2011. at: <https://acr.ps/1L9BPle>

_____. *Lifeworld of Islam: The Pragmatics of a Religion*. New York: Oxford University Press, 2019.

_____. "The Rise and Fall of Postcolonial Charisma." *Arab Studies Quarterly*. vol. 45, no. 1 (March 2023).

Bloch, Ernst. *Das Prinzip Hoffnung*. 3 vols. Frankfurt: Suhrkamp, 1954–1959.

Bondarev, Boris. "The Sources of Russian Misconduct: A Diplomat Defects from the Kremlin." *Foreign Policy*. 17/10/2022. at: <https://acr.ps/1L9BPBc>

Carapico, Sheila. *Civil Society in Yemen*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

Kapuschinski, Ryszard. *The Emperor: Downfall of an Autocrat*. New York: Vintage, 1989.

Levy, Carl & Saul Newman (eds.). *The Anarchist Imagination: Anarchism Encounters the Humanities and the Social Sciences*. London: Routledge, 2019.

Smith, Hazel & Paul Stares (eds.). *Diasporas in Conflict*. New York/ Tokyo: United Nations University Press, 2007.

Williams, Raymond. *The Long Revolution*. Cardigan: Parthian, 2012 [1961].

Zubaida, Sami. *Islam, the People and the State: Essays on Political Ideas and Movements in the Middle East*. London: Routledge, 1989.

ترجمة
Translated Paper



حياة في الرماد، 140x140 سم، رماد وأكريليك وألوان زيتية على قماش (2002).
Life in the Ashes, 140x140 cm, Ash, acrylic and oil paint on canvas (2002).

بيتر بيلس | Peter Pels*

ترجمة محمد الحاج سالم | Translated by Mohamed Haj Salem**

أزمة حديثة: سبع خطوات نحو أنثروبولوجيا المستقبل***

Modern Times: Seven Steps Toward an Anthropology of the Future

ملخص: لطالما أهمل الأنثروبولوجيون المستقبل بوصفه موضوعاً للدراسة، ونادراً ما تناولت الإسهامات الحديثة هذا الموضوع على نحو نسقي. تحتاج هذه الدراسة بأن ذلك ناجم عن عدم اكتمال مشروع الانعكاسية ما بعد الاستعمارية بشأن الذات الأنثروبولوجية؛ فالأنثروبولوجيون، شأنهم شأن معظم باحثي العلوم الاجتماعية، مدمنون للتصنيفات الزمنية البدئية للحدث، ولا سيما ميلها إلى التفكير وفق الحقب التاريخية. ولمواجهة هذا القصور في الانعكاسية، يتعين علينا تحديد الأثر الأيديولوجي للتفكير المستقبلي، والاستعاضة عنه بتعدد أكثر تعقيداً للمستقبلات الحديثة. ويفضي التركيز الإثنوغرافي والتاريخي على تعايش مستقبلات مفتوحة وفارغة، وعلى النزوع إلى الحط من قيمة الحاضر بسبب أحداث لم تقع بعد، إلى نشوء أنثروبولوجيا تزداد كونيّة بقدر إقرارها بوجود زمنية متعددة.

كلمات مفتاحية: المستقبل، الأنثروبولوجيا، الحداثة، الانعكاسية، ما بعد الاستعمار.

Abstract: Anthropologists have long neglected the future as an object of study, and recent contributions to the topic rarely address it systematically. This essay argues that this is the result of the unfinished project of postcolonial reflexivity about the anthropological subject. Anthropologists are, like most other social scientists, addicted to primitive temporal classifications of modernity and especially its tendency toward epochal thinking. To combat this lack of reflexivity, we need to identify the ideological effect of futuristic thinking and replace it by a more sophisticated plurality of modern futures. An ethnographic and historical focus on the coexistence of open and empty futures and the tendency to devalue the present by not-yet events will result in an anthropology that becomes the more universal as it recognizes the experience of multiple temporalities.

Keywords: Future, Anthropology, Modernity, Reflexivity, Postcolonialism.

* أستاذ الأنثروبولوجيا الأفريقية في جامعة لايدن، هولندا.

Professor of African Anthropology at Leiden University, Netherlands. Email: pels@fsw.leidenuniv.nl

** باحث في الأنثروبولوجيا الدينية ومترجم.

Researcher on the anthropology of religion and translator. Email: hajsalem1959@gmail.com

*** هذا النص ترجمة عن الإنكليزية للدراسة المنشورة في:

Current Anthropology, vol. 56, no. 6 (December 2015), pp. 779–796.

لطالما أهملت البحوث الأنثروبولوجية المستقبل. وتشير المحاولات الأخيرة لمعالجة هذا القصور إلى ميل المستقبل الحديث إلى التفكك⁽¹⁾، أو إلى إبقائه وعدًا قابلاً للتأجيل إلى ما لا نهاية⁽²⁾. وقد سعى البعض إلى تبني رؤية أكثر شمولاً⁽³⁾، أو تحقيق تقدّم ملموس في التفكير في المستقبل من منظور إثنوغرافي⁽⁴⁾. غير أن أيًا من هذه الدراسات لا ينظم نسقيًا تنوع السيناريوهات المستقبلية التي تؤثر في الحاضر، كما أنها تركز على موضوعات بالغة التنوع؛ ما يثير التساؤل عن سبب التغطية غير المتوازنة التي حظيت بها أنثروبولوجيا الأزمنة الحديثة.

إن كان أحد الأجوبة هو أن الاهتمام الأنثروبولوجي ظلّ، طوال عقود من الزمن، موجّهًا إلى مواضيع أخرى (مثل العولمة أو التحليل الأدبي)، أو أنّ كثيرين منّا قد افترضوا بتكرارات تناصيّة رائعة⁽⁵⁾، فإنّ هذه الدراسة تستكشف تفسيرًا ثالثًا. ففشل الأنثروبولوجيين في مساءلة المستقبلات التي يجدون أنفسهم فيها يشير، في نظري، إلى أن انعكاسية الأنثروبولوجيا ما بعد الاستعمارية لم تكتمل بعد. وفي حينها، لاقت أطروحة يوهانس فايان القائلة إنّ الزمن أدّى دورًا أيديولوجيًا مشبوهًا في بناء موضوعات الأنثروبولوجيا قبولًا واسعًا⁽⁶⁾، لكننا أخفقنا في أن نستكشف بالدرجة نفسها من الصرامة، كيف شكّل الزمن الموضوع الأنثروبولوجي. فقد استخدمنا عبارة "أنثروبولوجيا المستقبل" في الغالب بوصفها مشروعًا (بمعنى أنثروبولوجيا للقرن الحادي والعشرين، مثلًا)، أكثر من استخدامنا إيّاها بوصفها موضوعًا للدراسة الإثنوغرافية. وما يزال كثير منّا يشاركون في مشاريع تنمية، ويدافعون

(1) James Ferguson, *Expectations of Modernity: Myths and Meanings of Urban Life on the Zambian Copperbelt* (Berkeley: University of California Press, 1999); Charles Piot, *Nostalgia for the Future: West Africa after the Cold War* (Chicago: University of Chicago Press, 2010); Daniel Rosenberg & Susan Harding, "Introduction: Histories of the Future," in: Daniel Rosenberg & Susan Harding (eds.), *Histories of the Future* (Durham, NC: Duke University Press, 2005), pp. 1–18; Kathleen Stewart & Susan Harding, "Bad Endings: American Apocalypse," *Annual Review of Anthropology*, vol. 28, no. 1 (1999), pp. 285–310; Brad Weiss, "Introduction: Contentious Futures: Past and Present," in: Brad Weiss (ed.), *Producing African Futures: Ritual and Reproduction in a Neoliberal Age* (Leiden: Brill, 2004), pp. 1–20.

(2) Mike Fortun, *Promising Genomics: Iceland and deCODE Genetics in a World of Speculation* (Berkeley: University of California Press, 2008); Jane I. Guyer, "Prophecy and the Near Future: Thoughts on Macroeconomic, Evangelical, and Punctuated Time," *American Ethnologist*, vol. 34, no. 3 (2007), pp. 409–421.

(3) Arjun Appadurai, "The Capacity to Aspire: Culture and the Terms of Recognition," in: Vijayendra Rao & Michael Walton (eds.), *Culture and Public Action* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2004), pp. 59–84; Arjun Appadurai, *The Future as Cultural Fact: Essays on the Global Condition* (London: Verso, 2013); Gerard Persoon & Diny van Est, "The Study of the Future in Anthropology in Relation to the Sustainability Debate," *Focaal*, no. 35 (2000), pp. 7–29; Sandra Wallman, "Introduction: Contemporary Futures," in: Sandra Wallman (ed.), *Contemporary Futures: Perspectives from Social Anthropology* (London: Routledge, 1992), pp. 1–20.

(4) Ferguson; Guyer; Hirokazu Miyazaki, *The Method of Hope: Anthropology, Philosophy, and Fijian Knowledge* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2004); Stewart & Harding.

(5) مثل انضغاط الزمان والمكان. ينظر نقد آنا تسينغ:

Anna Tsing, "The Global Situation," *Cultural Anthropology*, vol. 15, no. 3 (2000), p. 341.

(6) Johannes Fabian, *Time and the Other: How Anthropology Makes Its Object* (New York: Columbia University Press, 1983).

عن أجندات أهلية، أو يروّجون لمستقبل أنثروبولوجيا تشاركية أو ملتزمة. ولعلّ معظمنا لا يريد سوى كتابة إثنوغرافيا جيّدة. لكننا نهمل في تفكيرنا هذه الأبعاد المكوّنة لهويّتنا؛ ما يجعلنا أقلّ استعداداً للقرن الذي نعيش فيه.

مع ذلك، لطالما شكّلت أنثروبولوجيا المستقبل شرطاً أساسياً لهذا التخصص. ففي أنثروبولوجيا الإنقاذ Salvage Anthropology، على سبيل المثال، كان توقّع الانقراض المستقبلي للشعوب المدروسة يحفّز الباحثين على المحافظة على تقديرهم لقيمة البشرية في الحاضر. وفي أوج أنثروبولوجيا النزعة الإمبريالية، كان منع الحروب العرقية يُستخدم باستمرار ذريعةً مستقبليةً لتبرير ممارسات استعمارية، في حين أن أنثروبولوجيا القرن العشرين تتطور، إلى الأفضل أو الأسوأ، في ظلّ مستقبلات المهمة الحضارية والتنمية. وبدلاً من جعل هذه الأشكال الثقافية مواضيع للدراسة والتفكير، ظلّ الأنثروبولوجيون طويلاً يربّونها ضمن مشهد التقسيم الزمني في تقابل بين التقليد والحداثة. بيد أنّه من دون تصنيف المستقبلات الحديثة - المستقبل المفتوح للسياسات الحكومية وللتقدّم، والمستقبل الفارغ لقيم التبادل، وأحداث المخاطر والتأمين والكوارث ونهاية العالم التي لم تحدث بعد، أو الطبيعة الظرفية للأزمات - لا يمكننا أن نفهم مدى تعولم هذه السمات الثقافية، أو مدى إقليميتها. فتصنيف مختلف المستقبلات هو شرط لا غنى عنه لإجراء دراسة إثنوغرافية للحاضر⁽⁷⁾.

استقصائي لهذه الأسئلة تاريخي وجوباً، حتّى وإن كنت أتوجّه بالخطاب إلى الأنثروبولوجيين في المقام الأوّل. وتركّز الخطوة الأولى في بحثي على الكيفيات التي تعاملت بها الأنثروبولوجيا مع الزمن، ولا سيّما في فهمها للثقافة. وتتناول الثانية إيماننا للنزعة المستقبلية وأولى المحاولات للقطع معها. أمّا الثالثة، فتستقصي التحقيب التاريخي؛ أي اللحظة التي تغدو فيها هذه المستقبلات الحديثة ذات أهمية للإثنوغرافيا. والخطوات الرابعة والخامسة والسادسة أكثر انتماءً إلى الأنثروبولوجيا الكلاسيكية من حيث إنها تقدّم، تباعاً، تصنيفاً مؤقتاً لأشكال المستقبل الحديثة، وذلك من خلال تناول المستقبل المفتوح للسياسة والتقدّم، والمستقبل الفارغ لتعظيم الربح، والتقليل من قيمة الحاضر بفعل أحداث مستقبلية (مثل المخاطر أو نهاية العالم). وتختتم الخطوة السابعة بحثي بالتأكيد مجدّداً لكونية تعدّد أزمنة التجربة البشرية. ويخلص البحث إلى أنّ إبستيمولوجيا الاعتراف بتعدّد الأزمنة قد توفّر إجابة عن سؤال: كيف لنا أن نقطع مع ماضٍ أنثروبولوجي، كان فيه إحداث قطيعة مع الماضي نفسه جزءاً من تقليد قديم يمتدّ قروناً من التدخّلات المعولمة التي كانت في الغالب عنيفة؟

الخطوة الأولى: الاعتراف بالتصنيفات الزمنية البدئية للحداثة

أحد أسباب تجاهلنا للمستقبل في الدراسات الإثنوغرافية هو إيمان الأنثروبولوجيا، فترة طويلة، على التصنيفات الزمنية البدئية للحداثة. فقد ختم إميل دوركهايم ومارسيل موس كتابهما الرائد التصنيف البدئي عام 1903 بملاحظة عميقة مفادها أنّ جميع التصنيفات هي نتاج علاقات اجتماعية، وأنها،

(7) Persoon & van Est.

من ثم، تنسج معها روابط عاطفية قوية⁽⁸⁾. غير أنّهما لم يطبقا التدقيق نفسه على تصنيفهما الخاصّ لتصنيفات الآخرين باعتبارها بدئية، بل أحالها إلى زمن كان فيه التصنيف قائماً على "خلطٍ أساسي بين جميع الصّور والأفكار"⁽⁹⁾. كما لم يفعل ذلك وليام ريفرز William Rivers في دعوته المعاصرة إلى تبني مقولات الإنسان "البرّي" Savage في المناهج الإثنوغرافية؛ إذ كان قد أنكر في عام 1912 على "أصحاب الثقافة الدّنيا" القدرة على التفكير التجريدي⁽¹⁰⁾. وبحلول الوقت الذي قدّم فيه رودني نيدهام ترجمته لمقالة دوركهيم وموس، مختتماً إيّاها بأنّ "المهمّة التحليلية" لعالم الأنثروبولوجيا "هي أولاً وفي المقام الأوّل، فهمُ نمط التصنيف"⁽¹¹⁾؛ إذ لم تعد الاختلافات الزمنية تُصنّف على أنّها بدائية أو برّية، بل أُعيدت تسميتها على نحو ملطّف باسم "ثقافات أخرى" أو "شعوب غريبة"⁽¹²⁾. وإذا كان هذا التحوّل يعبر عن انتقال من الإمبريالية التطورية إلى نظام دولي تقوم فيه الدول القومية على الترميز المكاني للاختلافات الثقافية، فإنّه لم يفعل سوى تأكيد القيمة المستمرة للملاحظات الختامية التي خلص إليها العالمان الفرنسيّان في عام 1903.

وبالفعل، أكّد العديد من أنه، على الرغم من التنوّع المربك والمتناقض الذي تتخذه أشكال الحداثة، فإن الوعي الثقافي بالقطيعة الزمنية مع زمن آخر أو تقليد سابق يبدو سمة أساسية (أو بدئية) من سمات خطاب الحداثة⁽¹³⁾. فالتصنيفات الزمنية بحسب الحقب بيننا نحنُ (الآن) وهُم (حينها) ما تزال وفيرة، على سبيل المثال، في خطابات التنمية التي ما تزال حاضرة في كلّ مكان، ويظهر تسلسلها النّسبي قدرة مذهلة على مقاومة النقد الثقافي أو استيعابه⁽¹⁴⁾. ولا تفضي مساءلة التصنيفات الزمنية الضمنية في التنمية والتحديث باعتبارها إنشاءات ثقافية طارئة⁽¹⁵⁾ بالضرورة إلى توضيح كيف يمكن أن تستوعب الثقافة المستقبل. وقد خلّص استعراضٌ شهير لمفاهيم الثقافة، من بين أمور أخرى، إلى أنّ "الجوهر الأساسي للثقافة يتكوّن من أفكار تقليدية (أي مشتقة تاريخياً ومنتقة) وخاصة ما يرتبط

(8) Emile Durkheim & Marcel Mauss, *Primitive Classification*, Rodney Needham (trans.) (London: Cohen & West, 1963 [1903]), pp. 85–86.

(9) Ibid., p. 5.

(10) كما أورد ذلك جورج ستوكينغ:

George W. Stocking, *Delimiting Anthropology: Occasional Essays and Reflections* (Madison: University of Wisconsin Press, 2001), p. 183.

(11) Rodney Needham, "Introduction," in: Durkheim & Mauss, p. ix.

(12) John Beattie, *Other Cultures* (London: Routledge & Kegan Paul, 1964); Needham, p. viii.

(13) Fabian, *Time and the Other*; Ferguson; Jürgen Habermas, *The Philosophical Discourse of Modernity* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1987); Reinhart Koselleck, *Futures Past: On the Semantics of Historical Time*, Keith Tribe (trans.) (New York: Columbia University Press, 2004 [1979]).

(14) ينظر:

Arturo Escobar, "Anthropology and the Development Encounter: The Making and Marketing of Development Anthropology," *American Ethnologist*, vol. 18, no. 4 (1991), pp. 658–682; Michael Cowen & Robert W. Shenton, *Doctrines of Development* (London: Routledge, 1996); Gilbert Rist, *The History of Development: From Western Origins to Global Faith* (London: Zed, 2002).

(15) Ferguson; Persoon & van Est.

بها من قيم"⁽¹⁶⁾. ويتجلى الحضور النبوي للتصنيفات الزمنية البدئية للحدث في حقيقة أن تعريف ألفريد لويس كروبر وكلايد كلوكهون لا يمكن اعتماده إلا إذا تبنى المرء تشيئهما للثقافة بوصفها تقليدًا، وتجاهل كيف تقف في مواجهة عقل كوني مُشَبَّهًا بالمثل، خلوٍ من الثقافة والتاريخ. ويستلزم تحصيل الحاصل هذا الإخلاء المستحيل للمجال الواسع الذي تشترك فيه العلوم والتقنية مع الثقافة والتاريخ، وهو إحدى أكثر الطرائق وضوحًا التي حاولنا من خلالها، من دون أن ننجح أبدًا، في أن نكون حداثيين⁽¹⁷⁾. وعندما يشعر أرجون أبادوراوي، بعد خمسين عامًا، أنه مضطّر إلى الاستنتاج، أن الحديث عن الثقافة ما يزال خاضعًا لمفَهَمَاتٍ ماضوية - "العادة، والجبل، والتراث، والتقليد" - وأن معظم مفهومات الثقافة تُخفي المستقبل على نحو غير مباشر⁽¹⁸⁾، يمكننا أن نرى مدى تجذر هذه التصنيفات الزمنية وبتئيتها.

هل يمكننا التحرر من مثل هذا النمط المشروط تاريخيًا؟ إذا كانت الثقافة قد صيغت فترة طويلة على غرار الدولة القومية وتصورها المكاني للشعب السيادي⁽¹⁹⁾، جاز لنا أن نستفيد من ذلك بالسؤال عن المستقبلات والبنى الزمنية التي تميز الخيال الإقليمي للدولة القومية. لا يقدم كتاب الجماعات المتخيلة لبندكت أندرسن عونًا يُذكر في هذا الصدد؛ لأنَّ حجته القائلة بأنَّ "القومية هي القيمة الأكثر قبولًا على المستوى الكوني في الحياة السياسية لعصرنا"⁽²⁰⁾، تمرّ بصورة عابرة على جميع الوعود المستقبلية (كالحرية في تملك الأرض، وحقوق المواطنة المتساوية، وتقاسم وسائل الإنتاج ومنتجاته، على سبيل المثال لا الحصر) التي حقّزت الثورات الحديثة. فقد دفع رفض أندرسون للزمن الثوري إلى تأكيد الزمن المتجانس والفارغ لأيديولوجيات التحديث القومية على حساب زمنيات أخرى⁽²¹⁾. ويمكن أن تكون مقارنة المستقبلات المتخيلة للدول الحديثة أفضل من خلال تحدّي الجمع بين ديمقراطية مستقبلية للجميع واحتكار الدولة للعنف. وبتكييف ما قاله كارل شميث، تحاجّ سوزان باك-مورس بأنَّ الدول القومية تمكّنت من تدبير هذا التناقض من خلال تشكيل الجماعة الديمقراطية تخيليًا عبر تعيين عدوٍّ، يكون العنف المشروع ضده ممكنًا وضروريًا في آن معًا⁽²²⁾. وقد أنتجت الحرب الباردة توازنًا متميزًا لمثل هذه المخيلات، بين العالم الحرّ للأمم-الدول القومية وطلعية

(16) A. L. Kroeber & Clyde Kluckhohn, *Culture: A Critical Review of Concepts and Definitions* (Cambridge, MA: Peabody Museum of Archaeology and Ethnology, 1952), p. 181. (التشديد مُضاف)

(17) Bruno Latour, *We Have Never Been Modern* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1993).

(18) Appadurai, "The Capacity to Aspire," pp. 60-61.

(19) Akhil Gupta & James Ferguson, "Beyond 'Culture': Space, Identity, and the Politics of Difference," *Cultural Anthropology*, vol. 7, no. 1 (1992), pp. 6-23; Verena Stolcke, "Talking Culture: New Boundaries, New Rhetorics of Exclusion in Europe," *Current Anthropology*, vol. 36, no. 1 (1995), pp. 1-24.

(20) Benedict Anderson, *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism* (London: Verso, 1983), pp. 12-13.

(21) John Kelly, "Time and the Global: Against the Homogeneous, Empty Communities in Contemporary Social Theory," *Development and Change*, vol. 29, no. 4 (1998), pp. 839-871.

(22) Carl Schmitt, *The Concept of the Political*, George Schwab (trans.) (New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1996).

الكتلة السوفياتية: ففي هذه الأخيرة، كان يُفترض أن تكون الحرب في المكان، بينما كان الزمان هو البُعد المعني بحرب الطبقات:

ضمن نظام الأمم-الدول الإقليمي، تكون كل السياسة جيوسياسية. يتموضع العدو ضمن مشهد جغرافي، ويكون الخطّ الفاصل بين الصديق والعدو هو الحدود القومية، التي يُشكّل تجاوزها سبباً للحرب. ويؤدّي انتهاء الحرب إلى إعادة توزيع السيادة الإقليمية. أمّا ميدان حرب الطبقات، فهو زمني. فالثورة الطبقيّة حدثٌ تاريخي يُفهم بوصفه تقدّماً في الزمن. وما يشكّل انتصاراً يوصّف من حيث التقدّم التاريخي، لا من حيث المكسب الإقليمي⁽²³⁾.

يقدم هذا صورة أكثر دقّة لعلاقة القومية بالمستقبل، وللکيفية التي يترابط بها تصوّران نمطيّان لمستقبلات الحداثة بعلاقة عدائية، ولكنها تكاملية. يمكن القول إنّ الدولة القومية تقوم على مستقبلية تنمية، ولكن بوصفها واقعاً مكتملاً: فكما في حالة الولايات المتحدة الأميركية، يتجسّد مستقبل الأمة في رفقة "جيش المواطنين" المتحقّقة باعتباره "الفعل الجماعي للتضامن السياسي"⁽²⁴⁾. ويُتخيّل المستقبل المدني لهذا الجيش، كما يوضح كتاب سايمون شاما المستقبل الأميركي ببلاغة (لكن مع افتقار إلى مسافة نقدية)، بوصفه أمراً تحقّق بعد الثورة⁽²⁵⁾. وتتخيّل المستقبلية القومية المواطننة الحديثة، بوصفها متحقّقة في فضاء الأمة: فقد تجسّد مستقبلها في نموذج قائم فعلاً، ينبغي للمواطنين والدول المتخلفة أن تطمح إليه. وفي المقابل، تضع رؤية المستقبل الشيوعية، على الرغم من أنها مستقبلية بالمثل، المثل المدنية التي ينبغي تحقيقها في زمن يلي ثورة ما تزال قيد الإنجاز. وهذا المستقبل المفتوح للتضامن هو أكثر كونيّة، لكنّه يعرف أشكال عنفه المروّعة الخاصة، بما أنّ حرب الطبقات هي حرب أهلية، وقد تتم التضحية بالتّانس القائم من أجل يوتوبياتها⁽²⁶⁾.

مع ذلك، ليس استعراض باك-مورس للمخايل الزمنية المعقّدة والمتناقضة للحرب الباردة سوى بداية فحسب؛ إذ ستعترف أنثروبولوجيا العصر الحديث، من جملة ما ستعترف به، بأنّ نهاية الحرب الباردة شهدت استبدال آمال التحديث بمستقبلياتٍ أشدّ تحفّظاً ثقافياً، تتعلّق بصدام الحضارات الوشيك⁽²⁷⁾. إضافة إلى ذلك، قد تنتقد هذه الأنثروبولوجيا أصحاب هذه التصورات الأخيرة أيضاً، من خلال الاعتراف بأنّ ما يطرحونه من مستقبلات عالمية ذو طابع محليّ: فالعديد من سكّان غرب أفريقيا، على سبيل المثال، ينصرفون عن ماضيهم بما فيه من خصوصية ثقافية نحو مستقبلات عالمية

(23) Susan Buck-Morss, *Dreamworld and Catastrophe: The Passing of Mass Utopia in East and West* (Cambridge, MA: MIT Press, 2002), p. 23. (التشديد في الأصل)

(24) Ibid., p. 27.

(25) Simon Schama, *The American Future* (London: Vintage, 2009), pp. 26-123.

(26) Buck-Morss, p. 29.

(27) Benjamin Barber, *Jihad vs. McWorld* (New York: Ballantine, 1995); Samuel P. Huntington, "The Clash of Civilizations?" *Foreign Affairs*, vol. 72, no. 3 (1993), pp. 22-49.

يتخيلونها من خلال وعود زائفة بازدهار الاقتصاد الكلي والعنصرية الخمسينية⁽²⁸⁾، قد لا تختلف، في هذه النواحي، اختلافاً جذرياً عن بعض المستقبلات البديلة المتداولة في الغرب⁽²⁹⁾. وتكمن أهمية تحليل باك-مورس في إظهاره أنّ الأزمنة الحديثة تتسم بتوازي أشكال مستقبلية متزامنة، متناقضة ومتعادلة، أكثر من اتسامها بقطيعة بين حقب زمنية. ويبدو أنّ هذا التعدد يستدعي دراسة إثنوغرافية للزمن تختلف اختلافاً جذرياً عما طوّره الباحثون حتى الآن.

فما الذي طوّرنه حتى الآن؟ يشير جيرارد بيرسون وديني فان إست إلى أنّ الدراسات الإثنوغرافية الكلاسيكية تركت المستقبلات الخفية (للأسطورة مثلاً)، مضمرة⁽³⁰⁾. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ تحديد كروبر وكلوكهون لثقافة الآخر بأنّها تقليدية قد يكون بالمثل إغفالاً مضمراً للتشبيث الحقبّي الذي يجمع بيننا، بوصفنا باحثين ننتمي إلى الحاضر أو إلى مستقبل مُتخيّل. غير أنّ حجّة برونيسلاو مالينوفسكي الشهيرة بشأن الأسطورة بوصفها وثيقة تأسيسية، على الرغم من استخدامها بنجاح في إثنوغرافيا المستقبل⁽³¹⁾، تُظهر عكس ذلك: فهو يختزل الأسطورة في "بيان لواقع بدائي" يُقدّم "نمطاً استرجاعياً" يرتبط "ارتباطاً وثيقاً بطبيعة التقليد، والاستمرارية نحو الماضي"⁽³²⁾. وبذلك، هو يتجاهل كمّاً كبيراً من الأدلة التي عرضها في الصفحات الخمسين السابقة من كتابه حول اشتباكات التروبريانديين مع مصيرهم، والعالم الآخر، واستعادة الشباب، وإنكار القدريّة، أو أطروحته القائلة إنّ السحر يقلل من القلق بشأن فاعلية التكنولوجيا مستقبلاً⁽³³⁾. وتشير هذه التناقضات إلى أنّ الأنثروبولوجيا الكلاسيكية، بدلاً من ترك مستقبلات الآخرين مضمرة، جرّدتهم منها فعلياً⁽³⁴⁾. ويمكن أن ينطبق التشخيص نفسه على طمّر كلود ليفي-ستروس للإشارات إلى أيّ استشراف للمستقبل في التفكير الأسطوري في ظلّ تمسك الصانع البدائي بعلامات الماضي، مقابل مشاريع المهندس المستقبلية القادرة على توليد أحداث جديدة⁽³⁵⁾. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّه بحلول نهاية الخمسينيات، أدرك الباحثون بصورة متزايدة القدرة الاستشرافية لدى الحركات الألفيّة Millenarianism أو حركات الفلاحين⁽³⁶⁾.

(28) Piot, p. 9.

المقصود هنا هو عيد العنصرة الموافق، في صيغته اليهودية، لليوم الخمسين بعد عيد الفصح اليهودي وللأحد السابع بعد عيد الفصح، ذكرى نزول الروح القدس على الحواريين في صيغته المسيحية. وفي الصيغتين هو عيد "الحصاد".

(29) Guyer.

(30) Persoon & van Est, pp. 11–12.

(31) Ferguson.

(32) Bronislaw Malinowski, "Myth in Primitive Psychology," in: Bronislaw Malinowski, *Magic, Science and Religion and Other Essays* (New York: Doubleday Anchor, 1954 [1926]), p. 146.

(33) Ibid., pp. 126, 137, 141.

(34) Fabian, *Time and the Other*.

(35) Claude Lévi-Strauss, *The Savage Mind* (Chicago: University of Chicago Press, 1966), pp. 11, 19, 22;

وقد انتقد هذا بالفعل باعتباره إعادة إنتاج لفجوة حقيّة كبيرة. ينظر:

Jack Goody, *The Domestication of the Savage Mind* (Cambridge: Cambridge University Press, 1977), p. 3.

(36) Eric Wolf, *Peasants* (Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1966), p. 196; Peter Worsley, *The Trumpet Shall Sound* (London: MacGibbon & Kee, 1957).

لا ينجح اختزال المستقبلات بواسطة التفكير الحَقَبِيّ إلّا باجتماع آليّات التصنيف الزمني البدئي؛ أي سوء استيعاب مدى تعقّد تصنيفاتنا الحديثة (ومدى تعدّد مستقبلاتها)، والإخفاء المتعمّد للمستقبلات المعقّدة التي يصطنعها الآخرون. ففي عام 1992، اعترف اثنان من الأنثروبولوجيين، من ذوي التصور المعقّد للزمن، بأنّ أنثروبولوجيا الزمن لا تتجاهل المستقبل فحسب، بل تشغل إلى حدٍّ بعيدٍ بتصنيف الأزمنة الأخرى (أو الأشكال المختلفة لعدّ الزمن). فباعتبارها كانت تنظر إلى هذه الأزمنة الأخرى بوصفها ماضية وجامدة وغير تاريخية، وأنّها اجتماعية وعاطفية، ولكنها ليست حقيقية، تجاهلت هذه الأنثروبولوجيا التجارب الزمنية الكونية أو أنكرتها، وكأنّ الزمن يتدفّق في مسارٍ لا رجعة فيه في اتّجاه المستقبل⁽³⁷⁾.

وفي العام نفسه، ظهر أحد أوّل التحليلات التي تناولت المستقبل الحديث في إطار مدّ تحليل علاقات القرابة بحيث يشمل إنكلترا المعاصرة⁽³⁸⁾، وفيها حدّدت ساندرا والمان أوّل مرّة الموضوع المناسب لأنثروبولوجيا المستقبل بقولها إنّها تهتمّ، بدلاً من التنبؤ، بما تفعله تخيلات محدّدة للمستقبل في الحاضر⁽³⁹⁾. وعلى الرغم من أنّها قد تكون أوّل من اعترفت بأنّ الدراسات الإثنوغرافية الكلاسيكية لم تتناول المستقبل إلّا تلميحاً⁽⁴⁰⁾، فإنّها لم تنجز سوى إعادة ترسيخ فكرة سائدة من خلال القول بأنّ "لا شيء من هذه الأشياء هو 'المستقبل' كما نعرفه نحن"⁽⁴¹⁾. ولعلّه يكفي أن نفكّك ما تعنيه "نحن" في هذه العبارة، لكي ندرك أنّ هذا النصور الإنسي Humanist العلماني يحجب حقيقة أنّ كلّاً منّا (نحنُ وهُم) نعيش في أزمنة متشظّية ومتعددة، وأنّه من دون الاعتراف بذلك، لا يمكن لأنثروبولوجيا المستقبل أن تنطلق حقّاً.

الخطوة الثانية: كسر عادة النزعة المستقبلية

من دون نقدٍ انعكاسي للمستقبلات والنزعة المستقبلية، لا أعتقد أنّ الأنثروبولوجيا ستتجاوز الإرث العنيف، في كثير من الأحيان، للاستعمار وللتخلّف. ويمكن تعريف النزعة المستقبلية بأنّها تصنيف حقبة ما من حيث التنبؤ بالتقدّم⁽⁴²⁾. ويمكن تعيين قطيعة الجِدّة في الماضي أو الحاضر أو المستقبل؛ وهو ما يجعل النزعة المستقبلية متماثلة تقريباً (وإن لم يكن تماماً) في آليّتها مع التفكير الحَقَبِيّ. وفي إمكان المرء أن يستخدم مصطلح "النزعة المستقبلية"، للدلالة على جميع طرائق الإشارة إلى حقبة جديدة، ومصطلح "المستقبلات" للدلالة على تلك الخطابات التي تُسقط الجِدّة على زمنٍ

(37) Alfred Gell, *The Anthropology of Time* (Oxford: Berg, 1992); Nancy Munn, "The Cultural Anthropology of Time: A Critical Essay," *Annual Review of Anthropology*, vol. 21 (1992), pp. 93–123.

(38) Marilyn Strathern, *After Nature: English Kinship in the Late Twentieth Century* (Cambridge: Cambridge University Press, 1992), pp. 20–21.

(39) Wallman, p. 2.

(40) عند مناقشة البستنة، والصيد، وطقوس التأهيل، والكهانة، والتضحية، والاعتقادات الألفيّة، والأسطورة، أو الحياة الأخرى، يمكن المقارنة بـ: Persoon & van Est, pp. 11–12.

(41) Wallman, p. 3.

(42) عن طريق افتراض الجِدّة. ينظر: Tsing, pp. 332–333.

لم يحن بعدُ. والنزعة المستقبلية تقليد ثقافي حديث: قد تكون تطوّرت، كما أوضح في الخطوتين الثالثة والرابعة، على مدى خمسة قرون، على الأقل في أوروبا.

لذلك، فمن غير المستغرب أن تكون العلوم الإنسانية شديدة الولع بالنزعة المستقبلية. فمع عدم إنكار ثراء ما قدّمه علم الاجتماع حول الزمن من أفكار، فإن قلّة من ممارسيه تخلّوا عن وهم الزمن المتجانس والخطّي الذي نعيشه نحن المعاصرين بعد قطيعة مفترضة مع التقاليد⁽⁴³⁾. ولا يستطيع كثيرٌ من السوسيولوجيين الاستغناء عن التصنيفات الثنائية لنظرية التحديث: فحتّى عند تصنيف حقبة ما بعد حداثة جديدة (باعتبارها انعكاسية مثلاً)، فإنهم لا يتخلّون عن فهمها مقابل تقليدٍ مُشياً، يتمّ تمييزه على صيغة تحصيل الحاصل عن التمسك الأعمى عادةً بنوّة معيارية سابقة⁽⁴⁴⁾. ويميل التوجّه المستقبلي إلى حصر علوم اجتماع الزمن في مسألة ما هو جديد في الزمن، وهي مسألة يُجّاب عنها، على سبيل المثال، بتشخيص "اكتشاف تزامن" لا رجعة فيه، وما يتبعه من "اختفاء للمستقبل"⁽⁴⁵⁾. ومختلف صيغ الإدمان على المستقبلية هذه مُعدّية؛ حيث تعتمد هيلغا نوفوتني، مثلاً، على كتاب ستيفن كيرن المؤثّر عن تاريخ أوروبا الثقافي حوالى عام 1900، من دون أن تشير إلى أنّ وصفه لما هو جديد في ثقافة نهاية القرن للزمان والمكان يتجاهل تماماً ما حدث في الوقت نفسه من إنتاج ضخمٍ للتقليد؛ ما يختزل العديد من رؤى كيرن التاريخية القيّمة إلى تحيّزٍ زمني⁽⁴⁶⁾. مع ذلك، تتبنّى الدراسات العلمية والتكنولوجية التي تنفصل عن الحداثة Modernism، بالتركيز على المستقبلات المتنازع عليها، تحيّزٍ الراهنية الذي طرحه أنتوني غيدنز⁽⁴⁷⁾. على أنّ التركيز الأنثروبولوجي على مستقبلات الممارسات غير الحديثة، مثل التنجيم والسحر والزراعة وغيرها، والتي أهملت حتّى الآن، لا يُعدّ حلاً هو أيضاً⁽⁴⁸⁾. وعلى أيّ حال، فقد كانت والمان مترددة في مغادرة العالم التخيلي لـ "المستقبل" كما نعرفه؛ إذ نحن نعيش في "ما بعد التقدّم" و"ما بعد التطوّر"⁽⁴⁹⁾، وما نزال ندرك، على ما يبدو، أنّ "الصورة السائدة للزمن في مجتمعنا خطيّة وغير متصلة"⁽⁵⁰⁾. ولا تُعدّ هذه الأوصاف المستقبلية للذات خاطئة في حدّ ذاتها، لكنّها تفترض تجانساً

(43) مع ذلك، كما سنرى، فقد تخلّى بعض علماء اجتماع الزمن عن هذه العادة.

(44) Ulrich Beck, *Risk Society: Towards a New Modernity* (London: Sage, 1992), p. 11; Anthony Giddens, *Modernity and Self-Identity* (Cambridge: Polity, 1991), p. 145; Edward Shils, *Tradition* (Chicago: University of Chicago Press, 1981), p. 25.

(45) Helga Nowotny, *Time: The Modern and Postmodern Experience* (Cambridge: Polity, 1994), pp. 11–12.

(46) Stephen Kern, *The Culture of Time and Space, 1880–1918* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003);

قارن بـ:

Eric Hobsbawm, "Mass-Producing Traditions: Europe, 1870–1914," in: Eric Hobsbawm & Terence Ranger (eds.), *The Invention of Tradition* (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), pp. 263–308.

(47) Nik Brown, Brian Rappert & Andrew Webster (eds.), *Contested Futures: A Sociology of Prospective Techno-Science* (London: Ashgate, 2000), pp. 6–7.

(48) Persoon & van Est, p. 12; Wallman, p. 3.

(49) Wallman, p. 8.

(50) Ibid., p. 11.

للأزمة الحديثة يفتقر إلى أدلة إثنوغرافية، ويحجب الهيمنة العالمية لمجموعة متنوعة من أشكال المستقبل القوية.

ويسائل عددٌ متزايد من الباحثين وعودَ التقدم الاقتصادية والبيئية، بحيث يقطعون مع إيمان النزعة المستقبلية، ويستحقّ ثلاثة منهم ذكرًا خاصًا. فقد ردّدت أول دراسة شاملة (ما تزال غير معروفة بما يكفي) حول أنثروبولوجيا المستقبل، أعدّها جيرارد بيرسون وديني فان إست، صدى أفكار والمان مجادلين بالحاجة إلى الاستشراف العكسي Backcasting؛ أي "فحص تأثيرات صورة المستقبل في سلوك الحاضر"، وحدّدوا رؤية مستقبلية كامنة في الروايات الأنثروبولوجية الكلاسيكية⁽⁵¹⁾. وقد أظهرت الكيفية التي واجهت بها مجموعة من الصيادين وجامعي الثمار في وسط سومطرة، بمرونة، التنبؤات الرسمية بانقراضها، وسبل تجاوزها محاولات قطع الأشجار الصناعي، ليجادلوا بأنّ على الأنثروبولوجيا أن تقطع مع انشغالها الحصري بمثل هذه الجماعات، لكي تشمل رؤية مستقبلية لدى ثقافات أكثر توسّعًا في السياقات الزمنية قيد الدراسة⁽⁵²⁾. ويقدم بحثهما، بطريقة مناسبة، مجموعة من المقالات حول القضايا البيئية والواجبات تجاه الأجيال المقبلة، فضلًا عن شواغل أنثروبولوجية أكثر كلاسيكية.

ويشارك السوسولوجيان باربرا آدم وكريس غروفر هذا الاهتمام بالاستدامة البيئية والتنمية الطويلة الأمد⁽⁵³⁾. وعلى غرار بيرسون وفان إست، يدفعنا هذان الباحثان إلى التساؤل عن ماضي المستقبل في ضوء الحاضر: من أين أتى؟ وما عمره؟ وما مدى قابليته للاستمرار؟ تستند حجّتي، إلى حدّ بعيد، إلى أعمالهما، وإلى الطريقة التي يطرحان بها إشكاليات أشكال المستقبل المختلفة في الأزمنة الحديثة، ولا سيّما فكرة المستقبل المفتوح والمستقبل الفارغ⁽⁵⁴⁾. ولعلّ الملاحظة النقدية الوحيدة التي يمكن إبدائها حول مساهمتهما الرائدة، تتمثل في أنّ المرء يتطلّع إلى مزيد من التفاصيل التاريخية والإثنوغرافية لفهم الكيفية الدقيقة التي عملت بها أشكال المستقبل هذه في الحياة اليومية.

يقدم جيمس فيرغسون هذه التفاصيل التاريخية والإثنوغرافية للحياة اليومية على نحوٍ وافٍ في عمله، الذي صار كلاسيكيًا، حول "توقعات الحداثة" لدى عمّال المناجم في حزام النحاس الزامبي في ثمانينيات القرن العشرين⁽⁵⁵⁾. فهو يبيّن كيف تسبّب الكساد الاقتصادي وسياسات التكيف الهيكلي في تدمير تطلّعات العمّال إلى أن يكونوا رواد التحديث في أفريقيا، ومع ذلك فشلت في القضاء على توقعاتهم تجاه الحداثة. ولم يكتفِ فيرغسون بكشف زيف فكرة التحديث بوصفها أسطورة⁽⁵⁶⁾،

(51) Persoon & van Est, p. 22.

(52) Ibid., p. 17.

(53) Barbara Adam, *Time* (Cambridge: Polity, 2004); Barbara Adam & Chris Groves, *Future Matters: Action, Knowledge, Ethics* (Leiden: Brill, 2007).

(54) ينظر: الخطوطان الرابعة والخامسة.

(55) Ferguson.

(56) مفتدًا بذلك عمل المايونفسكي حول الأسطورة، الذي ناقشته آنفاً.

بل أظهر أيضًا أنَّ عمّال المناجم اضطروا إلى العيش في عالم تتزامن فيه توقّعات مختلفة، كالعودة إلى الأرض واستمرار الكوزموبوليتانية الحضرية Urban Cosmopolitanism سواء بسواء، بوصفها مستقبلات ممكنة، وتعدديات زمنية متولّدة في آنٍ واحدٍ عن أداء الأفارقة المعاصرين، استجابةً لموقعهم العابر للقوميات⁽⁵⁷⁾. وحيثي في هذا السياق، مدينةٌ بالأساس لإثنوغرافيا فيرغسون.

بهذا، يكون آدم وغروفز، وفيرغسون، وبيرسون وفان إست، ووالمان، قد فتحوا مجالاً يستدعي منّا طرح أسئلة إثنوغرافية كلاسيكية عن كلّ صورة من صور المستقبل نصادفها في وجودها المتزامن: ما هي؟ ومتى تكون؟ وأين تعمل؟ ولفائدة من؟ ومن يمتلكها؟ ومن تستبعد؟ لا تتيح هذه الدراسات الإثنوغرافية لتعدد الزمانيات كسر النزعة المستقبلية فحسب، بل كذلك الاعتراف بأنّ مستقبلنا ليس بالضرورة ملُكًا لنا. وما دام الأنثروبولوجيون ما بعد الاستعمارية، حتى هم، مضطّرين إلى مواجهة حقيقة أنّ التصنيفات الاستعمارية ما زالت قيد الاستخدام اليومي، علينا أن نقرّ بأنّ هيمنة صور معيّنة للمستقبل تشكّل شرطًا اجتماعيًا وتاريخيًا حقيقيًا بالنسبة إلى آخرين⁽⁵⁸⁾. وكما يقول أعضاء جماعات مدمني الكحول المجهولين Alcoholics Anonymous للمدمنين، تتمثل الخطوة الأولى في أن ندرك أنّنا نعيش في ظلّ النزعة المستقبلية، لا في ظلّ شيء جديد. ومن ثم، فإنّ الخطوة الثانية في سبيل أنثروبولوجيا مستقبلية، ليست القطع مع النزعة المستقبلية، بل تعلّم كيفية التعايش معها في حياتنا اليومية.

الخطوة الثالثة: إضفاء الصبغة الإثنوغرافية على القطيعة مع حقبة ما بعد الحداثة

لا يتناول إلّا عدد قليل من الأنثروبولوجيين النزعة المستقبلية بمنهجية انعكاسية وإثنوغرافية كما يفعل تشارلز بيوت، حين يراهن على حدوث قطيعة في غرب أفريقيا بحلول نهاية الحرب الباردة. ويُقرّ أنّه "لا يوجد إجماع راسخ على أنّ الأمور اليوم مختلفة نوعيًا عمّا كانت عليه من قبل"⁽⁵⁹⁾. غير أنه، وبناءً على وعي محاوريه التوغوليّين بالتغيرات Lurusoro⁽⁶⁰⁾، التي حدثت منذ حوالي عام 1990، يعتقد أنّ "عالمهم لن يعود أبدًا إلى ما كان عليه"⁽⁶¹⁾. ويستنتج بيوت أنّ المستقبلات التي تحلّ محلّ التنمية التي تقودها الدولة في توغو تتفتّت إلى سيادات متناثرة وفوضوية تعوّض سيادة دولة متجاوزة، وتتولاها

(57) Ferguson, pp. 82–123.

(58) Peter Pels, "What Has Anthropology Learned from the Anthropology of Colonialism?" *Social Anthropology*, vol. 16, no. 3 (2008), pp. 280–299.

(59) Piot, p. 12.

(60) في سياق توغو، يشير مصطلح "لوروسورو" إلى فترة من التغيّرات والتحوّلات الاجتماعية والسياسية العميقة التي حدثت بعد الحرب الباردة (منذ تسعينيات القرن العشرين). وتعني هذه الكلمة، المشتقة من اللغات المحلية، حرفيًا "وضع شيء مكان آخر" أو "الاستبدال". ومن خصائص لوروسورو في توغو، التحوّل السياسي في اتجاه الديمقراطية وتحرير المجال العام، وانسحاب الدولة، وانعدام الأمن الاقتصادي، وظهور المنظمات غير الحكومية والكائنات الخمسينية لملء الفراغ المؤسسي، مع ما صاحب ذلك من اضطراب في القيم. (المترجم)

(61) Piot, pp. 13–14.

منظمات غير حكومية وكنائس خمسينية ومؤسسات مالية عالمية، وهذا ما تدعمه تشخيصات أخرى لحدوث "تفكك" حدائني نيوليبرالي" في أفريقيا⁽⁶²⁾. ولا يقتصر هذا التفكك على أفريقيا، فالتطلع نحو سوق حرة لاقتصاد كلي وصعود المسيحية الإنجيلية كلاهما يسهم في تجريد الأزمنة الحديثة من مستقبلات كانت ملموسة ومتاحة في السابق⁽⁶³⁾. لقد أضحت العقلانية الإنسية الظاهرية (ولكنها محل تنازع) لتصورات المستقبل الوسيطة خلال الحرب الباردة، مثل التنمية وخططها الخمسية، أو منع كارثة ذرية أو بيئية، تحت الحصار: فالمستقبل البعيد زمنياً الذي يتطلع إلى الكمال (سواء كان توازناً سوقياً أو خلاصاً مسيحياً) ينتقص من الحاضر والمستقبل القريب، سواء من خلال اللاأخلاقية وفقاعات المضاربات المالية القصيرة الأجل، أو بازدراء غير المؤمنين⁽⁶⁴⁾. وتُستمدّ هذه المعايينات الإثنوغرافية للتشردم من تلاشي المستقبل الممكن والمعقول الذي صاغته "حدود النمو"⁽⁶⁵⁾ لمصلحة عالم من السيناريوهات المتباينة والمتشظية والمفتقرة إلى أيّ أفق⁽⁶⁶⁾، فضلاً عن تفكك الفضاء العمومي إلى أشكال متعددة من جنون العظمة والتشاؤم المفرط⁽⁶⁷⁾.

لقد حدثت بالفعل تغيرات تاريخية كبرى في جميع أنحاء العالم في العقود التي تلت عام 1970، لكنّها لا تؤكد بالضرورة وجود قطيعة حقيّة شهدت، في ظلّ التحوّل نحو التراث والتواصل الفائق السرعة، موت المستقبل⁽⁶⁸⁾، أو اختفاء الحاضر⁽⁶⁹⁾، أو استبدال المستقبلات الحاضرة بالمواضي الراهنة⁽⁷⁰⁾. وكثيراً ما تبدو تشخيصات الأزمنة ما بعد الحداثيّة هذه قائمة على تكرار نصّي لفرضيات صعود الاقتصاد الريغاني⁽⁷¹⁾ النيوليبرالي، وانتفاء السرديات الكبرى، وتقدّم التكنولوجيا الرقمية وانفجار المعلومات والمحاكاة، وانضغاط الزمان والمكان، ومنطق مصاحب للرأسمالية المتأخرة يُفترض أنّه يضحيّ بالوعي التاريخي الحقيقي لمصلحة وعي استهلاكيّ متشظّ⁽⁷²⁾. لقد كان انضغاط الزمان والمكان، وتفشي النزعة الاستهلاكية، عاملين مؤثرين عالمياً منذ نهاية القرن التاسع عشر على

(62) Weiss, p. 7.

(63) Guyer.

(64) Vincent Crapanzano, "Co-Futures," *American Ethnologist*, vol. 34, no. 3 (2007), pp. 423-424.

(65) Donella Meadows, Edward Goldsmith & Paul Meadow, *The Limits of Growth* (New York: Universe, 1972).

(66) Brown, Rappert & Webster, p. 12.

(67) Stewart & Harding.

(68) David Lowenthal, "The Death of the Future," in: Wallman (ed.), pp. 23-35.

(69) Nowotny.

(70) Andreas Huyssen, "Present Pasts: Media, Politics, Amnesia," *Public Culture*, vol. 12, no. 1 (2000), pp. 21-38.

(71) نسبة إلى الرئيس الأميركي رونالد ريغان (1981-1989). (المترجم)

(72) David Harvey, *The Condition of Postmodernity* (Cambridge, MA: Blackwell, 1990); Fredric Jameson, "Postmodernism, or the Cultural Logic of Late Capitalism," *New Left Review*, no. 146 (1984), pp. 53-92; Jean-François Lyotard, *The Postmodern Condition: A Report on Knowledge*, Geoff Bennington & Brian Massumi (trans.) (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1984).

الأقل، إن لم يكن منذ فترة أطول⁽⁷³⁾. وتشير الدراسات الإثنوغرافية للمستقبل في أفريقيا المعاصرة إلى استمرار الوجهات المستقبلية، بل تزايد أهميتها، حتى وإن كانت تُعرّف الآن بأنها بعيدة المنال إلى هذا الحدّ أو ذاك⁽⁷⁴⁾. فالتركيز على الحاضر الذي تنبأ به فريدريك جيمسون⁽⁷⁵⁾ ونوفوتي⁽⁷⁶⁾، يصطدم بالملاحظة الدقيقة تجريبيًا بأنّ التوجّه المحافظ نحو الماضي، نحو التراث والحضارة والانتماء، في بلدان الشمال منذ سبعينيات القرن العشرين، يبدو أكثر وضوحًا⁽⁷⁷⁾.

نظرًا إلى هذه التناقضات، قد لا يمثل أيٌّ من هذه التصنيفات الممارسة الفعلية للتفاعلات العالمية الماضية أو الحاضرة بطريقة مناسبة. ومن ثمّ، يتعيّن على أنثروبولوجيا المستقبل أن تتساءل إن كانت القطيعة الحقيّة لما بعد الحداثة، التي يُعتقَد أنها حدثت في وقت ما بين عام 1973 (نهاية اتفاقيّات بریتون وودز) وعام 1989 (سقوط جدار برلين)، لم تكن سوى تصنيف تفرضه نخبة غربية نيوليبرالية على البقية، تعيد ترسيخ الأيديولوجيات الحداثيّة في صورة جديدة. لقد جادلت آنا تسينغ بأنّنا، وما دامت أنثروبولوجيا العولمة انطلقت بنظرة قاصرة بعد زوال نظريات التحديث في الحرب الباردة، مهدّدون بالوقوع في برائن عولمة أيديولوجية تتبنّى، بنظرة مستقبلية، الجِدّة، وتختزل التفاوتات العالمية والانسدادات إلى مثال للتدفّق، وتخلط بين الاتجاهات والمسارات التاريخية التي تنتمي إلى أماكن وفترات مختلفة من دون أدلّة تجريبية كافية⁽⁷⁸⁾. وبدلًا من ذلك، ينبغي دراسة هذه التصنيفات الزمنية، بوصفها تدخّلات تاريخية في حدّ ذاتها؛ فهي، على غرار تصنيفات الطبقات المغلقة Caste في الهند البريطانية، شاركت في إنتاج التقسيمات الاجتماعية والثقافية والزمنية التي زعمت أنّها تصفها، وتثير التساؤل التاريخي حول ما، أو من، الذي أنتج هذه التصنيفات في المقام الأوّل⁽⁷⁹⁾.

وقد يقدّم فيرغسون، مجدّدًا، نظرة أكثر دقّة من الناحية الإثنوغرافية، وغير مستقبلية، للمستقبل من خلال دراسته عمّال مناجم الحزام النحاسي. فقد كانت نظرتهم إلى فقدان الصلة بمستقبل وسيط - ليس غدًا، ولكنه ليس بعيدًا أيضًا - على الأقلّ في ثمانينيات القرن العشرين، قائمة على التزام راسخ بأسطورة التحديث في الخمسينيات، تجلّى في أنماط سلوكية متجذّرة في ابتداء

(73) Kern; Jeremy Prestholdt, *Domesticating the World: African Consumerism and the Genealogies of Globalization* (Berkeley: University of California Press, 2007).

(74) Ferguson; Piot.

(75) Jameson, "Postmodernism."

(76) Nowotny.

(77) Huntington; Huyssen; Stolcke.

(78) Tsing, pp. 332–338.

قارن بـ:

Frederick Cooper, "What Is the Concept of Globalization Good For? An African Historian's Perspective," *African Affairs*, vol. 100 (2001), pp. 189–213; Frederick Cooper, "Empire Multiplied: A Review Essay," *Comparative Studies in Society and History*, vol. 46, no. 2 (2004), pp. 247–272.

(79) Bernard S. Cohn, "The Census, Social Structure and Objectification in South Asia," in: Bernard S. Cohn, *An Anthropologist among the Historians and Other Essays* (Delhi: Oxford University Press, 1987), pp. 224–254.

الاستعمار للتقليد والحداثة. وحتى حين اضطرت الظروف العمّال إلى العيش في أفق مستقبلي قائم على الحرمان، أظهروا وعيًا كوزموبوليتانيًا بالتعدديات الزمنية الحاضرة في واقعهم: أزمنة تقليدية، وحديثة، وما بعد حديثة، مجتمعة كلّها في الفترة نفسها والمكان ذاته⁽⁸⁰⁾. وهذا يعني أننا، ولدى العمل على إنجاز أنثروبولوجيا الأزمنة الحديثة (في صورها ما بعد الحداثيّة أو غيرها) في حاجة إلى تلك السلاسل النسبية Genealogies والإثنوغرافيات التي تكشف كيفية عمل التصنيفات الزمنية الحديثة للمستقبل؛ ولمن تعمل. وتستلزم هذه الضوابط المنهجية لتصنيفاتنا الخاصة دراسة نقدية للموقع؛ فالسلطة البديهيّة للمستقبلات النيوليبرالية، على سبيل المثال، تبدو منقوصة إلى حد بعيد ما إن يُعترف بأنّ سياسات التحكم النقدي، التي كانت تصارع الكينزية منذ التحوّل الاحتمالي في ثلاثينيات القرن العشرين، لم تتمكّن من الهجرة خارج بيئتها الأكاديمية إلّا منذ عام 1973، عندما رسّختها حروب طبقية عنيفة في تشيلي والمملكة المتحدة بوصفها عقيدة دولة. وعلى الرغم من ادعاء السوق الحرّة كونيّة مزعومة، فإنّ الدول أدخلت الفكر النيوليبرالي في أجزاء كثيرة أخرى من العالم بتأخير لا يقلّ عن عقدٍ من الزمن⁽⁸¹⁾.

من ثمّ، لا يمكننا أبداً افتراض تصنيفات حقبة زمنية مسبقاً؛ إذا ما كانت السيناريوهات أو النماذج العالمية التي طالما استندت إليها الاستشرافات المتعددة في تسعينيات القرن العشرين، على سبيل المثال، قد نشأت في الواقع، خلال فترة الحداثة العليا في الستينيات والسبعينيات، بحيث تظلّ مسألة الاستمرارية والتغيير مفتوحة⁽⁸²⁾. وبناءً على ذلك، تتمثّل الخطوة الثالثة نحو فهم الأزمنة الحديثة بما يتجاوز التفكير الحقبّي في دراسة التصنيفات الحقبّية بوصفها مزاعم، في تقابلها مع ما تؤديه من عمل فعلي في الممارسة. ولا يمكننا فهم كيفية عمل هذه المزاعم إلّا من خلال جهد أنثروبولوجي نموذجي يتمثّل في تصنيف أشكال المستقبل الحديث ثقافياً، ومن ثمّ الاعتراف بأنّها كانت تعمل منذ وقت طويل سابق لما يُسمّى انتقلاً إلى ما بعد الحداثة.

الخطوة الرابعة: تحليل المستقبلات المفتوحة

في الخطوة الأولى، عزّزت سوزان باك-مورس فهمنا لتعدّد أزمنة الأُمّة، من خلال التفكير في السيادة وكيفية تصنيفها لأعدائها. وعلى نحو مماثل، لا يكتفي كتاب رينهارت كوزليك مستقبلات الماضي، من خلال عرض تاريخ مفهومي يقترب من التحليل الثقافي لعالم أنثروبولوجي، بأدوات تناقش مختلف المستقبلات الحديثة (أو أشكال المستقبل)، بل يحدّد أيضاً كيف شكّلت تحولات تعريف السيادة هذه المستقبلات، وصاغتها في تقليد ثقافي أضحى عمره الآن ثلاثة قرون على الأقلّ⁽⁸³⁾.

(80) Ferguson.

(81) Marion Fourcade-Gourinchas & Sarah L. Babb, "The Rebirth of the Liberal Creed: Paths to Neoliberalism in Four Countries," *American Journal of Sociology*, vol. 108, no. 3 (2002), pp. 533–579.

(82) Brown, Rappert & Webster, p. 12; Bart Van Steenberg, "The Rise, Fall, and Resurrection of Future Studies in the Final Decades of This Millennium," *Focaal*, no. 35 (2000), p. 128.

(83) Koselleck.

وقد ميّز صلح وستفاليا (1648) ومعاهدة أوترخت (1713) كيف فسحت الإمبراطورية الرومانية المجال لولادة نظام عالمي من الدول القومية والإمبراطوريات الأوروبية. غير أن إعادة صياغة السيادة استلزمت أيضاً إصلاحاً شاملاً للتصنيفات السائدة لنحن وهم، وللصديق والعدو، وما يرتبط بها من أشكال المستقبل.

حكمت الكنيسة الرومانية والإمبراطور وفق مبدأ وجوب إخضاع جميع أصحاب الرؤى المستقبلية (المنافسين)، سواء بحرقهم أحياءً (مثل جان دارك Jeanne d'Arc، وجيرولامو سافونارولا Girolamo Savonarola) أو بمحو مستقبلهم بإصدار مرسوم⁽⁸⁴⁾. وقد استغرق صراع البابوية ضد رؤى نهاية العالم التي بشر بها مارتن لوثر Martin Luther (والتي تنبأت بانتهاء الكنيسة الرومانية بوصفها المسيح الدجال) قروناً ليتحوّل إلى المهمة الإنسانية المتمثلة في صنع مستقبل مفتوح للحرية والسعادة، وتسريعه، وهو المستقبل الذي افترضه ماكسيميليان روبسبيار Maximilien Robespierre أثناء الثورة الفرنسية⁽⁸⁵⁾. غير أن حرب الثلاثين عاماً، التي "بدأت حرباً دينية شتتها طبقة كهنوت الإمبراطورية الرومانية المقدسة [...] وانتهت بمفاوضات السلام بين الحكّام"، أظهرت أن روما لم تعد قادرة على ضمان مستقبل سلميّ بين المسيحيين، بل بات من الضروري أن تحميه الدول بدلاً منها⁽⁸⁶⁾. ومنذ القرن الخامس عشر، أُجّلت نهاية العالم تدريجياً بوساطة حسابات فلكية إلى مستقبل ظلّ يتراجع باستمرار، إلى أن جرّدت الكنيسة الرومانية من مهمتها الأخروية المقدسة بفعل مؤرخين مثل جان بودان⁽⁸⁷⁾.

وقد فرض الحكّام المطلقون، من هنري الثامن إلى هنري الثاني ورشيليو Richelieu، احتكاراً للسيطرة على المستقبل، وذلك بمنع (على حدّ تعبير هوغو غروتوس Hugo Grotius) جميع "علماء اللاهوت المتغطرسين" من التنبؤ بالمستقبل وإثارة "حرب ظالمة". وأيد ميشيل دي مونتين Michel de Montaigne وفرانسيس بيكون Francis Bacon وباروخ سبينوزا Baruch Spinoza ملاحقة الدولة النشطة للنبوءات، والتي بلغت ذروتها، من بين أمور أخرى، في كتاب برنار دي فونتينيل Bernard de Fontenelle تاريخ العرّافات الصادر عام 1686⁽⁸⁸⁾. وليس من قبيل المصادفة أن فونتينيل قد أحدث ثورة في مفاهيمنا عن المستقبل من خلال اختراعه (بمعنى رواد حدثين آخرين

(84) ينظر القسم المتعلّق بالزام الرؤساء الدينيين بضبط أداء الوعاظ التابعين لهم، وذلك في مرسوم مجمع لاتران الخامس الصادر في 19 كانون الأول/ديسمبر 1516، حيث جاء فيه: "لا يجوز [للعواظ] بأيّ حال من الأحوال أن يفترضوا أو أن يعطوا أو أن يحددوا وقتاً معيناً لوقوع شروق مستقبلية، أو لمجيء المسيح الدجال، أو ليوم الدينونة؛ وعليهم قول الحقيقة: ليس لنا أن نعرف الأزمنة أو الأوقات التي حدّدها الأب بسلطانه الخاص".

"Fifth Lateran Council 1512–17 A.D.," EWTN, at: <https://acr.ps/hBy2stf>

(85) Koselleck, pp. 12–13.

(86) Ibid., p. 14.

(87) صاغ أيضاً عقيدة سيادة الدولة الجديدة لصلح وستفاليا، الذي أنهى النفوذ الإسباني في شمال غرب أوروبا. ينظر:

Koselleck, p. 15.

(88) Ibid., pp. 16–17.

مثل شارل بيرو (Charles Perrault) عقيدة النمو اللانهائي التي كانت غير قابلة للتصور سابقاً - وهو نمو لم يعد ينحني نحو الأسفل عندما يبلغ حدوده التي رسمتها الطبيعة والتقدير الإلهي، بل يتقدم على نحو خطّي، صاعداً دائماً إلى الأعلى، لا تحدّه سوى "الخرافة والاستبداد والحرب"⁽⁸⁹⁾. ويجادل كوزيليك بأنّه "منذ ذلك الحين [أي منذ منتصف القرن السابع عشر]، أضحى المرء يعيش الحداثة، وكان واعياً بذلك"⁽⁹⁰⁾. ومن ثمّ، أصبح من الممكن تمييز زمننا الحديث من الأزمنة الأخرى (كالعصور القديمة)؛ أي التفكير على نحو حقّبي.

لا يولد الوعي الزمني بالقطائع الحقيّة فجأة عن طريق حدوث قطيعة زمنية. ويجادل كوزيليك بأنّ انحسار النزعة التنبئية المسيحية تجاه "تدمير" الزمن من خلال تركيزها على النهاية" كان مترافقاً، في البداية، مع ظهور تصوّرين جديدين للمستقبل: التنبؤ العقلاني أو فنّ الحساب السياسي، وفلسفة التقدّم التاريخي⁽⁹¹⁾. الأوّل هو رائد المخيال السياسي للدولة القومية، كما وصفته باك-مورس، وهو يربط مستقبل الدولة مباشرةً بماضيها القريب. ولم يقطع قطعاً جذرياً مع المفاهيم المعروفة والجمادة لمستقبل النبوءة، على ما يفترض الفكر الحدائي الحديث في كثير من الأحيان⁽⁹²⁾. أمّا الثاني، فقد أدخل عنصرين حداثيين نموذجيين، هما التسريع، أو السرعة التي يُعتدّ أنّ المستقبلات الجديدة تقترب بها، والمجهول الذي يكتنف المستقبل؛ أي انفتاحه على نتائج مختلفة جذرياً⁽⁹³⁾. وهذا لا يمهد للزمنية الشيوعية التي وصفها باك-مورس فحسب، بل يمهد أيضاً للشرط التاريخي للمخيلات الثورية وتأكيد مسؤوليّة الإنسان في تغيير الحقبة في عموم معناها. ويتجلّى هذا التغيير في ما يسمّيه كوزيليك "زمن السّرج"، أي الفترة الثورية 1750-1850، حين بلغت ذروتها "مفاهيم الحركة الحديثة" التي "أضفت طابعاً زمنياً" على التاريخ على نحو جذري غير مسبوق، "الثورة، والتقدّم، والتنمية، والأزمة، وروح العصر"⁽⁹⁴⁾.

غير أن وصف كوزيليك الرائد لظهور المستقبل المفتوح للحداثة، وكما سبق أن توقّعنا في الخطوة الثالثة، يحتاج إلى مراجعة تاريخية - إثنوغرافية نقدية؛ إذ تشوب التسلسل النسبي الذي يطرحه كوزيليك للمستقبلات الحديثة عدّة معاييب. أولاً، قد يكون حدّد تحولات سياسية مهمّة في إنتاج النزعة المستقبلية الحديثة وظهور المستقبل المفتوح، لكنّه أهمل الثقافة الرأسمالية الناشئة، وخاصّة ما أسماه والتر بنيامين "الزمن الفارغ المتجانس"⁽⁹⁵⁾ الذي نربطه بحساب قيمة التبادل وتكميم وقت

(89) Rist, pp. 36-37.

(90) Koselleck, p. 17. (التشديد مُضاف)

(91) Ibid., p. 18.

(92) Ibid., pp. 21-22.

(93) Ibid., p. 22.

(94) Ibid., p. 236.

(95) أُنقش هذا "المستقبل الفارغ" في الخطوة الخامسة.

العمل والسلع⁽⁹⁶⁾. ثانيًا، تمنح رواية كوزيليك المواقع الأوروبية امتيازًا. فإذا كان كريستوفر كولومبوس قد صوّر رحلاته بالفعل على أنها "تسريع لنهاية العالم الموعودة"⁽⁹⁷⁾، فإن الصراعات الأوروبية حول النبوءة والتنبؤ والتقدم التبت منذ البداية بالعلاقات البحرية والتجارية العالمية. ويمكن تفسير سلام وستفاليا بأنه انزياح لميزان القوى العالمي من الإمبراطوريات الإيبيرية إلى إمبراطوريات شمال أوروبا، وتحويل التفاوض على تحديد مستقبل الدين وعقلانية التجارة (في آسيا، والشرق الأوسط العثماني، وأفريقيا) إلى تفاوض حول عبودية المزارع وشرعية الاستيطان (في أفريقيا والأميركتين).

ولئن كان كوزيليك يُقرّ بهذا البعد الكوني، حيث يجادل بأن التجربة الزمنية لـ "معاصرة غير المعاصر" قد تولدت إلى حد بعيد عن الانفتاح الجغرافي للكرة الأرضية⁽⁹⁸⁾، فيبدو كأنه ينفي هذا التحقيب مرة أخرى حين يجادل، في فصل آخر مخصص لقرن الوفرة Cornucopia في كتابه مستقبلات الماضي، بأن هذه كانت تجربة كونية معروفة أيضًا عند اليونان وأوغسطين Augustine⁽⁹⁹⁾. ويهمل مناقشة أن تصنيف الآخر غير المعاصر كان دائمًا، ابتداء من مفهوم الهمجية اليوناني على الأقل، مرورًا بالتأملات الإسبانية حول الأتراك والهنود الكفار والرق، وصولًا إلى قاعدة الاختلاف المعتمدة في الإمبراطوريات (ما بعد) الاستعمارية، متورطًا بصورة وثيقة في إنشاء السبادات الإمبراطورية⁽¹⁰⁰⁾.

قد يتجسد التوازن الذي يجب أن تحقّقه أنثروبولوجيا تاريخية وإثنوغرافيا للمستقبل المفتوح، بين أبعاده الهيمنية، وأبعاده المهمشة، وأبعاده العنيفة، على نحو أفضل، من خلال مثال مختلف لصنع المستقبل الحديث. فقد طرح كتاب ج. هيكتور سان جون دي كريفكور J. Hector St. John de Crèvecoeur رسائل من مزارع أميركي *Letters from an American Farmer* الصادر عام 1782 - وهو الكتاب الذي ساهم، وفقًا لسيمون شاما، في إنتاج "المستقبل الأميركي" - السؤال التالي: "ما الأميركي؟" وفي محاولته للإجابة عن هذا السؤال، صوّر كريفكور العالم الجديد⁽¹⁰¹⁾ باعتباره ملجأ لعشاق الحرية المدنية والدينية المضطهدين، وأعلن أن "الكوخ الخشبي والمزرعة المنزلية" هما "الخلايا الاجتماعية للديمقراطية"، القادرة على تحرير البشرية جمعاء "من ضرورة الخضوع للأرستقراطيين ورجال الدين"، و"تحقيق إمكاناتها الحقيقي اللامحدود"⁽¹⁰²⁾. وقد أحدث المخيال السياسي للحرية المستقبلية، كما بيّن شاما، هجرة جماعية إلى الولايات المتحدة الجديدة

(96) Walter Benjamin, "Über den Begriff der Geschichte," in: Walter Benjamin, *Illuminationen* (Frankfurt: Suhrkamp Verlag, 1977), p. 258.

(97) Koselleck, p. 182.

(98) Ibid., p. 238.

(99) Ibid., pp. 95, 238.

(100) Partha Chatterjee, *The Black Hole of Empire: History of a Global Practice of Power* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2012); Fabian, *Time and the Other*; Anthony Pagden, *The Fall of Natural Man: The American Indian and the Origins of Comparative Ethnology* (Cambridge: Cambridge University Press, 1982); Ann Laura Stoler, "On Degrees of Imperial Sovereignty," *Public Culture*, vol. 18, no. 1 (2006), pp. 125-146.

(101) تمامًا كما فعل توماس باين Thomas Paine في كتابه الفطرة السليمة *Common Sense* الصادر عام 1776.

(102) Schama, pp. 222-223.

خلال الفترة الثورية وبعدها، كما كان شاهداً على الإرث الأوروبي للعنف السيادي (التصنيفي) تجاه المواطنين والرعايا، الذي تسبب في هذه الهجرة (من "الأرستقراطيين ورجال الدين"). لكن قد يكون أهم من ذلك، أنه يذكرنا بما جعل مستقبل الحرية هذا ممكناً على نطاق كوني: الإخلاء العنيف للحدود الأميركية من السكان الأصليين. فلنكني يفتح مستقبل ما، قد يكون من الضروري أن يُحدَّ مستقبل آخر، أو يُفَرَّغ، أو يُغلق.

الخطوة الخامسة: تحليل المستقبلات الفارغة

يتجاهل تاريخ كوزيليك المفهومي، إلى حد بعيد، الكيفية التي حوّلت بها مادية الأجراس والساعات وجدول المصانع مستقبلات الناس في الممارسات الناشئة للرأسمالية. تتعقب باربرا آدم وكريس غروفر ظهور مستقبل "مُفَرَّغ" من الأجساد وسياقات الاستخدام بفعل التسليع وقيمة التبادل، وصولاً إلى رفع الحظر عن الرِّبَا في أواخر العصور الوسطى؛ الأمر الذي قيّد ملكية الله للمستقبل وأطلقه للتداول الحر⁽¹⁰³⁾. ففي مدن صناعة النسيج، تنازع التجّار والعمّال على وقت العمل وطول يومه، وتقسم الوقت بين الراحة والعمل. وقد جدّد برجوازيو العصور الوسطى قرع أجراس الكنائس والأسواق والبلديات، بقرع أجراس تتحكّم في يوم العمل: فقد قرعوا "وقتاً عادياً منتظماً" يختلف عن قرع أجراس الكنائس والأسواق في أوقات متقطّعة وعرضيّة "مرتبطة بالأحداث"⁽¹⁰⁴⁾.

هكذا، شمل مفهوم "الوقت المتجانس الفارغ" في النظام الرأسمالي أحداث العمل في بيئات مهمات محدّدة، وعزّز تطوّر الساعة الميكانيكية، فضلاً عن تصوّر الإنسي بأنّ الوقت مسؤوليّة بشرية وأنّه قابل "للإهدار"⁽¹⁰⁵⁾. ولم يكن الفصل الحاسم بين المصائر تقنيّاً بل اجتماعيّاً؛ فقد استخدم ربّ العمل معياره الزمني الخاصّ ليتأكّد من أنّ عمّاله الأجراء لا يضيعون وقته: "لم يعد العمل هو المهمّ، بل قيمة الوقت عندما تُختزَل إلى نقود. لقد صار الوقت عُملّة، بحيث لم يعد يمرّ، بل يُنقَق"⁽¹⁰⁶⁾، ومن ثمّ، فإنّ إنفاق الوقت كان يعني أنّ مستقبل العامل (بوصفه وسيلة إنتاج) أضحى خاضعاً لمقياس خارجي ومجرّد. وقد أدّت الحياة المادية للساعات التي تحسب الوقت، والرزنامات الأسبوعية، والساعات اليدوية دوراً حاسماً في الصراع بين العمّال ومشغليهم بشأن الانضباط في العمل⁽¹⁰⁷⁾. وبحلول الوقت الذي كانت فيه الأخلاق البروتستانتية تحثّ الجميع، على حدّ تعبير جون ويزلي John Wesley، على "تخليص كلّ لحظة عابرة من أيدي الخطيئة والشیطان"، وكان بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin

(103) Adam & Groves, p. 10.

(104) Jacques Le Goff, *Time, Work and Culture in the Middle Ages* (Chicago: University of Chicago Press, 1980), p. 48. (التشديد في الأصل)

(105) Le Goff, p. 51; Tim Ingold, "The Temporality of the Landscape," *World Archaeology*, vol. 25, no. 2 (1993), pp. 152-174; Benjamin, p. 258.

(106) E. P. Thompson, "Time, Work-Discipline, and Industrial Capitalism," *Past and Present*, no. 38 (1967), p. 61.

(107) Ibid., pp. 67-70.

يجادل بأن "من يبدّر وقته هو، في الواقع، يبدّر المال"⁽¹⁰⁸⁾، كان من الواضح أنّ هذا التوفير في الوقت قد ترسّخ في أذهان الكثيرين.

أعيد إنتاج شكايى مركنتيلي القرن الثامن عشر بشأن "خمول" العمّال أو موقفهم "الطفولي" غير المُبصر للمستقبل، في المواقف الغربية في القرن العشرين تجاه شعوب البلدان النامية⁽¹⁰⁹⁾. وكان التباين بين وقت العمل ووقت الساعة، على سبيل المثال، أساسياً في إصلاح نظام العمل في مومباسا الاستعمارية⁽¹¹⁰⁾. ويظهر ذلك أنّ ما أسماه كارل ماركس الإدراج "الشكلي" و"الفعلي" للعمل في حساب وقت العمل قد حدث عالمياً، لكن بمعدلات وإيقاعات مختلفة. فقد كانت زيادة فائض القيمة النسبية، التي رأى ماركس أنّها تحدث عن طريق التكثيف الميكانيكي للعمل في المصانع، مختلفة نوعياً عن الإدراج الفعلي للعمل في إنتاج خطّ التجميع الفوردي، الذي صوّره شارلي شابلن Charlie Chaplin على نحو لا يُنسى في فيلم "الأزمة الحديثة" Modern Times⁽¹¹¹⁾.

وبمصطلحاتٍ إثنوغرافية أحدث، فإنّ وصف مونيكهاينتر لاستحالة التوفير النيوليبرالي للوقت في المشهد الحضري في رومانيا، حيث تتعايش عادات العمل الريفية والموسمية مع إرث الاعتماد على أشكال الانضباط السوفياتي، يُظهر أنّ الإدراج الشكلي والفعلي للعمل في إطار تحصيل حاصل حساب قيمة تبادل لا يحدث بطريقة خطيّة وتقدمية، ولا ينتشر بالتساوي في جميع أنحاء العالم⁽¹¹²⁾. ومن ثمّ، فإنّ الزعم بحصول "تحوّل في البردايم العالمي" في ستينيات القرن العشرين، تميّز بمقاومة عالمية قيمة التبادل وأدّى إلى قطع استمرارية "نمط الانضباط الأحادي" للصناعتين الأمريكية والسوفياتية في خمسينيات القرن العشرين، إنّما يعيد إنتاج أخطاء العولمة ومغالطاتها وتلفيقاتها ونزعها المستقبلية، بحيث قد يكون نتاج رغبة تحنّ إلى "زمن ثورة" أكثر من أن يكون نتاج تحقيق تاريخي أو إثنوغرافي⁽¹¹³⁾.

مع ذلك، تظلّ هيمنة الإطناب في الحساب والكمّ، التي يراها مايكل هارت وأنطونيو نيجري سمة لحاضرنا، مهمّة لفهم كيف تحوّلت المستقبلات الفارغة منذ أن ابتكرتها أجراس العصور الوسطى. فقد استبدل علم الاقتصاد في أواخر القرن التاسع عشر توليد الثروة النوعي، الذي فضّله ديفيد ريكاردو David Ricardo وماركس، بـ "الفعل الخالي من المحتوى" للتبادل الكمّي بين البائع

(108) Ibid., pp. 88–89. (التشديد مُضاف)

(109) Ibid., pp. 91–92.

(110) Frederick Cooper, "Colonizing Time: Work Rhythms and Labour Conflict in Colonial Mombasa," in: Nicholas B. Dirks (ed.), *Colonialism and Culture* (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1992), pp. 209–245.

(111) ينظر: David Nye, *America's Assembly Line* (Cambridge, MA: MIT Press, 2013).

(112) Monica Heintz, "Time and the Work Ethic in Post-Socialist Romania," in: Wendy James & David Mills (eds.), *The Qualities of Time: Anthropological Approaches* (Oxford: Berg, 2005), pp. 171–186.

(113) Michael Hardt & Antonio Negri, *Empire* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2000), pp. 250–255; Antonio Negri, *Time for Revolution*, Matteo Mandarin (trans.) (London: Bloomsbury, 2005), pp. 27–29.

قارن بـ: Cooper, "Empire Multiplied," pp. 252–253; Tsing, pp. 233–238.

والمشتري⁽¹¹⁴⁾. وقد قامت الثورة الاحتمالية في الاقتصاد الكلي بين الحريين العالميتين، أولاً، بتحويل هذا الزمن الخالي من الصيغ الرياضية إلى أداة لحساب الاقتصاد الوطني (واختراعه)، ثم تحويله، من خلال توظيف منحني التوزيع الطبيعي، إلى ثورة في تداول العقود الآجلة في الربع الأخير من القرن العشرين، وذلك من خلال الادعاء أنه يتنبأ بدقة بتوازن السوق المثالي⁽¹¹⁵⁾. ويوضح بيل ماورر أن هذه التنبؤات ولدت بعض الإطباب في تأكيد المؤكد؛ فكلما فسّر النقديون Monetarists المناهضون للكينزية منحني التوزيع الطبيعي بوصفه أداة إحصائية تمثل الحقيقة الموضوعية لتوازن السوق، تضاءلت قيمته الأخلاقية والمعرفية⁽¹¹⁶⁾.

وتشير المناوشات الأكاديمية المتكررة بين المدرسة الكينزية والمذهب النقدي إلى أن تعميم هذا المستقبل الفارغ على العالم لم يكن مدفوعاً بمعايير الأدلة العلمية، بقدر ما كان مدفوعاً بإرادة إخضاع الاقتصادات الوطنية لنظام نقدي من خلال صراع طبقي عنيف، أولاً في تشيلي إبان حكم أوغستو بينوشيه Augusto Pinochet، ثم في بريطانيا في عهد مارغريت تاتشر Margaret Thatcher⁽¹¹⁷⁾، وإذا كان (ما أسماه التشيليون) "فتيان شيكاغو" Chicago Boys هم من وفروا المحتوى الفكري لهذه النزعة النقدانية، فإن هذا يفسر سبب الاعتقاد لاحقاً أن إصلاحات مالية نيوليبرالية، كذلك التي حدثت في اليابان، قادرة على تعويض "تخلّفها" عن الولايات المتحدة من خلال تبني الإيمان بتوازن السوق المستقبلي⁽¹¹⁸⁾. ويبدو أن التركيز الأخلاقي على جشع التمويل المعاصر يتجاهل كيف شكّلت هذه التقنيات المادية للتجريد الإحصائي - والنسيان التاريخي لما تتضمن من قيم استخدامية - رأسمالية الكازينوهات الحالية⁽¹¹⁹⁾.

يبدو أننا في حاجة ماسة إلى تاريخ إثنوغرافي لمختلف مظاهر المستقبل الفارغ، بدءاً من أجراس العصور الوسطى، مروراً بالمصانع وخطوط التجميع، وصولاً إلى تقنيات توازن السوق في الوقت الحاضر. وسيستلزم هذا التاريخ تباعاً لتاريخ إسهام الخيال الإحصائي في صعود التأمين، من التجارة البحرية العالمية على سبيل المثال، أو حساب الأصول الاستعمارية، والظهور العالمي للاقتصاد

(114) Timothy Mitchell, *Rule of Experts: Egypt, Techno-Politics, Modernity* (Berkeley: University of California Press, 2002), p. 94.

(115) Bill Maurer, "Repressed Futures: Financial Derivatives' Theological Unconscious," *Economy and Society*, vol. 31, no. 1 (2002), pp. 15-36; Timothy Mitchell, "Economentality: How the Future Entered Government," *Critical Inquiry*, vol. 40 (2014), pp. 479-507.

(116) Maurer, pp. 24-29.

(117) Robert Evans, "Soothsaying or Science? Falsification, Uncertainty and Social Change in Macroeconomic Modelling," *Social Studies of Science*, vol. 27, no. 3 (1997), pp. 395-438; Fourcade-Gourinchas & Babb.

(118) Hirokazu Miyazaki, *Arbitraging Japan: Dreams of Capitalism at the End of Finance* (Berkeley: University of California Press, 2013), pp. 87-88.

بخصوص العمليّات المماثلة في فرنسا والمكسيك، ينظر: Fourcade-Gourinchas & Babb.

(119) قارن بين المرجعين التاليين: Maure; Appadurai, *The Future as Cultural Fact*, pp. 233-252.

الوطني في ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته، بفعل تأثير انهيار الإمبراطوريات والكساد الكبير⁽¹²⁰⁾. وسيوفر هذا التاريخ إجابات أفضل عن سؤال إن كانت مضاربات البورصة، والاستثمار في الشركات الناشئة، والمخططات الهرمية، واليانصيب، وتصفية أرصدة الفقراء، تشير بالفعل إلى وضع أصبحت فيه المستقبلات الفارغة المكتملة مستقلة على نحو متزايد عن الاقتصاد في الوقت في أوائل العصر الحديث، وحساب الأصول التجارية، والانضباط في العمل، والأهم من ذلك كثيرًا، الكيفية التي استبعدت بها هذه التكميمات الفارغة جميع أشكال العمل غير الرسمي والخدمي القائم على الميز الجندري، والتي كانت أساسية لعيش أنماط حياتنا.

الخطوة السادسة: نقد دكتاتورية ما لم يحدث بعد

من المفارقة أن الأزمة الحديثة، التي تبدو ملتزمة بمستقبلات مفتوحة وفارغة، تُظهر أحيانًا إدمانًا ثقافيًا طاعيًا على اليقين بشأن أحداث لم تقع بعد، وهو ضرب من النزعة الوضعية المستقبلية. يقول كوزيليك إن الحادثة تولد مقولة متميزة من المثل: وهي ليست مفاهيم عن المستقبل - فهذه توجد في سياقات غير حديثة أيضًا - بل تصورات أو مبادئ استباقية، تلتقط الحركة نحو حالة مستقبلية بطريقة غير مسبوقة، من خلال مصطلحات مثل الثورة والتقدم والأزمة والتنمية⁽¹²¹⁾. وعلى الرغم من أنها كثيرًا ما تكون غير منفصلة عن الخطاب العقلاني، فإنه من الأدق وصفها بأنها عقلانية طموحة؛ وهي سمة تبرز بخاصة عندما ندرك أن كلاً من نبوءة نهاية العالم المسيحية وتوازن السوق المثالي في الاقتصاد الكلي - وهما حدثان معاصران مهمان لم يتحققا بعد - يُحقران الحاضر بجعله مؤقتًا⁽¹²²⁾.

ويبدو أن الشعار المزدوج للسلسلة التلفزيونية الشهيرة "الملفات الغامضة" The X-Files - "لا تثق بأحد" و"الحقيقة في مكان آخر" - يعبر بالفعل عن مأزق مزدوج معاصر واسع الانتشار، يجمع بين الشك في الحاضر واليقين التام تجاه المستقبل، على نحو قد لا يوحي به انتماءه إلى الخيال العلمي المحض⁽¹²³⁾. ففي خطاب التنمية أيضًا، يحط "المستقبل الإيجابي" من قيمة الحاضر محوّلًا إيّاه إلى شيء يحتاج إلى أن يُعمل عليه: "حاضر ناقص"⁽¹²⁴⁾.

لا يثير الوعي بالدكتاتورية الثقافية لما لم يحدث بعد تساؤلات عن عقلانيته فحسب، بل يطرح أيضًا أسئلة عن مقاييسه وإيقاعاته الزمنية، ومدى قدرتنا على إدراكها بوعي. فعقلانية التأمين، على سبيل المثال، تزداد تعقيدًا نظرًا إلى أن الأحداث المستقبلية التي نؤمن أنفسنا ضدها ليست أحداثًا قائمة

(120) Michel Foucault, "Governmentality," in: Graham Burchell, Colin Gordon & Peter Miller (eds.), *The Foucault Effect* (Chicago: University of Chicago Press, 1991), p. 91; Mitchell, *Rule of Experts*, pp. 5-6, 83, 100; Mitchell, "Economentality."

(121) Koselleck, pp. 236, 252.

(122) Crapanzano, pp. 423-424.

(123) ينظر: Stewart & Harding, p. 294.

(124) David Mosse, *Cultivating Development: An Ethnography of Aid Policy and Practice* (London: Pluto, 2004), p. 640.

بذاتها، بل احتمالات و"حقائق موضوعية" لا تتشكّل إلا من خلال إخضاع أنفسنا لتقنيات التجميع الإحصائي⁽¹²⁵⁾. ومن ثم، يدمج هذا الخضوع لمستقبل محتمل (مفتوح) مع مستقبل استثمار فارغ (أي القسط المدفوع لشركة التأمين) لحماية الفرد من حدثٍ مؤسفٍ فعلي، ولكن غالبًا ما يكون ذلك على حساب تناقضات تظهر لاحقًا بين الضرر الذي يعيشه الضحية والتعويض الذي تدفعه شركة التأمين⁽¹²⁶⁾. ويرى أولريش بيك أنّ هذه التناقضات الزمنية تشير إلى فشل الباحثين والمهندسين في جعل العقلانية متاحة للجميع على نحو ديمقراطي⁽¹²⁷⁾. أمّا بالنسبة إلى أرجون أبادوراي، فإنّ تطبيق "أخلاقيات الاحتمال"، المدعومة بتقنية الإحصاء، قد يعني تهميشًا عامًّا للفقراء⁽¹²⁸⁾. وتُظهر دراسة إثنوغرافية حديثة، حول توسيع نطاق التأمين ليشمل فقراء جنوب أفريقيا، الكيفية التي تتحوّل بها هذه العقلانيات الرسمية إلى استغلالٍ خفيٍّ تمارسه شركات التأمين⁽¹²⁹⁾.

وتتأثّر عقلانية توقّع المستقبل أيضًا باختلاف معدلات ما لم يحدث بعد وإيقاعاته، سواء كان مقبلاً على الفور، أو متوقّعًا وقابلًا للحساب، أو متوقّعًا لكنّه قابل للتأجيل إلى أمد غير معلوم⁽¹³⁰⁾. وغالبًا ما تحثنا الأزمنة الحديثة على التحرك بسرعة لتجنّب أن نتخلف مستقبلًا عن الركب. لكنّ الادّعاء بأنّ التسريع يمثل تغييرًا تاريخيًا في الإيقاع، وأنّ تجاهله قد تترتب عليه مخاطر، ربّما قد يكون تكرّر مرارًا منذ عام 1648 على الأقل⁽¹³¹⁾، فإذا كان كولومبوس رأى رحلاته "تسريعًا لنهاية العالم الموعودة"⁽¹³²⁾، فعلينا أن نتساءل بحقّ عن مدى قدرة التسريع أو انضغاط الزمان والمكان على إتاحة تقييم عقلاني جديد لما قد يأتي به المستقبل. فمفهوم التطلّع يستدعي، على الأقلّ، دراسة كيفية تعامل مخيال الناس مع الحدود الفاصلة بين الرغبات غير الواعية⁽¹³³⁾ والتطلّع الواعي والعقلاني⁽¹³⁴⁾. فالسلوك الاستهلاكي، حتّى حين يكون موجّهًا إلى الإشباع الفوري لرغبات (مستقبلية)، فإنّ المنطق الكامن وراءه موجّه بأشكال مختلفة من تصوّر المستقبل: فقد يكون التسوّق محكومًا بمنطق تضحية يحفظ مستقبل الأسرة، أو برغبة في التميّز من خلال المظهر، ولكن

(125) François Ewald, "Insurance and Risk," in: Burchell, Gordon & Miller (eds.), pp. 201–203.

(126) Ibid., p. 205.

(127) Beck, p. 59.

(128) Appadurai, *The Future as Cultural Fact*, p. 295.

(129) Erik Bähre, "The Janus Face of Insurance in South Africa: From Costs to Risk, from Networks to Bureaucracies," *Africa*, vol. 82, no. 1 (2012), pp. 150–168.

(130) Crapanzano; Guyer.

(131) Koselleck, pp. 22, 235.

ينظر الادّعاءات التي سردها ستيفان كيرن وهيلغا نوفوتني، والنظرة العامة التي قدّمها روزا وشويرمان:

Kern; Nowotny; Hartmut Rosa & William E. Scheuerman (eds.), *High-Speed Society: Social Acceleration, Power, and Modernity* (Philadelphia: Penn State University Press, 2009).

(132) Koselleck, p. 182.

(133) "الرغبات والاختيارات الاستهلاكية". ينظر: Appadurai, "The Capacity to Aspire," p. 68.

(134) Appadurai, *The Future as Cultural Fact*, p. 286.

أيضاً بمنطق الإحسان (أو منطق تقديم الهدايا) للمشتريين الذين يتحملون مسؤولية مستقبل العمّال في مرحلة مبكرة من سلسلة تسويق السلع⁽¹³⁵⁾.

يُظهر مفهوم نهاية العالم المسيحي المعاصر كيف أنّ حدثه، الذي لم يقع بعد، قد أحدث شرخاً في مجال التصورات العلمانية والعقلانية للمستقبل. وتُجسّد لغة الأصولية المسيحية التجاوز، من خلال الاستباق الكتابي؛ فيما أنّ النهاية المستقبلية قد تحقّقت في النبوءات، فإنّ معنى الحياة اليومية وقيمتها يتحدّدان بمدى استشراف الحاضر بوساطة الرموز الكتابية. وقد تقلّل هذه الرموز من قيمة التنازلات اليومية عن النقاء المسيحي، أو تعيد تقييم ما قد يبدو خطيئة ليصبح تحقيقاً للنبوءات⁽¹³⁶⁾. فسيارة جيري فالويل، على سبيل المثال، قد تثير استياء غير المؤمنين بسبب قصّة استيلائه على حبيبة شقيقه، لكن التشابه الرمزي بين هذه القصة وقصة يعقوب الذي خدع أخاه عيسو وسلبه حقّ البكورية، بخداعه والده إسحاق، يتيح للمؤمنين تفسير خطيئة فالويل، بوصفها علامة على اختياره من الله⁽¹³⁷⁾. وتبيّن سوزان هاردينغ براءة كيف أنّ إعادة ابتكار مفهوم النبوءة، منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين، قد حطّمت العلمانية السائدة في المجال العامّ الأمريكي، والتي كانت مهيمنة منذ محاكمة سكوبس Scopes عام 1925، وأخرجت "الأغلبية الأخلاقية" من عزلتها السياسية⁽¹³⁸⁾. غير أنّ ما كسر هيمنة التصورات العلمانية لمستقبل التحديث لم يقتصر على استعادة تقليد مسيحي ذي طابع أخروي؛ فقد امتدّت الأنماط الخطائية لـ "نداء الإنذار" Call to Alarm إلى أشكال تكنولوجية وساخرة من تصوّر نهاية العالم، على الأقلّ في الولايات المتحدة؛ ما أدى، من بين أمور أخرى، إلى نشر المأزق المزدوج المتمثّل في الشكّ واليقين الذي سبق ذكره⁽¹³⁹⁾.

ولا يجسّد هذا التفتّت في الحاضر الذي يسبّبه "الحدث الذي لم يقع بعد" بالضرورة مثلاً على ما بعد الحداثة، فقد حدثت تراجعات سابقة للوثوق العقلاني في الخيال العلمي الغربي؛ وهو مصدر لدراسة المستقبل الحديث أهمله الأنثروبولوجيون حتّى وقت قريب⁽¹⁴⁰⁾. فالدفاع عن الخيال العلمي، باعتباره آخر معاقل حرية التعبير⁽¹⁴¹⁾ أو بوصفه آخر موطن للطوبى في عالم

(135) Daniel Miller, *A Theory of Shopping* (Cambridge: Polity, 1998); Robert J. Foster, "Commodity Futures: Labour, Love and Value," *Anthropology Today*, vol. 21, no. 4 (2005), p. 12.

(136) Crapanzano, p. 424; James Faubion, *The Shadows and Lights of Waco: Millennialism Today* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2001).

(137) Susan Harding, *The Book of Jerry Falwell: Fundamentalist Language and Politics* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000), pp. 27–28, 86–87.

(138) Ibid., pp. 61–81.

(139) Stewart & Harding, pp. 290, 294.

(140) Debbora Battaglia (ed.), *E.T. Culture: Anthropology in Outerspaces* (Durham, NC: Duke University Press, 2005); Peter Pels, "Amazing Stories: How Science Fiction Sacralizes the Secular," in: Jeremy Stolow (ed.), *Deus in Machina: Religion, Technology, and the Things in Between* (New York: Fordham University Press, 2013), pp. 213–238; Rosenberg & Harding.

(141) Theodore Sturgeon.

نقلًا عن:

Isaac Asimov, *In Memory Yet Green: The Autobiography of Isaac Asimov, 1920–1954* (New York: Doubleday, 1979), p. 650.

تجاري⁽¹⁴²⁾، يستحضر الدفاعات الفلسفية عن المجال العام باعتباره ملاذًا للحجج العقلانية⁽¹⁴³⁾. وهذا يحجب حقيقة أن أولئك العقلانيين الذين سخروا من راصدي الأطباق الطائرة في أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته (مثل إسحاق أسيموف Isaac Asimov وآرثر كلارك Arthur Clarke) كانوا يمارسون ويكتبون عن القوى النفسية والدين في الدوائر العملية نفسها، التي يجسدها محررو مجلتي *Amazing Stories* و *Astounding Science-Fiction*، الذين روجوا لـ "الديانة" Dianetics (التي كانت رائدة للكنيسة العلمية Scientology) ولعلم الأجسام الطائرة المجهولة Ufology المستوحى من الحكمة الإلهية (الثيوصوفيا)⁽¹⁴⁴⁾.

من ثم، قد لا يكون تفتت المجال العام في ما بعد الحداثة جديدًا، بل قد يشير إلى تحوّل في التسلسل الهرمي الثقافي بين أشكال المستقبل. فالتطلّعات التكنولوجية الخلاصية أو النفسية التي زرعها الخيال العلمي الغربي، بين ثلاثينيات القرن العشرين وسبعينياته، مدفوعة بنزعة استهلاكية "منخفضة"، من المجلات والروايات الخيالية الرخيصة وأفلام الدرجة الثانية، غدت موضوعة الاستهلاك السائدة، شأنها شأن عناصر أخرى من الثقافة المضادة في السبعينيات⁽¹⁴⁵⁾. مع ذلك، فإنّ التداخل بين الخيال العلمي والحياة اليومية، مثل ما لاحظته كاثلين ستيوارت وهاردينغ في تناولهما نهاية العالم المسيحية ونهاية العالم التكنولوجية، يعود إلى سنوات أسبق، ويتّضح ذلك من التشابه اللافت بين تصوّرات الخيال العلمي للمدينة البائسة في الإعلانات المستقبلية⁽¹⁴⁶⁾ والترويج الفعلي لرحلات السفر إلى الفضاء في الستينيات⁽¹⁴⁷⁾، أو "ملامح المستقبل" التي رسمها نبيّ الخيال العلمي آرثر سي كلارك⁽¹⁴⁸⁾.

(142) Fredric Jameson, *Archaeologies of the Future: The Desire Called Utopia and Other Science Fictions* (London: Verso, 2005).

(143) Jürgen Habermas, *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*, Thomas Burger (trans.) (Cambridge: Polity, 1989).

(144) Pels, "Amazing Stories"; Christopher Roth, "Ufology as Anthropology: Race, Extraterrestrials and the Occult," in: Battaglia (ed.), pp. 38–94.

(145) Thomas C. Frank, *The Conquest of Cool: Business Culture, Counterculture, and the Rise of Hip Consumerism* (Chicago: University of Chicago Press, 1997).

(146) Frederik Pohl & C. M. Kornbluth, *The Space Merchants* (New York: Ballantine, 1953); John Brunner, *Stand on Zanzibar* (London: Millennium, 1999 [1968]).

(147) Michael Smith, "Selling the Moon," in: Richard W. Fox & T. J. Jackson Lears (eds.), *The Culture of Consumption: Critical Essays in American History, 1880–1980* (New York: Pantheon, 1990 [1983]), pp. 175–210.

(148) Arthur C. Clarke, *Profiles of the Future* (London: Pan, 1962).

وهي تبدو - إن جاز التعبير - أكثر واقعية اليوم مقارنةً بنظيراتها ما بعد الحداثة؛ إذ إنّ الانتقال من الخيال العلمي من طراز السايبرنك Cyberpunk إلى مجال اختراق الحواسيب في حقبتَي الثمانينيات والتسعينيات، أو التفرد Singularity عند راي كورزويل، تستند جميعها إلى مفهوم للمعلومات مجرّد تمامًا من الطابع المادي. ينظر:

Ray Kurzweil, *The Singularity Is Near: When Humans Transcend Biology* (Harmondsworth: Penguin, 2005); Mark Pesce, "Magic Mirror: The Novel as Software Development Environment" (1999); Mark Pesce, "True Magic," in: James Frenkel (ed.), *True Names and the Opening of the Cyberspace Frontier* (New York: Tom Doherty, 2001), pp. 221–238.

وإذا كانت هذه التجمّعات الثقافية، التي تضمّ التنبؤات بنهاية العالم ونظريات المؤامرة والتكنولوجيا وحركة العصر الجديد، تثير الشكوك في عقلانية التطلّعات، فإنّ الاقتصاد السياسي لـ "الحدث الذي لم يقع بعد" في أجزاء أخرى من العالم قد يجعلنا أكثر حذرًا تجاه تداعياته الفعلية. فقد كان مفهوم "ما لم يقع بعد" أو "ما لم يكتمل بعد" في الزمن الخطّي والحَقَبِي، بالطبع، عنصرًا أساسيًا في الثقافة الاستعمارية الحديثة وخطاباتها التنموية⁽¹⁴⁹⁾. وهذا يذكرنا بحقيقة أنّه، خلال فترة طويلة، وبالنسبة إلى قسم كبير من البشرية، كان المستقبل يأتي من مكان آخر، متجسّدًا في أطراف أكثر قوّة تدّعي أنّها قد وصلت إليه بالفعل. وهذا يعني أنّه يمكن تحويل مفاهيم القومية، والديمقراطية، والثورة، والتنمية، والسوق الحرّة، إلى تصوّرات مستقبلية تعلن دكتاتورية "ما لم يقع بعد"، وتحكم على أولئك الذين فشلوا في الوصول إليه بالمواطنة السلبية، أو العجز السياسي، أو التخلف؛ أي بعبارة أخرى، بالعطالة والزوال.

تستبعد هذه التصورات الاستباقية معرفةً بالمستقبل، وهي معرفة تكون في السياسة العالمية، موزّعة توزيعًا غير متساوٍ. ولطالما أظهرت الدراسات الأنثروبولوجية النقدية للتنمية أنّ التجسّد المادي لأيّ تطلّع، قد يختلف تمامًا عن المستقبل الذي يدّعي مفهوم الاستباق تحقيقه⁽¹⁵⁰⁾. والواقع أنّ تصنيف وضع ما بأنّه "أزمة" يفترض مسبقًا مثل هذه التصوّرات الاستباقية، ومن ثمّ تصنيف من يجيزون ذلك بوصفهم فاعلين قادرين، ومن يعيشونها بأنّهم مرضى. ففي أفريقيا على الأقلّ، كان افتراض أنّ الأزمات كانت مؤقتة، هو ما أدّى بصورة متناقضة إلى ظهور تسلسلات هرميّة اجتماعية دائمة، تجلّت في تزايد بعثات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، ومنظّمات الإغاثة غير الحكومية، ومخيّمات اللاجئين⁽¹⁵¹⁾. وقد يكون ذلك دافعًا للاعتراف بقدرة الناس الذين تقتصر إمكانياتهم على التطلّع إلى مستقبل أفضل، وربما تعزيز هذه القدرة⁽¹⁵²⁾. غير أنّ الدراسات السابقة حول الترويج الاستعماري لقدرة الأفارقة على التطلّع أظهرت أنّ هذه المبادئ الاستباقية حوّلت واقعهم المعيشي إلى أزمة، ومنحتهم وعيًا بالنقص، عمّق حالة التبعية عندهم، بدلًا من التخفيف منها⁽¹⁵³⁾. وتصف السرديات الإثنوغرافية الكيفية التي تستغلّ بها شركة مونسانتو Monsanto الآفاق الوهمية التي تُحدّثها القروض الماليّة الصغيرة، لإجبار المزارعين الفقراء على تسديد ديونهم عبر عقود موقّعة مع بنك غرامين Grameen، وما يترتّب على ذلك من مخاطر تتمثّل في تحويل تطلّعات الفقراء إلى ما يوصف بأنّه "حدود ثقافية أخرى للتراكم الرأسمالي"⁽¹⁵⁴⁾.

(149) Homi K. Bhabha, *The Location of Culture* (London: Routledge, 1994), p. 92; Dipesh Chakrabarty, *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000), p. 8.

(150) James Ferguson, *The Anti-Politics Machine* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1994).

(151) Janet Roitman, *Anti-Crisis* (Durham, NC: Duke University Press, 2014) ينظر:

(152) Appadurai, "The Capacity to Aspire."

(153) Ferguson, *Expectations of Modernity*.

(154) Julia Elyachar, "Empowerment Money: The World Bank, Non-Governmental Organizations, and the Value of Culture in Egypt," *Public Culture*, vol. 14, no. 3 (2002), pp. 498, 511.

الخطوة السابعة: تأكيد تعدد الأزمنة

يتبين من خلال ما سبق أنّ إنكار التزامن Denial of Coevalness، الذي وصفه يوهانس فايان بأنه داءٌ يصيب الأنثروبولوجيا الاستعمارية الكلاسيكية⁽¹⁵⁵⁾، يحمل أعراساً أكثر تعقيداً مما يُعتقد، وأنها لم تعالج حتى الآن على نحو كافٍ. بل إنّ الصورة النمطية عن الآخرين المتشبتين بالتقليد تقابلها ادعاءات بأنّ التجربة المعاصرة لعدم التزامن، أو، بصورة أعمّ، تجربة التنافر الزمني، هي تجربة خاصة بالحدث⁽¹⁵⁶⁾. وقد جادلتُ في الخطوة الرابعة بأنّ كوزيليك متناقض بشأن هذا الادعاء: فهو يقرّ بأنّ بعض أناس ما قبل الحدث - ومنهم اليونان وأوغسطين - قد اختبروا، على الأقلّ، "معاصرة ما ليس معاصراً" بالتزامن مع إدراكهم عدم إمكانية عكس الزمن وتكراره⁽¹⁵⁷⁾.

وقد أكّدت دراسات إثنوغرافية رائدة، تناولت تطلّعات الزاميين نحو الحدث أو آمال الفيحيين في التعويض عن الأراضي المفقودة، وجود هذه التنافرات في التجارب الزمنية المتعددة⁽¹⁵⁸⁾. ويعود تاريخ إعادة اكتشاف التعددية والتنافر الزمني إلى الفترة التي انتقدت فيها تصنيفات الأنثروبولوجيا الكلاسيكية لأشكال أخرى من حساب الزمن تجاهلتها الخبرات الكونية للاستمرارية الزمنية⁽¹⁵⁹⁾. وفي سياق التوسّع في هذا النقد للذات الأنثروبولوجية، استخدمت نانسي مون بفاعلية جهد موريس ميرلو-بونتي⁽¹⁶⁰⁾:

من جوهر الزمن أن يكون بصدد الحدث، وألا يكون أبداً؛ أي ألا يكون مكتمل التكوين فحسب. فالزمن المكوّن، أي سلسلة العلاقات الممكنة من حيث القبل والبعد، ليس هو الزمن نفسه، بل هو التسجيل النهائي للزمن، ونتاج انسيابه، وهو ما يظلّ التفكير الموضوعي يفترضه مسبقاً من دون أن يتمكن قطّ من الإمساك به⁽¹⁶¹⁾.

يُنتقد التفكير الموضوعي القائم على تصنيف كلّ للزمن هنا بطريقة مشابهة لنقد بيير بورديو للموضوعانية Objectivism. فعلى الرغم من الشكوك في ميول بورديو الحقيّة⁽¹⁶²⁾، فإنّ نقده المبكر والعميق يقترح أنّ المراقب الأنثروبولوجي، "في انشغاله بتفسير الممارسات، يميل إلى إدخال مبادئ علاقته بالموضوع في الموضوع نفسه"⁽¹⁶³⁾. لقد حاولتُ القول إنّ هذه العلاقة بالموضوع تضمنت

(155) Fabian, *Time and the Other*.

(156) Kern, pp. 38–45; Koselleck, chap. 1.

(157) Koselleck, pp. 94–95.

(158) Ferguson, *Expectations of Modernity*; Miyazaki, *The Method of Hope*.

(159) Maurice Bloch, "The Past and the Present in the Present," *Man (NS)* (1977), pp. 278–292; Fabian, *Time and the Other*, pp. 22–23; Gell.

(160) Maurice Merleau-Ponty, *Phenomenology of Perception* (London: Routledge & Kegan Paul, 1962), p. 111.

(161) Ibid., p. 415.

(162) Munn, p. 106; Miyazaki, *Arbitrating Japan*, p. 87.

(163) Pierre Bourdieu, *Outline of a Theory of Practice*, Richard Nice (trans.) (Cambridge: Cambridge University Press, 1977), p. 2. (أزيل التشديد الوارد في الأصل)

تناسياً بنويّاً للطريقة التي فسّرت بها التصنيفات الثقافية البدائية الأزمنة الحديثة، ولا سيّما مستقبلاتها المفتوحة والفارغة والتي لم تحدث بعد المواقف التي درستها زاعمةً أنّها أكثر تخلّفاً ممّا كانت عليه في الواقع⁽¹⁶⁴⁾. وإذا كان كتاب موجز نظرية في الممارسة لا يتناول هذا الإرث الاستعماري مباشرة - وهو ما سيقوم به رواد مثل إدوارد سعيد⁽¹⁶⁵⁾ وفابيان⁽¹⁶⁶⁾ - فإنّه قد اقترح مع ذلك طريقة للانقطاع عنه على نحوٍ لا رجعة فيه، من دون تبني نزعة مستقبلية حقيّة. فبالنسبة إلى بورديو، يعتمد الفهم الموضوعاني لعوالم الحياة على قطيعة مع المنظورات الأهلية عن طريق التصنيف والمقارنة و/أو الحساب. غير أنّ هذه القطيعة التدريجية مع وجهة نظر الآخر تظلّ غير موضوعية على نحوٍ كامل ما لم تُخضع لقطيعة ثانية، لا تخضع فيها "مبادئ علاقة [المراقب] بالموضوع" نفسها للنقد الانعكاسي⁽¹⁶⁷⁾.

وتعتمد هذه القطيعة المنهجية الثانية (من بين أمور أخرى) على وعيٍ بالتناقضات المتعددة الأزمنة: فهي تقرّ، في مثال بردايم الهبة عند بورديو، بتعايش "لا عكوسية" Irreversibility أفعال المانح مع "عكوسية" Reversibility المعاملة بالمثل التي يتوقّعها الجميع⁽¹⁶⁸⁾. وتأكيد التعددية الزمنية هذا، في موضع أنثروبولوجي كلاسيكي، يمكن ترجمته بسهولة إلى أشكال مستقبل حديث، ما إن نلاحظ أنّ هبة المعونة التنموية (مستقبل مفتوح) ترتبط دومًا بتدائن دائم لمتلقّيها (مستقبل فارغ)، أو أنّ هبة الخلاص الأخروي النبوية تواصل التنافس مع وعود الدولة العلمانية بالسلام والرفاه. أمّا النقطة الحاسمة بالنسبة إلى أنثروبولوجيا المستقبل، فيما يتعلّق بالقطيعة التي دعا إليها بورديو في موجز نظرية في الممارسة *Outline of a Theory of Practice*، فهي الإقرار بأنّ هذه القطيعة، من خلال تذكّر تعدّد أزمنة الحاضر، هي قطيعة إبستمولوجية ومنهجية، ومن ثمّ تتجنّب "إدخال" الخلط الضمني بين مبادئ المراقب الزمنية والمعارية في "موضوع دراسته".

يتضح هذا جليّاً، بالعودة إلى مسألة ماهيّة أنثروبولوجيا المستقبل: أهى في المقام الأول مشروعٌ مستقبلي (أنثروبولوجيا للقرن الحادي والعشرين)، أم أنّها معنيّة بالمستقبل باعتباره موضوعاً حاضراً للبحث الإثنوغرافي؟ أرى أنّ بورديو يميل إلى الجانب الثاني. مع ذلك، فقد كان المشتغل بأنثروبولوجيا المستقبل في أقدم استخدام للمصطلح، مرادفاً للمستقبلي؛ أي الشخص الذي يهدف في المقام الأوّل إلى تسهيل دخولنا إلى المستقبل من خلال تقنيات الاستباق⁽¹⁶⁹⁾. وفي حين تظلّ أولوية المستقبل الأخلاقية عند روجر ويسكوت ضمنية، فإنّ أنثروبولوجيا المستقبل عند أرجون أبادوراى تتبنّى صراحةً أولوية المستقبل الأخلاقية؛ فهو يريد التخفيف من معاناة "نحو

(164) يوحى هذا بأنّ أنثروبولوجيا الأزمنة الحديثة ستظلّ ناقصة ما لم تقترن بأنثروبولوجيا لأشكال الماضي الحديثة (مثل التقليد والتراث والصدمة). ومع ذلك، لا يسعني تناول هذا الموضوع في هذه الدراسة.

(165) Edward Said, *Orientalism* (Harmondsworth: Penguin, 1985 [1978]).

(166) Fabian, *Time and the Other*.

(167) Bourdieu, p. 3.

(168) Ibid., p. 5.

(169) Roger Wescott, "The Anthropology of the Future as an Academic Discipline," in: Magoroh Maruyama et al. (eds.), *Cultures of the Future* (Hague/ Chicago: Mouton; Aldine, 1978), pp. 509-528.

خمسین فی المئة من سکان العالم" الذین "یمثل لهم المستقبل أكبر صدمة عاطفية یمکن عیشها"، وذلك باستبدال "أخلاقیات الاحتمال" المدعومة بأشكال التنویر التکنوقراطية بـ "أخلاقیات الإمكان" التي تعمل وفق "مخطّط ديمقراطي" (170).

مع ذلك، فإنّ التعارض الذي یقیمه ویسکوت ضمناً بین ماضٍ أو حاضر خاطئ و بین مستقبلٍ إيجابي، والتعارض الصریح الذي یقیمه أبادوراي بین مستقبلٍ مفتوح مليء بالإمكانات ومستقبلٍ سيئٍ تُختزل فيه الاحتمالات إلى حساب فارغ لقیم التبادل، یعنی الخلط بین فروق معیاریة واختلافات زمنية، وهو ما يدفع إلى دقّ ناقوس الخطر في الأنثروبولوجيا. وقد یكون سعي أبادوراي إلى القطع مع أخلاقیات الاحتمال استمراراً لتقليد ثقافي حديث كان یتذبذب منذ تسعينيات القرن العشرين على الأقل، وربما قبل ظهور النيولبرالية، بین التدخل في حياة فقراء العالم من خلال رؤى مستقبلية طوباوية والتدخل المحسوب (وكلاهما من مصادر خارجية) (171). وقد لا یساعد التركيز الرائج مؤخراً على التخطيط (الديمقراطي) في الأنثروبولوجيا على حلّ المشكلة؛ إذ ينطوي على توجهٍ تسليعي نحو جديد قد یخفي اختلال موازين القوى التي تحدّد إنتاجه. ويرى أحد رواد أنثروبولوجيا التخطيط أنّ التخطيط یمثل مشكلةً للأنثروبولوجيا، وليس حلاً لها (172)؛ بينما يرى آخرون أنّ التخطيط مُوجّه نحو المستقبل، وأنّ البحث الأنثروبولوجي قد یوجّه نحو مسار مختلف (173). وبدلاً من ذلك، ينبغي لأنثروبولوجيا المستقبل أن تحذر الخلط بین الاختلافات الزمنية والمعیاریة والمعرفية التي قد تقترحها هذه التخطيطات تحت راية الجديد.

خاتمة

إنّ تحويل أنثروبولوجيا المستقبل من مشروع معیاري في المقام الأوّل إلى منهجية ارتباط بأشياء دراستنا یحقّق الدعوات السابقة (174) لدراسة تأثيرات المستقبل في الحاضر (175)، ويعوّض قرنین من الزمن اختلطت فیهما القطیعة الإبستمولوجية مع وجهات النظر الأهلية بقطیعة زمنية میزت المراقب من الناس المدروسین؛ ما ساعد على تبریر مستقبلات الاستعمار والتنمية. ولعلّ فطم أنفسنا عن الغرور التقليدي للقطیعة مع الماضي یتطلّب الخطوات الموضحة في هذه الدراسة. أولاً، الاعتراف بأنّ الثقافات الحديثة أدمت منذ فترة طويلة تصنیف الناس إلى جدّد وقدامی. ثانياً، الإقرار أنّ المرء لا یمکنه أن یقطع مع هذه النزعة المستقبلية، وأنّ عليه بدلاً من ذلك التعایش مع تقليدها الذي یمتدّ قروناً. ثالثاً، تساعد دراسة تاریخ وإثنوغرافية کیفیة تحقّق مستقبلات محدّدة في مواقع مختلفة من

(170) Appadurai, *The Future as Cultural Fact*, pp. 295, 299.

(171) Elyachar.

(172) Lucy Suchman, "Anthropological Relocations and the Limits of Design," *Annual Review of Anthropology*, vol. 40, no. 1 (2011), pp. 1-18.

(173) Wendy Gunn, Ton Otto & Rachel Smith (eds.), *Design Anthropology: Theory and Practice* (London: Bloomsbury, 2013), p. 3.

(174) Miyazaki, *The Method of Hope*.

(175) Persoon & van Est; Wallman.

الماضي والحاضر في تحقيق ذلك. رابعاً، الاعتراف بأنّ الأمل في مستقبل إنساني مفتوح مقيد بتاريخ عنف سيادي يمتدّ قرونًا. خامساً، الاعتراف بأنّ الآمال الإنسيّة في التحسّن تواجه دائماً محاولات إدراج شكلي أو فعلي في مستقبل فارغ لقيم التبادل. سادساً، الإقرار بأنّ المستقبلات الحديثة تميل إلى احتقار الحاضر بتعريفه بأنّه "لم يحن بعد". سابعاً، العيش مع تقليد النزعة المستقبلية يستلزم استبدال القطيعة مع الماضي بتأكيد التعددية الزمنية الكونية للحاضر.

مع ذلك، من المهمّ ألا نخلط بين تأكيد التعددية الزمنية في الخطوة السابعة والرفض المحافظ لمستقبل (أفضل)؛ فـ "القطيعة (الانعكاسية) الثانية" التي استعرتها من بورديو هي تقدّمية ولا رجعة فيها، تماماً مثل القطيعة الموضوعانية⁽¹⁷⁶⁾. إنّ لبّ الإشكال يتوقّف على الكيفية التي تُنتج بها القطيعة الثانية وعياً بالتعددية الزمنية: بدلاً من ردّ القديم والجديد إلى بديلين متساويين في الشمول، يمكن القول إنّ مستقبلًا يخلو من السعي إلى الربح لا يطابق مستقبلًا يقوم على توازن الميزانية، وأنّ مستقبلًا مفتوحًا للتنبؤ السياسي لا يتفق بالضرورة مع مستقبل مفتوح على نموّ لانهائي⁽¹⁷⁷⁾. يُضاف إلى ذلك، وربما يكون الأهمّ، أنّ تأكيد التعددية الزمنية يستلزم استعادة رؤية الأنثروبولوجيا الكلاسيكية في ممارسات التصنيف والقرابة والدين وتبادل الهدايا؛ لا لإعادة الآفاق المستقبلية التي طالما حُرمتها فحسب، بل لتمكيننا أيضًا من التأقلم مع عالم تبدو فيه التصنيفات الزمنية الحديثة مهيمنة بقدر ما هي مهدّدة. وآمل أن تُسهم هذه الدراسة في إضاءة هذه الجوانب من التعدّد.

تنويه وتقدير

تنبثق هذه الدراسة من مشروع "المستقبل في مكان آخر" The Future is Elsewhere، وهو مشروع مولّته مؤسسة البحوث الوطنية الهولنديّة NWO ضمن برنامج "الديناميات الثقافية" Cultural Dynamics. وعدد المساهمين فيه أكثر من أن يُشار إليهم فردياً، لكن الباحثين في المشروع المذكور، إضافةً إلى جين غايير Jane Guyer وأوسكار سالمينك Oscar Saleminck وثلاثة محكّمين مُغفلة هوياتهم، يستحقّون شكرًا خاصًا. ولا يتحمّل أيّ منهم مسؤولية المنتج النهائي.

تعليقات

1. هيروكازو ميازاكي(*)

أجد اهتمام بيتر بيلس بـ "تنوّع المستقبلات المؤثّرة في الحاضر" وإصراره البالغ على تعدّد الأزمنة، أمرًا مهمًّا جدًّا. فقد أشارت العديد من الدراسات الإثنوغرافية الحديثة، من دراسات التمويل إلى

(176) لا يمكننا في الواقع العودة أبدًا إلى ما قبل الموضوعانية. ينظر:

Lorraine Daston & Peter Galison, *Objectivity* (New York: Zone, 2007).

(177) وهو، على أيّ حال، ما يبدو سخيفًا على نحو متزايد، بصرف النظر عن الاعتبارات الاقتصادية.

(*) قسم الأنثروبولوجيا في جامعة كورنيل، الولايات المتحدة الأميركية.

Department of Anthropology, Cornell University, United States. Email: hm67@cornell.edu

دراسات الأنثروبوسين Anthropocene، إلى أننا نعيش لحظةً من عدم اليقين العميق، لا يمكن فيها تحديد اتجاه واضح للرأسمالية أو للإنسانية أو لأمننا الأرض، أو إثباته على نحو مقنع.

وتتجلى التعددية الزمنية، أو التنافر الزمني، من خلال سعي الفاعلين الإبداعي⁽¹⁷⁸⁾ إلى اليقين. ولعلّ من أبرز الأمثلة المعاصرة على هذا الوضع الزمني ما يتجسّد في الاقتصاد الياباني في ظل سياسات آينوميكس Abenomics، وهي مجموعة من السياسات الاقتصادية الجديدة التي طرحها رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي Shinzo Abe في كانون الأول/ ديسمبر 2012. وقد سبق أن شُحّص الاقتصاد الياباني على نطاق واسع باعتباره اقتصاد ما بعد النمو، غير أن آينوميكس أعادت إلى الاقتصاد طابع النمو الخطّي والدائم، الذي كان يميّز فترة النمو الياباني بعد الحرب. لكن هذه العودة الحنيئية، بل غير التاريخية، إلى أسلوب توجيه الأمة بأكملها نحو هدف مستقبلي مشترك، تتنافر مع تزايد تنوّع الأهداف الحياتية والمسارات المهنية للمواطنين الأفراد من جهة⁽¹⁷⁹⁾، ومع تكثيف الشركات اليابانية جهودها للبحث عن فرص خارج الأسواق المحلية المتقلّصة، من جهة أخرى. وقد أعادت نسخة النزعة المستقبلية التي أحيّاها آبي وسياسات آينوميكس التعدديات الزمنية المتعارضة وتعدّد توجّهات الأفراد والشركات والدولة بوضوح إلى الواجهة.

وكما يؤكّد بيلس، فلا جديد في هذا التعدّد الزمني. فقد لاحظتُ خلال الإصلاح النيوليبرالي في اليابان أنّ المتخصّصين في السوق المالية اليابانية كانوا يدركون بوعي التداخلات الزمنية بين نظام التوظيف مدى الحياة في عدد من الشركات اليابانية الكبرى، والنزعة الفردانية النيوليبرالية التي رُوّجت لها الحكومة بقوة، والمفاهيم والتقنيات المالية، مثل التحكيم⁽¹⁸⁰⁾. قد لا يوجد شيء حديث أو ما بعد حدثي بخاصّة في التعدّد الزمني وتداخل الأزمنة. فطالما وُجد البشر، والعالم المحيط بهم، في تعددية زمنية. وقد اقترحتُ، بناءً على ملاحظاتي الإثنوغرافية والتاريخية للحياة الاجتماعية الأهلية في جُزر فيجي، أنّ التنافر الزمني جزءٌ لا يتجزأ من الأمل الإنساني⁽¹⁸¹⁾.

أتساءل إن كانت حجة بيلس تتضمن دعوة عميقة لإعادة توجيه منهجي. فهو يحثنا على العمل ضدّ النزعة المستقبلية؛ أي ضدّ نزعتنا المشتركة إلى تحديد الجديد وما لم يحدث بعد. وبدلاً من تكرار هذه النزعة المستقبلية بادّعاء نمط زمني جديد، أو نوع جديد من فهم الزمن، يصرّ بيلس على التوقّف عند شكل من أشكال الابتذال الأنثروبولوجي، ألا وهو التعدّد والتنوّع. والجديد هنا هو إعادة توظيفه

(178) غالباً ما يكون متناقضاً، وأحياناً مثيراً للانقسام الاجتماعي والتدمير.

(179) ينظر على سبيل المثال:

Anne Allison, *Precarious Japan* (Durham, NC: Duke University Press, 2013); Mary Brinton, *Lost in Transition: Youth, Work, and Instability in Postindustrial Japan* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010).

(180) Hirokazu Miyazaki, "The Temporalities of the Market," *American Anthropologist*, vol. 105, no. 2 (2003), pp. 255–265;

ينظر أيضاً:

Hirokazu Miyazaki, "Insistence and Response: On Ethnographic Replication," *Common Knowledge*, vol. 20, no. 3 (2014), pp. 518–526.

(181) Miyazaki, *The Method of Hope*.

لهذه الجمالية التحليلية المألوفة لمواجهة "إدماننا على النزعة المستقبلية" وما يتجاوز الآن وهنا. ولا يقوم التجديد على التقدم إلى الأمام بقدر ما يقوم على التوقف، بحيث تظل "كونية التعدد الزمني" حاضرة في ذهنه، إذ هو يدركها ويطبّقها تحليليًا.

ويتوافق هذا مع خطوة تحليلية سبق أن بادرت إليها أنا وأنيليس رايلز، حيث لفتنا الانتباه إلى ممارسة اعتبار "الفشل غاية" عند محترفي السوق المالية اليابانية⁽¹⁸²⁾. وقد اقترحنا هذه الممارسة بديلاً محتملاً من أشكال إنتاج المعرفة القائمة على سدّ الفجوات. ومن المهمّ التذكير بأنّ بيلس يبدأ دراسته بأسلوب سدّ الفجوات، وهو أسلوب شائع في النزعة المستقبلية الأكاديمية: "لطالما أهمل البحث الأنثروبولوجي المستقبل". لكن مع نهاية الدراسة، نرى بيلس يعمل بجهدٍ على التراجع عن هذه الخطوة الأولية. ويتحقّق جزء من هذا العمل من خلال إصراره على أهمية إدراك النزعة المستقبلية الكامنة في المعرفة الحداثيّة، ومنها المعرفة الأنثروبولوجية، واستحالة القضاء على هذه النزعة. وبدلاً من سدّ فجوات أنثروبولوجيا الزمن، يقترح بيلس سبيلاً للمضيّ قدماً من خلال تقبّل فشلنا في التغلّب على هذا النوع من النزعة المستقبلية التي منعنا من فهم مستقبلات متنوعة ومتباينة وتقديرها.

وهدفني النهائي هنا ليس نقد النزعة المستقبلية، ولا احتضان تعدّد المستقبلات، فحسب، بل هو استكشاف ما قد يظهر إلى السطح حين يُكَبَّح جماح النزعة المستقبلية الحداثيّة ونقيضها المبتذل؛ أي نزعتنا إلى رؤية مستقبلات متنوعة، حتى لحظة واحدة. ولعلّ هذا النوع من الاعتراف بحدودنا وقيودنا، تحديداً، قد يساعدنا في تطوير استجابة تحليلية أكثر فاعلية لعدد من المواقف المتعددة الأزمنة، مثل الاقتصاد الياباني في ظلّ سياسات آينوميكس. فهذه المواقف مثيرة للاهتمام، ليس لأنّها تُظهر "كونية تعدّد الأزمنة" فحسب، بل لأنّها تُظهر فشل التعددية الزمنية في أن تكون إطاراً تحليلياً للمواقف المتعددة الأزمنة. فتوجّه بيلس نحو التعددية الزمنية، ضمن الإطار الأوسع للنزعة المستقبلية القائمة على سدّ الفجوات، يمثل أداءً تحليلياً يجعل هذا التوجّه نفسه أسيراً لقيود أسلوبنا في الإقناع وحدوده. وقد تتمثل إمكانية وجود أنثروبولوجيا للمستقبل في القدرة على إعادة (تمثيل) هذا التنافر الزمني تحليلياً، في مقابل المواقف المتعددة الأزمنة المرصودة إثنوغرافياً⁽¹⁸³⁾.

2. جيرارد أ. بيرسون(*)

يطرح بيلس برنامجاً طموحاً لتعويض ما أهملته الأنثروبولوجيا فترة طويلة، مفاده أنّ لدى الناس أفكاراً عن المستقبل، سواء أرادوه أم لا، والأهمّ من ذلك أنّ فهم السلوك المعاصر أمر صعب، إن

(182) Hirokazu Miyazaki & Annelise Riles, "Failure as an Endpoint," in: Aihwa Ong & Stephen J. Collier (eds.), *Global Assemblages: Technology, Politics and Ethics as Anthropological Problems* (Malden, MA: Blackwell, 2005), pp. 320–331.

(183) Miyazaki, "Insistence and Response."

(*) معهد الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم اجتماع التنمية، جامعة ليدن، هولندا.

Institute of Cultural Anthropology and Development Sociology, Leiden University, Netherlands.

Email: persoonga@fsw.leidenuniv.nl

لم يكن مستحيلاً، ما لم يُربط بتلك الأفكار التي تشكّل دافعاً لهذا السلوك. بعبارة أخرى، إنّ الأفعال المعاصرة تُستمدّ، بصورة عامة، جزئياً على الأقل، من هذه التوقعات المستقبلية، سواء كانت مرغوباً فيها أو ينبغي تجنبها. وقد أدّى هذا الإهمال إلى تشوّحات مختلفة في فهمنا للسلوك البشري. فقد كنّا، إلى حدّ ما، ندير ظهورنا للمستقبل، وبهذا المعنى، فوّت الأنثروبولوجيون فرصاً لأداء دورٍ أكبر في جميع أنواع الجهود البحثية المتعددة التخصصات المتعلقة بالمستقبل، سواء تلك المتعلقة بتوقعات التنمية المستدامة، أو بالمستقبلات الواقعية أو الطوباوية أو النقدية، أو بالهويات الكونية أو المحلية، أو بالمجتمعات العادلة أو (الأكثر) إنصافاً. لكن الأوقات قد تتغيّر.

ولا يعني ذلك أنّ الأنثروبولوجيا أهملت المستقبل بوصفه موضوع بحث على نحو تام؛ إذ قدّم بيلس عرضاً مفيداً للأدبيات التي أنتجها الأنثروبولوجيون حول هذا الموضوع، حتى إن لم تكن دائماً واضحة بما يكفي. ولكن لم تُبدّل جهود كثيرة لتحويل هذا الموضوع إلى برنامج بحثي طموح، على نحو ما يفعله بيلس. ويُعدّ كتاب كولنز ثقافات الغد بالتأكيد جهداً آخر مثيراً للاهتمام في هذا السياق⁽¹⁸⁴⁾.

يبدو أنّ وصف بيلس لـ "الخطوات السبع نحو أنثروبولوجيا المستقبل" يشير إلى طريقة متماسكة لمعالجة ثغرة طالما كانت جزءاً لا يتجزأ من هذا التخصص منذ بداياته. ومن بين التساؤلات التي تتبادر إلى الذهن عند قراءة هذا الطرح: لمن تُوجّه هذه الرسالة؟ أهى موجهة إلى جميع الأنثروبولوجيين المحترفين، أم إلى فئات أخرى، أم إلى جمهور آخر أكثر تحديداً؟ إلى حدّ ما، يبدو أنّ المؤلف يُلمّح إلى إعادة كتابة جذرية لتاريخ هذا التخصص. وثمة تساؤل آخر حول ضرورة تطبيق جميع الخطوات، وهل ينبغي تطبيقها بالتسلسل المُقترح، كما يوحي به استخدام الصياغة. في رأيي، ليس من الضروري أن يكون الأمر كذلك. فأنا أعتقد أنّه توجد سُبُلٌ لإدراج بعض العناصر المُقترحة لأنثروبولوجيا المستقبل في مشاريع البحث الإثنوغرافي الاعتيادية، من دون الحاجة بالضرورة إلى تطبيق جميع الخطوات. وفي النهاية، يسهل إدراج بعض الخطوات المقترحة من خلال تحويل منظور أسئلة البحث من التركيز الحصري على الماضي والحاضر إلى أهمية المستقبل بالنسبة إلى الحاضر. ومن المثير للاهتمام أنّ هذا التحوّل قد اقترح أيضاً في موضع آخر⁽¹⁸⁵⁾.

ومن الجوانب التي تستحق اهتماماً خاصاً، إذا ما كان من المقرر تنفيذ هذا البرنامج البحثي، وهو جانب قليل عنه القليل نسبياً، ما يتعلّق بمناهج البحث التي ينبغي أن تدعم هذا البرنامج. كيف يمكننا إثراء المنهجية الإثنوغرافية بعناصر تتيح لنا جمع معلوماتٍ تسهم في أنثروبولوجيا المستقبل؟ سيكون هذا ضرورياً لأنّ مناهج البحث الأنثروبولوجية المألوفة لا تكفي بالضرورة. وسوف يتطلّب الأمر طرائق أخرى لطرح الأسئلة، وتطوير طرائق أخرى للاستدلال، إذا أردنا فهم أهمية المستقبل بالنسبة إلى أوضاعنا الراهنة.

(184) Samuel Gerald Collins, *All Tomorrow's Cultures: Anthropological Engagements with the Future* (New York/ Oxford: Berghahn, 2008).

(185) Martin E. P. Seligman et al., "Navigating into the Future or Driven by the Past," *Perspective on Psychological Science*, vol. 8 (2013), pp. 119-141.

أخيراً، أودّ أن ألفت الانتباه إلى مفهوم يُستخدم بكثرة في الأنثروبولوجيا، ولكنه لم يحظَ إلا بقدرٍ قليل من الاهتمام المنهجي، وهو السياق العالمي، الذي يُعدّ ذا صلة وثيقة بأنثروبولوجيا المستقبل. ويتطلب هذا المفهوم، الذي كثيراً ما يُشار إليه، وضع الأشياء (أو الأشخاص، أو الأفعال، أو الأحداث) في سياقها الصحيح. ونادراً ما يُشار بوضوح إلى الكيفية التي ينبغي أن يتم بها ذلك، وحيث تبدأ السياقات ذات الصلة، وحيث تنتهي، من حيث علاقتها بالأشياء أو المواقف المراد وصفها أو تفسيرها⁽¹⁸⁶⁾. لكن فيما يتعلق بأنثروبولوجيا المستقبل أيضاً، فإن السياق الزمني، ذا الصلة الذي تُدرس فيه الأحداث أو المواقف أو الأشياء، يستحق الاهتمام⁽¹⁸⁷⁾. وتوجد أنواع عديدة من المستقبلات، أو المستقبلات المتعددة، تختلف اختلافاً كبيراً من حيث النطاق (ما تشمله وما تستبعده) والمدى التخيلي. ويُعدّ استكشاف أبعاد السياقات الزمنية، مثل المستقبلات المتعددة، بالأهمية نفسها لاستكشاف السياقات المكانية.

3. تشارلز بيوت(*)

يصب بيلس في القول إنّ الأنثروبولوجيين أهتموا إلى حدّ بعيد المستقبل بصفته ميداناً بحثياً، ومجالاً لاستكشاف المخيلات الاجتماعية، وهو موضوع طالما كان أساسياً في هذا التخصص. بل إنه يمكن القول على نحو أدقّ إنّ الأنثروبولوجيين، بانشغالهم بالماضي؛ أي بدراسة المجتمعات التي يُعتقد أنها تقع خارج الحداثة أو قبلها، قد قمعوا المستقبل بصفته مورداً حيويّاً للنظرية النقدية. ويحدث هذا على الرغم من أنّ معظم الناس، في معظم الأزمنة، يستثمرون كميات هائلة من الطاقة، العاطفية والتخيلية، في الآمال والتصورات المستقبلية. وأجد أنّ دراسة بيلس مفيدة جداً فكرياً، وتمثّل استفزازاً يأتي في الوقت المناسب.

وأسترشد، في ردّي، برؤى التوغوليّين الذين أعمل معهم في غرب أفريقيا الفرنكفونية. فهذه منطقة، شهدت، منذ نهاية الحرب الباردة، اجتياح المسيحية الخمسينية للمجال الديني، محرّضةً على إحداث "قطيعة مع الماضي" واحتضان الحنين إلى نهاية الزمان. وهي أيضاً منطقة يرغب الجميع تقريباً في الرحيل عنها، أملاً في الهروب من حاضرٍ محفوفٍ بالمخاطر إلى مكانٍ آخر، يكون عادةً في أوروبا أو الولايات المتحدة، من خلال المشاركة في قرعة تأشيرات الولايات المتحدة، تأشيرة التنوع، أو محاولة الالتحاق بجامعةٍ أوروبيةٍ وأميركية، أو ترتيب زيجاتٍ صوريّةٍ مع أجنبي، أو الانضمام إلى كنائس قد تأخذهم إلى الخارج. ومثل هذه الأحلام بالعودة إلى نهاية الزمان أو بمستقبل في مكانٍ آخر تُربك التسلسل الزمني المعتاد، وتستبدله بزمّنٍ متقطعٍ وإعجازي.

(186) في الواقع، حتّى في معظم موسوعات العلوم الاجتماعية أو الأنثروبولوجية، أو الأدلة المنهجية، لا يوجد مدخلٌ لهذا المفهوم.

(187) Roy Diley (ed.), *The Problem of Context* (New York/ Oxford: Berghahn, 1999); Bradley B. Walters et al. (eds.), *Against the Grain: The Vayda Tradition in Human Ecology and Ecological Anthropology* (Lanham, MD: Altamira, 2008).

(*) قسم الأنثروبولوجيا الثقافية، جامعة ديوك، الولايات المتحدة الأميركية.

Department of Cultural Anthropology, Duke University, United States.

Email: charles.piot@duke.edu

استخلصت من تصوّرات التوغوليين اليومية عدّة أمور لم تُذكر في رواية بيلس، وأودّ أن أسمع المزيد عنها:

بالنسبة إلى التوغوليين، يرتبط المستقبل والأمل ارتباطاً وثيقاً. فالأمل - في مواجهة النكسات المستمرة وتواصل الكوارث السياسية والاقتصادية - دائم التجدد. انتخابات مزوّرة؟ "لا تقلق، ستكون الانتخابات المقبلة أفضل". لم يحالفك الحظّ في قرعة تأشيرة هذا العام؟ "هناك دائماً فرصة في العام المقبل". لم تحدث معجزة هذا الأسبوع؟ "معجزتي آتية قريباً". وهذا الأمل متجذّر في الرغبة في مستقبل مختلف وأفضل، وبهذا المعنى، فإنّ المستقبل مشحون بالرغبة، ويتلازم الزمن والأمل. وهذا مفهوم بلوخي [نسبة إلى إرنست بلوخ] لما لم يتبلور بعد في الحياة اليومية.

إضافةً إلى ذلك، حين يسلّط بيلس الضوء بصورة مثمرة على كيفية تجسّد الزمن في ظل الرأسمالية الصناعية (في الساعات وجداول المصانع)، فإنّه لا يقدّر الطريقة التي تحدد بها الزمنية المستقبلية مكانياً. فبالنسبة إلى التوغوليين الطامحين إلى الهجرة، فإنّ الطريقة التي يدمج بها "ما لم يحدث بعد" في "مكان آخر" هي أمر أساسي. قد يكون البديل الحالي من الساعة الصناعية هو الوثيقة (جواز السفر، أو التأشيرة، أو البطاقة الخضراء)، التي تفتح الباب أمام زمانٍ ومكانٍ جديدين. فوثائق الهوية هي شارةٌ وعلامةٌ أمل، تمكّن المرء من تصوّر مستقبل تدوّن إحداثياته الزمنية منذ بداية المحادثات: "حصلتُ على تأشيرة مدّة ثلاث سنوات"، "تأشيرة متعدّدة مدّة خمس سنوات"، "تأشيرتي مدّة ستّة أشهر، لكنني سأحاول الحصول على تمديد مدّة عامين آخرين"، "بعد خمس سنوات من الحصول على البطاقة الخضراء، يمكنني الحصول على جواز سفري". لكن زمن الوثيقة يضيء عليها زمنية مختلفة، هي زمن الانتظار الذي قد يكون يومياً أو مؤقتاً، وقد يستمرّ سنوات.

أضف إلى ذلك أنه لا شك في وجود أسباب منهجية وأيديولوجية تبرر إهمال الأنثروبولوجيين دراسة المستقبل. فالمستقبل الذي لم يأت بعد؛ أي عدم تعيّن وانفتاحه، يجعل من الصعب تحديده والإحاطة به بدقة. وبينما يحلم التوغوليون باستمرار بمستقبل في أماكن أخرى - أحلام تدفعهم إلى الماضي قدماً في السراء والضراء - فإنّ تصوّراتهم تظلّ في معظمها غامضة. فالأشخاص الذين يتحدثون بطلاقة عن مآسي الحاضر وأحداث الماضي، يصمتون نسبياً عندما يتعلق الأمر بتجسيد أحلامهم. لقد أمضيتُ ساعاتٍ طويلةً محبّطةً في محاولة فكّ رموز خيال "المكان الآخر" و"الزمان الآخر"، من دون أن أشعر قطّ بأنني تمكّنتُ من فهمه.

أخيراً، يجب أن تأخذ أنثروبولوجيا المستقبل في الحسبان أولئك الذين يرفضون المستقبل، على عكس التوغوليين. ولا أقصد هنا فقط منظّري الكوير *Queer Theorists* الذين يتخلّون عن "المستقبل الإنجابي"⁽¹⁸⁸⁾، بل أيضاً الانتحاري، ومن يقفز من القطار، أو العامل الهشّ عالمياً الذي يكافح من أجل البقاء في ظلّ النيوليبرالية التي تنشر اليأس على نحو متزايد. فبالنسبة إلى الطبقة العاملة الهشة عالمياً،

(188) مثل لي إيدلمان Lee Edelman.

غالبًا ما يوجد تكثيفٌ أو انهيارٌ للوضع السياسي والاقتصادي، في اتجاه الحاضرِية والفورية؛ أي نحو المؤقت والمادية المتكررة، ونحو توافق جديد بين العمل والحياة؛ أي تأمين الحد الأدنى من الحياة.

4. جانبيت رويتمان(*)

منذ نشر كتاب فايان الزمن والآخر، اضطرت الممارسة الأنثروبولوجية إلى مواجهة ما مارسته من "إنكار التزامن". وهذه مهمة ليست سهلة. وقد كان بيلس في مستوى هذا التحدي من خلال الدفاع عن "أنثروبولوجيا المستقبل"، التي "تنظم تنوع المستقبلات المؤثرة في الحاضر". ويجادل بيلس بأن أنثروبولوجيا المستقبل هذه تختلف عن النزعة المستقبلية، أو عن الممارسة السابقة التي اتخذت من المنحى المستقبلي محددًا (المهمة الحضارية، التنمية) شرطًا أساسيًا لهذا التخصص. وهو يلاحظ أن هذه الممارسة الأخيرة تعتمد، تحديدًا، على "المشهد الزمني الحقبّي للتقليد والحداثة"؛ أي إن مفاهيم التقدم والتنمية تتشكل بوساطة افتراض قطعية ترسخ تمايزًا زمنيًا، وجدةً راديكالية، ومستقبلًا مفتوحًا، وزمنًا جديدًا، أو ما اعتبره كوزيليك الوعي التاريخي نفسه (الحداثة). ويرى البعض أن ظهور هذا الوعي التاريخي وما يرافقه من ممارسة التأريخ هو اللحظة التأسيسية لما يختزله الأنثروبولوجيون في "نحن" و"هم".

ويتساءل بيلس، كما فعل بعض من سبقوه، "كيف لنا أن نقطع مع ماضٍ أنثروبولوجي، كان فيه مفهوم القطعية نفسه، جزءًا من تقليدٍ عريقٍ يمتدّ قرونًا من التدخلات العالمية التي كانت في الغالب عنيفة" وهي التي تشكل المستقبلات. ويصف النزعة المستقبلية بأنها "تقليد ثقافي حديث" يستلزم "تصنيف حقيقة ما من حيث التنبؤ بالتقدم"⁽¹⁸⁹⁾. بعبارة أخرى، وبوصفها ممارسة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، فإن النزعة المستقبلية تنتج "وهم الزمن المتجانس الخطّي الذي نعيش فيه نحن الحداثيين بعد قطعية مفترضة مع التقليد"⁽¹⁹⁰⁾. ويصرّ بيلس، عن حق، على أن الأنثروبولوجيا لم تتجاوز "إنكار التزامن"، على الرغم من أن هذا الشكل من الإنكار لا يقتصر على الأنثروبولوجيين⁽¹⁹¹⁾. ومع ذلك، وعلى الرغم من الافتراض القائل بأن إنكار التزامن هو ممارسة ثقافية، أكثر منه مشكلة إبستمولوجية تقتصر على "الأشكال الثقافية"، فإن بيلس يوجّه التهمة إلى الأنثروبولوجيين، مبرّرًا أن "هذه الأوصاف المستقبلية للذات لا تُعدّ خاطئة في حدّ ذاتها، بل تفترض تجانسًا للأزمة الحديثة يفتقر إلى أدلة إثنوغرافية ويحجب الهيمنة العالمية لمجموعة متنوعة من أشكال المستقبل القويّة".

كيف نتجاوز التفكير الحقبّي كي نتمكن من استيعاب هذه الأشكال المتنوعة من المستقبل؟ يستلهم بيلس من ساندر ولمان، التي تستكشف التأثير الفعّال لتخيّلات المستقبل في الحاضر، وينظر إلى آخر أعمال بيرسون وديني فان إست، اللذين يقطعان مع ممارسة النزعة المستقبلية من خلال "فحص

(*) قسم الأنثروبولوجيا، الكلية الجديدة للبحوث الاجتماعية، الولايات المتحدة الأميركية.

Department of Anthropology, New School for Social Research, United States. Email: roitmanj@newschool.edu

(189) عن طريق افتراض الجدة.

(190) ادّعاء طرحه كوزيليك.

(191) تناول إيمانويل ليفيناس وإدوارد سعيد هذه المعضلة بوصفها قضية إبستمولوجية عامة.

تأثيرات صورة المستقبل في سلوك الحاضر" لتفسير التعدديات الزمنية المجزأة. ويمكننا أن نفترض أن "الصور" تشير إلى التمثيلات؛ أي التمثيلات التي تشير إلى أزمنة متعددة وتشكلها. وتحتاج هذه النقطة الأخيرة إلى توضيح. لكن بيلس يطرح نقطة مهمة تتمثل في أن "هيمنة بعض صور المستقبل تشكل شرطاً اجتماعياً وتاريخياً حقيقياً لصور أخرى". فنحن نتجاوز هنا ثنائية "نحن" و"هم"، لكن مسألة كيف تغدو مصطلحات معينة مفاهيم ناظمة بفاعلية لجماعات خاصة، هي نقطة حاسمة بالنسبة إلى أنثروبولوجيا العصر الحديث⁽¹⁹²⁾. ويستلزم هذا البحث في المفاهيم لا في الصور فحسب.

بطبيعة الحال، يتمثل المغزى من كلام بيلس في أن "نحن" و"هم" ذوات تخضع لتعدديات زمنية، وأن على الدراسات الإثنوغرافية والتاريخية لهذه الذوات أن تراعي هذا الشرط الخاص بـ "الأزمنة الحديثة". وأعتقد أن بيلس يوافقني الرأي، فإننا كي نستوعب تلك المواقع الذاتية المتغيرة، يجب ألا نستوعب الذات التي تتخيل وتتمثل أشكال المستقبل فحسب، بل أيضاً التجميعات الاجتماعية - التقنية Sociotechnical Assemblages التي تظهر من خلالها تلك الأشكال، والتي تشكل تلك المواقع الذاتية نفسها، ومن ثم، الآثار المعاصرة للمستقبلات الممكنة أو المحتملة⁽¹⁹³⁾.

يقول بيلس إننا نحتاج إلى تاريخ إثنوغرافي للتقنيات التي تولد "المستقبل الفارغ" (مثل المضاربة التي تنتج فقاعات مالية). غير أن الدراسات العلمية حول هذه الموضوعات لا تؤكد إنتاج مستقبل فارغ: فمعرفة تقدير المخاطر المالية Actuarial Knowledge، والنمذجة الاحتمالية Stochastic Modeling، والمضاربة المالية، لا تنتج "حساباً فارغاً من قيم التبادل"، كما يتضح من دراسات اجتماعية حديثة في المالية. ويقدم بيلس بعض الأمثلة المقنعة على التفكك، كما يتضح من فقدان المستقبلات القابلة للمعرفة والمحملة (الخطط الخمسية، والتنمية)، والتي حلت محلها سيناريوهات متباينة تفتت المجال العام.

يمكن المرء أن يتساءل: ما الكيان الموحد، أو مستوى التجربة، الذي سبق أن تفتت أو تحطم؟ قد يشخص المرء "تفتتاً حداثياً نيوليبرالياً"، كما فعل بيلس، متأثراً ببراد وايس Brad Weiss، ولكن هل تحققت تلك الحداثة فعلاً؟ هل النيوليبرالية بما أحدثته من تفتت لبعض مقومات الحداثة، تُعتبر ما بعد حداثية؟ وإذا كان الأمر كذلك، أليس شكلاً من أشكال التفكير الحقبى؟⁽¹⁹⁴⁾ على أي حال، يجادل بيلس بأن إزاحة التفكير الحقبى تقتضي دراسة "التصنيفات الحقبية بوصفها ادعاءات، في ضوء العمل الفعلي الذي تقوم به في الممارسة". بيد أنه سيكون من المثير للاهتمام أن نفكر قليلاً في طبيعة هذه الادعاءات، كما فعلت كاثلين ديفيس فيما يتعلق بممارسة تقسيم الزمن إلى حقب⁽¹⁹⁵⁾. لكن ديفيس تعترض على نموذج كوزيليك في رواية الانتقال، التي تعتبر الانقسام الديني - العلماني

(192) ينظر: Rabinow.

(193) ينظر: Latour, Callon.

(194) ينظر: Aihwa Ong, "Neoliberalism as a Mobile Technology," *Transactions*, vol. 31 (2006), pp. 3-8.

(195) Kathleen Davis, *Periodization and Sovereignty: How Ideas of Feudalism and Secularization Govern the Politics of Time* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2008).

(الماضي الديني مقابل الحاضر العلماني) شرطاً أساسياً للأزمة الحديثة؛ وهو ما ينطبق على الانقسام الجيوسياسي بين "مكان آخر" خارج الزمن، وحاضر تاريخي كلياً. قد تتفق مع بيلس على أنه "لا يمكننا فهم كيفية عمل هذه الادّعاءات [التصنيفات الحقبية] إلا من خلال جهد أنثروبولوجي نموذجي يتمثل في تصنيف أشكال المستقبل الحديث ثقافياً". لكن يجب أن نتساءل أيضاً: كيف يمكننا معرفة هذه الأشكال خارج التفكير الحقبى؟

5. تعقيب المؤلف

يقول بيوت "الأمل لا ينضب"، ولا أجد تذكيراً أفضل من هذا بالطريقة التي تمكّن أنثروبولوجيا منهجية للمستقبل، من خلال إقرارها بهذه الصفة الكونية، من التراجع عن بعض إنكارات الأنثروبولوجيا السابقة للترامن مع أولئك الذين يبدون أقل اهتماماً بـ "المستقبل". في الواقع، يجادل كتاب ميازاكي منهج الأمل صراحةً بأننا عندما نتبنى الآمال التي يصممها محاورونا لأنفسهم باعتبارها جزءاً من منهجنا، يمكننا دحض بعض أكثر التحليلات إثارة للاختلاف التي ورثناها عن ماضٍ استعماري⁽¹⁹⁶⁾. غير أنّ حالة انعدام الأمل التي أكدها إرنست بلوخ هي أيضاً مصدر قمع، ولا سيّما عندما تغدو تصنيفاً في أيدي السلطة⁽¹⁹⁷⁾. وأنا أفضل التعامل نظرياً مع وثائق التأشيرة التي يرى بيوت أنها "تحدّد الأمل مكانياً" باعتبارها تجسيدات مادية لغدٍ مقبل من مكان آخر قد لا يتحقّق أبداً، والتي تستبدل آمال حاملها بنوبات استياء نتيجة عدم بلوغ المكان المتخيّل من خلال التأشيرة⁽¹⁹⁸⁾. فالمنهجية الإثنوغرافية، قد تحدّد التأشيرة بوصفها وسيطاً مادياً، يسمح بإدراك السياق بموثوقية أكثر من النداءات الغامضة لذلك المفهوم الذي ينتقده بيرسون بحق، والذي حاولتُ تجنبه في دراستي⁽¹⁹⁹⁾.

بعد قلبي هذا، أشعر أنني مستاء إلى حدّ بعيد من تقييمات محاوريّ لحجّتي؛ فرويتمان تستخدم التلميحات على نحو متكرّر أو تسيء قراءة نصّي بوضوح⁽²⁰⁰⁾. بيد أنّ السرعة التي يبدو أنها قرأت بها دراستي تعزّز حجّتي بأننا في حاجة إلى الجلوس والتفكير عميقاً فيما هو أمامنا الآن.

ويرى بيرسون دراستي بمنزلة "إعادة كتابة جذرية" لتاريخ هذا التخصص، ويتساءل إن كان من الضروري اتّخاذ جميع الخطوات التي أقترحها. أوّل اعتراضاته خاطئ؛ فأنا أدعو إلى استخدام أكثر إلحاحاً للرؤى الأنثروبولوجية الكلاسيكية بدلاً ممّا أراه غالباً اندفاعاً نحو

(196) Miyazaki, *The Method of Hope*, p. 6.

(197) ينظر مجدّداً: Piot؛ ينظر أيضاً: Miyazaki, *The Method of Hope*.

(198) ينظر: النقاش الوارد في نهاية الخطوة السادسة.

(199) متابعاً في ذلك فايان:

Johannes Fabian, "Ethnographic Misunderstanding and the Perils of Context," *American Anthropologist*, vol. 97 (1995), pp. 41–50.

(200) إليكم ثلاثة أمثلة من بين عدد من التلميحات: الزعم بأنني أغفلت الإشارة إلى أنّ إنكار التزامن لا يقتصر على الأنثروبولوجيين، أو مناقشته باعتباره مسألة إستيمولوجية، أو الاعتراض، خلافاً لكاتلين ديفيس، على سردية كوزليك بخصوص الانتقال. وإليكم ثلاثة أمثلة من بين عدد من حالات سوء القراءة: القول بأنني "أستلهم" من والمان بدلاً من نقدها، وأتني لا أناقش التجميعات الاجتماعية - التقنيّة للمستقبل المفتوح أو الفارغ، وأتني أحتزل المستقبل الفارغ في "المضاربة التي تنتج فقاعات مالية".

"أنثروبولوجيا القرن الحادي والعشرين"، فقد يكون دوركهايم استعماريًا، لكن هذا لا يعني أنه لم يطرح بعض النقاط الجيدة حول التصنيف بوصفه منتجًا اجتماعيًا، وهي نقاط يمكننا استخدامها ضد ميوله الاستعمارية⁽²⁰¹⁾. والثاني خاطئ أيضًا: فحين آمل إظهار أنه لا يمكن تعريف الحداثة بأنها ثقافة فذة متميزة، فضلاً عن كونها مجموعة متماسكة من التطلعات العقلانية نحو المستقبل، فإنني أهدف إلى إبراز طموح الأنثروبولوجيا الكلاسيكية نحو الشمولية Holism ومحاولة إثبات أنه إذا أردنا فهم الأزمنة الحديثة، فعلى أن نتبنى تصنيفًا لأنواع المستقبلات التي ولدتها يكون شاملاً قدر الإمكان، ونحاول التحليل النقدي لأصولها. ولذلك، نعم، جميع الخطوات ضرورية، وإن لم تكن بالترتيب الدقيق الذي ناقشتها به.

هذا هو "التوجه المنهجي الجديد" الذي يبدو أن بيرسون وبيوت وميازاكي أغفلوه في حجتي، والذي أوضحته صراحةً في مناقشتي للقطيعة المعرفية والمنهجية في الخطوة السادسة. تمثل حجتي في هذه الدراسة إجمالاً، في أن إجراء دراسة إثنوغرافية جيدة للأزمنة الحديثة يحتاج إلى الاستناد إلى مفهوم بورديو عن "القطيعة الثانية"⁽²⁰²⁾، لإخضاع التصنيفات التي نستخدمها نحن أنفسنا للتدقيق النقدي. فهذه التصنيفات تاريخ طويل، وهي لم تكن تمثيلات، بل كانت، وما تزال أيضاً، تدخلات في عوالم الحياة التي ندرسها، والتي ما تزال تحمل آثاراً استعمارية (على عكس ما ذكرته رويتمان، وقد قلت ذلك صراحةً). ومن ثم، علينا تحليل هذا الأمر إذا أردنا تقديم عمل إثنوغرافي دقيق في الوقت الحاضر. فعلى سبيل المثال، من المهم عدم الخلط بين الأمل (الذي قد يتجسد واقعياً في سلع أو وثائق فردية) والمستقبل (الذي يبدو، في شكله الطوباوي، بناءً شمولياً خاصةً في شكله الحداثي، وعلمانياً وإنسياً) أو، في هذا الصدد، مع الغايات التي وصفها ميازاكي وريلز بتبصر⁽²⁰³⁾.

لذلك، فإن المنهجية التي أقترحها لا تفترض صعوبة تحديد ما لم يتحقق بعد، كما يزعم بيوت. بل أقول العكس، إن الأحلام غير المتبلورة التي تبقى التوغولين صامدين في السراء والضراء قد نشأت في سياق (نعم، سياق) تصورات مستقبلية واضحة ومحددة "من أماكن أخرى" يمكننا تحديدها بدقة من خلال دراسات إثنوغرافية. وتشير تجاربي الشخصية في تنزانيا إلى أن هذه التصورات المستقبلية المحددة، وعود التعليم العالي، والرواتب، والمركزية السليمة للدولة، والقدرة على الاستهلاك، وتحقيق الخلاص من خلال العقيدة الصحيحة، تميل إلى إخماد عددٍ من المحاولات "لتجسيد أحلامهم". فغالباً ما يتردد الخاضعون لهذه التصورات في التعبير عن تطلعاتهم خوفاً من أن تبدأ هذه التصنيفات في الانتعاش من تلقاء نفسها، وأن ترفع (كما يحدث بالفعل في كثير من الأحيان) توقعات أولئك الذين يريدون منك أن تغادر وتبحث عن مستقبل في مكان آخر. هذا هو السياق الزمني (وليس المكاني) الذي يولد "زمن انتظار" الطبقة العاملة الهشة عالمياً وتجربتها في عيش الهشاشة. أتفق على أننا في حاجة إلى تفسيرات أفضل بشأن من يرفض المستقبل وما الذي يرفضه، والسبب في ذلك.

(201) كما أننا لا نتجاهل كل ما قاله مارتين هايدغر Martin Heidegger أو شमित لكونهما نازيين.

(202) بعد القطيعة الموضوعانية الأولى مع "وجهة النظر الأهلية".

(203) Miyazaki & Riles, "Failure as an Endpoint."

لكنني أظن أن مازق الطبقة العاملة الهشة عالمياً (امتلاك الوقت من دون امتلاك مستقبل) لا يتضمّن، في كثير من الحالات، رفضاً للمستقبل بقدر ما يتضمّن إنكاراً له من قبل آخرين أكثر قوة.

إنّ تقييم ميازاكي بكوني أقترح "سبيلاً للمضيّ قدماً من خلال تقبّل فشلنا في التغلب على هذا النوع من النزعة المستقبلية التي منعنا من فهم مستقبلات متنوعة ومتباينة وتقديرها"، لهو تقييم ثاقب ومثير للتفكير. والواقع، أنّ إعادة التوجيه المنهجي الذي يطرحه لم يُستنفد بعد، لكنّه بالتأكيد يتّسم بمحاولة أن يكون تاريخياً شاملاً، بطريقة تتناغم مع إرث تخصّصنا وضدّه في آنٍ واحد، ومع موقعه ضمن (ولكن أيضاً على حدود) الأنماط الثقافية الحديثة. غير أنني لا أفهم لماذا يعتبر التعدّد والتنوّع "شكلاً من أشكال الابتذال الأنثروبولوجي"، ولا أوافق على أنّ الابتكار هنا يقوم على "التوقف" بدلاً من "التقدّم إلى الأمام". كانت وجهة نظري تحديداً أنّ بورديو يطلب منا اعتبار القطيعة المنهجية الثانية (مع موقعياتنا الذاتية) بالقدر نفسه من "لا عكوسية" القطيعة الموضوعانية الأولى. وتشير هذه اللا عكوسية إلى وعي تاريخي⁽²⁰⁴⁾، يحدّد الخبرة المتخصصة وغير المتكافئة للأنثروبولوجيين، في الوقت نفسه الذي يمنعهم فيه من الخروج عن سياق الزمن، أو الدخول في زمن لا يشاركهم فيه الناس الذين نهتمّ بحياتهم. ولذلك، أرى في تطبيق رؤية دوركهايم وموس الكلاسيكية حول الأسس الاجتماعية للتصنيف على الكيفية التي نحدّد بها موقعياتنا الذاتية ضمن التصنيفات الزمنية، سبيلاً إلى "المضيّ قدماً" نحو ممارسة أنثروبولوجية أفضل.

References

المراجع

- Adam, B. & C. Groves. *Future Matters: Action, Knowledge, Ethics*. Leiden: Brill, 2007.
- Adam, B. *Time*. Cambridge: Polity, 2004.
- Allison, Anne. *Precarious Japan*. Durham, NC: Duke University Press, 2013.
- Anderson, Benedict. *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. London: Verso, 1983.
- Appadurai, Arjun. *The Future as Cultural Fact: Essays on the Global Condition*. London: Verso, 2013.
- Asimov, Isaac. *In Memory Yet Green: The Autobiography of Isaac Asimov, 1920–1954*. New York: Doubleday, 1979.
- Bähre, Erik. "The Janus Face of Insurance in South Africa: From Costs to Risk, from Networks to Bureaucracies." *Africa*. vol. 82, no. 1 (2012).
- Barber, Benjamin. *Jihad vs. McWorld*. New York: Ballantine, 1995.
- Battaglia, Debora (ed.). *E.T. Culture: Anthropology in Outerspaces*. Durham, NC: Duke University Press, 2005.

(204) كما أوضحْتُ بتفصيل أكثر في موضع آخر:

Peter Pels, "After Objectivity: An Historical Approach to the Intersubjective in Ethnography," *HAU: Journal of Ethnographic Theory*, vol. 4, no. 1 (2014), pp. 211–236.

- Beattie, J. *Other Cultures*. London: Routledge & Kegan Paul, 1964.
- Beck, Ulrich. *Risk Society: Towards a New Modernity*. London: Sage, 1992.
- Benjamin, Walter. *Über den Begriff der Geschichte*. In *Illuminationen*. Frankfurt: Suhrkamp Verlag, 1977.
- Bhabha, H. K. *The Location of Culture*. London: Routledge, 1994.
- Bloch, Maurice. "The Past and the Present in the Present." *Man* (NS). 1977.
- Bourdieu, Pierre. *Outline of a Theory of Practice*. Richard Nice (trans.). Cambridge: Cambridge University Press, 1977.
- Brinton, Mary. *Lost in Transition: Youth, Work, and Instability in Postindustrial Japan*. Cambridge: Cambridge University Press, 2010.
- Brown, N., B. Rappert & A. Webster (eds.). *Contested Futures: A Sociology of Prospective Techno-science*. London: Ashgate, 2000.
- Brunner, J. *Stand on Zanzibar*. London: Millennium, 1999 [1968].
- Buck-Morss, Susan. *Dreamworld and Catastrophe: The Passing of Mass Utopia in East and West*. Cambridge, MA: MIT Press, 2002.
- Burchell, G., C. Gordon & P. Miller (eds.). *The Foucault Effect*. Chicago: University of Chicago Press, 1991.
- Chakrabarty, D. *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000.
- Chatterjee, Partha. *The Black Hole of Empire: History of a Global Practice of Power*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2012.
- Clarke, Arthur C. *Profiles of the Future*. London: Pan, 1962.
- Cohn, Bernard S. *An Anthropologist among the Historians and Other Essays*. Delhi: Oxford University Press, 1987.
- Collins, S. G. *All Tomorrow's Cultures: Anthropological Engagements with the Future*. New York/ Oxford: Berghahn, 2008.
- Cooper, Frederick. "What is the Concept of Globalization Good for? An African Historian's Perspective." *African Affairs*. vol. 100 (2001).
- _____. "Empire Multiplied." A Review Essay. *Comparative Studies in Society and History*. vol. 46, no. 2 (2004).
- Cowen, Michael & Robert W. Shenton. *Doctrines of Development*. London: Routledge, 1996.
- Crapanzano, Vincent. "Co-futures." *American Ethnologist*. vol. 34, no. 3 (2007).
- Daston, Lorraine & Peter Galison. *Objectivity*. New York: Zone, 2007.
- Davis, K. *Periodization and Sovereignty: How Ideas of Feudalism and Secularization Govern the Politics of Time*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2008.

- Diley, R. *The Problem of Context*. New York/ Oxford: Berghahn, 1999.
- Dirks, N. B. (ed.). *Colonialism and Culture*. Ann Arbor: University of Michigan Press, 1992.
- Durkheim, E. & M. Mauss. *Primitive Classification*. R. Needham (trans.). London: Cohen & West, 1963 [1903].
- Elyachar, J. "Empowerment Money: The World Bank, Non-governmental Organizations, and the Value of Culture in Egypt." *Public Culture*. vol. 14, no. 3 (2002).
- Escobar, Arturo. "Anthropology and the Development Encounter: The Making and Marketing of Development Anthropology." *American Ethnologist*. vol. 18, no. 4 (1991).
- Evans, Robert. "Soothsaying or Science? Falsification, Uncertainty and Social Change in Macroeconomic Modelling." *Social Studies of Science*. vol. 27, no. 3 (1997).
- Fabian, Johannes. *Time and the Other: How Anthropology Makes its Object*. New York: Columbia University Press, 1983.
- _____. "Ethnographic Misunderstanding and the Perils of Context." *American Anthropologist*. vol. 97 (1995).
- Faubion, James. *The Shadows and Lights of Waco: Millennialism Today*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2001.
- Ferguson, James. *The Anti-politics Machine*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1994.
- _____. *Expectations of Modernity: Myths and Meanings of Urban Life on the Zambian Copperbelt*. Berkeley: University of California Press, 1999.
- Fortun, Mike. *Promising Genomics: Iceland and deCODE Genetics in a World of Speculation*. Berkeley: University of California Press, 2008.
- Foster, Robert J. "Commodity Futures: Labour, Love and Value." *Anthropology Today*. vol. 21, no. 4 (2005).
- Fourcade-Gourinchas, Marion & Sarah L. Babb. "The Rebirth of the Liberal Creed: Paths to Neoliberalism in Four Countries." *American Journal of Sociology*. vol. 108, no. 3 (2002).
- Fox, R. W. & T. J. Jackson Lears (eds.). *The Culture of Consumption: Critical Essays in American History, 1880-1980*. New York: Pantheon, 1990 [1983].
- Frank, Thomas C. *The Conquest of Cool: Business Culture, Counterculture, and the Rise of Hip Consumerism*. Chicago: University of Chicago Press, 1997.
- Frenkel, J. (ed.). *True Names and the Opening of the Cyberspace Frontier*. New York: Tom Doherty, 2001.
- Gell, Alfred. *The Anthropology of Time*. Oxford: Berg, 1992.
- Giddens, A. *Modernity and Self-identity*. Cambridge: Polity, 1991.

- Goody, J. *The Domestication of the Savage Mind*. Cambridge: Cambridge University Press, 1977.
- Gunn, Wendy, Ton Otto & Rachel Smith (eds.). *Design Anthropology: Theory and Practice*. London: Bloomsbury, 2013.
- Gupta, Akhil & James Ferguson. "Beyond 'Culture': Space, Identity, and the Politics of Difference." *Cultural Anthropology*. vol. 7, no. 1 (1992).
- Guyer, Jane I. 2007. "Prophecy and the Near Future: Thoughts on Macroeconomic, Evangelical, and Punctuated Time." *American Ethnologist*. vol. 34, no. 3 (2007).
- Habermas, Jürgen. *The Philosophical Discourse of Modernity*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1987.
- _____. *The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society*. Thomas Burger (trans.). Cambridge: Polity, 1989.
- Harding, Susan. *The Book of Jerry Falwell: Fundamentalist Language and Politics*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000.
- Hardt, Michael & Antonio Negri. *Empire*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2000.
- Harvey, David. *The Condition of Postmodernity*. Cambridge, MA: Blackwell, 1990.
- Hobsbawm, Eric & T. Ranger (eds.). *The Invention of Tradition*. Cambridge: Cambridge University Press, 1983.
- Huntington, Samuel P. "The Clash of Civilizations?" *Foreign Affairs*. vol. 72, no. 3 (1993).
- Huyssen, Andreas. "Present Pasts: Media, Politics, Amnesia." *Public Culture*. vol. 12, no. 1 (2000).
- Ingold, Tim. "The Temporality of the Landscape." *World Archaeology*. vol. 25, no. 2 (1993).
- James, W. & D. Mills (eds.). *The Qualities of Time: Anthropological Approaches*. Oxford: Berg, 2005.
- Jameson, Fredric. "Postmodernism, or the Cultural Logic of Late Capitalism." *New Left Review*. vol. 146 (1984).
- _____. *Archaeologies of the Future: The Desire Called Utopia and other Science Fictions*. London: Verso, 2005.
- Kelly, John. "Time and the Globe: Against the Homogeneous, Empty Communities in Contemporary Social Theory." *Development and Change*. vol. 29, no. 4 (1998).
- Kern, Stephen. *The Culture of Time and Space, 1880–1918*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003.
- Koselleck, Reinhart. *Futures Past. On the Semantics of Historical Time*. K. Tribe (trans.). New York: Columbia University Press, 2004 [1979].

Kroeber, A. L. & C. Kluckhohn. *Culture: A Critical Review of Concepts and Definitions*. Cambridge, MA: Peabody Museum of Archaeology and Ethnology, 1952.

Kurzweil, Ray. *The Singularity Is Near: When Humans Transcend Biology*. Harmondsworth: Penguin, 2005.

Latour, Bruno. *We Have Never Been Modern*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1993.

Le Goff, Jacques. *Time, Work and Culture in the Middle Ages*. Chicago: University of Chicago Press, 1980.

Lévi-Strauss, Claude. *The Savage Mind*. Chicago: University of Chicago Press, 1966.

Lyotard, Jean-François. *The Postmodern Condition: A Report on Knowledge*. G. Bennington & B. Massumi (trans.). Minneapolis: University of Minnesota Press, 1984.

Malinowski, Bronislaw. *Magic, Science and Religion and Other Essays*. New York: Doubleday Anchor, 1954 [1926].

Maruyama, Magoroh et al. (eds.). *Cultures of the Future*. Hague/ Chicago: Mouton; Aldine, 1978.

Maurer, Bill. "Repressed Futures: Financial Derivatives' Theological Unconscious." *Economy and Society*. vol. 31, no. 1 (2002).

Meadows, Donella, Edward Goldsmith & Paul Meadow. *The Limits of Growth*. New York: Universe, 1972.

Merleau-Ponty, Maurice. *Phenomenology of Perception*. London: Routledge & Kegan Paul, 1962.

Miller, Daniel. *A Theory of Shopping*. Cambridge: Polity, 1998.

Mitchell, Timothy. *Rule of Experts: Egypt, Techno-politics, Modernity*. Berkeley: University of California Press, 2002.

_____. "Economentality: How the Future Entered Government." *Critical Inquiry*. vol. 40 (2014).

Miyazaki, Hirokazu. "The Temporalities of the Market." *American Anthropologist*. vol. 105, no. 2 (2003).

_____. *The Method of Hope: Anthropology, Philosophy, and Fijian Knowledge*. Stanford, CA: Stanford University Press, 2004.

_____. *Arbitraging Japan: Dreams of Capitalism at the End of Finance*. Berkeley: University of California Press, 2013.

_____. "Insistence and Response: On Ethnographic Replication." *Common Knowledge*. vol. 20, no. 3 (2014).

Mosse, David. *Cultivating Development: An Ethnography of Aid Policy and Practice*. London: Pluto, 2004.

- Munn, Nancy. "The Cultural Anthropology of Time: A Critical Essay." *Annual Review of Anthropology*. vol. 21 (1992).
- Negri, Antonio. *Time for Revolution*. M. Mandarini (trans.). London: Bloomsbury, 2005.
- Nowotny, Helga. *Time: The Modern and Postmodern Experience*. Cambridge: Polity, 1994.
- Nye, David. *America's Assembly Line*. Cambridge, MA: MIT Press, 2013.
- Ong, A. & S. Collier (eds.). *Global Assemblages. Technology, Politics and Ethics as Anthropological Problems*. Malden, MA: Blackwell, 2005.
- Ong, A. "Neoliberalism as a Mobile Technology." *Transactions*. vol. 31 (2006).
- Pagden, Anthony. *The Fall of Natural Man: The American Indian and the Origins of Comparative Ethnology*. Cambridge: Cambridge University Press, 1982.
- Pels, Peter. "What Has Anthropology Learned from the Anthropology of Colonialism?" *Social Anthropology*. vol. 16, no. 3 (2008).
- _____. "After Objectivity: An Historical Approach to the Intersubjective in Ethnography." *HAU: Journal of Ethnographic Theory*. vol. 4, no. 1 (2014).
- Persoon, Gerard & Diny van Est. "The Study of the Future in Anthropology in Relation to the Sustainability Debate." *Focaal*. vol. 35 (2000).
- Pesce, M. "Magic Mirror: The Novel as Software Development Environment." 1999. at: <https://11nq.com/8rrsjyv>
- Piot, Charles. *Nostalgia for the Future: West Africa after the Cold War*. Chicago: University of Chicago Press, 2010.
- Pohl, Frederik & C. M. Kornbluth. *The Space Merchants*. New York: Ballantine, 1953.
- Prestholdt, Jeremy. *Domesticating the World: African Consumerism and the Genealogies of Globalization*. Berkeley: University of California Press, 2007.
- Rao, V. & M. Walton (eds.). *Culture and Public Action*. Stanford, CA: Stanford University Press, 2004.
- Rist, Gilbert. *The History of Development: From Western Origins to Global Faith*. London: Zed, 2002.
- Roitman, Janet. *Anti-crisis*. Durham, NC: Duke University Press, 2014.
- Rosa, H. & W. E. Scheuerman. *High-speed Society: Social Acceleration, Power, and Modernity*. Philadelphia: Penn State University Press, 2009.
- Rosenberg, Daniel & Susan Harding. *Histories of The Future*. Durham, NC: Duke University Press, 2005.
- Said, Edward. *Orientalism*. Harmondsworth: Penguin, 1985 [1978].
- Schama, Simon. *The American Future*. London: Vintage, 2009.

- Schmitt, Carl. *The Concept of the Political*. George Schwab (trans.). New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1996.
- Seligman, M. E. P. et al. "Navigating into the Future or Driven by The Past." *Perspective on Psychological Science*. vol. 8, no. 1 (2013).
- Shils, Edward. *Tradition*. Chicago: University of Chicago Press, 1981.
- Stewart, Kathleen & Susan Harding. "Bad Endings: American Apocalypsis." *Annual Review of Anthropology*. vol. 28, no. 1 (1999).
- Stocking, G. W. *Delimiting Anthropology: Occasional Essays and Reflections*. Madison: University of Wisconsin Press, 2001.
- Stolcke, Verena. "Talking about Culture: New Boundaries, New Rhetorics of Exclusion in Europe." *Current Anthropology*. vol. 36, no. 1 (1995).
- Stoler, Ann Laura. "On Degrees of Imperial Sovereignty." *Public Culture*. vol. 18, no. 1 (2006).
- Stolow, Jeremy (ed.). *Deus in Machina: Religion, Technology, and the Things in between*. New York: Fordham University Press, 2013.
- Strathern, Marilyn. *After Nature: English Kinship in the Late Twentieth Century*. Cambridge: Cambridge University Press, 1992.
- Suchman, Lucy. "Anthropological Relocations and The Limits of Design." *Annual Review of Anthropology*. vol. 40, no. 1 (2011).
- Thompson, E. P. "Time, Work—discipline, and Industrial Capitalism." *Past and Present*. vol. 38 (1967).
- Tsing, Anna. "The Global Situation." *Cultural Anthropology*. vol. 15, no. 3 (2000).
- Van Steenberg, Bart. "The Rise, Fall, and Resurrection of Future Studies in The Final Decades of this Millennium." *Focaal*. vol. 35 (2000).
- Wallman, Sandra (ed.). *Contemporary Futures: Perspectives from Social Anthropology*. London: Routledge, 1992.
- Walters, Bradley B. et al. (eds.). *Against the Grain: The Vayda Tradition in Human Ecology and Ecological Anthropology*. Lanham, MD: Altamira, 2008.
- Weiss, Brad (ed.). *Producing African Futures: Ritual and Reproduction in a Neoliberal Age*. Leiden: Brill, 2004.
- Wolf, Eric. *Peasants*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1966.
- Worsley, Peter. *The Trumpet Shall Sound*. London: MacGibbon & Kee, 1957.



عبد المطلب عبد القادر حجاج

السيكولوجيا الرقمية في عصر حروب الجيل الخامس

هذا الكتاب هو بمنزلة وثيقة تحذير واستراتيجية دفاع، حيث يكشف خفايا الحرب النفسية الرقمية، في عالم تتبدّل فيه خرائط القوة، وتغيب فيه أصداء المدافع لتحلّ محلها معارك تُخاض في صمت على جبهات العقول، وحيث تتحوّل فيه الخوارزميات وأدوات الذكاء الاصطناعي إلى أسلحة دقيقة تخترق الوعي الجمعي، وتزرع بذور الشك، وتفتّت جسور الثقة، وتعيد هندسة الهويات لخدمة أجندات خفية. ويرسم المؤلف فيه، بدءاً من الشائعات المصمّمة بمهارة إلى عمليات الاستقطاب السياسي الممنهج، خريطة عمليات دقيقة لآليات السيطرة على الإدراك في زمن التضليل المبرمج.

مراجعات الكتب
Book Reviews



مدن الرماد 1، 110x220 سم، تقنيات مختلفة على قماش (2023).
Cities of Ash 1, 220x110 cm, Mixed media on canvas (2023).

خليل السلمي | Khalil Alselmi*

مراجعة كتاب العشرية السوداء للاقتصاد اليمني: دراسة تحليلية لآثار الحرب على الاقتصاد خلال الفترة 2011-2021 لدبوان عبد القوي الصوفي

الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025، 212 ص.

Review of *A Decade of Decline: An Analytical Study of the Impact of War on Yemen's Economy (2011-2021)* by Dibwan Abdul Qawi Alsoufi

Doha/Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies, 2025, 212 p.

مقارنة مؤشرات هذه الفترة بأداء العقد السابق لها، معتمداً مقارنة وصفية ترصد تغير المؤشرات بين الفترتين، ثم تحليل البيانات وتقف على الأسباب الكامنة وراء الأزمة.

ترتكز حجة الكتاب الأساسية على أنّ اليمن دخل الحرب باقتصاد محدود التنوع وذي مؤسسات ضعيفة، لتعمّق الحرب اختلالاته وتُعطل إنتاجه وتُضعف أدوات إدارته. يتكوّن الكتاب من أربعة فصول: يعرض الفصل الأول البيئة السياسية وبنية الدولة قبل الحرب، ويتناول الفصل الثاني أداء الاقتصاد اليمني خلال الفترة 2001-2010، ويتتبع الفصل الثالث أزمة هذا الاقتصاد وتحولاته خلال الفترة 2011-2021، في حين يُخصّص الفصل الرابع لتقويم الحالة واقتراح السياسات وتحديد الأولويات ومراحل التنفيذ والاحتياجات التمويلية. ويُختتم الكتاب بملاحق إحصائية تعرض المادة المصدرية للتحليل.

ترى سارة فيليس أنّ فهم بنية الدولة اليمنية يتطلب التطلع إلى ما وراء أطرها الرسمية؛ إذ تتغلغل الولاءات الشخصية والشبكات الزبونية في أجهزتها، لتغدو أكثر فاعلية من اللوائح المعلنة في تشكيل النفوذ وإعادة توزيع الثروة⁽¹⁾. وقد اتسعت هذه الفجوة، في ظل حرب عام 2015، مع تراجع انتظام الأجور وانحسار الخدمات العامة، في حين تستمر الجباية والتجارة والتحويلات وفق ترتيبات متغيرة. في هذا السياق، يدرس كتاب العشرية السوداء للاقتصاد اليمني التحولات الاقتصادية بين عامي 2011 و2021، من خلال

* باحث مساعد في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

Assistant Researcher at the Arab Center for Research and Policy Studies. Email: khalil.alselmi@dohainstitute.edu.qa

(1) Sarah Phillips, *Yemen and the Politics of Permanent Crisis* (Abingdon: Routledge, 2011), pp. 55, 58.

أولاً: بنية اليمن السياسية والاقتصادية قبل الأزمة

يستهل المؤلف الفصل الأول بعرض البيئة السياسية اليمنية التي سبقت الأزمة، متناولاً بنية الدولة وسلطاتها ومؤسساتها، ونشأة الأحزاب وتطورها، والانتخابات، والإعلام، ومنظمات المجتمع المدني، إلى جانب الحروب والصراعات التي شهدتها اليمن قبل عام 2011 (ص 19-26). ويؤدي هذا الفصل وظيفة تمهيدية؛ إذ يضع التحولات الاقتصادية اللاحقة لسنة 2011 في سياق دولة تعاقبت عليها الأزمات السياسية، ولم يكتمل بناء مؤسساتها بعد الوحدة.

ويتنقل المؤلف في الفصل الثاني إلى تحليل أداء الاقتصاد اليمني خلال الفترة 2001-2010، بوصفها فترة مرجعية للمقارنة بأداء الاقتصاد في العقد التالي. يعرض تطور الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية والثابتة، مبيّناً أن ارتفاعه بالأسعار الجارية فاق كثيراً نموه الحقيقي (ص 27-30). ثم يتتبع متوسط نصيب الفرد من الناتج، فيلاحظ أن نموه بالأسعار الجارية بلغ 109.80 في المئة بين عامي 2001 و2010، في حين تراجع بالأسعار الثابتة من نحو 613 دولاراً إلى 532 دولاراً في المدة نفسها؛ أي بانخفاض 13.21 في المئة. ويعدّ المؤلف هذا التراجع مؤشراً دالاً على عدم كفاءة الإدارة الاقتصادية (ص 31-32). من خلال توزّع الإنتاج بين القطاعات، يظهر أن الصناعات الاستخراجية أسهمت، في عام 2010، بنحو 23.7 في المئة منه بالأسعار الجارية، مقابل 12 في المئة للزراعة والصيد، و8.4 في المئة للصناعات التحويلية (ص 32-33).

وفي المالية العامة، يبيّن المؤلف أن الإيرادات العامة والمنح نمت بمعدلات متباينة بين عامي

2002 و2010، وأن إيرادات النفط والغاز شكّلت في المتوسط 71.4 في المئة من الإيرادات العامة في تلك الفترة، مقابل 24.3 في المئة للإيرادات الضريبية. ويعزو ضعف الحصيلة الضريبية إلى تقليدية طرائق التحصيل، واتساع التهرب الضريبي (ص 35، 38-39). وفي جانب النفقات، استحوذ الإنفاق الجاري على 78.6 في المئة من الإجمالي، مقابل 17.4 في المئة للنفقات الرأسمالية و4 في المئة لصافي الإقراض (ص 42). ويرى المؤلف أن الإنفاق تحرك تبعاً للإيرادات النفطية صعوداً وهبوطاً في غياب احتياطي مالي مستدام، وأن استمرار دعم المشتقات كان عاملاً رئيساً، وإن كان غير مباشر، في ما عليه الوضع الاقتصادي الراهن (ص 44)، داعياً إلى تجاوز موازنة البنود إلى نظام البرامج والأداء الذي يربط الرقابة بالنتائج (ص 46). وتؤسس هذه المادة صورةً لاقتصاد محدود التنوع شديد التأثير بموارده الاستخراجية، وتلك كانت هي البنية التي ستصيبها الحرب بشدة لاحقاً.

ثانياً: عقد الأزمة ومسارات التعافي

يفتح المؤلف الفصل الثالث بتحديد الفترة المدروسة، بوصفها مرحلة "تخللتها اضطرابات شعبية في العام 2011 أعقبتها حرب أهلية في العام 2015" (ص 47). ويستوعب هذا المدخل اختلاف الظروف بين بداية الأزمة السياسية واتساع القتال لاحقاً؛ إذ يجعل من عام 2015 فاصلاً في أداء اقتصاد البلاد (ص 54). ويعرض المؤلف الناتج والأسعار ونصيب الفرد والهيكل القطاعي بأرقام تقيس حجم التراجع، فالناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة ينخفض

وفي مالية عقد الأزمة، يميز المؤلف الأداء خلال الفترة 2011-2014 من أداء المرحلة اللاحقة لاتساع الحرب، ويتتبع الإيرادات والمنح والنفقات والعجز، فيربط القدرة على الوفاء بالالتزامات العامة بتطور الموارد النفطية وغير النفطية. وبعد عام 2014، يبرز أثر تعطل الموارد وانقسام المؤسسات وصعوبة الحصول على بيانات منتظمة في تقييم الأداء الحكومي. ويظهر هذا التحليل أن الموازنة صارت قناة لانتقال الأزمة إلى الأجور والخدمات والاستثمار؛ فالنفط حاضر فيها بوصفه نشاطاً إنتاجياً ومورداً للموازنة ومصدراً للنقد الأجنبي في آن (ص 78-91).

ثم تتسع المناقشة إلى المجال النقدي والمصرفي، حيث تعالج البنك المركزي والعرض النقدي وسعر الصرف، متوقفة عند نقل إدارة البنك المركزي إلى عدن عام 2016 وما تلاه من ازدواج في السلطة النقدية، ثم موجودات البنوك، وودائعها، وأدوات الدين، والسيولة. وترتبط تعثر المصارف بتعثر الدولة والتزاماتها وبالقرارات المالية والنقدية المتعارضة. ويتكرر فيها استحضار أذون الخزنة، وهي أدوات اقتراض حكومي قصيرة الأجل، بوصفها أحد أوجه توظيف أموال البنوك، بحيث يتبين أن تعطل الوفاء بها يمسّ قدرة المصارف على تشغيل مواردها. إضافة إلى ذلك، يناقش المؤلف الانقسام بين صنعاء وعدن وتباين سياساتهما وشروط تعاملاتهما النقدية. وبذلك، تتضح صلة أزمة العملة بتراجع قدرة الجهاز المصرفي على الوساطة بين المدخرات وتمويل النشاط (ص 91-126).

ويستكمل الفصل الثالث تشخيص واقع الاقتصاد اليمني في ظل أزيمته العميقة، من خلال دراسة أوضاع العمل والبطالة والمشاركة الاقتصادية

من 1998 إلى 695 مليون ريال يمني عام 2011 إلى 3237150 مليوناً عام 2021؛ أي بنحو 53 في المئة (ص 56)، وأن نصيب الفرد منه تراجع (سنة الأساس 2012) من 1337 دولاراً عام 2011 إلى 392 دولاراً عام 2019؛ وهو ما يعزوه المؤلف إلى انكماش الناتج بالتوازي مع الزيادة السكانية (ص 53). وفي تقديرات عام 2021 بالأسعار الجارية، تهبط حصة الصناعات الاستخراجية من الناتج إلى 4.8 في المئة، بعد أن كانت الأعلى عام 2011 بنسبة 27.21 في المئة، بينما تبلغ حصة الزراعة والصيد فيه 19.6 في المئة (ص 54-55).

يُفصّل الفصل الثالث أوضاع الزراعة والغابات وصيد الأسماك، ثم الصناعة والطاقة والسياحة، مسنداً تحليل كل قطاع بأرقامه. ففي الزراعة لم تتجاوز المساحة المزروعة عام 2013 نحو 1452438 هكتاراً؛ أي قرابة 3 في المئة من كامل مساحة البلاد، ويستحوذ القات على 40 في المئة من الإنتاج الزراعي مقابل 3 في المئة للقمح، حتى إن استبعاده من التحليل يخفض مساهمة الزراعة الإيجابية إلى نحو 5 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي (ص 60-61). أمّا إنتاج النفط الخام، فيتراجع من 160.05 مليون برميل عام 2001 إلى 100.11 مليون عام 2010، ثم إلى 62.26 مليوناً عام 2013، قبل أن يتوقف نتيجة الحرب (ص 63). ثم يتناول الفصل التجارة الخارجية وميزان المدفوعات، فيبين أن تغطية الصادرات للواردات هبطت من 114.21 في المئة عام 2002 إلى 74 في المئة عام 2007 (ص 73)، وأن الغذاء والوقود والآلات شكّلت مجتمعة 69 في المئة من الواردات عام 2009 (ص 72)؛ ما يبرز تحوّل ميزان التحويلات الجارية إلى فائض متنامٍ وفّر جانباً من النقد الأجنبي (ص 69-78).

وتشمل الأولويات العاجلة، في نظر المؤلف، إعادة تشغيل النفط والغاز والصناعة والكهرباء والمياه، مع اتخاذ مستويات عام 2013 مرجعاً في الجدول التنفيذي لاستعادة بعض الأنشطة، والانتظام في دفع الرواتب، وتوفير احتياطي نقدي، وتوحيد البنك المركزي والعملة، وتنظيم عمل المصارف والصرافين. ثم ينتقل البرنامج إلى تطوير القطاعات الإنتاجية، وزيادة الإيرادات، وتأهيل المؤسسات الحكومية. ويقرن المؤلف هذه الأولويات بمراحل تنفيذ وتقديرات للاحتياجات المالية ومصادر التمويل (ص 153-159). وتعيد خاتمة الكتاب ربط التعافي بالتوافق السياسي وإصلاح المؤسسات وتنويع الاقتصاد وتحسين بيئة الاستثمار (ص 161-166).

موقع الكتاب ومساهمته

تتمثل مساهمة الكتاب في جمع مؤشرات اقتصادية ومالية ومصرفية واجتماعية متفرقة، وتنظيمها في قراءة تشخيصية لمسار الاقتصاد اليمني قبل الأزمة وخلالها، وتنبع أهميتها من ربط التدهور اللاحق بالاختلالات الإنتاجية والمؤسسية السابقة، كما يتضح في فصله الثاني وخاتمته. غير أن لتلك المساهمة حدوداً تتركز في قلة إحكام المقارنة بين المؤشرات أحياناً، وعدم الوصل الدائم بين تشخيص الخسائر وتفسير توزيعها، فضلاً عن عدم تحديد شروط تنفيذ المعالجات المقترحة. فالمؤلف يميز بين اضطرابات عام 2011 وحرب عام 2015 (ص 47)، ويُفصل في المالية العامة بين السنوات السابقة لاتساع الحرب والمرحلة اللاحقة (ص 79-90). غير أن هذا التمييز يحتاج إلى حضور أكثر انتظاماً في تفسير السلاسل الاقتصادية؛ لأن تعطل الإنتاج بسبب القتال يختلف عن تعثر التمويل

للنساء، ثم مظاهر الفقر والتعرض للنزاعات والنزوح، مستنداً في ذلك إلى المؤشرات ذات الصلة بكل مسألة. ففي عام 2014 لم يتجاوز معدل المشاركة في قوة العمل (أي نسبة من يعملون أو يبحثون عن عمل ممن بلغوا 15 عاماً فأكثر) 36.3 في المئة، ولم تزد حصة النساء منها على 8.2 في المئة (ص 128)، في حين بلغ معدل البطالة 13.5 في المئة مع ارتفاع واضح في بطالتهن (ص 133). أما متوسط الدخل الشهري، فقد قارب 52.5 ألف ريال يمني؛ أي نحو 250 دولاراً (ص 131). وتتصدر الأجور والمرتبات مصادر دخل الأسر، بما يوضح أثر انقطاعها في مستوى المعيشة؛ إذ ارتفع عدد الفقراء من 6.975 ملايين شخص عام 2005 إلى 12.614 مليوناً عام 2014 (ص 135). إلى جانب ما سبق، يوسّع إدراج الوفيات غير المباشرة والنزوح في التحليل نطاق الخسائر، في حين يقارن المؤلف تقديرات النازحين منبهاً إلى تفاوت نطاق المسوح، ثم يعرض أوضاع السكن والدخل والمساعدات (ص 136-142).

ينتقل الفصل الرابع إلى تقويم الحالة السياسية والاقتصادية، ويجعل تسوية النزاع ومعالجة الانقسام أساساً لاستعادة النشاط. ويصنف أوضاع الاقتصاد بحسب نقاط القوة، والضعف، والفرص، والتهديدات. وتشمل نقاط الضعف الاعتماد على الصناعات الاستخراجية وقصور الكهرباء والإدارة والبنية الأساسية، بينما تندرج الموارد البشرية والموقع الجغرافي والمقومات السياحية ضمن عناصر القوة. وتتركز الفرص في الزراعة والصيد والصناعة والسياحة، في مقابل تهديدات استمرار الانقسام وتجدد الحرب. ويستخدم المؤلف هذا التقويم لتحديد مجالات التدخل وتسلسلها (ص 143-152).

بنحو 60 في المئة والديزل بنحو 95 في المئة، واستثمر الحوثيون الغضب من ذلك في تصعيد ضغطهم على الحكومة حتى دخولهم صنعاء في أيلول/سبتمبر من العام نفسه⁽³⁾، فصار بند الدعم عقدة تصل المالية العامة بالمسار السياسي كما يعرضه الفصل الأول.

ويظهر إشكال محدد في حاجة الكتاب لدى خوضه في مقارنات لنسب الفقر (ص 136). فالنسبة التي يوردها المؤلف لعام 2014، وكانت نحو 48.5 في المئة، تقارب تقدير البنك الدولي البالغ 48.6 في المئة للسنة نفسها. وقيس هذا التقدير على المستوى الوطني نسبة السكان الذين تقل قيمة استهلاكهم عن تكلفة حد أدنى من الاحتياجات الغذائية وغير الغذائية⁽⁴⁾. أما تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومبادرة أكسفورد للفقر والتنمية البشرية، فيقدّران انتشار الفقر المتعدد الأبعاد بنسبة 82.7 في المئة، استناداً إلى مسح عام 2021 في مناطق أمكن الوصول إليها تحت سيطرة الحكومة المعترف بها دولياً في تسع محافظات. ويجمع هذا المقياس الحرمان في التعليم والصحة والخدمات، والمعيشة، والعمل. أضف إلى ذلك أن نسبة 46.7 في المئة، في تقرير الأمم المتحدة نفسه، تعني متوسط شدة الحرمان لدى الفقراء بهذا المقياس، وليست نسبة

نتيجة انقسام المؤسسات، كما يختلف توقف تحصيل الإيرادات عن انتقال السيطرة عليها إلى جهة أخرى. وفي حين توضّح المقارنة بين العقدين اتجاه التدهور وحجمه في المؤشرات المتاحة، فإنها تظل قاصرة، وحدها، عن تحديد مقدار ما يعود إلى كل آلية. ومع ذلك، يقدّم الكتاب ما يتيح هذا التمييز؛ فإنتاج النفط الخام يتراجع بنحو الثلث بين عامي 2001 و2010، أي قبل الحرب، ثم يهبط إلى 62.26 مليون برميل عام 2013 قبل أن يتوقف بفعلها (ص 63). ويمكن بمثل هذه الأرقام تتبع آليات الانتقال، والتمييز بين ما سبق الحرب وما أحدثته أو عمّقه.

ويتصل بذلك تفسير أداء العقد المرجعي؛ إذ يعزو الكتاب تراجع نصيب الفرد الحقيقي إلى عدم كفاءة الإدارة الاقتصادية (ص 31)، لكن تضع أدبيات الاقتصاد السياسي هذا العقد داخل برنامج الإصلاح الاقتصادي والمالي والإداري الذي انطلق أواخر عام 1994 برعاية صندوق النقد والبنك الدوليين، وما رافقه من تجميد للتوظيف الحكومي وخفض تدريجي لدعم السلع الأساسية؛ وهي إجراءات توقّع نادر فرجاني أن ترفع البطالة والفقر⁽²⁾ كما حدث فعلاً. ولا ينقض هذا تشخيص الكتاب، لكنه ينقل السؤال من كفاءة الإدارة وحدها إلى إطار السياسات الذي عملت داخله. وتتضح أهمية هذا النقل في دعم المشتقات النفطية الذي يعدّه الكتاب عاملاً رئيساً في الوضع الراهن (ص 44)؛ فخفضه في تموز/يوليو 2014 رفع سعر البنزين

(3) Tobias Thiel, "Governance in Transition: The Dynamics of Yemen's Negotiated Reform Process," in: Marie-Christine Heinze (ed.), *Yemen and the Search for Stability: Power, Politics and Society after the Arab Spring* (London: I.B. Tauris, 2018), p. 122; Marieke Brandt, "The Huthi Enigma: Ansar Allah and the Second Republic," in: Heinze (ed.), pp. 175-177.

(4) World Bank Group, *Poverty & Equity Brief: Republic of Yemen* (October 2020), pp. 1-2, accessed on 25/8/2026, at: <https://acr.ps/hBxVJW3>

(2) Nader Fergany, "Structural Adjustment versus Human Development in Yemen," in: Kamil A. Mahdi, Anna Würth & Helen Lackner (eds.), *Yemen into the Twenty-First Century: Continuity and Change* (Reading: Ithaca Press, 2007), pp. 11-12.

لغير المتخصص قبل شرح أثر تغير الأسعار، فضلاً عن أن تعريف المصطلح عند ظهوره الأول يساعد القارئ على تقييم الاستنتاج.

تتصل حدود التفسير في الكتاب بكيفية توزيع الموارد. فحين يربط المؤلف بعض الإنفاق الاجتماعي بـ "شراء الولاءات الاجتماعية" (ص 82)، يظل إثبات هذا الغرض السياسي في حاجة إلى معلومات عن المستفيدين وقرارات التخصيص. وتوضح أهمية هذا التحديد خلال الحرب، حين أعادت قوى صاعدة تشكيل الأسواق ومصادر الجباية لمصلحتها⁽⁷⁾. فقد استمرت التجارة عبر مناطق السيطرة المتنافسة، مع تعدد المراكز الجمركية ورسوم نقاط التفتيش، التي انعكست في ارتفاع أسعار السلع. إلى جانب ذلك، أسهمت شبكات الحوالات في تمويل الواردات على الرغم من تعثر الجهاز المصرفي⁽⁸⁾، وكل ذلك يفيد في تفسير المؤشرات في الكتاب؛ فراجع ما يصل إلى الخزانة قد يعود إلى تقلص النشاط الاقتصادي وانتقال تحصيل بعض عوائده إلى جهات أخرى. ولذلك يحتاج تحليل الخسائر إلى بيان من يتحكم في التحصيل وأين تُنفق الإيرادات. ويساعد مثل هذا التحليل أيضاً على فهم صعوبة توحيد المؤسسات؛ إذ قد تتعارض استعادة الرقابة العامة على الإيرادات مع مصالح القوى التي أصبحت تتحكم فيها خلال الحرب.

أما برنامج التعافي الذي يعرضه الكتاب، فيُميّز بين استعادة النشاط بصفة عاجلة وتطوير

السكان الذين يعيشون في فقر شديد⁽⁵⁾، ولذلك لا يمثل الفرق بين نسبتي 2014 و2021 مقدار زيادة مؤشر واحد؛ إذ اختلف كل من تعريف الفقر ونطاق المسح معاً.

ومع أن المؤلف يناقش حدود البيانات في المالية العامة وتقديرات النزوح (ص 83-91، 137-140)، فإن تعميم هذا التحفظ كان كفيلاً بزيادة قيمة الملاحق المرجعية؛ من خلال بيان الجهة التي أنتجت كل سلسلة، والمناطق التي تشملها، وإذا ما كانت الأرقام مستمدة من مسح أو تقدير. وتزداد الحاجة إلى هذه التدقيقات مع الانقسام النقدي وتباين أسعار الصرف بين المناطق⁽⁶⁾؛ إذ يتوقف معنى القيم المجمعة أو المحولة إلى الدولار على سعر التحويل المستخدم ونطاق البيانات. ويتصل بضبط القياس تفسير المؤشرات؛ فالمؤلف يستدل بكبر حصص الزراعة والتجارة والنقل من الناتج في تقديرات عام 2021، للتأكيد أن هذه القطاعات "حافظت على تماسكها، ولم تتأثر بالحرب كثيراً" (ص 54)، مع أن ارتفاع حصة القطاع قد ينتج من تراجع القطاعات الأخرى بدرجة أكبر، بحيث لا يكفي وحده لإثبات استقرار إنتاجه. ويتصل هذا الدمج أيضاً بتدني مستوى الشرح المفهومي أحياناً؛ ومنه أن عرض الناتج بالأسعار الجارية والثابتة (ص 27-30) يحتاج إلى تعريف أوضح؛ ذلك أن التفاوت بين السلسلتين لا يصبح مفهوماً

(7) Charles Schmitz, "A Parasitical Political Economy," in: Amat Al Alim Alsoswa & Noel Brehony (eds.), *Building a New Yemen: Recovery, Transition, and the International Community* (London: I.B. Tauris, 2022), pp. 119-120.

(8) Peter Salisbury, *Yemen: National Chaos, Local Order, Research Paper* (London: Chatham House, 2017), pp. 24-28.

(5) United Nations Development Programme & Oxford Poverty and Human Development Initiative, *Measuring Multidimensional Poverty in Yemen* (Sana'a: UNDP, December 2023), pp. 7, 17, 19-20.

(6) وضاح العولقي، "رأب الانقسام المالي: التخفيف من الانعكاسات السلبية لانقسام البنك المركزي على القطاع المصرفي اليمني"، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، 2023/3/9، شوهد في 2026/9/5، في: <https://acr.ps/hBxVKWo>

يحتاج برنامج التعافي إلى توضيح ما يتطلبه كل هدف من تمويل وقدرات إدارية، مع تحديد مهمات الجهات المسؤولة عن تنفيذه وكيفية متابعة النتائج. وعندئذ تتضح، أكثر، الصلة بين الاختلالات التي يشخصها الكتاب والخطوات التي يقترحها لمعالجتها.

يسهم هذا الكتاب في دراسة الاقتصاد اليمني، من خلال جمع مؤشرات متفرقة عن الإنتاج والمالية العامة والنقد والأوضاع المعيشية، وتنظيمها في قراءة تشخيصية وتحليلية واستشرافية واحدة. ولهذا الجمع والتركيب أهمية خاصة في سياق تعثر تحصيل البيانات في هذا البلد الذي مرّ، كما بين الكتاب ذاته، بأزمات عديدة ومتنوعة متتالية؛ ذلك أن آخر تعداد سكاني شامل أُجري عام 2004، وقد أضعف الانقسام المؤسسي الواقع، منذ عام 2015، قدرة الجهاز الإحصائي على جمع البيانات ونشرها. ومع تشتت المصادر وتفاوت نطاق التقديرات، لا يساعد الكتاب على توفير مادة مصدرية ومرجعية منظمة فحسب، بل يسرّ أيضاً تتبع انتقال التأزم بين القطاعات والمؤسسات وتربط آثاره ومفاعيله، خلال عقد الأزمة الراهنة. ويطرح في الوقت ذاته سؤالاً يتجاوز الرصد والتحليل إلى البحث والنقاش، مفاده: ما الذي يكفل ألا تتحوّل إعادة الإعمار إلى إعادة إنتاج شروط الهشاشة السابقة؟

الاقتصاد لاحقاً، ويؤكد ضرورة تقليل الاعتماد على النفط ودعم الزراعة والسياحة والصناعة وخلق فرص العمل (ص 165). غير أنّ جدول المرحلة الأولى يفصّل أهداف النفط والغاز والصناعة والكهرباء والمياه، ويجمع بقية القطاعات في بند عام (ص 157). وتحتاج الخطة إلى توضيح الكيفية التي بها ستستخدم الموارد المستعادة لتمويل تنويع تركيبة الاقتصاد اليمني؛ فأهمية أي قطاع في التعافي تتجاوز استعادة إنتاجه. ولتأكيد ذلك، خلصت دراسة تحاكي مسارات التعافي في اليمن إلى أولوية إعادة تأهيل قطاع الزراعة لآثره المتوقع في النمو وتقليص الفقر، ضمن افتراضات نموذجها الاقتصادي⁽⁹⁾. وهذا يقتضي ربط ترتيب القطاعات بآثارها في الدخل والتشغيل، إلى جانب قدرتها على توفير الإيرادات. ومن ناحية أخرى، يحتاج التمويل المقترح إلى مؤسسات تستطيع استخدامه؛ على اعتبار أن محدودية القدرة الحكومية على الفعل وتعقيد إجراءات المشروعات وضعف المشاركة المحلية قد قيدت الاستفادة من المساعدات في اليمن⁽¹⁰⁾. وعلاوة على ذلك،

(9) Askar Mukashov et al., "Modeling Conflict Impact and Postconflict Reconstruction: The Case of Yemen," *Economic Systems*, vol. 46, no. 1 (2022).

(10) Amat Alsoswa, "The Role of the International Community and the GCC Countries in the Economic Development of Yemen," in: Alsoswa & Brehony (eds.), pp. 159-160.

References

المراجع

العربية

العولقي، وضاح. "رأب الانقسام المالي: التخفيف من الانعكاسات السلبية لانقسام البنك المركزي على القطاع المصرفي اليمني". مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية. 2023/3/9 في: <https://acr.ps/hBxVKWo>

الأجنبية

Mahdi, Kamil A., Anna Würth & Helen Lackner (eds.). *Yemen into the Twenty-First Century: Continuity and Change*. Reading: Ithaca Press, 2007.

Alsoswa, Amat Al Alim & Noel Brehony (eds.). *Building a New Yemen: Recovery, Transition, and the International Community*. London: I.B. Tauris, 2022.

Heinze, Marie-Christine (ed.). *Yemen and the Search for Stability: Power, Politics and Society after the Arab Spring*. London: I.B. Tauris, 2018.

Mukashov, Askar et al. "Modeling Conflict Impact and Postconflict Reconstruction: The Case of Yemen." *Economic Systems*. vol. 46, no. 1 (2022).

Phillips, Sarah. *Yemen and the Politics of Permanent Crisis*. Abingdon: Routledge, 2011.

Salisbury, Peter. *Yemen: National Chaos, Local Order, Research Paper*. London: Chatham House, 2017.

World Bank Group. *Poverty & Equity Brief: Republic of Yemen*. October 2020. at: <https://acr.ps/hBxVJW3>

United Nations Development Programme & Oxford Poverty and Human Development Initiative. *Measuring Multidimensional Poverty in Yemen*. Sana'a: December 2023.

محمد أرحال | Mohamed Arhal*

مراجعة كتاب الانفعالات في عالم رقمي: البحث الاجتماعي 4.0 لأدريان سكريبانو

أبينغدون: راوتليدج، 2023، 165 ص.

Review of *Emotions in a Digital World: Social Research 4.0* by Adrian Scribano

Abingdon: Routledge, 2023, 165 p.

مقدمة

الرمزية، والتنظير الطقوسي، ونظريات السلطة والمكانة) في إعادة صياغة موقع هذا البعد المهم من أبعاد الممارسة الاجتماعية، وبنى المجتمعات، ضمن علم الاجتماع المعاصر. وقد ازدادت أهمية هذا العنصر، ضمن تركيبة الفعل الاجتماعي المعقدة؛ بفعل الثورة الرقمية الرابعة وما واكبها من تحولات في معرفة أبعاد أخرى غير معهودة للمجتمع الإنساني.

قبل هذا التحول الرقمي، كان يُنظر إلى الانفعالات على أنها نتاج للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية المادية المباشرة⁽²⁾، المؤطرة بخلفيات ثقافية مختلفة⁽³⁾. ثم ساد الوعي بأن للخوارزميات قدرة هائلة على تشكيل العديد من الانفعالات والتحكم فيها، داخل هذه البيئات الاجتماعية الجديدة المكونة للمجال الرقمي.

على الرغم من أن العاطفة تشكّل بعداً مركزياً في الفعل الاجتماعي والتفاعل الإنساني، لم يدرجها علم الاجتماع، خاصةً كما صاغه رواده الكلاسيكيون، ضمن أولوياتهم سواء في اهتمامات النظريات البعيدة المدى التي هيمنت على بدايات الحقل، أو في النظريات القصيرة المدى وتحليلها للبنى الذاتية والتفاعلات الرمزية. لهذا، لم تُعتمد الانفعالات في مختبر التحليل السوسيولوجي، إلا من بداية سبعينيات القرن العشرين⁽¹⁾. ثم شهدت العقود الأخيرة تحولاً نوعياً، حيث أُعيد التفكير في العاطفة بوصفها مكوناً مؤسساً للفعل الاجتماعي؛ إذ أسهمت مجموعة من النظريات (مثل التفاعلية

* باحث، حاصل على الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة ابن زهر، المغرب.

Researcher holding a PhD in Sociology from Ibn Zohr University, Morocco. Email: Arhal.med12@gmail.com

(2) Eduardo Bericat, "The Sociology of Emotions: Four Decades of Progress," *Current Sociology*, vol. 64, no. 3 (2016), pp. 491-513.

(3) Massimo Cerulo & Adrian Scribano (eds.), *The Emotions in the Classics of Sociology: A Study in Social Theory* (London/ New York: Routledge, 2022).

(1) Jonathan H. Turner, "The Sociology of Emotions: Basic Theoretical Arguments," *Emotion Review*, vol. 1, no. 4 (October 2009), pp. 340-354.

الرقمي "غير واضحة كما كانت تبدو في السابق (ص 13). بل بدأت هذه الثنائية تفقد قوتها التصويرية وواجهتها المفهومية، خاصةً إذا استحضرنّا تداخل العوالم المادية والافتراضية وتشابكها في نسيج التجربة الاجتماعية اليومية للأفراد. تأسيساً على هذا المنطلق، يسعى المؤلف في الفصل الأول إلى تقديم الإطار النظري الذي يشكل الخلفية المعرفية والمنهجية للكتاب، وإلى عرض الفرضيات التي تؤسس للمقاربة المتبعة فيه.

يرتكز الفصل الأول على ثلاثة مداخل أساسية مترابطة. أولاً، تقديم قراءة موجزة في سوسيولوجيا الجسد والانفعالات، بما هي مدخل لتحليل الظواهر الاجتماعية من زاوية حسية وتجسدية، تُعلي من شأن العاطفة بوصفها عنصراً فاعلاً في تشكيل التجربة الاجتماعية. في هذا الإطار، لا يُنظر إلى الجسد على أنه نظام عضوي بيولوجي، بل بوصفه كياناً مُحمّلاً بالمعاني الاجتماعية، تتحكم في تظاهراته واستعمالاته بنى رمزية ذات مرجعية ثقافية خاصة. وتُقارب الانفعالات لا على أنها حالات داخلية معزولة، بل بوصفها بنى سوسيوثقافية تتمظهر عبر اللغة والممارسة والانفعال المتبادل. وتفتح هذه المقاربة آفاقاً جديدة لفهم الذات والعلاقات من منظور يتجاوز العقلانية الأداتية، وينفتح على البُعد الوجداني للواقع الاجتماعي (ص 20). ثانياً، يتوقف الفصل عند مفهوم "المجتمع 4.0"، بوصفه الصيغة الأحدث للمجتمعات المرقمنة، حيث تندمج التكنولوجيا الذكية (الذكاء الاصطناعي، والحوسبة السحابية، والبيانات الضخمة، وإنترنت الأشياء، وغيرها) في صلب الحياة اليومية، لتعيد تشكيل أساليب الإنتاج والمعرفة والتفاعل (ص 25). وي طرح

وبالفعل، مع تزايد القدرات الهائلة التي تتمتع بها الخوارزميات والمنصات الرقمية على تحويل التفاعلات الاجتماعية، تغيرت أنطولوجيا الانفعالات الإنسانية وصارت تشمل المجال الرقمي. وبعد أن كانت الانفعالات تُدرس على شكل تعبيرات كلامية وتصاوير فنية للأحاسيس والمشاعر، أصبحت اليوم، داخل البيئات الرقمية تتخذ أشكالاً مغايرة؛ الأمر الذي استوجب تسميتها الانفعالات الرقمية.

في إطار الاهتمام بهذه التحولات، يُركز كتاب **الانفعالات في عالم رقمي: البحث الاجتماعي 4.0**، المتكون من مقدمة وسبعة فصول، على فهم كيفية تجلّي الانفعالات في البيئات الرقمية، وإن كانت المناهج التقليدية في علم الاجتماع قادرة وحدها على تحليل ما يتصل بهذا العالم من الظواهر، كما يقترح إطاراً نظرياً ومنهجياً جديداً لتحليل الانفعالات في المجال الرقمي. وبذلك تظهر أهمية الكتاب في أنه يراهن على رسم أفق بحثي جديد، من خلال العمل على إدخال الانفعالات الرقمية إلى مختبر التحليل السوسيولوجي، ليختبر إمكانية بلورة "سوسيولوجيا الانفعالات الرقمية"، تعتمد أدوات تحليل كيفية وكمية متقدمة، مثل تحليل البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي.

أولاً: هل يمكن تأسيس سوسيولوجيا للانفعالات الرقمية؟

ينطلق الكتاب من اعتبار أنّ التحولات المتسارعة التي يعرفها عالمنا المعاصر ساعدت في جعل الحدود التقليدية بين "العالم الواقعي" و"العالم

هذه المنصة، باعتبارها تُعيد تعريف الإحساس بالذات، كما تعيد تشكيل تمثيلات الصورة في المجال الرقمي المعاصر. ولا يتعامل المؤلف مع إنستغرام على أنه أداة تواصل اجتماعي فقط، وإنما ينظر إليه بوصفه فضاءً بصرياً وحسباً يتيح إمكانيات جديدة لفهم العالم الاجتماعي (ص 42)، ومصدرًا غنيًا يمكن توظيفه في البحث السوسيولوجي الكيفي (ص 43-44). ويبيّن الفصل كيف أن الصورة في إنستغرام لا تمثل الواقع في حد ذاته بقدر ما تخلقُه وتُعيدُ تشكيله، سواء من حيث تمثيل الذات أو الإحساس بها. ليست الصورة هنا موضوعاً بصرياً خالصاً فحسب، بل هي أيضاً فعل شعوريٍّ يمرّ عبر الحواس، ليعيد بناء العلاقة بين الجسد والعالم الرقمي. بعد ذلك، يعرض الكتاب ملخصاً لتجربة إثنوغرافية رقمية، أُجريت سنة 2020 وشملت بعض بلدان أميركا اللاتينية، وركّزت على توثيق نشاط "المطاعم الاجتماعية" خلال جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) (ص 45). وقد كشف هذا العمل الميداني الرقمي عن قدرة الصور المنشورة في تطبيق إنستغرام على تمثيل مشاهد التضامن، والاحتياج، والعلاقات الاجتماعية في لحظة أزمة، على نحو يجمع بين التوثيق والتأثير الوجداني. ثم يناقش الفصل الإمكانيات التي تتيحها الصور الرقمية لفهم العلاقة بين المعرفة، والعيش، واللمس؛ إذ تُقترح نوعاً جديداً من الإدراك، يتجاوز الرؤية إلى الإحساس اللمسي. فهذه الصور تُنتج، ضمن ما يُعرف بـ "النظام البصري الراهن" (ص 52)، الذي يُعيد تشكيل الحضور الاجتماعي ومن ثمّ يعيد توزيع الحساسيات والتجارب الوجدانية.

يواصل الفصل الثالث من الكتاب تقديم التجارب البحثية الميدانية، لكنه يعتمد هذه

هذا المجتمع، الذي يتسم بتكثف الوساطة التكنولوجية وبتسارع الزمن الاجتماعي، تحديات جديدة أمام الباحث السوسيولوجي، تتعلق بكيفية تمثيل الواقع، والتقاط دينامياته المتحوّلة والمتسارعة، وفهم أشكال التعبير والمقاومة داخله.

ثالثاً، يختتم الفصل بمراجعة تركيبية لتجربته في مجال البحث الاجتماعي الإبداعي والتعبيري، مسلطاً الضوء على كفاءات استثمار الأدوات الفنية والتقنيات السردية وسائط لفهم عميق وحساس للتجارب الفردية والجماعية. فبدلاً من الاقتصار على المقاربات الكيفية التقليدية (ص 29)، يقترح المؤلف دمج تقنيات مثل التصوير، والرسم، وكتابة السيرة الذاتية، والتعبير المسرحي، باعتبارها مداخل لفهم الطابع المركب والمتعدد الأبعاد للواقع الاجتماعي المعاصر، وخاصة في سياقات رقمية أصبحت تفرض لغاتها ورمزياتها الخاصة. بذلك، لا يكتفي الفصل بتأطير نظري للعمل، بل يقدم بياناً سوسيولوجياً يدعو إلى إعادة التفكير في سيورة الممارسة البحثية ذاتها (ص 34)، ويقترح تجاوز النماذج التفسيرية الكلاسيكية نحو مقاربات مرنة، وحسّية، وتشاركية، قادرة على ملازمة التحولات الدقيقة التي يعرفها العيش الإنساني في زمن "المجتمع الشبكي".

ثانياً: تطبيقات التواصل الاجتماعي أدوات لدراسة الانفعالات الرقمية

في الفصل الثاني، يُقحم الكتاب القارئ في عالم إنستغرام، الذي أُشئ سنة 2011 (ص 38)، من خلال تحليل بعض خصائص الصور المنتجة عبر

ثالثاً: الإثنوغرافيا الرقمية وممكنتها

في ظل التحولات الجذرية التي تشهدها الحياة الاجتماعية في ما يُعرف بـ "المجتمع 4.0"، أصبحت التجربة اليومية للأفراد تتم على نحو متزايد داخل فضاءات رقمية وافتراضية. ويفرض هذا الواقع الجديد على العلوم الاجتماعية تحديد رئيسين. يتمثل الأول في ضرورة مواكبة ديناميات هذه التحولات المتسارعة، ويكمن الثاني في الحاجة إلى ابتكار أدوات منهجية قادرة على رصد الأبعاد المتغيرة للواقع المعيش في البيئات الرقمية وفهمها. في هذا السياق، يقدم الفصل الرابع مقارنة نظرية ومنهجية حول "الإثنوغرافيا الرقمية"، باعتبارها أداة بحثية مرفهة، تُتيح إمكانية التقاط التعابير العاطفية والأحاسيس التي تُشكل ملامح الحياة اليومية في العصر الرقمي (ص 76).

ينطلق الفصل من استعراض أهمية الأدوات الإثنوغرافية الكلاسيكية، مثل الملاحظة والمشاركة، مُبرزاً كيف أتاحت للباحثين فهماً معمقاً للتفاعلات الاجتماعية. غير أن التحولات الرقمية أظهرت الحاجة إلى ضرورة تكييف هذه الأدوات أو خلق بدائل تُراعي الخصائص الأنطولوجية للبيئات الرقمية والظواهر التي تنشأ فيها. هنا، تظهر "الإثنوغرافيا الرقمية" آلية بحثية فاعلة، تُعيد صياغة العلاقة بين الذات الباحثة والميدان، انطلاقاً من الشاشة، والتطبيقات، والمنصات، وتستغني كلياً عن الحضور الفيزيائي التقليدي للباحث (ص 79). ويُقدّم الفصل مثالين إثنوغرافيين رقميين يُجسّدان هذا التوجه. المثال الأول هو تمثيلات الحب والعلاقات العاطفية في البيئات الرقمية في أميركا اللاتينية (ص 84-85). أمّا الثاني، فيتعلق بتحليل مضامين الخطاب السياسي الذي جرى تداوله

المرة على تطبيق واتساب بوصفه وسيطاً لجمع المعطيات وتحليلها، ثم تحديد الأبعاد الإبيستمولوجية والمنهجية والنظرية التي تُلازم هذا النمط من الاشتغال البحثي. تنطلق هذه المقاربة من قناعة مفادها أن العلوم الاجتماعية مدعوة اليوم إلى تعميق التفكير في أشكال جديدة من طرائق البحث، تتلاءم مع التحولات الجذرية التي فرضتها الرقمنة على الحياة الاجتماعية، وتحديدًا الوسائط الفورية مثل تطبيقات التواصل الاجتماعي. ويوضح المؤلف أنه يمكن تحويل منصة مثل واتساب تُستخدم في الغالب لأغراض تواصلية يومية إلى أداة بحثية فعّالة، خصوصاً من حيث تتبّع ما يحدث فيها من التفاعلات التي تعتمد الممارسات اللغوية، وتدفع الصور وتبادل الرسائل التي تحمل في طياتها دلالات اجتماعية وعاطفية وانفعالية عميقة. بعدها يعرض وصفاً لتجربتين ميدانيتين استخدم فيهما واتساب ميداناً بحثياً رقمياً جديداً (ص 63-71).

ويختتم الفصل بخلاصات منهجية من هذه التجربة، أبرزها: أهمية إعادة تعريف مفهوم "الحقول الميدانية"، من خلال الاعتراف بضرورة دمج الحساسيات الرقمية ضمن أدوات البحث، وإدراك البعد الانفعالي في الاجتماعي بوصفه عنصراً مركزياً في إنتاج المعنى من خلال الوسائط الرقمية. وفي الحصيلة، يُمكن عدّ الفصلين الثاني والثالث دعوة صريحة إلى توسيع أفق البحث السوسولوجي، ليشمل الوسائط الفورية بوصفها أدوات فعّالة لفهم التجربة الاجتماعية، لا سيما في السياقات المتغيرة والمعقدة التي يتداخل فيها العيش المادي مع التفاعلات الرقمية الحية (ص 72-73).

نموذجًا بحثيًا جديدًا هو "اللقاءات الإبداعية الرقمية"، بوصفها امتدادًا لتجارب ميدانية سابقة طوّرها هو نفسه منذ سنة 2009 بعنوان "اللقاءات الإبداعية التعبيرية" (ص 113). وقد جرت ملاءمة هذا الجهاز المنهجي ليوأكب الواقع الرقمي/المتنقل/الافتراضي خلال فترة الحجر الصحي، ولا سيما في أوساط فئة الشباب. ويُقدّم المؤلف السياق الذي نشأت فيه هذه التجربة، باعتبارها أداةً للقاءات الأحاسيس الاجتماعية، من خلال متابعة ممارسة مندمجة لأشكال فنية متنوعة من قبيل الرسم، والحركة، والصوت، والتعبير الذاتي، ومحاولة توظيفها في البحث الكيفي. ومن بين المقومات التي تقوم عليها هذه اللقاءات الإبداعية الرقمية، إدماج المشاركين في إنتاج رسومات أو أصوات أو مشاهد قصيرة تعبّر عن تجاربهم خلال فترة العزلة. هذه العناصر كلها لا تُحلّل فقط على أنها منتجات رمزية، بل بوصفها امتدادات لحساسية الفرد ومرآة لتمثلاته العاطفية والاجتماعية. وفي السياق نفسه، يعرض المؤلف عددًا من الرسومات المنتجة خلال هذه اللقاءات، أنجزها طلبة علم اجتماع من ست دول في أميركا اللاتينية، وتُظهر كلها كيف تُحوّل العديد من التجارب مثل الألم، القلق، الأمل، والعزلة، إلى صبغة بصرية تعبّر عن التجربة المشتركة في فترات مختلفة من زمن الأزمة (ص 123-129).

رابعًا: من أجل نظرية معرفية للأنشطة الرقمية

يشكّل الفصل الختامي تنويعًا للجهد النظري والمنهجي المبذول على امتداد فصول الكتاب، من خلال اقتراح معالم إستيمولوجيا جديدة للبحث الرقمي في الأنشطة. ينطلق الفصل من

في الأرجنتين على حسابات رسمية في منصات التواصل الاجتماعي (فيسبوك، وتويتر، ويوتيوب) (ص 86-87). وقد أظهرت هاتان التجربتان الإمكانيات الاستثنائية التي تتيحها الإثنوغرافيا الرقمية في التقاط البُعد الحسي والوجداني للفاعلين الاجتماعيين، بعيدًا عن الانحصار البحثي التقليدي في الخطاب أو السلوك الظاهر.

أمّا الفصل الخامس، فيدعو إلى التفكير في التحولات التي أحدثتها المُسيّرات (الدرون) في الطريقة التي ننظر بها إلى العالم الاجتماعي، ونرصّد بها التفاعلات الاجتماعية. فالنظر من الأعلى، في "رؤية جوية" من دون الحاجة إلى الصعود أو الطيران فعليًا، لم يعد مقتصرًا على المؤسسات ذات الطابع الأمني والعسكري، بل أصبح ممارسة يومية ومنتشرة بفضل انتشار الأدوات التقنية الملائمة. وبهذا، تُفتح أمام العلوم الاجتماعية إمكانيات جديدة لتوسيع أدوات الملاحظة وتحليل الحساسية الاجتماعية، انطلاقًا من "زوايا رؤية غير مسبقة" (ص 96-97). من ناحية أخرى، يعرض الفصل الروابط بين مجتمع 4.0 والتكنولوجيا الطائرة، موضحًا كيف أصبحت المُسيّرات جزءًا من البنية التحتية الرقمية الجديدة، المرتبطة بالحواسيب السحابية، والبيانات الضخمة، والذكاء الاصطناعي. ثم يستعرض مختلف إمكانيات استخدام مثل هذه المُسيّرات في البحث الاجتماعي، كما في حالات توثيق التحركات الجماعية، ومراقبة الفضاءات الحضرية، وتحليل الجغرافيا الانفعالية للأحداث العامة، وغيرها (ص 104-107).

وإذ فرضت جائحة كورونا على العلوم الاجتماعية تحديات كبرى في ما يتعلق بإعادة ابتكار أدوات البحث، ووسائله، يقترح المؤلف

خاتمة

على الرغم من القوة التي تحتلها الانفعالات في الإيكولوجيا الرقمية مثلما بينت فصول الكتاب، يظل من الضروري التنبيه إلى أن الانفعالات في البيئات الرقمية ليست محايدة، وغير قادرة على تمكيننا من فهم الكثير من الموضوعات التي تنشأ في المجال الرقمي. ومن بين الأسباب التي تؤكد ضرورة هذا التنبيه، هو أن الشبكات الرقمية قد أفقدت الصبغة "الطبيعية" و"التلقائية" للانفعالات الإنسانية وجعلتها في مرتبة السلع، لتتولى الشركات الكبرى بيعها وشراءها؛ الأمر الذي أدى إلى تشكّل ما يسمى اقتصاد العاطفة⁽⁴⁾. ويصحّ هذا الاعتبار على الأخص، في ظل وجود الكثير من المنصات المخصصة للتواصل معززة بخوارزميات خاصة، وظيفتها تضخيم بعض الانفعالات والمشاعر دون أخرى. والغاية من ذلك ربحية بامتياز؛ لأن تلك الانفعالات التي تعززها الخوارزميات تحقق تفاعلاً أكبر وأرباحاً أعلى⁽⁵⁾. وتتضمن هذه الفكرة معطى آخر، لا يقل أهمية عن الأول وهو أن هذا التحكم في عواطف مستخدمي المنصات الرقمية وأحاسيسهم مظهر مباشر لتحكم جديد، يوسم بالاستعمار الرقمي الذي يعتمد على سيطرة المستعمرين على البيانات وعلى الموارد الرقمية للمستخدمين⁽⁶⁾.

وعلى الرغم من التفاؤل الذي يوليه المؤلف

تأكيد أن كل استراتيجية بحثية تُبنى على خلفيات نظرية وافتراضات إبستمولوجية؛ ما يفرض مساءلة جذرية للأسس التي يقوم عليها تحليل الانفعالات في سياقات رقمية، متنقلة، وافتراضية. في هذا المنحى، يُعيد المؤلف تجميع ما سمّاه "الاستنتاجات الجزئية" التي وردت في الفصول السابقة، والتي تبين أن استخدام الأدوات الرقمية (مثل إنستغرام، وواتساب، واللقاءات الإبداعية) تعكس إيكولوجيات انفعالية معقدة، تُعبّر عن تحولات في طرائق الإحساس، والتفاعل، والتعبير داخل البيئات الرقمية. ثم ينتقل الفصل إلى التركيز على ممارستين شعوريتين مركزيّتين لفهم المجتمع 4.0. الأولى هي الثقة؛ كونها آلية ضرورية لإدارة العلاقات الرقمية، وتفاعل الأفراد مع أنظمة لا تُرى (الخوارزميات، والذكاء الاصطناعي، والمنصات). أمّا الثانية، فهي الاستهلاك، وقد كفّ عن أن يكون فعلاً مادياً فحسب، ليصير شعوراً يُعزّز ويُرسّخ عبر الصور الرقمية، والتأثيرات الوجدانية، و"التجربة الحسية للشراء" (ص 143-147).

وفي محور ثالث، يُقدّم الفصل مفهوم الأمل، بوصفه نموذجاً مركزياً، يُجسّد البُعد النقدي في تحليل الانفعالات ضمن مجتمع 4.0. ولا يفهم الأمل، في هذا السياق، على أنه عاطفة شخصية فقط، بل بوصفه أيضاً موقفاً اجتماعياً وتاريخياً، يتقاطع مع مقاومة الهشاشة الرقمية، والبحث عن المعنى في فضاء افتراضي يتسم بالتشظي والتقطّع. ويُعدّ تحليل الأمل مدخلاً لإبراز الدور التحويلي للعواطف، بوصفها قوى قادرة على مساءلة النظام القائم، وفتح إمكانيات جديدة لفهم والعمل والتغيير (ص 147-148).

(4) Nina Bandelj, "Emotional Economies of Late Capitalism," *Socio-Economic Review*, vol. 24, no. 1 (January 2026), pp. 555-578.

(5) Ramona-Diana Leon, "Sharing Emotions through Social Media: A Comparative Analysis between the Private and Public Digital Affect Cultures," *International Review of Sociology*, vol. 31, no. 2 (2021), pp. 268-286.

(6) Marine Al Dahdah, "Technodiversité et colonialisme numérique en pandémie," *Revue d'anthropologie des connaissances*, vol. 15 (2021).

للمكانة التي تحتلها الانفعالات الرقمية في تحليل الظواهر الاجتماعية الرقمية، من الضروري أن يوازيه إظهار بعد نقدي في تناوله، خاصةً أن الانفعالات تُستحضر اليوم في منصات التواصل الاجتماعي في ارتباطها ببعض القضايا مثل الهجرة، ثم الحروب، التي صارت تختزل على شكل صور وشرائط فيديو لا تمس عمق المآسي الإنسانية التي يمر بها من يعيشون هذه التجارب العصبية. فهذا البعد النقدي هو الذي غاب في الطرح الذي يقدمه الكتاب. ومن جهة أخرى، من الضروري القول إن التفاوتات الرقمية، التي تبدو معالمها واضحة في الكثير من المجتمعات، تحول دون القبول الكلي بهذه المقاربة التي يؤسس لها الكتاب؛ لأن صلاحيتها التفسيرية ووجهاتها المفهومية والنظرية مركزة فقط على الأفراد الذين يحققون الوصول الفعلي للإيكولوجيات الرقمية التي يصفها.

References

المراجع

- Al Dahdah, Marine. "Technodiversité et colonialisme numérique en pandémie." *Revue d'anthropologie des connaissances*. vol. 15 (2021).
- Bandelj, Nina. "Emotional Economies of Late Capitalism." *Socio-Economic Review*. vol. 24, no. 1 (January 2026).
- Bericat, Eduardo. "The Sociology of Emotions: Four Decades of Progress." *Current Sociology*. vol. 64, no. 3 (2016).
- Cerulo, Massimo & Adrian Scribano (eds.). *The Emotions in the Classics of Sociology: A Study in Social Theory*. London/ New York: Routledge, 2022.
- Leon, Ramona-Diana. "Sharing Emotions through Social Media: A Comparative Analysis between the Private and Public Digital Affect Cultures." *International Review of Sociology*. vol. 31, no. 2 (2021).
- Turner, Jonathan H. "The Sociology of Emotions: Basic Theoretical Arguments." *Emotion Review*. vol. 1, no. 4 (October 2009).



فرنر زومبارت
ترجمة: عصام سليمان

اليهود والحياة الاقتصادية

هذا الكتاب هو أحد أكثر أعمال فرنر زومبارت أهمية وإثارة للجدل في علم الاجتماع الاقتصادي، وكان قد نُشر في عام 1911. هو دراسة محورية عن دور المجتمعات اليهودية في تطور الرأسمالية الغربية، يحلّ دور المجتمعات اليهودية في تطور الرأسمالية الأوروبية، من خلال استعراض عميق للجوانب الدينية والثقافية والاقتصادية التي ميّزت تجربة اليهود في الشتات، وقد اعتمد فيه زومبارت على مصادر تاريخية غزيرة. يطرح الكتاب تساؤلات بشأن العلاقة بين العقيدة اليهودية وقيم العمل والنشاط المالي، ودور ذلك كله في تشكيل ملامح الاقتصاد الحديث، لا سيما خلال نشأة الرأسمالية المبكرة في أوروبا. ولا يقتصر على تحليل اقتصادي بحت، بل يدمج البُعد الثقافي بالبُعد الديني لفهم أعمق للعلاقات الاقتصادية، حيث يقدّم منظوراً مختلفاً عن السرديات الماركسية والكلاسيكية، وبذلك يُعدّ من الأعمال التأسيسية في علم الاجتماع الاقتصادي. وعلى الرغم ممّا أثاره من جدل وانتقادات بسبب بعض تعميماته، فهو مرجع مهم في فهم العلاقة بين الهويتين الدينية والاجتماعية من جهة، والسلوك الاقتصادي من جهة أخرى.

عروض الكتب
Featured Books



مدن الرماد 2، 145x300 سم، تقنيات مختلفة على قماش (2024).
Cities of Ash 2, 300x145 cm, Mixed media on canvas (2024).

عنوان الكتاب: سوسيولوجيا الإسلام المقاتل في فلسطين:
حركة الجهاد الإسلامي نموذجًا.

المؤلف: خالد علي زواوي.

الناشر: الدوحة/ بيروت: المركز العربي
للأبحاث ودراسة السياسات.

سنة النشر: 2026.

عدد الصفحات: 536.



يقدم الكتاب دراسة سوسيو تاريخية في البنية التنظيمية
والمرجعيات الأيديولوجية لحركة الجهاد الإسلامي في

فلسطين، متبّعًا تحولات مواقفها وسياساتها من تأسيسها في مطلع ثمانينيات

القرن العشرين إلى عام 2018. وهو ينطلق من فجوة بحثية في المكتبة العربية؛ إذ حظيت حركات
الإسلام السياسي التقليدية، وحركات المقاومة التي تولت أدوارًا في السلطة، باهتمام واسع، لكن
حركة الجهاد الإسلامي لم تتناولها دراسة معمقة بوصفها حالة سوسيولوجية مستقلة، وبوصفها
أقرب إلى حركات التحرر الوطني منها إلى الحركات الساعية إلى بناء الدولة. ويدور سؤال الكتاب
المحوري حول الكيفية التي جمع بها فضيل فلسطيني بين البعد الوطني في سياساته والخلفية الدينية
في مرجعيته، وجعل "الجهاد أولًا" إطارًا ناظمًا لمشروعه في التغيير والتحرير، متجاوزًا التقسيمات
التقليدية بين العمل الدعوي والعمل السياسي.

يجادل الكتاب بشهود هذا التنظيم تحولات مفهومية وأيديولوجية جوهرية، بين مرحلتَي الأمانة
العامة الأولى بقيادة المؤسس فتحي الشقاقي، والأمانة العامة الثانية بقيادة رمضان عبد الله شلح،
مستندًا إلى وثائق حركية داخلية تُنشر وتُحلل أول مرة، وإلى بيانات إحصائية واستبيانات ميدانية
ومقابلات يصوغ منها "بروفایل المجاهد" بخلفيته الطبقية وعمره ومستواه التعليمي وبيئته الجغرافية.
وتتنظم مادة الكتاب في ستة محاور، تبدأ بصعود التيار الإسلامي في الحقلين الديني والسياسي
الفلسطينيين بعد نكسة عام 1967، وصولًا إلى أثر اتفاق أوسلو فيه. ثم تتناول البنية التنظيمية وآليات
الاستقطاب وبناء "التنظيم المقاتل"، وأدبيات مرحلة التأسيس وسجلاتها من مصر إلى سجن نفحة
فالإبعاد إلى لبنان، وصولًا إلى مواقف الحركة من الانقسام الفلسطيني وثورات الربيع العربي، وبلورة
رؤية شاملة لنموذجها الفكري والسياسي.



عنوان الكتاب: سوسيولوجيا مدونة الأسرة: 1980-2026.

المؤلف: عبد الصمد الديالمي.

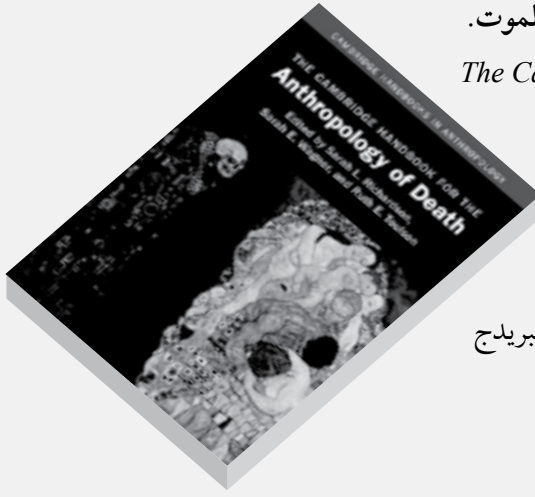
الناشر: الرباط: البصيرة.

سنة النشر: 2026.

عدد الصفحات: 332.

يقارب الكتاب مدونة الأسرة في المغرب، باعتبارها مجالاً يتجلى فيه الصراع الرمزي والقيمي بين السلطتين الدينية والسياسية والحادثة الحقوقية والنسوية من جهة، وبين المتخيل الفقهي المحافظ والواقع الاجتماعي والديموغرافي المتغير، وما يفرضه من بدائل وحقائق في الحياة اليومية من جهة أخرى. وهو يتناول التشريعات المنظمة للعلاقات الفردية ومسائل الزواج والطلاق والإرث في صلتها بهذا الصراع، متجاوزاً النظر إليها على أنها مسائل تقنية معزولة بعضها عن بعض. ومن هذا المنظور، يبحث الكتاب حضور البطيركية في القواعد القانونية المنظمة للعلاقات بين الجنسين، وسجلات إصلاح المدونة، وما تطرحه المساواة الجندرية من قضايا تتعلق بالنساء والرجال.

ينتظم الكتاب في أربعة أقسام. يتناول الأول مظاهر البطيركية في الفقه والنوازل، وكيف تحولت إلى قيود قانونية تشرعن تراتبية الأدوار الجندرية. ويتتبع الثاني المواجهات الفكرية والسياسية بين الحركتين النسوية والإسلاموية التي طبعت معارك إصلاح مدونة الأحوال الشخصية في المغرب المعاصر. ويبحث الثالث ما يسميه العنف القانوني البنيوي ضد المرأة، ومبرراته المستندة إلى الخصوصية والقطعيات، ويذهب إلى أن عدم المساواة في الإرث يفتقر إلى العقلانية في مجتمع أصبحت فيه المرأة مُعيلة لكثير من الأسر. وينتقل الفصل الرابع من قضية المرأة إلى القضية الجندرية، مؤكداً ضرورة إشراك الرجال في النضال من أجل المساواة، عبر رجولة مغربية جديدة تتحرر من اعتقاد أن السيادة الذكورية ثابتة خارج التاريخ. ويخلص الكتاب، في ضوء تقديره لشبه استحالة علمنة المدونة سياسياً واجتماعياً، إلى ضرورة قيام إرادة سياسية تتيح اجتهداً جذرياً مساوياً. وعلى هذا الأساس، يدعو إلى تعطيل الأثر القانوني للنصوص "المقدسة" التي يعدّها تمييزية، وتقييد تطبيقها؛ لتهافت مبررات التمييز ضد المرأة، مع رفض اختزال الإسلام في سياسة عمومية تكرس نموذجاً أسرياً غير مساوياً.



عنوان الكتاب: دليل كامبريدج في أنثروبولوجيا الموت.

عنوان الكتاب في لغته: *The Cambridge Handbook for the Anthropology of Death*

المحررات: سارة ريتشاردسون Sarah

L. Richardson، وسارة واغنر Sarah E.

Wagner، وروث تولسون Ruth E. Toulson.

الناشر: كامبريدج: دار نشر جامعة كامبريدج

Cambridge University Press.

سنة النشر: 2026.

عدد الصفحات: 620.

يقدم الكتاب قراءة في التحولات التي شهدتها أنثروبولوجيا الموت، متتبعاً اتساع البحث فيها، من دراسة الطقوس الجنائزية ودلالاتها الاجتماعية، إلى البحث في ظروف الاحتضار ورعاية الموتى والعلاقات المستمرة بينهم وبين الأحياء. وهو ينطلق من أن الموت يتداخل مع الحياة اليومية والمؤسسات والعلاقات السلطة، وأن فهمه يقتضي دراسة الممارسات التي تمنحه معنى وتحدد كيفية التعامل مع الأجساد والفقد والذاكرة. وتجمع مساهمات الكتاب بين البحث الإثنوغرافي والدراسات التاريخية والأرشفية، بمشاركة متخصصين من داخل الأنثروبولوجيا وخارجها، مستفيدة من مفاهيم الموت الاجتماعي وسياسات الموت، ومن الاهتمام بمادية الجسد والرفات. وإذ تشكّل مشروع الكتاب في سياق جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19)، والاحتجاجات التي انطلقت من الولايات المتحدة الأميركية ضد عنف الشرطة والعنصرية، فقد تناول تفاوت الرعاية وظروف الوفاة وإمكانات الحداد والاعتراف بالموتى.

ينتظم الكتاب في خمسة أقسام تضمّ ستة وعشرين فصلاً. يتناول القسم الأول الاحتضار والعمل المتصل بالموت، بما يشمل دور الرعاية والعاملين في الخدمات الجنائزية وتحول الطقوس. ويبحث الثاني مادية الجسد وتحولاته، من أوعية حفظ الرماد إلى تقنيات التعامل مع الجثامين وصلتها بالزمن والذاكرة. ويتناول الثالث ما ينشأ من الموت من علاقات وممارسات، عبر دراسات في الصور والأرشفة والفن ومقاومة إفلات المتسببين في الموت من العقاب. ويُخصص الرابع لسياسات الموت، متتبعاً استعادة الرفات والتعرّف إلى هويات الموتى عبر دراسات أجريت في إسبانيا وفيتنام وبيرو وعلى الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك، تربط الرفات بالسيادة والذاكرة. أمّا القسم الخامس، فيبحث استمرار صلات الأحياء بالموتى، والجدل حول مجموعات الرفات البشرية، وإعادة تعريف الموت البيولوجي، والجنائز الرقمية والحداد خلال جائحة (كوفيد-19)، وصولاً إلى الحزن لدى الحيوانات. وتلتقي كل مقاربات الكتاب عند توسيع فهم العلاقات الاجتماعية التي تتشكّل حول الموت، وإبراز ارتباطها بالتفاوت والعنف والرعاية، وامتدادها إلى عوالم تتجاوز البشر.



عنوان الكتاب: ما دون الأجر: الإكراميات والمهمات والعمل بالقطعة في عصر العمل الخدمي.

عنوان الكتاب في لغته: *Beneath the Wage: Tips, Tasks, and Gigs in the Age of Service Work*

المؤلفة: آني ماكلاناهان Annie McClanahan

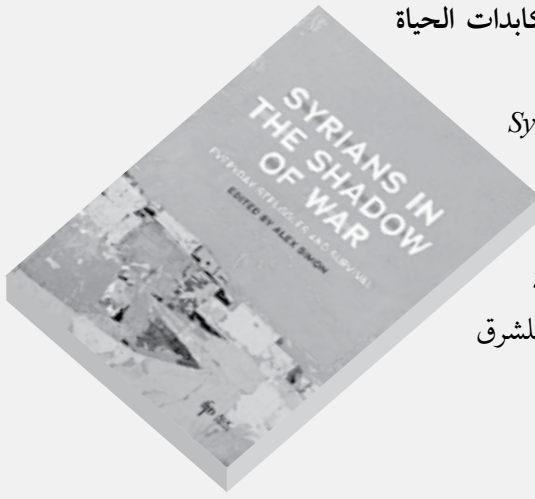
الناشر: بروكلين: زون بوكس Zone Books

سنة النشر: 2026.

عدد الصفحات: 368.

يعيد الكتاب النظر في العمل الخدمي المنخفض الأجر، مع التركيز على حالة الولايات المتحدة الأمريكية، بوصفه مرحلة متميزة في تاريخ العمل المأجور والاستغلال الرأسمالي. وهو ينطلق من أن فهم أوضاع العاملين في هذا القطاع يقتضي دراسة طرائق دفع أجورهم وتنظيم أوقات عملهم ومراقبة أدائهم، مع تسليط الضوء على الأبعاد العرقية والجنسية لاستغلالهم. ويشير تعبير "ما دون الأجر"، الذي يستخدمه الكتاب، إلى عمال يعتمدون على بيع قوة عملهم، لكنهم يُحرَمون من ضمانات وحماية قانونية ارتبطت بالعمل الصناعي، كالحدا الأدنى للأجور وتنظيم ساعات العمل والحقوق المرتبطة بصفة الموظف، مع الإحالة إلى علاقات الهيمنة والهشاشة الكامنة في العمل المأجور عمومًا. وبذلك يجمع الكتاب بين تاريخ الأجور والتنظيم القانوني للعمل وتحليل سيروراته وتمثالاته الثقافية، مستندًا إلى مصادر اقتصادية وقانونية، وأعمال تلفزيونية وأدبية، وكتابات بأقلام العمال عن تجاربهم. ومن خلال هذه المواد يصل بين تفاصيل الخدمة اليومية وتنظيم الوقت والمراقبة والتبعية الاقتصادية، ويبحث أثر تباطؤ نمو الإنتاجية في ظل تكثيف العمل وخفض تكلفته.

ينظم الكتاب في ثلاثة فصول وخاتمة، يتناول أولها تاريخ العمل بالإكراميات وعلاقته بتنظيم ساعات العمل والأجر، وتمثله في البرامج التلفزيونية، وأشكال المساعدة المتبادلة بين العاملين. ويبحث الثاني تاريخ الأجر بالقطعة والمهمات الرقمية المجزأة، وعلاقتهما بتقليص متطلبات المهارة، متناولاً إنتاج الأدب والتدوين عبر منصات العمل، ومقاومة العمال للالتزام الحرفي بقواعده. ويتناول الثالث العمل بالقطعة في النقل والتوصيل، والتوتر بين وعود الاستقلال والمرونة وبين المراقبة والتحكم. ويخصص القسم الختامي لتحولات التدريس الجامعي مع توسع التعليم عبر الإنترنت، وما تتيحه تقنياته من تجزئة العمل وأتمته. ويخلص الكتاب إلى إمكان بناء تضامن يربط شروط العمل بشروط العيش وإعادة الإنتاج الاجتماعي، تتجاوز فيه مطالب العاملين في الخدمات وتنظيماتهم تحسين الأجور، لتشمل قضايا السكن وما يتعرضون له من عنف الشرطة وسياسات الحدود والأزمة المناخية.



عنوان الكتاب: السوريون في ظل الحرب: مكابدات الحياة اليومية وسُبل البقاء.

عنوان الكتاب في لغته: *Syrians in the Shadow of War: Everyday Struggles and Survival*

المحرر: أليكس سيمون Alex Simon.

الناشر: القاهرة/ نيويورك: دار نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة بالاشتراك مع المعهد الفرنسي للشرق الأدنى.

سنة النشر: 2026.

عدد الصفحات: 306.

يتتبع الكتاب تحولات المجتمع السوري وسبل العيش فيه خلال الفترة 2018-2024، بعد تجمّد خطوط القتال وتراجع الاهتمام الدولي بسورية، مع استمرار الانهيار الاقتصادي وتأكل الخدمات العامة. ينطلق الكتاب من سؤال كيفية تدبير السوريين حياتهم وإعادة بناء علاقاتهم ومصادر رزقهم، في ظل العنف والنزوح والانقسام. ويستند إلى أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمئة مقابلة أجريت في الفترة نفسها، وإلى ملاحظات ميدانية جمعها باحثون سوريون ضمن مركز سينابس، مع تركيز على مناطق سيطرة النظام السابق. وتجمع مادته تقارير ومقالات مع الحفاظ على سياقها الزمني، وتُستكمل بقراءات ميدانية للمرحلة التي أعقبت سقوط النظام في كانون الأول/ ديسمبر 2024. وتتيح هذه المقاربة تتبّع تجارب الحياة اليومية للموظفين والمزارعين والمدرسين والناشطين وأصحاب المشاريع.

ينتظم الكتاب في ستة فصول تتناول أثر الحرب في الهوية والعلاقات الاجتماعية، وأشكال التنظيم المدني والعمل التطوعي وصلات السوريين في الخارج بمجتمعاتهم داخل البلاد عبر التحويلات والمبادرات والاستثمارات. وتبحث الفصول الأخرى استمرار حضور مؤسسات الدولة في تنظيم الحياة اليومية على الرغم من تدهورها، وتراجع الخدمات العامة، وأزمات الزراعة والصحة النفسية، وتحولات النشاط الاقتصادي، ولا سيما اتساع مشاركة النساء في العمل والمشروعات الصغيرة. ويبرز الكتاب ما نشأ من شبكات تضامن ومبادرات محلية لتلبية الحاجات الأساسية، إلى جانب استمرار التفاوتات والانقسامات. وترتبط خاتمة إرث الحرب بتحديات الانتقال السياسي، موضحةً أن سقوط النظام أتاح مجالات جديدة للنقاش والعمل العام، في حين ظلت أزمات المعيشة والخدمات والأمن تؤثر في إمكانات التعافي وإعادة بناء المجتمع.



أشلاء سورية 1، 60x80 سم، تقنيات مختلفة على قماش (2012).
Syrian Fragments I, 80x60 cm, Mixed media on canvas (2012).



أشلاء سورية 2، 100x100 سم، تقنيات مختلفة على قماش (2012).
Syrian Fragments 2, 100x100 cm, Mixed media on canvas (2012).



عن الدورية

عُمران دورية فصلية مُحكَّمة، تصدر مرة واحدة كل ثلاثة أشهر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا. تحمل الرقم الدولي المعياري (p-ISSN: 2305-2473)، والرقم الدولي المعياري الإلكتروني (e-ISSN 2789-3286). صدر عددها الأول في صيف 2012. تتولى الإشراف على أعمالها هيئة تحرير علمية أكاديمية متخصصة، ويساندها مجلس استشاري دولي فاعل. وتعتمد الدورية سياسة الوصول المفتوح، التزاماً بمبدأ إتاحة المعرفة العلمية وتيسير تداولها. وتحتكم إلى ميثاق أخلاقي للنشر منسجم مع المعايير العالمية المعتمدة في الدوريات العلمية المحكَّمة، وإلى معايير نشر تنظّم إجراءات التحكيم والتقييم. وتعتمد كذلك سياسة خاصة بأدوات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي، بما يضمن استخدامها ضمن ضوابط المسؤولية والشفافية والنزاهة الأكاديمية.

تُعنى الدورية بعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ويستوحي اسمها مفهوم "العمران" الخلدوني بمدخراته الأصيلة وإشعاعاته المتجددة. وقد وُلدت فكرتها من أسئلة وإشكاليات المأزق المنهجي الذي تواجهه العلوم الاجتماعية العربية وأدوارها في مرحلة التغيرات الاجتماعية الكبرى الجارية في الوطن العربي. وبهذه الرؤية تندرج الدورية في سلسلة دوريات العلوم الاجتماعية والإنسانية في الوطن العربي والعالم، وتعمل على بلورة هوية أساسية لها بوصفها دورية/ مشروعاً، مستعيدةً تقاليد الدوريات التي أنتجت اتجاهات وحركات ومدارس علمية وفكرية. وهي تطمح في ذلك إلى أن تُمثّل نقلة نوعية في مجالات هذه العلوم، تقوم على مقارنة اختصاصات العلوم الاجتماعية ومناهجها بوصفها وحدة متكاملة فيما هو قريب من "المنهج التكاملي" العابر للاختصاصات، في إطار الغاية العليا للعلوم الاجتماعية وهي "الحرية" بصفتها جوهر التفكير الذي هو جوهر الإنسان.

نطاق الدورية وأهدافها

تُعنى الدورية بإنتاج المعرفة المتخصصة في حقلَي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ونشرها وتداولها وتطويرها، ضمن أفق علمي يراعي اتساع المجالين وتعدّد اختصاصاتهما الفرعية وتقاطعاتهما المعرفية. ويندرج ضمن نطاقها البحثي ما يتصل بقضايا علم الاجتماع الاقتصادي والسياسي، وعلم اجتماع الثقافة والمعرفة والعائلة والريف والمدينة والبيئة والتربية والتعليم والشباب، فضلاً عن علم اجتماع الآداب والفنون واللغات والأديان والعمل والتنمية والصحة والاتصال والإعلام والقانون والمؤسسات والمنظمات، وما يتصل بالطبقات والفئات والبنى والأنواع الاجتماعية والتفاوتات والحركات والهجرة والعمل الاجتماعي والديموغرافيا الاجتماعية. ويشمل نطاق الدورية القضايا النظرية والمفاهيمية

والمنهجية والتاريخية في علم الاجتماع، إلى جانب موضوعات الأنثروبولوجيا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، والإثنوغرافيا، والإثنولوجيا، والسوسيوجرافيا، وما يتصل بها من دراسات في التربية والصحة والفن والعائلة والدين والبيئة واللغة والنظم الاجتماعية والبنى والممارسات التعبيرية.

تؤكد الدورية، في توجهها العلمي، مبدأ تداخل التخصصات Interdisciplinarity وتنافذهما، بوصفه مدخلاً مفهوماً ونظرياً ومنهجياً لازماً لفهم الظواهر الاجتماعية والثقافية والإنسانية في كليتها وتعقيدها التاريخي والراهن. لذلك، ترخّب بالدراسات الأصيلة التي تستند إلى بحوث ميدانية مبتكرة، وإلى منهجيات مجدّدة، كمّية وكيفية ومختلطة، وبمقاربات ذات أساس مفهومي ونظري متين، وأساليب تحليلية مستحدثة بينية ومقارنة. كما تنشر الدورية البحوث التي تسهم في توسيع آفاق النقاش العلمي في مجالي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وفي تطوير أدواتها النظرية والإجرائية، وفي استكشاف القضايا المشتركة بينهما وبين القضايا والحقول المعرفية المجاورة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- الاحتجاج والعمل الجماعي والحركات الاجتماعية.
- التفاوتات الاجتماعية والطبقات والفئات والهامشية.
- العدالة الاجتماعية وقضايا التحرر والإنصاف.
- العنف والهشاشة والصراع وإعادة التماسك الاجتماعي.
- العمل والعمالة والاقتصاد غير الرسمي وسبل العيش.
- البيئة والموارد الطبيعية والمجتمع.
- الدراسات الحضرية والعمرانية والتحوّلات المكانية والاجتماعية.
- السكان والديموغرافيا والتحوّلات الأسرية.
- الصحة والمرض وأنظمة الرعاية في السياقات الاجتماعية والثقافية.
- الجندر والجنسانية والجسد والهوية.
- الدين والتدين والممارسات الرمزية والتحوّلات القيمية.
- المعرفة والخبرة المحلية وإنتاج المعنى في الحياة الاجتماعية.
- الهجرة واللجوء والتنقّلات البشرية العابرة للحدود.
- اللغة والخطاب والممارسات التعبيرية.
- التربية والتعليم ومؤسسات التنشئة الاجتماعية.
- الطفولة والشباب والتحوّلات الجيلية.
- التقنيات الرقمية والتحوّل الاجتماعي والحياة اليومية.
- الذكاء الاصطناعي وتحوّلاته الاجتماعية والثقافية.
- العلم والتقانة والمجتمع.
- الجريمة والانحراف وأنماط الضبط الاجتماعي.
- القضايا النظرية والمفهومية والإستيمولوجية والمنهجية في العلوم الاجتماعية.

معايير النشر

توضح معايير النشر التالية المتطلبات اللازمة في دورية عمران لضمان نجاح مساهماتكم البحثية في جميع مراحل النشر، بدءاً بعملية التقييم الأولي، مروراً بالتحكيم الخارجي، والتحرير العلمي، والتحرير الأسلوبي واللغوي، والمراجعة النهائية، وصولاً إلى الإنتاج والنشر. يرجى الاطلاع على هذه المعايير والإرشادات بعناية، والالتزام بها بدقة، لضمان تلبية مساهماتكم لمعايير النشر المعتمدة في الدورية، وتسهيل إجراءات النشر.

أولاً: إجراءات التقييم والتحكيم

تلتزم الدورية ميثاقاً أخلاقياً يضمن احترام الخصوصية والسرية والموضوعية والأمانة العلمية، ويحظر على أعضاء هيئة تحرير الدورية والمحكمين والمحررين الإفصاح عن أي معلومات تتعلق بالمساهمة المحالة إليهم إلا لهيئة التحرير والمؤلفين، وبما تقتضيه عملية التقييم الأولي والتحكيم والتحرير العلمي والتحرير الأسلوبي واللغوي حصراً.

تمرّ المساهمات البحثية المقدّمة للنشر في الدورية بسبع مراحل رئيسية: مراجعة استيفاء المساهمة لمعايير التقديم Submission وفحص الأصالة (14 يوماً)، والتقييم الأولي (30 يوماً)، والتحكيم الخارجي (60-90 يوماً)، ومراجعة المؤلفين للمسودة وفق ملاحظات التحكيم (30 يوماً)، والتحرير العلمي، والتحرير الأسلوبي، والإنتاج والنشر. وقد تجري العودة إلى المؤلفين خلال أي من هذه المراحل عند الحاجة إلى مراجعات إضافية لازمة. وتختلف الفترات الزمنية المستغرقة للتقييم والتحكيم تبعاً لطبيعة المساهمة البحثية وسرعة استجابة المحكمين والمؤلفين لمراحل المراجعة العلمية والتحريرية وأجالها، وكذلك بحسب نوع المساهمة، وبوجه خاص إذا كانت مقدّمة للنشر في عدد خاص أو ملف موضوعي يتطلّب جهداً تحريراً إضافياً. ويحقّ لهيئة التحرير جدولة المساهمات للنشر بما تراه مناسباً في خطة إنتاج الأعداد، مع إمكانية تزويد المؤلفين بإفادة قبول المساهمة بعد اجتيازها مراحل التقييم والتحكيم والتحرير العلمي.

1. تراجع هيئة التحرير المساهمات الواردة إليها للتأكد من مدى ملاءمتها لتخصص الدورية ومعايير النشر المعتمدة، ومن ثم تخضع جميع المساهمات التي استوفت الشروط الشكلية لبرنامج فحص الانتحال، للتحقق من أنّ المساهمة أصيلة ومخصصة حصرياً للنشر في الدورية، ولم تُنشر سابقاً في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، ولم تُقدّم بالتزامن إلى أي جهة أخرى، سواء أعدت بالعربية أو بأي لغة أخرى (يُستثنى من ذلك المساهمات التي عُرضت في مؤتمر/ منتدى/ ندوة من دون أن يكون ذلك مقترناً بمسار للنشر، على أن يشير المؤلفون إلى ذلك تحت عنوان "تنويه وتقدير"، قبل قائمة المراجع). وتلتزم الدورية بسياسة صارمة تجاه الانتحال وسوء استخدام المراجع وتوثيقها؛ إذ تُعدّ أي عملية نقل حرفي أو جزئي من أعمال منشورة من دون إسناد دقيق إلى مصدرها، أو استخدام غير مشروع لأفكار أو بيانات أو تراجم أو صور أو جداول، مخالفة صريحة لأخلاقيات البحث العلمي والنشر الأكاديمي.

2. تحتفظ هيئة التحرير بحق رفض المساهمة أو سحبها بعد النشر في حال ثبوت الانتحال أو سوء الاقتباس. وتحرص الدورية على توجيه المؤلفين إلى ضرورة التزام معايير التوثيق العلمي الكامل والأمين وفق الأسلوب المعتمد في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ودورياته، مع احترام حقوق الملكية الفكرية في جميع مراحل إعداد البحث وتحكيمه ومراجعته ونشره. وفي هذا الإطار، تؤكد الدورية ضرورة الشفافية في استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence؛ إذ يجب على المؤلفين الإفصاح صراحةً عن أي استخدام لتلك الأدوات. ويُعدّ عدم الإفصاح عن ذلك إخلالاً بأخلاقيات النشر، وقد يترتب عليه رفض المساهمة أو سحبها وفقاً لتقدير هيئة التحرير.

3. بعد التحقق من استيفاء المساهمة البحثية لمعايير النشر واجتيازها بنجاح اختبار فحص الأصالة، تُحال إلى تقييم أولي، تُجريه هيئة تحرير الدورية للنظر في مدى أهليتها للانتقال إلى التحكيم الخارجي، وتحتفظ الدورية بحق رفض المساهمة في هذه المرحلة من دون إبداء الأسباب.

4. تُرسل المساهمة، في حال اجتيازها التقييم الأولي، إلى التحكيم العلمي الثنائي المُعمّى Double-Blind Peer Review. وإذا تباينَ تقريرَ المحكّمين أو تعارضت توصياتهما، تُحال المساهمة إلى محكمٍ مرجّح. وتلتزم الدورية إبلاغ المؤلفين بقرارها النهائي، بناءً على ملاحظات المحكّمين: القبول بعد تعديلات طفيفة، أو القبول بعد تعديلات جوهرية، أو الرفض. ويجوز للمؤلفين، عند تقديم المساهمة، اقتراح أسماء محكّمين يرغبون في استبعادهم من عملية التحكيم، في الحالات التي قد ينشأ فيها تضارب محتمل في المصالح، أو معرفة مسبقة، شخصية أو مؤسسية، بهوية المؤلفين، بما قد يؤثر في حياد عملية التحكيم.

5. في حال قررت هيئة التحرير قبول المساهمة بعد تعديلات طفيفة أو جوهرية، يُطلب من المؤلفين إرسال نسخة معدّلة من المسودة خلال مدة أقصاها 30 يوماً.

6. تلتزم الدورية بنشر المساهمات التي تستوفي ملاحظات المحكّمين، وتنجح في اجتياز مراحل التحرير العلمي. وتشمل هذه المراحل مراجعة هيئة التحرير للنص، وتدقيق المصطلحات والمفاهيم، وفحص بناء الورقة ووضوح أفكارها، وقد تطلب الهيئة من المؤلفين إجراء تعديلات إضافية، شكلية أو جوهرية، بما يضمن جاهزية المساهمة للنشر.

7. بعد القبول النهائي للنشر، تُحال المساهمة إلى التحرير الأسلوبي واللغوي. وقبل النشر، تزود هيئة التحرير المؤلفين بنسخة نهائية مصمّمة من المساهمة، كما ستظهر في الدورية، وذلك لغرض التدقيق والمراجعة.

ثانياً: إعداد المساهمة للتقديم

1. تشترط الدورية أن تستوفي المساهمات المقدمة للنشر المواصفات الشكلية المحدّدة في دليل التحرير المعتمد، بما في ذلك التنسيق العام للمساهمة (نوع الخط وحجمه، والمسافات، وأسلوب كتابة الهوامش والمراجع، وضبط الفقرات، وترتيب العناوين الرئيسة والفرعية، وآليات

إدراج الجداول والأشكال، وطريقة كتابة أسماء الشهور، والطريقة المعتمدة في كتابة بعض المصطلحات والأسماء)، وأن تُذيل كافة المساهمات بقائمة ببلوغرافية تتضمن جميع المراجع التي أحالت عليها المساهمة، كما هو موضح في "دليل التحرير".

2. يجب أن تتضمن الصفحة الأولى لأي مساهمة أسماء المؤلفين بالعربية والإنكليزية، وعنوان المساهمة باللغتين، وهامشاً يبين الجهة المؤسسية التي ينتمي إليها المؤلفون (مثال: باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر)، والبريد الإلكتروني، مع تحديد المؤلف المسؤول Corresponding Author، في حال تعدد المؤلفين.

3. يجب أن تتضمن الصفحة الأولى لأي مساهمة خمس كلمات مفتاحية بالعربية والإنكليزية، تُختار بعناية لتعبر بدقة عن موضوع المساهمة ومحاورها الأساسية، وتسهم في فهرستها والوصول إليها في قواعد البيانات الأكاديمية. ويُستحسن أن تجمع هذه الكلمات بين مصطلحات عامة وأخرى متخصصة تصف الإطار النظري أو الجغرافي أو الزمني للبحث، وأن تكون منسجمة مع عنوان المساهمة وملخصها، ومستخدمة وفق المصطلحات الأكاديمية المعتمدة في الحقل العلمي ذي الصلة. وينبغي تجنب التكرار أو استخدام المترادفات، مع الحرص على اختيار أكثر المفاهيم دقة وشيوعاً، بما يضمن وضوح المضمون وسهولة استرجاع البحث.

4. باستثناء مراجعات الكتب التي ترد في صفحتها الأولى المعلومات البليوغرافية للكتاب، يجب أن تتضمن الدراسات والمناقشات والترجمات والتقارير ملخصاً بالعربية والإنكليزية (لا يتجاوز 125 كلمة). وينبغي أن يُبرز الملخص، بجمل موجزة ودقيقة وواضحة، الإشكالية الرئيسة التي يتناولها البحث، والمنهجية أو المقاربة المعتمدة في معالجتها، وأبرز النتائج التي توصل إليها المؤلفون.

5. في حال تضمنت المساهمة مخططات أو أشكالاً أو معادلات أو رسوماً بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها بالصيغة الأصلية التي أنشئت بها، على هيئة ملفات قابلة للتحرير، مثل إكسل Excel أو وورد Word. ولا تُقبل الأشكال والرسوم والجداول التي تُرسل صوراً غير قابلة للتحرير. كما يجب، عند الاعتماد على مناهج الدراسة الميدانية (المقابلة، والمسح ... إلخ)، إرفاق الأدوات البحثية المستخدمة (أسئلة المقابلة، أو استمارة المسح / الاستبانة، أو جداول المعلومات الرقمية المجمعة ... إلخ)، على أن تُرسل جميعها في ملفات مستقلة.

6. تنشر الدورية فقط الصور الفوتوغرافية التي تحترم حقوق الملكية الفكرية، وتلك التي التقطت خصيصاً لخدمة المساهمة وبجودة عالية.

7. يجب ألا يتجاوز عدد كلمات المساهمة، شاملة الهوامش والمراجع، ومحتويات الصفحة الأولى، وكلمات الجداول (في حال وجودها)، والملحقات (في حال وجودها)، ما يحدده الجدول. ولهئة التحرير أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصفة استثنائية، بعض المساهمات التي تقل عن عدد الكلمات المحدد أو تزيد عليه.

نوع المساهمة	عدد الكلمات
دراسة	10000-8000
مناقشة	8000-4000
ترجمة	-
تقرير	6000-3000
مراجعة كتاب	3000-2000

ثالثاً: أنواع المساهمات

تستقبل دورية عمران الأنواع التالية من المساهمات:

1. الدراسات: يُتَوَقَّع منها تقديم إسهام بحثي جديد في مجال اختصاصها، وتعالج موضوعاً محدداً ضمن إطار نظري ومنهجي واضح. ويُشترَط أن تتضمن الدراسة تحديداً دقيقاً لمشكلة البحث وأهدافه وأهميته، إلى جانب مراجعة نقدية للأدبيات السابقة ذات الصلة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال الموضوع، مع بيان فرضية البحث أو أطروحته والمنهجية المعتمدة في التحليل، وشرح النتائج الرئيسة التي توصل إليها المؤلفون.

2. المناقشات: تفرد الدورية باباً للمواد النقاشية Discussions التي تُعنى بإثراء النقاشات الأكاديمية حول القضايا النظرية والمنهجية والمفهومية في مجال العلوم الاجتماعية. وتهدف هذه المواد إلى مناقشة الأفكار والمقاربات والنظريات المعاصرة ومساءلتها أو تطويرها أو توسيع نطاق تطبيقها. وقد تتخذ المادة النقاشية شكل مراجعات نقدية، سواء أكانت مراجعة نقدية للأدبيات المتخصصة في موضوع محدد Critical Literature Review، أو مراجعة لمقال أو أكثر Review Article، أو فحصاً لحالة حقل معرفي State of the Art، أو دراسة لإسهامات أحد الباحثين أو المنظرين البارزين في الحقل (أو مقارنة بين أفكار مفكرين أو أكثر)، أو نقاشاً موسّعاً بشأن جدل علمي أو مفهومي راهن. ويُشترَط في هذه المواد أن تقدّم رؤية علمية أصيلة ومتماسكة تسهم في تطوير المعرفة النظرية والمنهجية، وتلتزم بمعايير الكتابة والتوثيق المعتمدة في الدورية.

3. الترجمات: تنشر الدورية ترجمات للنصوص المهمة في العلوم الاجتماعية، لا سيما تلك التي تمثل إسهاماً نظرياً أصيلاً أو إضافة نوعية إلى الحقل المعرفي، أو التي حظيت برواج علمي واسع واستشادات مرتفعة. ويأتي اهتمام الدورية بالترجمة انطلاقاً من رسالتها العلمية في أهلة المعرفة وتيسير تداول الإنتاج النظري العالمي باللغة العربية، وتوفير مرجعيات رصينة تُسهم في سدّ الفجوات المعرفية وتعزيز انخراط الباحثين العرب في النقاشات الفكرية العالمية. ويُشترَط أن يكون النص المقترح للترجمة ضمن مجال اختصاص المترجمين أو في إطار خبرتهم الأكاديمية واللغوية، وأن تُقدّم مقترحات الترجمة مسبقاً إلى الدورية عبر "نموذج اقتراح ترجمة" يُرسل بصيغة "مقترح بحث" عبر منصة نظام الباحثين. ولا يجوز البدء في الترجمة، إلا بعد الحصول على موافقة

مبدئية من هيئة التحرير. وتخضع الترجمات بعد إنجازها لتقييم مترجم مختص، ثم لمراجعة قبل اتخاذ القرار النهائي بالنشر. ولا تُعد الموافقة على المقترح قبولاً نهائياً للنشر، إذ تقرّر هيئة التحرير ذلك بعد مراجعة النص المترجم وتحصيل حقوق ملكية نشر الترجمة العربية من الجهة المالكة للنص الأصلي.

4. التقارير: تنشر الدورية تقارير بحثية محكمة تتناول ظواهر راهنة من منظور علمي وتحليلي، بالاستناد إلى بيانات كمية ونوعية دقيقة، سواء أكانت صادرة عن استطلاعات الرأي العام مثل المؤشر العربي، أم عن منظمات دولية ومؤسسات محلية معنية برصد التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المنطقة العربية. وتهدف هذه التقارير إلى تقديم قراءة تفسيرية/ تأويلية معنقة للأرقام والمؤشرات، بما يربطها بسياقاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويسهم في تغذية النقاش العلمي.

5. مراجعات الكتب: تنشر الدورية مراجعات نقدية للكتب المهمة الصادرة حديثاً في مجالات اختصاصها بأي لغة من اللغات، شرط ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من ثلاث سنوات في لغته الأصلية. ويُفضّل أن يندرج الكتاب في مجال اختصاص المؤلفين أو اهتماماتهم البحثية الأساسية. وفي حين تترك الدورية للمراجع المجال لمراجعة الكتاب بالطريقة التي يراها ملائمة، فإنها تتوقع أن تتضمن المراجعة، (أ) عرضاً تركيبياً لفصول الكتاب، شاملاً إشكالياته البحثية وفرضياته ومنهجيته ومداخله النظرية وتوصياته مع الإحالة على الصفحات، لا سيّما بعد الاقتباسات المباشرة؛ (ب) إبراز المساهمة الأساسية للكتاب، ومدى أصالتها وجِدتها مع الإحالة قدر الإمكان، بإيجاز، على مراجع وأدبيات ذات صلة، عالجت موضوع الكتاب نفسه؛ (ج) قراءة نقدية يشترك الباحثون من خلالها مع أفكار الكتاب.

رابعاً: السياسة المالية

لا تدفع الدورية أي مكافآت مالية عن المساهمات التي تُنشر فيها، كما لا تتقاضى رسوماً أو بدلات نشر من المؤلفين في أي مرحلة من مراحل النشر. وتستند هذه السياسة إلى التزام الدورية بمبدأ الوصول المفتوح Open Access، بما يتيح المعرفة العلمية مجاناً، ويعزز تكافؤ الفرص بين الباحثين في مختلف المؤسسات الأكاديمية، ويشجع على الإنتاج البحثي الرصين الذي يُسهم في تطوير الحقول المعرفية باللغة العربية.

خامساً: تقديم مساهمة للنشر

1. تنشر الدورية مساهمات باللغة العربية، ويُشترط تقديم المساهمات للنشر باللغة العربية، مع إمكانية قبول استثناءات بلغات أخرى، بناءً على تقدير هيئة التحرير.

2. تقدّم المساهمات البحثية عبر منصة "نظام الباحثين"، مع إرفاق سيرة علمية بالعربية أو الإنكليزية، إضافةً إلى إدراج نبذة مختصرة Bio، والهوية المفتوحة للباحثين والمساهمين ORCID، والاسم باللغتين العربية والإنكليزية، وغيرها من التفاصيل المطلوبة في صفحة الباحث عبر نظام الباحثين.

3. يقدّم المؤلفون نسختين من المساهمة؛ نسخة تتضمن أسماء المؤلفين وتعريفهم وعناوين بريدهم الإلكتروني، ونسخة تُحذف فيها أيّ إشارة أو تلميح إلى هويتهم، سواء في المتن أو الهوامش، بما في ذلك أيّ اقتباسات من أعمالهم السابقة، وذلك ضماناً لسريّة عملية التقييم.

في حال وجود أيّ استفسار، يرجى التواصل مع هيئة التحرير عبر البريد الإلكتروني:

omran@dohainstitute.edu.qa

أخلاقيات النشر واستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي

تلتزم دورية عمران التزاماً صارماً بأخلاقيات النشر العلمي والمعايير التي وضعتها لجنة أخلاقيات النشر The Committee on Publication Ethics, COPE، انطلاقاً من اقتناع راسخ بأن النزاهة العلمية والمسؤولية الأكاديمية تمثّلان الأساس الذي تُبنى عليه الثقة بالبحث العلمي وجودته واستمراريته. وتسعى لترسيخ ثقافة معرفية تقوم على الصدق والشفافية والاحترام المتبادل بين جميع أطراف العملية البحثية، وصون حقوق الملكية الفكرية، وضمان الموضوعية في مختلف مراحل النشر الأكاديمي، بدءاً من تسلّم المساهمات البحثية وتقييمها وتحكيمها، وصولاً إلى عملية التحرير والنشر. وانطلاقاً من هذه الرؤية، وإلى جانب ما هو موضح في معايير النشر، تعتمد الدورية منظومة واضحة من المبادئ والإجراءات التي تكفل الامتثال لأعلى معايير السلوك الأخلاقي في النشر العلمي، بما يعزز جودة المعرفة التي تساهم في إنتاجها، ويضمن صون الصدقية في بيئة البحث العلمي.

أولاً: الإرشادات الأخلاقية للمحررين والمحكّمين

1. تعتمد الدورية مبدأي السرية والموضوعية في عملية التحكيم، بالنسبة إلى المؤلفين والمحكّمين على حدّ سواء، وتحيل كل مساهمة قابلة للتحكيم إلى محكّمين معتمدين من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق في موضوع البحث، لتقييمها وفق معايير محددة في استمارة التحكيم المعتمدة لدى الدورية. وفي حال تعارض توصيات المحكّمين، تُحال المساهمة إلى محكّم ثالث مرّجح.

2. لا يشارك رئيس التحرير أو مدير التحرير أو سكرتير التحرير، ولا أيّ من أعضاء هيئة التحرير، في إجراءات تقييم أعمالهم الخاصة أو تحكيمها، التزاماً بمبدأي الحياد والنزاهة الأكاديمية وتفادياً لأي تضارب محتمل في المصالح. وفي هذه الحالات، تُحال المساهمة إلى محكّمين مستقلّين، ويتّخذ القرارات التحكيمية بشأنها أعضاء آخرون في هيئة التحرير.

3. يُحظر على أعضاء هيئة تحرير الدورية والمحكّمين والمحررين الإفصاح عن أيّ معلومات تتعلق بالمساهمة المحالة إليهم إلى أيّ طرف آخر، باستثناء ما تقتضيه حصرياً عملية التقييم الأولي والتحكيم والتحرير العلمي والتحرير الأسلوب واللغوي، وبالتنسيق مع هيئة التحرير والمؤلفين. وينبغي الإبقاء على أيّ مضمون، أيّا كان شكله، أو رأي جرى الحصول عليه، في إطار عملية التحكيم، قيد السريّة، ولا يجوز استخدامه أو تداوله بأي صورة من الصور.

4. يُتَوَقَّع من المحكّمين الذين يوافقون على تقييم المساهمات المقدّمة إلى الدورية التزام المعايير العلمية والمهنية، وأن يُعلّموا هيئة التحرير في حال تعرّفوا إلى مؤلّفي المساهمة، وأن يمتلكوا الكفاءة والخبرة العلمية الكافية لتقييم جودة المساهمات ومستواها العلمي. ويُطلَب منهم إعداد تقارير تحكيم دقيقة ومتكاملة تسهم في تجويد المساهمات، مع التزام الموضوعية والسريّة والاستجابة في آجال مناسبة.
5. تحتفظ هيئة التحرير بحقّها في تقدير وجهة الملاحظات التي يقدّمها المحكّمون ومدى اتساقها مع معايير النشر المعتمدة في الدورية. ويجوز لها، انطلاقاً من مسؤوليتها العلمية والتحريرية، إعادة إحالة المساهمة البحثية إلى محكّمين آخرين في الحالات الضرورية التي تستوجب ذلك.
6. يقيّم المحرّرون والمراجعون المساهمات البحثية بحسب محتواها العلمي، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجندر أو المعتقد الديني أو الانتماء المؤسسي.
7. تلتزم الدورية بمبدأ عدم تضارب المصالح بين المحررين/ المحكّمين والمؤلفين، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أيّ من المؤلّفين أو الشركات أو المؤسسات ذات الصلة بالبحث.
8. تلتزم الدورية بعدم جواز استخدام أيّ من أعضاء هيئة تحريرها أو محرريها لأيّ مواد غير منشورة تضمّنتها الأبحاث المحالة إليها، في أبحاثهم الخاصة أو تداولها مع أيّ طرف آخر.
9. تلتزم الدورية، عند نشر الدراسات المترجمة، بالتحقق من الحصول على إذن الناشر الأصلي، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.
10. تعتمد الدورية سياسة النشر المجاني والوصول المفتوح Open Access، وتُعفي المؤلّفين من جميع رسوم النشر.
11. لا تتحمّل الدورية، ولا أيّ من القائمين عليها أو من ينوب عنها، أيّ مسؤولية عن كيفية استخدام المعلومات الواردة في المواد التي تنشرها، كما لا تتحمّل أيّ تبعات عن أخطاء قد تردّ في هذه الأعمال، على الرغم من حرصها الشديد على مراجعتها وتدقيقها وفق أعلى المعايير الأكاديمية والتحريرية المعتمدة.

ثانياً: الإرشادات الأخلاقية للمؤلفين

1. يلتزم المؤلّف المسؤول Corresponding Author بإدراج أسماء المؤلّفين الذين قدّموا إسهاماً علمياً فعلياً وجوهرياً في إعداد البحث، من دون إضافة أسماء لم تُسهم فيه بصورة مباشرة. ويُشترط في جميع الباحثين المدرجة أسماؤهم، بوصفهم مؤلفين مشاركين في البحث، أن يستوفوا معايير التأليف العلمية كاملة، كما يلي: أن يكونوا قدّموا إسهاماً جوهرياً في المساهمة البحثية المقدمة للنشر، سواء في تصميمها أو تنفيذها أو جمع البيانات أو تحليلها وتفسيرها، أو في أكثر من جانب من هذه الجوانب، وأن يكونوا قد شاركوا فعلياً في صياغة المسودة أو مراجعتها مراجعة علمية

نقدية جوهرية، بما يسهم في تطوير مضمونها، وأن يكونوا قد اتفقوا جميعاً على تقديم المساهمة إلى الدورية المعنية بالنشر. ويجب أن يكون كل مؤلف قد أطلع على جميع النسخ المتعاقبة من البحث، قبل التقديم، وخلال عملية المراجعة، وبعد قبول النسخة النهائية للنشر، وأقر مضمونها وأي تعديلات جوهرية لاحقة أثناء مرحلتَي الإنتاج والنشر. ويلتزم جميع المؤلفين بالمسؤولية المشتركة عن محتوى البحث المنشور، وبالاستعداد للردّ على أي استفسارات تتعلق بدقته أو سلامته العلمية، وتحمل تبعات أي إخلالٍ بمعايير النزاهة أو الأمانة البحثية.

2. يلتزم المؤلفون بالإفصاح عن أي تضارب محتمل في المصالح قبل تقديم البحث للنشر، والامتناع عن إرساله بالتزامن إلى أكثر من دورية. ويجب أن يتضمن البحث بياناً واضحاً بمصادر التمويل (إن وُجدت)، وإقراراً بالشكر لكل من أسهم في إنجازه من دون أن يستوفي شروط التأليف، وذلك تحت عنوان "تنويه وتقدير".

3. يُقرّ المؤلف المسؤول بأنّ المساهمة العلمية المقدّمة للنشر أصلية، باستثناء ما تضمّنته من اقتباساتٍ محددة وموثّقة وفق الأسلوب المتّبع في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ودورياته، وأنها خالية من أي عباراتٍ مسيئة أو تشهيرية، ولا تنتهك أيّ حقوق فكرية أو قانونية، بما في ذلك حقوق النشر أو العلامات التجارية أو براءات الاختراع أو أيّ حقوق معنوية أو مادية للغير. ويقرّ المؤلف المسؤول أيضاً بتحمّله المسؤولية الكاملة عن إتاحة المادة للنشر نيابةً عن جميع المشاركين في إعدادها.

4. يجب أن تكون البيانات المقدّمة والمستخدمة في المساهمات البحثية أصلية وغير ملفّقة أو محرّفة بأيّ شكل من الأشكال، وأن تعبّر بدقة عن نتائج الدراسة ومادتها العلمية. ويُحظر إجراء أيّ تعديل/ تحوير على الصور أو الملفات البصرية، بما قد يؤدي إلى تحريف المعلومات أو إساءة تفسيرها. وعند ثبوت أيّ تعديل من هذا النوع، يُرفض البحث فوراً. ويُشترط أن تكون الصور والأشكال البيانية المستخدمة ذات صلة مباشرة بالموضوع وتضيف قيمة علمية حقيقية. وقد يُطلّب من المؤلفين، عند الحاجة، تقديم البيانات الأصلية الكاملة للمساهمة البحثية إلى هيئة التحرير بغرض المراجعة، ويجب أن يكونوا مستعدين لإتاحتها عند تقديم البحث للنشر.

5. يتحمل المؤلفون المسؤولية الكاملة عن الحصول على الأذونات الخطيّة اللازمة لاستخدام أيّ مادة محمية بحقوق نشر تعود لطرفٍ ثالث، سواء أكانت نصوصاً أو جداول أو رسومات توضيحية أو بيانات أو صوراً أو مقاطع صوتية أو فيديوهات أو لقطات من أفلام أو صوراً ثابتة من الشاشات أو أيّ مواد مكملّة أخرى. ويُعدّ هذا الإجراء جزءاً من الضمان الأخلاقي والقانوني للمؤلفين عند تقديم المساهمة للنشر في الدورية، بما يضمن احترام حقوق الملكية الفكرية وحماية مصالح أصحاب الحقوق الأصليين.

6. يتعيّن على المؤلفين، عند استخدام أيّ نص أو صورة أو رسم توضيحي أو جدول أو أيّ مادة أخرى مأخوذة من مصادر خارجية، بما في ذلك أعمالهم المنشورة سابقاً، الإشارة بوضوح إلى المصدر الأصلي وتوثيقه توثيقاً دقيقاً، والحصول على الإذن اللازم من أصحاب الحقوق عند الحاجة.

7. يجب على المؤلفين تجنب الإفراط أو عدم الملاءمة في الاستشهاد الذاتي، أو الترتيب المسبق بين مجموعات من الباحثين لتبادل الاستشهادات من دون مبرر، إذ يُعد ذلك سلوكاً غير أخلاقي يُعرف بالتلاعب بالاستشهادات Citation Manipulation. ويُطلب من مؤلفي المواد من غير الدراسات (المناقشات والمراجعات)، الحرص على أن تعكس المراجع المستشهد بها صورةً منصفة ومتوازنة لحالة المعرفة الراهنة في الموضوع، من دون تحيز لأي مجموعة بحثية أو مؤسسة أو دورية بعينها، بما يعزز الموضوعية والنزاهة العلمية.

8. يتعين على المؤلفين الإفصاح عن أي علاقة أو مصلحة ذات صلة قد تؤثر في موضوع البحث أو نتائجه أو تُعد سبباً محتملاً لتضارب المصالح. وإذا وُجد تمويل أو دعم مادي أو عيني أو خدمي من أي جهة قد يكون لها تأثير في البحث، فيجب ذكرها صراحةً، مع توضيح طبيعة هذا الدعم ودور الجهة الممولة. ويجب أيضاً الإفصاح عن مشاركة أي طرف خارجي غير المؤلفين له مصلحة في نتائج البحث أو ينتمي إلى جهة ذات مصلحة، أو تلقى دعماً من جهة ممولة شاركت في تخطيط أو تنفيذ أو تحليل أو تحرير أو اتخاذ قرار تقديمه للنشر.

9. يُشترط أن تُجرى جميع البحوث التي تشمل البشر وفقاً للمبادئ المنصوص عليها في إعلان هلسنكي Declaration of Helsinki، وأن تكون قد حصلت مسبقاً على الموافقات الأخلاقية اللازمة من لجنة الأخلاقيات المؤسسية المحلية Institutional Review Board – IRB أو أي لجنة أخلاقية معتمدة أخرى، بما يتوافق مع أخلاقيات البحث العلمي. ويجب على المؤلفين تضمين بيان صريح في متن البحث يؤكد الحصول على هذه الموافقة الأخلاقية، مع ذكر اسم اللجنة المختصة ورقم المرجع أو التصريح إن وُجد. وتُطبق هذه المعايير على جميع أنواع الدراسات التي تتناول البشر، بما في ذلك: الدراسات التطبيقية ذات الطابع التجريبي، والأبحاث التي تشمل الأطفال أو المراهقين أو الفئات الهشة أو غير القادرة على إعطاء موافقة مستنيرة، والتي تتطلب موافقات قانونية من أولياء الأمور أو الجهات المخولة، والدراسات الاستطلاعية والمسوح الاجتماعية التي تجمع بيانات شخصية أو حساسة، والتي يجب أن تضمن سرية المشاركين وحمايتهم من أي ضرر، والأبحاث القائمة على الملاحظة الميدانية الخفية أو غير المعلنة Covert Observational Research، التي لا تجيزها الدورية إلا في حالات استثنائية يبررها الطابع العلمي للدراسة، وكذلك الأبحاث التي تعتمد على بيانات من وسائط التواصل الاجتماعي، والتي يجب أن تراعي خصوصية المستخدمين، وتحترم القوانين والأنظمة السارية.

10. تتطلب الأبحاث الإثنوغرافية الالتزام بمعايير أخلاقية مماثلة، إذ يجب أن تحصل على موافقة أخلاقية مسبقة من لجنة مختصة، سواء كانت لجنة مراجعة مؤسسية IRB أو لجنة محلية أو إقليمية أو وطنية مستقلة، إضافةً إلى موافقة صريحة من المشاركين على إجراء البحث ونشر نتائجه. ويجب الحصول على هذه الموافقة قبل بدء العمل الميداني، بوصفها جزءاً أساسياً من تصميم المشروع وتنفيذه ومختلف مراحله. وينبغي للمؤلفين التشاور المستمر مع الجماعات أو المجتمعات التي يشملها البحث، وأخذ آرائها وملاحظاتها في الاعتبار أثناء تصميم الدراسة

وتنفيذها وتحليلها، بما يضمن احترام خصوصيتها وتمثيلها بعدالة. وفي الحالات الاستثنائية التي يتعذر فيها الحصول على الموافقة المسبقة بسبب طبيعة الميدان أو الظروف الاجتماعية أو علاقة المؤلفين بالمشاركين، يجوز طلب الموافقة بأثر رجعي، شريطة تبرير ذلك بوضوح في البحث والحفاظ على الكرامة الإنسانية وحقوق الأفراد والمجتمعات موضوع الدراسة.

11. في البحوث التي تشمل مشاركين/ مستجيبين، يتعين على المؤلفين تضمين بيانٍ صريح في قسم المنهجية يوضح أنّ المشاركين قد قدّموا موافقة مستنيرة خطّية أو شفوية للمشاركة في الدراسة. ويجب أن يوضح هذا التصريح نوع الموافقة التي حصل عليها المؤلفون، بما في ذلك الموافقة على إجراء الدراسة، ونشر نتائجها، واستخدام الصور أو المواد البصرية الخاصة بالمشاركين. وفي حال إخفاء هوية المشاركين أو ترميز البيانات Anonymization، ينبغي توضيح ذلك بجلاء في النص. ويتعين إعلام المشاركين مسبقاً، بأن البحث سيكون متاحاً للجميع عبر الإنترنت، وذلك احتراماً لمبدأ الشفافية وحمايةً لحقوقهم وخصوصيتهم. وينبغي توضيح أنّ سرّية بياناتهم قد لا تكون مضمونة كلياً، على الرغم من الحرص على حمايتها، ولا سيما في المجتمعات الصغيرة التي يمكن فيها التعرّف إلى هويات المشاركين، وذلك لضمان موافقة مستنيرة واعية بالمخاطر المحتملة.

في حال اكتشاف أيّ خطأ أو مخالفة بعد النشر، يتعين على المؤلفين إبلاغ هيئة التحرير فوراً لتصحيحه.

ثالثاً: استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي

تُقرّ الدورية بأنّ أدوات الذكاء الاصطناعي أصبحت جزءاً من بيئة البحث العلمي المعاصرة، وتدرك أهمية الفرص التي تتيحها في تسريع الإنجاز وتحسين مخرجاته. في مقابل ذلك، تدرك المخاطر المعرفية والأخلاقية والقانونية الناتجة من الاستخدام غير المسؤول وغير المنضبط بالمعايير الضرورية، خاصةً فيما يتعلق بالأصالة والنزاهة العلمية. وبناء على ذلك، تؤكد الدورية ضرورة الالتزام بالمعايير العلمية والضوابط الأخلاقية المقترنة بها، وترى ضرورة توضيح سياساتها بخصوص استخدام هذه الأدوات، بما يوازن بين الاستفادة من فرصها وتجنّب مخاطرها المحتملة.

1. أصالة العمل البحثي وجودته: يلتزم المؤلف بأن يكون البحث العلمي المقدم عملاً أصيلاً خالياً من انتحال الأفكار والنصوص من أيّ مصدر، بما في ذلك محتوى ناتج من أدوات الذكاء الاصطناعي، ويلتزم معايير العمل البحثي وأخلاقياته. علماً أن المركز، إلى جانب هذه المبادئ، يركّز على كفاءة المساهمة البحثية وجودتها معياراً أساسياً في التقييم.

2. الالتزامات القانونية والأخلاقية: يتعين على المؤلفين احترام حقوق الملكية الفكرية خلال مراحل البحث العلمي، والالتزام بالمسؤوليات القانونية والأخلاقية المترتبة عليها، ويشمل ذلك ما يقدمه المؤلفون من محتوى لأدوات الذكاء الاصطناعي وكذلك ما يحصلون عليه منها، مع ضرورة تجنّب رفع بيانات غير منشورة أو خاضعة لحقوق ملكية فكرية على منصات خارجية. وبذلك

يتحمل المؤلفون المسؤولية الكاملة عن أيّ انتهاك قانوني أو أخلاقي ناجم عن الاستخدام غير السليم لهذه الأدوات في أيّ من الأعمال المقدّمة للنشر في الدورية.

3. محاذير استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي: لا بد من أخذ المحاذير المرتبطة باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في الحسبان، بما في ذلك المخاطر المحتملة لتجاوز المعايير العلمية والأخلاقية والقانونية، مثل اقتباس النصوص من دون إحالات، أو اقتباس الأفكار من دون الإشارة إلى مصادرها، أو الإحالة على مصادر خاطئة، أو انتحال أساليب كتابة مؤلفين آخرين. لذلك، يقع على عاتق المؤلفين التأكد من أصالة عملهم البحثي. وإذا استُخدمت هذه الأدوات، يتحمّل المؤلفون المسؤولية الكاملة عن مخرجاتها وتدقيقها.

4. الإفصاح عن استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي: يلتزم المؤلفون بالإفصاح عن أيّ استخدام لأدوات الذكاء الاصطناعي، في الخانة المخصصة لذلك عند تقديم المساهمة عبر نظام الباحثين. ولا يقتصر هذا الإفصاح على استخدامات بعينها، مثل التدقيق اللغوي، أو تلخيص الأدبيات، أو تنسيق التوثيق (أسلوب الإحالات وقائمة المراجع)، أو جمع البيانات أو تحليلها، بل يشمل أيضاً أيّ استخدامات أخرى محتملة، وذلك حفاظاً على نزاهة العمل البحثي وأخلاقياته. وجدير بالذكر أنّ هذا الإفصاح لا يعني المؤلفين من أيّ مسؤولية أخلاقية أو قانونية قد تترتب على إساءة استخدام هذه الأدوات. ولا تُرفض المساهمات البحثية في حال الإفصاح عن استخدامها، شريطة أن يتمّ ذلك بشفافية ومن دون الإخلال بأصالة البحث أو دقّته العلمية. وتحفظ الدورية بحقّها في رفض المساهمة في أي مرحلة من مراحل النشر، إذا تبين أن تلك الأدوات استُخدمت بطريقة غير مناسبة أو من دون الإفصاح الصريح عنها.

5. شكل الإفصاح: يتعيّن على المؤلفين، إذا استخدموا أدوات الذكاء الاصطناعي خلال إعداد أبحاثهم، الإفصاح عن ذلك بدقة، مع ذكر الأدوات والإصدارات المستخدمة والفترة الزمنية للاستخدام (مثل: ChatGPT-5 أو Claude-3.7-Sonnet)، وتوضيح المهام التي أُنجزت بمساعدتها، مثل الترجمة أو تفرّيع المقابلات أو التدقيق اللغوي، إضافةً إلى مدى اعتماد المؤلفين على هذه الأدوات في كل مهمة. كما يجب أن يتضمّن الإفصاح إشارة صريحة إلى طبيعة الإشراف البشري وعمليات التحقق التي أجراها المؤلفون في جميع مراحل الاستخدام، بما يضمن سلامة المخرجات ودقتها واتساقها مع المعايير الأخلاقية والأكاديمية.

6. حظر استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في عملية التحكيم: اتساقاً مع ما ورد في البند (2) بشأن الالتزامات القانونية والأخلاقية المتعلقة باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي، تؤكد الدورية الحظر التام لاستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في عمليات التحكيم العلمي أو إعداد تقاريره، لما قد ينطوي عليه ذلك من مخاطر تتعلق بسريّة عملية التحكيم وحقوق الملكية الفكرية ونزاهة التقييم الأكاديمي. ويتحمّل المحكّم المسؤولية الكاملة عن التقرير الذي يقدّمه، ويُشترط أن يكون نتاج جهده الشخصي وخبرته العلمية حصرياً، من دون أيّ وساطة أو اعتماد على أدوات الذكاء

الاصطناعي. تلتزم الدورية باتخاذ الإجراءات الملائمة تجاه أي مخالفة لهذه القاعدة، بما يضمن صون استقلالية التحكيم وصدق العملية العلمية في جميع مراحل النشر.

7. الاشتباه في الاستخدام غير المعلن أو غير الملائم لأدوات الذكاء الاصطناعي خلال عملية التحكيم: إذا اشتبه أحد المحكمين في وجود استخدام غير مناسب أو غير مُعلن لأدوات الذكاء الاصطناعي في بحثٍ مقدّم إلى الدورية، يتعيّن عليه إبلاغ هيئة التحرير فوراً وتقديم ملاحظاته على نحو واضح. وإذا اشتبهت هيئة التحرير في استخدام أدوات مثل ChatGPT أو غيرها في إعداد البحث، ستلتزم باتباع سياسة الدورية الخاصة باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي، واتخاذ ما يلزم من إجراءات للتحقق من الأمر.

ويُعدُّ الإخلال بأيّ من هذه البنود إخلالاً بالشروط الأخلاقية للبحث العلمي ويحقّ للدورية اتخاذ الإجراء المناسب في حق أيّ بحث يثبت تجاوزه للقواعد الأخلاقية والقانونية.

الوصول المفتوح وحقوق الملكية

تلتزم دورية عمران بسياسة الوصول المفتوح Open Access، إيماناً منها بأهمية إتاحة المعرفة العلمية للجميع من دون قيود مالية أو مؤسسية، وتعزيزاً لتداول البحث الأكاديمي وتوسيع نطاق تأثيره المجتمعي. وبموجب هذه السياسة، تكون جميع المواد المنشورة في الدورية متاحة للقراءة والتنزيل والاستخدام والاستشهاد بها فور صدورها، من دون الحاجة إلى اشتراك أو إذن مسبق.

تعتمد الدورية في سياسة النشر المفتوح نسبُ المُصنّف، غير تجاري رقم 4.0 دولي من رخصة المشاع الإبداعي (Creative Commons – CC BY–NC 4.0 International)، التي تتيح للباحثين والقراء إعادة استخدام المواد المنشورة وتوزيعها وإعادة إنتاجها وترجمتها بأي وسيلة للأغراض الأكاديمية والتعليمية غير التجارية، شريطة الإسناد والنسب الصريحين والواضحين إلى المصدر الأصلي والمؤلف وفق الصيغة المعتمدة في الدورية، مع الإشارة إلى أي تعديلات أُجريت على النص الأصلي (إن وُجدت)، وبما لا يخلّ بسلامة المعنى الأصلي أو المضمون العلمي. ويُقصد بالاستخدام التجاري، في إطار هذه السياسة، أي إعادة استخدام للمحتوى المنشور بهدف تحقيق منفعة مالية مباشرة أو غير مباشرة، سواء أكان ذلك عبر البيع أو الاشتراك المدفوع أو الرفع على المنصات الربحية. ويُعدّ اعتماد هذه الرخصة ضماناً لاستمرارية الوصول المفتوح المجاني إلى المعرفة، وتشجيعاً للتعاون العلمي المسؤول، وترسيخاً لمبادئ النشر الأكاديمي الرصين والمنفتح.

يحتفظ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (الناشر) بحقوق النشر المؤسسية، بما في ذلك إعادة نشر المواد المنشورة في الدورية أو توزيعها أو ترجمتها في إصدارات أو منصات رقمية أخرى تابعة له، مع مراعاة الحقوق الأدبية للمؤلفين والإشارة الصريحة إلى أسمائهم بوصفهم أصحاب العمل الأصلي. في المقابل، يحتفظ المؤلفون بحق استخدام أعمالهم لأغراض أكاديمية وتعليمية غير تجارية، مثل إدراجها في مقررات جامعية أو مواد تدريسية، أو تضمينها في كتاب/ مشروع بحثي أشمل من تأليفهم، مع الإشارة الواضحة إلى بيانات النشر الأصلي في الدورية، وبما لا يتعارض مع متطلبات الأصالة التي تعتمدها الدوريات العلمية المحكمة؛ أي إعادة نشر الأعمال المنشورة في

الدورية أو أجزاء منها سواء بلغتها الأصلية أو بعد ترجمتها في دوريات علمية أخرى أو منصات نشر موازية، مطبوعة أو رقمية. كما يُسمح بأرشفة النسخة النهائية المنشورة من الأبحاث في المستودعات الأكاديمية الشخصية أو المؤسسية، مع الحفاظ على الإسناد الكامل للمصدر الأصلي.

لأغراض تنظيمية وتوثيقية، ومن دون المساس بالحقوق التي تمنحها رخصة المشاع الإبداعي (CC BY-NC 4.0) للاستخدام الأكاديمي وغير التجاري، يُستحسن، عند إعادة استخدام المواد المنشورة أو ترجمتها أو إعادة نشرها جزئياً أو كلياً، تقديم طلب عبر "نموذج طلب إعادة الاستخدام والطبع والترجمة"، وتحفظ الدورية بحق تنظيم عمليات إعادة النشر المؤسسي أو الترجمة ضمن منشوراتها الخاصة، وفق سياساتها التحريرية. في هذا الإطار، قد يعيد المركز العربي نشر بعض المواد المنشورة في دورياته ضمن الكتب الجماعية التي يصدرها، أو يترجمها إلى لغات أخرى للنشر في دورية المتقى، أو عبر موقعه الإلكتروني، أو عبر فروع المركز العربي، أو أي وسائط نشر أخرى، مع الالتزام الكامل بالحفاظ على الحقوق الأدبية للمؤلفين والإشارة الواضحة إلى النشر الأصلي.

The Arab Center for Research and Policy Studies (the publisher) retains institutional copyright, including for the purposes of republication, distribution, or translation of materials published in the journal via its other publications or its digital platforms, while respecting the authors' moral rights and explicitly acknowledging them by name as the original authors. In return, authors retain the right to use their work for non-commercial academic and educational purposes, such as by incorporating it into university curricula or teaching materials, or into more comprehensive books or research projects that they may write, with clear references to the original details of publication in the journal, and without contravening the originality requirements of peer-reviewed academic journals regarding republication of work published in the journal, or parts thereof, in their original language or after translation, in other academic journals or parallel publishing platforms, whether in print or digitally. The final published version of research may also be archived in personal or institutional academic repositories, provided that full attribution to the original source is kept.

For organizational and documentation purposes, and without prejudice to the rights granted by the Creative Commons Attribution–NonCommercial (CC BY–NC 4.0) license for academic and non-commercial use, it is recommended that when reusing, translating, or republishing published materials, in whole or in part, a request be submitted via the "Reprint and Permissions Form". The journal reserves the right to regulate institutional re-publication or translation within its own publications, in accordance with its editorial policies. In this context, the ACRPS may republish certain materials from its journals or translate them into other languages for publication in the journal *Al-Muntaqa*, on its website, through its branches, or via other publication outlets, while fully respecting the authors' intellectual property rights and clearly acknowledging the original publication.

processes implemented by the authors at all stages of their use, to ensure the research's integrity, accuracy, and consistency with ethical and academic standards.

6. Prohibition of AI Tools in the Peer Review Process: Further to point 2 regarding legal and ethical obligations related to the use of AI tools, the use of AI tools is completely prohibited in the peer review process and the preparation of peer reviewers' reports, due to the potential risk of jeopardizing the confidentiality of the peer review process, violating intellectual property rights, or harming the integrity of the academic evaluation. The reviewer bears full responsibility for the report they submit, which must be the sole product of their personal effort and scholarly expertise, without any mediation by AI tools or reliance on them. The journal is committed to taking appropriate action against any violation of this rule, in order to ensure the independence of the peer review system and the integrity of the academic process, at all stages of publication.

7. Suspected Undisclosed or Inappropriate Use of AI During the Review Process: If a reviewer suspects that AI has been used in an inappropriate or undisclosed manner in a submitted article, they must immediately inform the Editorial Board and clearly state their observations. If the Editorial Board suspects that tools such as ChatGPT or others have been used in the preparation of the article, it will adhere to the journal's policy on the use of AI tools and take the necessary steps to investigate.

Any violation of these provisions will constitute a breach of the ethical standards of academic research, and the journal reserves the right to take appropriate action regarding any research found to be in violation of ethical and legal regulations.

Open Access

The *Omran* journal has a policy of Open Access, given its firm belief in the importance of making academic knowledge available to everyone, regardless of financial or institutional constraints, and so as to further the dissemination of academic research and bolster its impact on society. Under this policy, all materials published in the journal are available for reading, downloading, use, and citation as soon as they are published, without the need for a subscription or prior permission.

The journal is published under a Creative Commons Attribution–NonCommercial 4.0 International (CC BY–NC 4.0) license. This allows researchers and readers to reuse, distribute, reproduce, and translate published materials in any way, for non–commercial academic and educational purposes, provided that the original source and author are clearly and explicitly cited, in line with the journal's citation format, along with a description of any modifications made to the original text, and providing the original meaning and academic content are preserved. Commercial use, for the purposes of this policy, means the reuse of published content for direct or indirect financial gain, whether through sale, paid subscriptions, or upload to monetized platforms. The use of this license is intended to ensure continued open access to knowledge, to encourage responsible academic cooperation, and to reinforce the principles of serious, open academic publishing.

Conversely, it also recognizes the academic, ethical, and legal risks arising from their irresponsible and unregulated use, particularly when it comes to originality and academic integrity. Therefore, the journal emphasizes the need to adhere to academic standards and their accompanying ethical guidelines, and deems it necessary to clarify its policies regarding the use of these tools, in order to balance between benefiting from the opportunities they offer and avoiding the potential risks they pose.

- 1. Originality and Quality of Research:** The author is required to ensure that the research submitted is original and free from plagiarism of ideas and texts from any source, including content generated by AI tools, and that it adheres to research and ethical standards. It should be noted that in addition to these principles, ACRPS takes the competency and quality of the research contribution as a fundamental criterion in its evaluation.
- 2. Legal and Ethical Obligations:** Authors must respect intellectual property rights throughout the research process, and adhere to the ensuing legal and ethical responsibilities. This includes both the content entered into AI tools and the data they produce. It is important to avoid uploading unpublished or copyrighted data to external platforms. Authors bear full responsibility for any legal or ethical violations resulting from the improper use of these tools in any work submitted for publication in the journal.
- 3. Precautions for Using AI Tools:** Authors must take into account the pitfalls associated with using AI tools, including the potential risks of violating academic, ethical, and legal standards. These risks include citing from texts without attribution, appropriating ideas without indicating their sources or citing incorrect sources, and imitating the writing styles of other authors. Therefore, authors are responsible for ensuring the originality of their research. If these tools are used, authors bear full responsibility for their output and its accuracy.
- 4. Disclosure of AI Use:** Authors are required to disclose any use of AI tools, in the designated field of the form for submitting contributions through the Researcher Portal. This disclosure is not limited to specific uses such as proofreading, summarization of literature, documentation formatting (citation and bibliography style), or data collection and analysis. Rather, it includes any potential use of AI, in order to maintain the integrity and ethics of the research. It is important to note that this disclosure does not absolve authors of any ethical or legal responsibility that may arise from the misuse of these tools. Research contributions will not automatically be rejected if the use of AI is disclosed, provided that it is used transparently and without compromising the originality or academic accuracy of the research. The journal reserves the right to reject a contribution at any stage of the publication process if it is found that these tools were used inappropriately or without being explicit disclosed.
- 5. Disclosure Form:** Authors who use AI tools in their research must disclose this clearly, specifying the tools and versions used (e.g., ChatGPT-5 or Claude-3.7-Sonnet), the timeframe of use, and the tasks performed with the assistance of these tools, such as translation, interview transcription, or proofreading. They must also specify the extent to which they relied on these tools for each task. Furthermore, the disclosure must explicitly indicate the nature of the human oversight and verification

committee, in line with the ethics of academic research. Authors must include an explicit statement in the body of the research confirming that such ethical approval has been obtained, citing the name of the relevant committee and the reference number or authorization, if applicable. These standards apply to all types of studies involving human subjects, including: applied experimental studies; research involving children, adolescents, vulnerable groups, or others who are unable to give informed consent, thus requiring statutory consent from parents or guardians; polling-based studies and social surveys that collect personal or sensitive data, necessitating confidentiality and the protection of participants from any harm; studies based on covert observational research, which the journal only permits in exceptional cases, where justified by the academic nature of the study; and studies relying on data from social media, which must ensure user privacy and respect the applicable laws and regulations.

10. Ethnographic research requires adherence to similar ethical standards. Researchers must obtain prior ethical approval from a competent committee, whether an Institutional Review Board or an independent local, regional, or national committee, as well as obtaining explicit consent from the participants to conduct the research and publish its results. This consent must be obtained before fieldwork commences, as it is an essential part of the project's design, implementation, and other phases. Authors should consult continuously with the groups or communities included in the research, taking their views and observations into account during the design, implementation, and analysis of the study, ensuring that their privacy is respected and they are fairly represented. In exceptional cases where prior consent cannot be obtained due to the nature of the environment, social circumstances, or the authors' relationship with the participants, retrospective consent may be requested, provided that this is clearly justified in the research, and that the human dignity and rights of the individuals and communities studied are preserved.
11. In research involving participants, authors must include an explicit statement in the methodology section indicating that participants have given their informed consent, in writing or orally, to take part in the study. This statement must specify the type of consent obtained by the authors, including consent to conduct the study, to publish its results, and to use participants' images or visual materials. In cases where participants are anonymised, this must be clearly stated in the text. Participants must also be informed in advance that the research will be publicly available online, in accordance with the principle of transparency and to protect their rights and privacy. To ensure they can give their informed consent in full knowledge of the potential risks, it should be clarified that while every effort will be made to protect it, the confidentiality of their data cannot be totally guaranteed, particularly in small communities where participants may be identifiable.

If any error or inconsistency is discovered after publication, authors must immediately notify the Editorial Board, so it can be corrected.

AI Ethics and Best Practice

The journal acknowledges that Artificial Intelligence (AI) tools have become an integral part of the contemporary academic research environment, and recognizes the significant opportunities they offer in terms of accelerating research and improving its findings.

material rights held by others. The Corresponding Author also acknowledges his or her full responsibility for making the material available for publication on behalf of all those who contributed to it.

4. The data submitted and used in research contributions must be original, not fabricated or altered in any way, and must accurately reflect the study's findings and academic content. Any modification or alteration of images or visual files that could distort or misinterpret information is prohibited. If any such modification is found to have taken place, this will result in the research being rejected immediately. Any images and graphs used must be directly relevant to the topic and add genuine academic value. Authors may be asked, when necessary, to submit to the Editorial Board the complete, original dataset on which the research contribution is based, for review, and must be prepared to make it available upon submission for publication.
5. Authors are fully responsible for obtaining the necessary written permissions to use any third-party copyrighted material, whether text, tables, illustrations or diagrams, data, photographs, audio clips, videos, film stills, screengrabs, or any other supplementary material. This is part of the ethical and legal safeguards taken by authors when submitting a contribution to the journal, ensuring respect for intellectual property rights and protecting the interests of the original holders of those rights.
6. When using any text, image, illustration, table, or other material from external sources, including their own previously published work, authors must clearly and accurately cite and document the original source, and obtain the necessary permissions from the rights holders where necessary.
7. Authors must avoid excessive or inappropriate self-citation, or arranging for groups of researchers to exchange citations without justification. Such practices, known as citation manipulation, are considered unethical behaviour. Authors of materials other than studies (discussions and reviews) are required to ensure that the cited references present a fair and balanced view of the current state of knowledge on the subject, without bias towards any particular research group, institution, or journal, thereby promoting objectivity and academic integrity.
8. Authors must disclose any relevant relationship or interest that may affect the topic or results of the research, or may constitute a potential conflict of interest. If the research is backed by funding or other form of support—whether material, in-kind, or in the form of services—from any entity that could influence the research, this must be explicitly stated, along with a clear explanation of the nature of this support and the role of the funding entity. Furthermore, disclosure is required regarding any party other than the authors with an interest in the research results, belonging to an entity with a vested interest, or having received support from a funding body, is involved in the planning, execution, analysis, editing, or decision to submit the research for publication.
9. All research involving human subjects must be conducted in accordance with the principles set forth in the Declaration of Helsinki, and must have obtained prior ethical approval from the local Institutional Review Board (IRB) or another accredited ethics

8. The journal prohibits any of its editors or members of its Editorial Board from using any unpublished material from research submitted to the journal in their own research, and from sharing it with any other party.
9. When publishing translated studies, the journal is committed to verifying that permission has been obtained from the original publisher, and to respecting intellectual property rights.
10. The journal adopts an Open Access publishing policy, and exempts authors from all publication fees.
11. Neither the journal, its staff, nor its representatives accept any responsibility for how the information contained in the materials it publishes is used; nor does it accept any liability for errors that may occur in these works, notwithstanding its diligent efforts to review and proofread them according to the highest established academic and editorial standards.

Ethical Guidelines for Authors

1. The Corresponding Author must provide the names of all authors who have made a substantial scholarly contribution to the research, without adding the names of those who did not contribute directly. All researchers listed as co-authors must fully meet standards of academic authorship, as follows: they must have made a substantial contribution to the research submitted for publication, whether to its design, implementation, data collection, analysis, or interpretation, or in more than one of these aspects; they must have actively participated in drafting or critically reviewing the manuscript in a way that contributed to the development of its content; and they must have agreed to submit the contribution to the journal for publication. Furthermore, each author must have reviewed each successive version of the research, before submission, during the review process, and after the final version is accepted for publication, and must have approved its content, along with any subsequent substantial revisions, during the production and publication phases. All authors share responsibility for the content of the research published in their names, and they must be prepared to respond to any inquiries regarding its accuracy or academic integrity. They must also bear the consequences of any breach of standards of research integrity or honesty.
2. Authors are obliged to disclose any potential conflicts of interest before submitting a research article for publication, and to refrain from submitting it simultaneously to more than one journal. Each article must include a clear statement of sources of funding, if applicable, and an acknowledgment of all contributors who did not meet the threshold to be named as co-authors, under the heading "Disclaimer and Acknowledgments."
3. The Corresponding Author ensures that the submitted scholarly contribution is original, apart from cited material, which is explicitly referenced and documented according to the style followed by the Arab Center for Research and Policy Studies (ACRPS) and its journals. The author also ensures that the contribution is free of any offensive or defamatory statements, and does not infringe upon any intellectual or legal rights, including copyrights, trademarks, patents, or any other moral or

enhancing the quality of the scholarship it helps produce, as well as helping preserve the credibility of the academic research environment.

Ethical Guidelines for Editors and Reviewers

1. The journal adheres to the principles of confidentiality and objectivity in its review process, as concerns both authors and reviewers. Each submission sent for review is referred to two accredited reviewers with expertise on the subject of the study, for evaluation according to the criteria outlined in the journal's review form. In the event of conflicting recommendations, the submission is referred to a third, deciding reviewer.
2. Neither the Editor-in-Chief, Editorial Manager, Editorial Secretary, nor any member of the Editorial Board participates in the evaluation or review of their own work, in line with the principles of impartiality and academic integrity and to avoid any potential conflict of interest. In cases where such issues do arise, the submission is referred to independent reviewers, and review decisions are made by other members of the Editorial Board.
3. Members of the journal's Editorial Board, reviewers, and editors are prohibited from disclosing to any other party any information related to submitted contributions. The only exceptions are cases where this is necessary for the initial evaluation, review, academic, stylistic, and linguistic editing processes, and in coordination with the editorial board and authors. Any content, in any form, and any opinion obtained during the review process must be kept confidential, and may not be used or circulated in any way.
4. Reviewers who agree to evaluate contributions submitted to the journal are expected to adhere to academic and professional standards, to inform the Editorial Board if they became aware of the identity of the author(s) of a contribution they are reviewing, and to possess sufficient competence and academic expertise to assess the quality and scholarly merit of the contribution. They are required to prepare accurate and comprehensive review reports which help hone the research, while maintaining objectivity and confidentiality, and responding within reasonable timeframes.
5. The Editorial Board reserves the right to assess the validity of the reviewers' comments and their consistency with the journal's established Submission Guidelines. Based on its academic and editorial responsibilities, the board may resubmit a research contribution to other reviewers when necessary.
6. Editors and reviewers evaluate research contributions based on their academic content, adhering to the principle of non-discrimination based on race, gender, religious belief, or institutional affiliation.
7. The journal is committed to the principle of avoiding conflicts of interest between editors/reviewers and authors, whether arising from competitive, collaborative, or other relationships or connections with any author, company, or institution related to the research.

any way they deem appropriate, it expects the review to include: (a) an overview of the book's chapters, covering its research questions, hypotheses, methodology, theoretical approaches, and recommendations, with page references, especially after direct quotations; (b) a presentation of the book's main contribution and how it breaks New ground, with brief references, where possible, to relevant sources and literature that have addressed the same subject matter; (c) a critical reading, through which researchers can engage with the ideas presented in the book.

Financial Policy

The journal does not pay any financial compensation for published Submissions, nor does it charge authors any fees or charges for publication at any stage of the publication process. This policy is based on the journal's commitment to the principle of Open Access, which makes scientific knowledge available for free, promotes equal opportunities for researchers across academic institutions, and encourages rigorous research that contributes to the development of academic knowledge in the Arabic language.

Submit an article

1. As the journal publishes articles in Arabic, submissions should normally be in that language. Exceptions may be made for submissions in other languages at the discretion of the editorial board.
2. Research articles should be submitted through the "Researcher Portal", along with an academic CV in Arabic or English, a brief bio, the researcher's ORCID, their name in both Arabic and English, and the other details required on the researcher's profile in the Researcher Portal.
3. Authors must submit two versions of their article: one version including the authors' names, biographies, and email addresses, and another anonymous version in which all references to their identity, whether in the text or footnotes, and including any quotations from their previous work, have been removed to ensure the confidentiality of the peer review process.

For any inquiries, please contact the editorial team by email, at:
omran@dohainstitute.edu.qa

Publishing Ethics

Omran is strictly committed to the ethics of academic publishing and the standards set by the Committee on Publication Ethics (COPE), building on its firm conviction that academic integrity and responsibility form the foundation that underpins trust in academic research, as well as the quality and durability of that research. The journal strives to promote a culture of knowledge based on honesty, transparency, and mutual respect among all parties involved in the research process; the protection of intellectual property rights; and the assurance of objectivity through all stages of the academic publication process, from the reception, evaluation, and peer reviewing of research contributions through to their editing and publication. Based on these principles and those outlined in the Submission Guidelines, the journal works according to a clear system of procedures to guarantee compliance with the highest standards of ethical conduct in academic publishing, thereby

or thesis, along with the methodology used in the analysis, and explain the main findings reached by the author(s).

2. **Discussions:** The journal dedicates a section to "Discussion" articles that aim to enrich academic debates on theoretical, methodological, and conceptual issues in the social sciences. These articles aim to discuss, question, develop, or broaden the scope of implementation of contemporary ideas, approaches, and theories. A discussion article may take various forms, whether a critical review of literature on a certain topic, a review of one or more studies, an examination of the contemporary state of a field of knowledge, a study of the contributions of a prominent researcher or theorist in a certain field (or a comparison of the ideas of two or more thinkers), or a broader discussion of a contemporary academic or conceptual debate. These articles should offer original and coherent scholarly perspectives that contributes to the development of theoretical and methodological knowledge and adhere to the journal's established writing and documentation standards.
3. **Translations:** The journal publishes translations of key texts in the social sciences, particularly those that represent an original theoretical contribution or a significant addition to a certain field, or those that have achieved widespread scholarly acclaim and high rates of citation. The journal's interest in translation stems from its academic mission of localising knowledge, facilitating the worldwide dissemination of theoretical output in Arabic, and providing reliable references that contribute to bridging knowledge gaps and enhancing the participation of Arab researchers in global intellectual debates. A text proposed for translation must fall within the translators' area of specialization or academic and linguistic expertise; translation proposals must be submitted to the journal in advance, using the "translation proposal form", which is sent in the format "Research Proposal" via the ACRPS Researcher Portal. Translation should not commence until initial approval is obtained from the editorial board. Once completed, translations are evaluated by a specialised translator, then reviewed before a final decision is made regarding their publication. Approval of a proposal does not constitute final acceptance for publication: the editorial board makes this decision after reviewing the translated text and obtaining the copyright for the Arabic translation from the owner of the original text.
4. **Reports:** The journal publishes peer-reviewed research reports addressing contemporary phenomena from a scientific and analytical perspective, based on accurate quantitative and qualitative data. This data may originate from public opinion polls, such as the *Arab Opinion Index*, or from international organizations and local institutions that monitor social, economic, and political transformations in the Arab region. These reports aim to provide an in-depth interpretive reading of figures and indicators, linking them to their economic, social, and political contexts, and to enrich of scholarly debate.
5. **Book Reviews:** The journal publishes critical reviews of important, recently published books in its field, in any language, provided that no more than **three years** have passed since the book was published in its original language. The book should preferably fall within the reviewer's own field of specialization or primary research interests. While the journal gives reviewers leeway to review the book in

3. The first page of any article should include five carefully chosen keywords in both Arabic and English. These keywords should accurately reflect the article's topic and main themes, to facilitate indexing and retrieval in academic databases. Ideally, these keywords should include a combination of general and specialized terms describing the theoretical, geographical, or chronological framework of the research. They should be consistent with the article's title and abstract, as well as with the established academic terminology in the relevant field. Repetition and synonyms should be avoided; authors should use the most precise and common concepts to ensure clarity of content and ease of retrieval.
4. With the exception of book reviews, which include bibliographic information on their first page, studies, discussions, translations, and reports must include an abstract of no more than 125 words, in both Arabic and English. The abstract should highlight, in concise, precise, and clear sentences, the main problem addressed by the research, the methodology or approach adopted in addressing it, and its most significant findings.
5. If the articles includes diagrams, figures, equations, graphs, or tables, they must be submitted in their original format, as editable files such as Excel or Word documents. Figures, graphs, and tables submitted as un-editable images will not be accepted. In the case of studies that use field research (interviews, surveys, etc.), the research tools used (interview questions, survey forms/questionnaires, compiled data tables, etc.) must be attached and submitted in separate files.
6. The journal publishes only photographs that respect intellectual property rights, were taken specifically to support the article in question, and are of high quality.
7. The total word count of the articles, including footnotes, references, front page contents, words within tables (if any), and appendices (if any), must not exceed the limit specified in the table below. The editorial board may, at its discretion and on an exceptional basis, publish articles with word counts that fall outside of these ranges.

Article	Word Count
Study	8,000–10,000
Discussion	4,000–8,000
Translation	–
Report	3,000–6,000
Book Review	2,000–3,000

Types of Submissions

Omran welcomes the following types of Submissions:

1. **Studies:** These are expected to offer a New research contribution in their field, addressing a specific topic within a clear theoretical and methodological framework. A study must include a precise definition of the research problem, its objectives, and its significance, along with a critical review of relevant previous literature, including the most recent publications on the topic. It must also state the research hypothesis

of research preparation, peer review, and publication. In this context, the journal stresses the need for transparency in the use of Artificial Intelligence (AI): authors must explicitly disclose any use of such tools. Failure to disclose such use constitutes a breach of publication ethics and may result in the rejection or withdrawal of the submission at the discretion of the editorial board.

3. After verifying that a research submission meets the publication criteria and passes the originality check, it is referred for an initial evaluation by the journal's editorial board to determine its eligibility for external peer review. The journal reserves the right to reject a submission at this stage without providing an explanation.
4. A submission that passes the initial review is then sent for double-blind peer review. If the reviewers' reports differ, or their recommendations conflict, the submission is referred to a third reviewer. The journal is committed to informing the authors of its final decision, based on the reviewers' comments: acceptance after minor revisions, acceptance after substantial revisions, or rejection. When submitting a submission, authors may suggest the names of reviewers they wish to exclude from the review process, such as in cases of potential conflicts of interest, or of prior personal or institutional knowledge of the author's identity which could compromise the impartiality of the review process.
5. If the editorial board decides to accept a submission after revisions, whether minor or substantial, the authors are asked to submit a revised draft within 30 days.
6. The journal is committed to publishing submissions that meet the reviewers' requirements and successfully pass the academic editorial process. These stages include the editorial board's review of the text, verification of its terminology and concepts, and examination of its structure and the clarity of its ideas. The board may request additional revisions from the authors, either stylistic or substantive, to ensure that the articles is ready for publication.
7. After final acceptance for publication, the articles is sent for stylistic and linguistic editing. Before publication, the editorial board provides authors with a final, formatted version of the article, as it will appear in the journal, for their review and revision.

Preparing Your Submission

1. The journal requires that submissions meet the stylistic specifications outlined in the journal's Editorial Guidelines, including overall formatting (font type and size, spacing, footnote and referencing style, paragraph formatting, arrangement of headings and subheadings, methods for inserting tables and figures, the formatting of dates, and use of the journals' style for certain terms and names). Each submission must also conclude with a bibliography listing all the references cited, as detailed in the "Editorial Guidelines".
2. The first page of any submission must include the name(s) of the author(s) in Arabic and English, the title of the submission in both languages, and a footnote indicating each author's institutional affiliation (e.g. "Researcher, Arab Center for Research and Policy Studies, Qatar") and email address. It should also specify the Corresponding Author in the case of multiple authors.

Submission Guidelines

The following Submission Guidelines outline the editorial requirements of *Omran*, to help ensure the success of your research submission at all stages of publication – from initial evaluation, via external peer review, to academic editing, stylistic and linguistic editing, the final review, and finally, production and publication. Please review these standards and guidelines carefully and adhere to them closely, to ensure that your submission meets the journal's publication standards and to facilitate the publication process.

Evaluation and Peer Review Procedures

The journal adheres to an ethical charter that guarantees respect for privacy, confidentiality, objectivity, and academic integrity. Editorial board members, peer reviewers, and editors are prohibited from disclosing any information related to submitted articles, except to the editorial board and authors, and only as required by the processes of initial evaluation, peer review, academic editing, and stylistic and linguistic editing.

Research submissions to the journal pass through seven main stages: an originality check and review of adherence to submission guidelines (14 days); initial evaluation (30 days); external peer review (60–90 days); author's revision of the draft based on peer review feedback (30 days); academic editing; stylistic editing; and production and publication. Authors may be contacted at any stage if further revisions are required. The timeframes for evaluation and peer review may vary depending on the nature of the research article, the responsiveness of reviewers and authors to the academic and editorial review stages and their deadlines, and the type of article, particularly if it is submitted for a special issue requiring additional editorial work. The editorial board reserves the right to schedule submissions for publication as it deems appropriate within the issue's production plan. Upon successful completion of the evaluation, peer-review, and substantive editing stages, a formal letter of acceptance may be issued at the author's request.

1. The editorial board reviews all submitted articles to verify their alignment with the journal's specialization and publication guidelines. All articles that meet these formal requirements are then subjected to a plagiarism check to verify that they are original, designated exclusively for publication in *Omran*, and have not been previously published in any electronic or print publication nor submitted simultaneously to any other entity, whether in Arabic or any other language (this excludes articles presented at conferences, forums, or seminars without a corresponding publication track, provided that the authors acknowledge this under the heading "Disclaimer and Acknowledgements," before the article's bibliography). The journal adheres to a strict policy regarding plagiarism and the misuse of references and documentation. Any copying from published works, verbatim or paraphrased, without proper attribution, or unauthorized use of ideas, data, translations, images, or tables, constitutes a clear violation of the ethics of academic research and academic publishing.
2. The editorial board reserves the right to reject a submission or withdraw it after publication if it is shown to have involved plagiarism or misquotation. The journal emphasises that authors must adhere to the standards of complete and accurate academic referencing, as followed by the Arab Center for Research and Policy Studies and its journals, while respecting intellectual property rights at all stages

cultural and political anthropology, ethnography, ethnology, sociography, and related studies on education, health, art, the family, religion, the environment, language, social systems, structures, and expressive practices.

The journal's scholarly approach emphasizes the principle of interdisciplinarity as a vital conceptual, theoretical, and methodological framework for understanding social, cultural, and human phenomena in their totality and in their historical and contemporary complexity. Accordingly, the journal welcomes original studies that draw on innovative field research, renewed quantitative, qualitative, and mixed methodologies, approaches with solid conceptual and theoretical foundations, and innovative interdisciplinary and comparative analytical methods. It also publishes research that helps broaden the horizons of academic debate in the fields of sociology and anthropology, developing related theoretical and practical tools, and exploring issues common to them and to adjacent fields of knowledge, including, but not limited to:

- Protest, collective action, and social movements.
- Social inequalities, classes, categories, and marginalization.
- Social justice; issues of liberation and equity.
- Violence, vulnerability, conflict, and restoring social cohesion.
- Work, employment, the informal economy, and livelihoods.
- The environment, natural resources, and society.
- Urban and spatial studies; spatial and social transformations.
- Population, demography, and family transformations.
- Health, illness, and care systems in various social and cultural contexts.
- Gender, sexuality, the body, and identity.
- Religion, religiosity, symbolic practices, and value shifts.
- Local knowledge and experience, and the production of meaning in social life.
- Migration, asylum, and cross-border human mobility.
- Language, discourse, and expressive practices.
- Education, schooling, and institutions of socialization.
- Childhood, youth, and generational shifts.
- Digital technologies, social transformation, and everyday life.
- Artificial Intelligence and the resulting social and cultural transformations.
- Science, technology, and society.
- Crime, delinquency, and social control.
- Theoretical, conceptual, epistemological, and methodological issues in the social sciences..



About the Journal

Omran is a quarterly, peer-reviewed journal published by the Arab Center for Research and Policy Studies and the Doha Institute for Graduate Studies. It is registered under print ISSN 2305-2473 and electronic ISSN 2789-3286. Its first issue was published in the summer of 2012. *Omran* is overseen by a specialized academic editorial board, supported by an active international advisory board. The journal adheres to an open access policy, stemming from a commitment to make academic knowledge available to all and to facilitate its dissemination. It also abides by a Charter of Publishing Ethics consistent with the international standards followed by other peer-reviewed academic journals, as well as Publication Standards that regulate its evaluation and peer review procedures. It has a dedicated policy on the use of Artificial Intelligence in academic research, ensuring that these tools are used responsibly, transparently, and with academic integrity.

The journal focuses on sociology and anthropology. Its name is inspired by medieval Arab philosopher Ibn Khaldoun's concept of *ilm al Omran*, reflecting its enduring legacy and continually renewing influence. The idea for the journal emerged from a set of questions and challenges reflecting a methodological impasse in the Arab social sciences and their role amid ongoing social transformations in the Arab world. With this vision, it joined the ranks of social science and humanities journals around the world, seeking to establish itself as part of a tradition of that has shaped academic and intellectual currents, movements, and schools of thought. It aspires to represent a qualitative leap by approaching the social sciences as an integrated whole, advancing "integrative" perspective that transcends disciplines in pursuit of their ultimate aim: freedom – the essence of thought and, in turn, humanity.

Aims and Scope

Omran is dedicated to the production, dissemination, circulation, and advancement of specialized knowledge in the fields of sociology and anthropology within a scholarly framework that considers the breadth of both disciplines, their many subfields, and their interdisciplinary intersections. Its scope encompasses topics in economic and political sociology, the sociology of culture and knowledge, family, rural and urban life, environment, education, and youth, as well as the sociology of literature, arts, languages, religions, work, development, health, communication, media, law, institutions, and organizations. It also covers subjects related to social classes, categories, structures, social categories, inequalities, social movements, migration, social work, and social demography. The journal's scope also extends to the theoretical, conceptual, methodological, and historical issues in sociology, alongside topics in social, economic,



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات Arab Center for Research & Policy Studies

The Arab Center for Research and Policy Studies is an independent social sciences and humanities institute that conducts applied and theoretical research seeking to foster communication between Arab intellectuals and specialists and global and regional intellectual hubs. The ACRPS achieves this objective through consistent research, developing criticism and tools to advance knowledge, while establishing fruitful links with both Arab and international research centers.

The Center encourages a resurgence of intellectualism in Arab societies, committed to strengthening the Arab nation. It works towards the advancement of the latter based on the understanding that development cannot contradict a people's culture and identity, and that the development of any society remains impossible if pursued without an awareness of its historical and cultural context, reflecting its language(s) and its interactions with other cultures.

The Center works therefore to promote systematic and rational, scientific research-based approaches to understanding issues of society and state, through the analysis of social, economic, and cultural policies. In line with this vision, the Center conducts various academic activities to achieve fundamental goals. In addition to producing research papers, studies and reports, the center conducts specialized programs and convenes conferences, workshops, training sessions, and seminars oriented to specialists as well as to Arab public opinion. It publishes peer-reviewed books and journals and many publications are available in both Arabic and English to reach a wider audience.

The Arab Center, established in Doha in autumn 2010 with a publishing office in Beirut, has since opened three additional branches in Tunis, Washington and Paris, and founded both the Doha Historical Dictionary of Arabic and the Doha Institute for Graduate Studies. The ACRPS employs resident researchers and administrative staff in addition to hosting visiting researchers, and offering sabbaticals to pursue full time academic research. Additionally, it appoints external researchers to conduct research projects.

Through these endeavours the Center contributes to directing the regional research agenda towards the main concerns and challenges facing the Arab nation and citizen today.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية فكرية مستقلة، مختصة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، في جوانبها النظرية والتطبيقية، تسعى، عبر نشاطها العلمي والبحثي، إلى خلق تواصل في ما بين المثقفين والمتخصصين العرب في هذه العلوم، وبينهم وبين قضايا مجتمعاتهم، وكذلك بينهم وبين المراكز الفكرية والبحثية العربية والعالمية، في عملية تواصل مستمرة، من البحث، والنقد، وتطوير الأدوات المعرفية.

يتبنى المركز رؤية نهضوية للمجتمعات العربية، ملتزمة بقضايا الأمة العربية، والعمل على رقيها وتطورها، انطلاقاً من فهم أنّ التطور لا يتناقض مع الثقافة والهوية، بل إنّ تطوّر مجتمع بعينه، بغثاته جميعها، غير ممكن إلا في ظروفه التاريخية، وفي سياق ثقافته، وبلغته، ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.

ومن ثَمَّ، يعمل المركز على تعزيز البحث العلمي المنهجي والعقلانية في فهم قضايا المجتمع والدولة، بتحليل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الوطن العربي. ويتجاوز ذلك إلى دراسة علاقات الوطن العربي ومجتمعاته بمحيطه المباشر، وبالسياسات العالمية المؤثرة فيه، بجميع أوجهها.

وفي ضوء هذه الرؤية، يعمل المركز على تحقيق أهدافه العلمية الأساسية، عن طريق نشاطاته الأكاديمية المختلفة، فهو ينتج أبحاثاً ودراسات وتقارير، ويصدر كتباً محكمة ودوريات علمية، ويبادر إلى مشاريع بحثية، ويدير عدة برامج مختصة، ويعقد مؤتمرات، وورش عمل وتدريب، وندوات أكاديمية، في مواضيع متعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وموجهة إلى المختصين، والرأي العام العربي أيضاً، ويساهم، عبر كل ذلك، في توجيه الأجندة البحثية نحو القضايا والتحديات الرئيسية التي تواجه الوطن والمواطن العربي. وينشر المركز جميع إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.

تأسس المركز في الدوحة في خريف 2010، وله فرع يعنى بإصداراته في بيروت، وافتتح ثلاثة فروع إضافية، في تونس وواشنطن وباريس. ويشرف على المركز مجلس إدارة بالتعاون مع مديره العام المؤسس.

أسس المركز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، وما زال يشرف عليه بالتعاون مع مجلسه العلمي، كما أسس معهد الدوحة للدراسات العليا، وهو معهد جامعي تشرف عليه إدارة أكاديمية ومجلس أمناء مستقل يرأسه المدير العام للمركز.

يعمل في المركز باحثون مقيمون، وطاقم إداري. ويستضيف باحثين زائرين للإقامة فيه فترات محددة من أجل التفرد العلمي، ويكلف باحثين من خارجه للقيام بمشاريع بحثية، ضمن أهدافه ومجالات اهتمامه.

DOHA INSTITUTE FOR GRADUATE STUDIES



The Doha Institute for Graduate Studies (DI) is an independent institute for learning and research in the fields of Social Sciences, Humanities, Public Administration and Development Economics in Doha.

Through its academic programs and the research activities of its professors, the DI aims to achieve its mission of contributing to the formation of a New generation of academics and intellectually independent researchers who are proficient in international scholarship standards and modern interdisciplinary research methodologies and tools, and leading professionals who can advance human knowledge and respond to the needs of the Arab region, resulting in social, cultural and intellectual development.

The institute seeks to establish an intellectual hub that will benefit the Arab region in particular. The Institute supports academic research that deals with Arab issues, in an atmosphere of institutional and intellectual freedom.

The Institute works in cooperation with the Arab Center for Research and Policy Studies and the Doha Historical Dictionary of Arabic Language to facilitate its students and faculty members in their research of the most important current issues related to the Arab world and the wider international community. The involvement of students in the most important research projects is at the heart of the Institute's interests.

The Institute adopts Arabic as its official and primary language for education and research. English serves as an accompaniment to Arabic, with both languages used in presenting and research.

معهد الدوحة للدراسات العليا مؤسسة أكاديمية مستقلة للتعليم العالي والأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية والإدارة العامة واقتصاديات التنمية.

يهدف المعهد من خلال برامجه الأكاديمية ونشاطات أساتذته البحثية إلى تحقيق رسالته المتمثلة في المساهمة في تكوين جيل جديد من الأكاديميين والباحثين المستقلين فكرياً والمتمكّنين من المعايير العلمية العالمية والأدوات البحثية المنهجية الحديثة القائمة على مبدأ تداخل التخصصات، ومن القادة المهنيين القادرين على الدفع قُدماً بالمعرفة الإنسانية والاستجابة إلى حاجات المنطقة العربية في سبيل التطوّر الفكري والاجتماعي والمهني.

ويسعى المعهد لتأسيس نواة لصرح فكري يفيد العالم العربي على نحو خاص. ويدعم المعهد البحوث العلمية التي تهتم بالقضايا العربية، في جوّ من الحرية المؤسسية والفكرية.

يعمل المعهد بالتعاون مع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعجم الدوحة التاريخي للغة العربية على فتح المجال لطلبته وأعضاء هيئته التدريسية للبحث في أهم القضايا الراهنة التي تتعلق بالعالم العربي والمجتمع الدولي. ويعتبر إشراك الطلبة في أهم المشاريع البحثية في صلب اهتمامات المعهد.

يعتمد المعهد اللغة العربية أداة للبحث العلمي، ولغة رسمية في الخطاب العام، ولغة أساسية للتعليم والبحث. وتُعدّ اللغة الإنكليزية لغة مرافقة في التعلّم والبحث العلمي. وتستعمل اللغتان في طرح المواضيع المختلفة ودراستها.



دعوة للكتابة

ترحب دورية "عمران" بنشر الأبحاث والدراسات المعمقة ذات المستوى الأكاديمي الرصين، وتقبل للنشر فيها الأبحاث النظرية والتطبيقية المكتوبة باللغة العربية. وتفتح الدورية صفحاتها لمراجعات الكتب، ولحوار الجاد حول ما ينشر فيها من موضوعات. وسيتضمن كل عدد من "عمران" أبحاثاً ومراجعات كتب، ومتابعات مختلفة... وجميعها يخضع للتحكيم من قبل زملاء متخصصين.

ترسل كل الأوراق الموجهة للنشر باسم رئيس التحرير على العنوان الإلكتروني الخاص بالدورية

omran@dohainstitute.edu.qa

عنوان التحويل البنكي:

Arab Center for Research and Policy Studies

Société Générale de Banque au Liban s.a.l.

Mazraa - Al Mama Street - SGBL Bldg. - Beirut - Lebanon

Account Number: 010 666 504 002 840 (For US Dollars)

IBAN Number:

LB19 0019 0000 0010 6665 0400 2840 (For US Dollars)

Swift Code: SGLILBBX

عنوان الاشتراكات:

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

Arab Center for Research and Policy Studies

جادة الجنرال فؤاد شهاب - بناية الصيفي ١٧٤ - مار مارون

ص.ب.: ٤٩٦٥ - ١١ رياض الصلح ٢١٨٠ - بيروت - لبنان

البريد الإلكتروني: distribution@dohainstitute.org

هاتف: ٨ / ٧ / ٩٦١ ١٩٩١٨٣٦ + فاكس: ٩٦١ ١٩٩١٨٣٩ +



دورية فصلية مَحْكَمَة

قسمة اشتراك

عمران
omran

الاسم:

العنوان البريدي:

الهاتف:

البريد الإلكتروني:

عدد النسخ المطلوبة:

طريقة الدفع:

☐ تحويل بنكي

☐ شيك لأمر المركز

يمكنكم اقتناء أعداد الدورية ورقياً أو إلكترونياً في المكتبة الإلكترونية من خلال التسجيل في الموقع:

www.bookstore.dohainstitute.org

طريقة الدفع: أدوات الدفع الإلكتروني



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

يعقد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
مؤتمر العلوم الاجتماعية والإنسانية
في دورته الحادية عشرة (ربيع 2027)
بعنوان:

العلوم الاجتماعية والإنسانية في البلدان العربية والذكاء الاصطناعي: الجدوى والإشكاليات والتحديات

يسعى المؤتمر إلى تمهيد "الأرضية الفكرية"، والنقدية، لنقاش جماعي يشارك فيه باحثون من تخصصات متعددة، من أجل مساءلة التفاعل بين العلوم الاجتماعية والإنسانية والذكاء الاصطناعي في المنطقة العربية، والتحديات الجديدة التي يطرحها، سواء كان ذلك في مستوى مناهج البحث أو موضوعاته.

لمزيد من المعلومات، يرجى مراجعة الموقع الإلكتروني للمركز www.dohainstitute.org



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



الاشتراكات السنوية

عنوان الاشتراكات:

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

Arab Center for Research and Policy Studies

جادة الجنرال فؤاد شهاب - بناية الصيفي 174 - مار مارون
ص.ب.: 4965-11 رياض الصلح 1107-2180 بيروت - لبنان
البريد الإلكتروني: distribution@dohainstitute.org
هاتف: +961 1 991836 / 7/8 فاكس: +961 1 991839

عنوان التحويل البنكي:

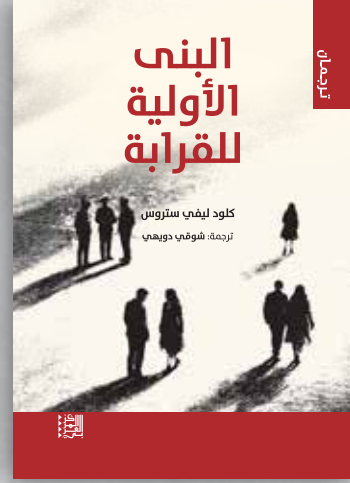
Arab Center for Research and Policy Studies
Societe General de Bank au Liban sal.

Mazraa - Al Mama Street - SGBL Bldg. - Beirut - Lebanon
Account Number: 010 666 504 002 840 (For US Dollars)
IBAN Number:
LB19 0019 0000 0010 6665 0400 2840 (For US Dollars)
Swift Code: SGLILBBX

(أربعة أعداد)

لبنان	35 \$ للأفراد	45 \$ للمؤسسات
الدول العربية وأفريقيا	60 \$ للأفراد	80 \$ للمؤسسات
الدول الأوروبية	100 \$ للأفراد	120 \$ للمؤسسات
القارة الأميركية وأستراليا	120 \$ للأفراد	160 \$ للمؤسسات

من إصدارات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات



- للحصول على منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يرجى الاطلاع على قائمة مؤرّعي الكتب والمجلات على موقعنا الإلكتروني: www.dohainstitute.org
- بالنسبة إلى البلاد التي لا يوجد فيها موزعون إلى الآن، يرجى الاتصال مباشرة بقسم التوزيع في مكتب بيروت: هاتف: +961 1 991 837 أو على البريد الإلكتروني: distribution@dohainstitute.org

في هذا العدد أيضًا

ترجمة

بيتر بيلس

أزمة حديثة: سبع خطوات نحو أنثروبولوجيا المستقبل

ترجمة: محمد الحاج سالم

مراجعات الكتب

خليل السلمي

العشرية السوداء للاقتصاد اليمني:

دراسة تحليلية لأثار الحرب على الاقتصاد خلال الفترة 2011-2021

لدبوان عبد القوي الصوفي

محمد أرحال

الانفعالات في عالم رقمي: البحث الاجتماعي 4.0

لأدريان سكريبانو

عروض الكتب

يمكنكم اقتناء أعداد الدورية ورقياً أو إلكترونياً في المكتبة الإلكترونية من خلال التسجيل في الموقع:

www.bookstore.dohainstitute.org

سعر النسخة

250 ديناراً

الجزائر

5000 دينار

العراق

30 ريالاً

قطر

30 درهماً

المغرب

5 دنانير

تونس

30 ريالاً

السعودية

700 أوقية

موريتانيا

200 ليرة

سورية

30 درهماً

الإمارات

5 دنانير

ليبيا

300,000 ليرة

لبنان

3 دنانير

البحرين

3 دولارات

فلسطين

ديناران

الأردن

ديناران

الكويت

3500 شلن

الصومال

400 ريال

اليمن

3 ريالات

عمان

20 جنيهًا

السودان

20 جنيهًا

مصر

شارع الطرف - منطقة 70 - وادي البنان - ص.ب. 10277 - الدوحة - قطر
جميع الحقوق محفوظة لمعهد الدوحة للدراسات العليا
والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



DOHA INSTITUTE
FOR GRADUATE STUDIES

